هشام آل قطيط

المتحوّلون

حقائق ووثائق

الظاهرة العالمية
للتحول نحو مذهب
أهل البيت عليهم السلام



دار المحجّة البيضاء


المتحولون
حقائق ووثائق

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com



حقائق ووثائق

الجزء السادس

الظاهرة العالمية للتحول نحو مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

هشام آل قطيط

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾

المتحولون

سلسلة مفتوحة عبر الانترنيت

www.14masom.com

14masom@14masom.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ

ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

دعـــاء

من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المروي عن أبي حمزة الثمالي:

«اللهم صلي على محمد وآل محمد..

إلهي أن كان قد دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف إليك بذنبي وسائل عللي.

إلهي أن عفوت فمن أولى منك بالعفو، وإن عدلت فمن أعدل منك في الحكم، ارحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي، وإذا نشرت للحساب بين يديك ذل موقفي واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي وأدم لي ما به سترتني، وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي، وتفضل علي ممدوداً على المغتسل يقلبني (يغسلني) صالح جيرتي وتحنن عليَّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي وجد علي منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي حتى لا أستأنس بغيرك يا سيدي إن وكلتني إلي نفسي هلكت سيدي فبمن أستغيث أن لم تقلني عثرتي والى من أفزع أن فقدت عنايتك في ضجعتي، وإلى من التجئ إن لم تنفس كربتي سيدي من لي ومن يرحمني إن لم ترحمني وفضل من أؤمل أن عدمت فضلك يوم فاقتي والى من الفرار من الذنوب إذا انقضى أجلي سيدي لا

تعذبني وأنا أرجوك الهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار إني من أهل لا اله إلا الله، وإن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك، وان أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك وأني والله أعلم أن سرور نبيك أحب إليك من سرور عدوك».

الإهداء..

إلى الإمام الغائب..

إلى المهدي المنتظر قائد الملحمة العظمى في مرج عكا وفلسطين وفاتح القدس ومبيد الظالمين..

عجل الله تعالى فرجه الشريف..

اللهم واجعلنا من جنوده والمستشهدين بين يديه برحمتك يا أرحم الراحمين

هشام



المقدمة

باتت واضحة معالم السير على خطى أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) وهي تزداد يوماً بعد يوم من خلال الكشف عن الحقائق التي ظلت مغطاة، بغبار الجهل والحقد والعداء اللاواعي، رغم بريقها ونبضها المعاصر لكل القرون والذي جعل الناس يتواكبون، على هذا الخط الرباني العظيم من كل حدب وصوب وبكافة المستويات الفكرية والثقافية.

وكشفوا حقيقة ما لعبت به الأيدي والأقلام المأجورة والأحقاد الدفينة في طمس معالم سيرة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم ومنزلتهم عند الله (صلوات الله عليهم أجمعين).

وتحريف السنة التي بات واضحاً في كتبهم الموضوعة، والتي ما أنزل الله بها من سلطان ولم يكتف هؤلاء بذلك بل بدءوا بالإساءة إلى الموالين لأهل البيت في التعرض لهم ولجلسائهم، والتحريض بهم وشن الغارات على تجمعاتهم الفكرية حتى بدءوا باستخدام الطرق الإرهابية في التعذيب والقتل وحتى النفي من ديارهم.

وما أشبه اليوم بالبارحة، حتى أثبتت عقيدة الشيعة حضورها وحاجة الناس لها من خلال فكرها المتألق دائماً ونهجها المتزن في خلق الشخصية القوية التي تعطي للإنسان، قيمته وتشعره بوجوده وكينونته، وتجعل منه ضرورة لا يتخلى عنها المجتمع أبداً. لكن مسألة تحرير الكلمة وإبداء الرأي

واعتناق المذهب ليست من الأمور التي يمكن تجاوزها أو غض النظر عنها، من قبل الحاكمين عبر التاريخ، وخاصة عندما تعلوا صيحات الحق، وتبدأ بهدم أركان الشرك والإلحاد حتى كشف هؤلاء غاراتهم الفكرية، المسمومة، وتتطاول أيديهم إلى الناس الآمنين، بل تتجه أحيانا إلى الدعوة عن طريق الإغراء المادي وتوفير وسائل الراحة والمعيشة لذلك الإنسان. وهكذا تجلت الحقيقة وتضع الناس أيديها على الدلائل التي تبرز الواقع المريض الذي تعيشه تلك الفئة من الناس وخاصة الوهابية الذين يريدون، إبعاد الناس عن سبيل الرشاد، والطعن في العقائد التي هي جزء من الإسلام حتى فرقت الأمة، إلى ثلاثة وسبعين فرقة، وهاهي كتب النخبة المتشيعين ومؤلفاتهم التي هي منار لكل الناس، وما كتبه العلماء للمسلمين من مستحدثات الأمور التي يحتاجونها في حياتهم حتى استيقظوا من غفلتهم، وعرفوا دربهم، ولم يلتفتوا إلى ما دون ذلك فهم في غاية أسمى.

فالمتحولون هم تلك النخبة التي اختارت خط التشيع من بين الخطوط الإسلامية، لأنها وجدت هذا الخط يمثل الإسلام الصحيح، يمثل الإسلام المحمدي الأصيل، يمثل إسلام العترة الطاهرة من آل بيت رسول الله ﷺ بالدليل والبرهان. كما وبينت تلك النخبة من خلال بحوثها ومؤلفاتها أن مذهب أهل البيت عليهم السلام سيحكم العالم في نهاية المطاف والدليل قوله تعالى في كتابه العزيز: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**.

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين..

هشام آل قطيط

تقاريظ

كلمة آية الله العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد فإن هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم (المتحولين) تأليف الأخ الكريم الفاضل، والماجد الكامل الشيخ هشام آل قطيط، هو من الكتب الشيقة، والمفيدة التي سدت فراغاً في مكتبة الدعوة إلى الحق، وأتوقع لهذا الكتاب سعة في الانتشار، وفي التداول.. فوفق الله مؤلفه لمتابعة إصدار سائر أجزائه، التي سنجد فيها المزيد من الفوائد والعوائد. والنادر من الغوالي والفرائد.

ومن الواضح: أن تخليد أسماء هؤلاء الرجال لهو أمر مطلوب ولازم وذلك وفاء منا لهم، ما دام أنهم كانوا الرجال، الرجال الذين استطاعوا أن يحملوا مسؤولية كلمة الحق، والتزام نهج الصدق في الفكر وفي القول،

وفي العمل، والطهر في الوجدان والضمير، والجهاد في سبيل الله من دون كلل أو ملل، فشكر الله سعيهم، وبلغهم منازل الصابرين الصادقين. ووفق الله مؤلف هذا الكتاب لمواصلة التعريف بجهاد وجهود هؤلاء الأبطال الذين صبروا على الأذى في جنب الله، ولم تأخذهم في قول الحق والالتزام به لومة لائم. ومؤلف هذا الكتاب واحد منهم. فعلى الله سبحانه أجرهم وأجره، ومنه تعالى عزهم وعزه، ونصرهم ونصره..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

حرر بتاريخ ٨١٢١٤٢٢ هـ.ق

جعفر مرتضى العاملي

« في كتابك جرأة واضحة وغيرة صريحة على المذهب لا غبار عليها وأرجو أن يثيبك الله تعالى عليها وأن يجعلك ممن يأخذ بحجزة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم »

عميد المنبر الحسيني الدكتور العلامة

الشيخ أحمد الوائلي

« إن الأخ هشام خليفتي في التبليغ، وذراعي الأيمن في طريق الدعوة والجهاد في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم.

حجة الإسلام والمسلمين العلامة

المجاهد السيد علي البدري

كلمة سماحة العلامة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي المحمدي البامياني

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وبعد..

«المتحولون» هو بحث فريد من نوعه في ساحة التأليف الشيعية، لما تميز به من الوثاقة والمنهجية، صحيح أن البعض من كتابنا كتبوا عن المتحولين والمتشيعين، لكن الشيخ هشام آل قطيط جاء بطريقة مختلفة عن غيره ألا وهي العمل الوثائقي الحي في جهده، مبرزاً صوراً حية لهؤلاء المتحولين، قاطعاً الطريق على كل مشكك، لأن الكثير ممن قالوا إن المتشيعين هم شخصيات وهمية، فهذا الكتاب جاء رداً على هؤلاء المشككين، مدعوماً بالحقائق والوثائق وكفيلٌ هذا البحث إن شاء الله بتنوير الأمة الإسلامية والشباب الإسلامي فوفق الله مؤلفه وسدد خطاه، لما يحبه ويرضاه وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الشيخ علي البامياني

١٨/ذو الحجة/عيد الغدير ١٤٢٢هـ

٢٠٠٢/٣/٣

تقريظ مهدى من سماحة العلامة المجاهد الشيخ عفيف النابلسي (رئيس هيئة علماء جبل عامل) في جنوب لبنان وإمام مسجد ومجمع الزهراء عليها السلام في صيدا

قل لي متى استبصرت..؟

قل لي متى استبصرت في هذا ... المدى يا من على خبز الحياة تمردا
أرضيت سخط الأهل والفقر الذي ... أضحى لباساً للذي اتبع الهدى
هل كنت تعرف أن حب محمد ... وجميع آل البيت مطفحة الردى
أوما دريت بأن آل أمية ... بعثوا وعادوا والتقى شمل العدى
أو ما ترى الاعلام في أعلامه ... أعطى معاوية الثناء ومجدا
قل لي بربك ما دهاك وأنت في ... لبنان عنوان الرجولة والفدا
كيف اكتشفت من الحقيقة أصلها ... ووميض نور في رؤاك توقدا
مع أن أمواج الضلال عتية ... ترخي على الومضات ليلاً أسوداً
هل كان للبدري نور كاشف أم ... صرت في الأبحاث شخصاً أوحدا
فتفتق الفكر الذي من صانه ... قاد الزمان وكان أتلع أتلدا
أهشام ما هذا النفاذ وأنت في ... عمر الورود تدللاً وتوردا
أأتاك علم من مدينة أحمد ... أو طيرها في طيف روحك غردا
وطفقت في سفر المعارف قارئاً ... وحفظت سراً للذي بهم اقتدى
أكبرت روحك يا هشام ورحت ... في كتب الحوار مرتلاً ومجوداً
فعرفت أنك فارس لا تنحني ... يوم النزال وهكذا كان الصدى

الشيخ عفيف النابلسي

رسالة تقريظ للعلامة المجاهد الشيخ
كامل حاتم
اللاذقية - مشقيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين..

وبعد:

إن كتاب (المتحولون) لمؤلفه العلامة المجاهد والبحاثة المجلّي الشيخ هشام آل قطيط حفظه الله، اسم سام على مسمى أسمى، ولفظ فصيح أنيق، ملائم ومعبر عن معنى بليغ دقيق، ومظهر بهي نقي، للحقيقة الرائعة الناصعة وقد أتيح لفضيلة المؤلف حياهُ الله وبياه أن يجمع بين هوايته وتمسكه البالغ بها، وبين الجرأة الأدبية الفائقة فهو لم يخش في سبيل الكشف عنها وإبرازها مشرقة مورقة لومة لائم، ولا حجة قائل وكان من نتيجة مطالعتي لهذا السفر النفيس، وإعجابي بمضمونه الفريدان أقدمت على تقريظه بهذا القصيد، ومن توفيقه تعالى نرجو المزيد.

كتابٌ قيم شبه الغمام ... أتى ينهل غيثاً من هشام

به انتعشت نفوس الهادفين ... إلى الحقيقة باهتمام

أجل تبدو الحقيقة من حوار ... نزيه موصل دار السلام

فلو أن الألى كتبوا وقالوا ... حذو حذو المؤلف بالتزام

لأشــرق فــوقهم ألــق التــآخي وأخمــد بيـنهم لهــب الخصــام
هشــام سـر علــى مــا أنــت فيــه مـن البحث السديد على الـدوام
فـذكرك يـا عزيـزي سـوف يبقـى عـــبيراً فائحـــاً بـــين الأنـــام
وتصــبح قــدوة مثلــى وركنــاً لأربــاب الفصــاحة والكــلام
حبــاك الله منــه كــل خــير ودمــت مؤيــداً ســامي المقــام
وألهــم أمــة الإســلام ســيراً علــى درب التــآلف والوئــام
ونبــذ لفيــف مــا مــن شــأنه أن يعـــرض صـــفها للانقســـام
وأولاهــا تعــالى منــه نصــراً علــى الأعــدا الألــداء الطغــام

خادم أعتاب آل محمد ﷺ
كامل حاتم
اللاذقية - مشقيتا

تقريظ مهدى من سماحة العلامة الأديب خادم أهل البيت عليهم السلام الشيخ عبد الأمير النصراوي (دام عزه)

إلى أخي العزيز سماحة العلامة المجاهد الشيخ هشام آل قطيط الحيدري (دام عزه)..

مع كامل الاعتذار أبعث لكم هذه الأبيات بعدما سرني مطالعة كتبكم القيمة التي تنم عن وعيكم وتمسككم بحبل أهل البيت عليهم السلام، والتزامكم بطريقهم القويم وأكرر شكري واعتذاري:

لــك يــا هشــام تحيــة وســلام	مــن حيــث أنــك مــؤمن مقــدام
واليـــت آل محمـــد متبصـــراً	ونــذرت نفسـك والجهـاد مـرام
لم تكـترث ممـن دعـوك مضـللاً	شـرف لمثلـك يجتبيـك كـرام
سر في جهادك لن تبالي أن عوى	كلـــبٌ وإن دارت بـــكَ الأيـــام
سر في جهـادك لـو رمـوك سهامهم	بسـهامهم يرمـون حيـث أقـاموا
هـذا طريـق الله صـعب شـائك	مــن رام عــزاً لم يعقــه طغــام
طـوبى لمـن نـال الشـهادة فـيهم	إن الحِمـــامَ بحـــبهم لطعـــام
وبعـــز آل البيـــت عـــز خالـــد	وإلى الجنـــان مراتـــب ومقـــام
ندعو لك التوفيق في طلب العلى	يحميـــك رب عـــالم عـــلام
وعليـك أثـني في التحيـة دائمـاً	أعنيك شخصاً أنـت أنـت هشـام

عبد الأمير النصراوي

في ٣/رجب/١٤٢٣هـ

تقريظ مهدى من سماحة العلامة
الشيخ جعفر الهلالي

هذه القصيدة وصلتني من بعد الردود العقائدية على الدكتور البوطي في الكتابين (وقفة مع الدكتور البوطي في مسائله)، و(الرد على الدكتور البوطي في كتابه عائشة أم المؤمنين).

هشام حسبك فخراً أن تكون فتىً ... يهوى الحقيقة في سر وفي علن
مستبصراً في طريق الحق تنشده ... بحبك الآل مأوى الفضل والمنن
وزدت حين غداً منك اليراع لهم ... مدافعاً صادعاً بالحق لم تلن
فرحت توضح للبوطي مسائله ... في وقفة منك لم تنكل ولم تهن
وفي حوارك قد بانت مناقشة ... كشفت عن زيف ما يأتي من الإحن
وتلك منك أياد سوف يذكرها ... التاريخ في كل ما يأتي من الزمن
والله ينصر من للحق ينصره ... بلطفه ويقيه زلة الفتن

الشيخ جعفر الهلالي

تقريظ مُهدى من الأستاذ إبراهيم جواد

إدلب - الفوعا

حاور هشام

ويقول لي استبصرت واتسع المدى / وترشف القلب الظمي ندى الهدى

وتحدث التاريخ جهرا بالذي / ستروه عنا والحجى لقف الصدى

فإذا القلوب بنوره قد أشرقت / وإذا العقول استشرفت عبق الندى

وعرائس الورد البديع تفتحت / وعلى الشذى الفواح قيثاري شدا

قلت اغترف ألق الضيا وانثر / أشعة فجره فوق الرياض مرددا

أنا ذلك الصبح الندي أتيت / افرش دربكم زهر الرشاد موردا

قلبي يخاطب في الحوار قلوبكم / ويزفها الحق الصريح مجردا

والعقل يسبح في جمال بصائر / نزلت بها الآيات نهجاً مسعدا

حاور (هشام) بحجة موزونة / واصل مسيرك لا تخف كيد العدى

إن الحوار هو الطريق إلى الهدى / فأدره في ثقة لمن سمع الندا

وأنر دروب الحق بين ربوعنا / وانسج سداها عسجداً وزبرجدا

لا تيأسن وتحزنن لمعاندٍ / لعب الضلال برأسه فتمردا

ولتمض لا ترهن خطاك لمسرف / قد قاده الشيطان في طرق الردى

وارفع لواءك للسماء مرفرفاً / وأنصب صراط الحق وآسر مسددا

إبراهيم محمد جواد

تقريظ من شاعر أهل البيت عليهم السلام صالح محمد يونس

إلى سماحة الشيخ هشام آل قطيط المحترم، هذه السطور المعبرة عن المشاعر الصادقة والحقيقة الناطقة. أهديها لسماحتكم تقديراً لجهدكم وجهادكم في سبيل إعلاء كلمة الحق والتمسك بها، أدامك الله مناراً للعلم وعظم الله أجركم وأطال عمركم وأثابكم.. وبعد:

الحق في قول الحق

سلام الله ما عذب السلام ... على خير الأنام هم السلام

على من فاز بالإسلام حقاً ... ترى نهج الإمام هو التمام

وقد شهدت له كل المزايا ... بكل فضيلة فهو الهمام

وكان لسيد الدارين صهراً ... وسيف النصر إن وقع احتدام

كفى بالله أن لهم نصيراً ... كذا بالفضل أنهم الختام

رسولٌ خصه الباري بقدر ... حبيب الله ما دام القيام

تفرد بالسمو فلا مثيل ... وعند الله شرفه المقام

ومن كانت له الأفلاك عرشاً ... فلا يرقاه مدح أو وسام

ولا تنسى الصحابة قد تولوا ... زمام الدين فاعتصموا وقاموا

لهم فيه جهاد ليس ينسى ... بما فتحوا وما نشروا فداموا

كفاكم يا هشام بكل فخر ... بلغت بما يطيب لك المرام

هنيئاً يا هشام بما اهتديتم ... ضياء ليس يغشاه الظلام

فأنتم للأنام سبيل رشد ... وأنتم للمعالي لها مقام

ولو بقيت معالمنا بخير ... فما وقع الخصام ولا انقسام

لكن خير ما يرجى سبيلاً ... كما أمر الرسول وذا الإمام

وليس لنا بغير الحب نبدي ... وندعو حتى يكتسب الوئام

صالح محمد يونس طرطوس - دوير رسلان، ٢٠٠٢/٢/١٧

آراء علماء مصر المعاصرين
حول الشيعة الإمامية ★

١ـ الشيخ محمود أبو رية:

من الكتاب البارزين في مصر.

● ولادته: في كفر المندره «مركز أجا» محافظة الدقهلية في ١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩ م.

● جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية.

● قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة حتى وفد إلى الجيزة عام ١٩٥٧ م وبقي فيها إلى حين وفاته.

● توفي في ١١ ديسمبر ١٩٧٠ م بالجيزة.

● أهم آثاره «علي» وما لقيه من أصحاب الرسول «مخطوط» «أضواء على السنة المحمدية» طبع ثلاث مرات، (أبو هريرة شيخ المضيرة) طبع ثلاث مرات و «السيد البدوي» وكتاب «حياة القرى» و «صيحة جمال الدين الأفغاني» و «رسائل

★ مقتبس من كتاب مع رجال الفكر في القاهرة للسيد العلامة مرتضى الرضوي سدده الله ووفقه لخدمة أهل البيت عليهم السلام.

الرافعي» «جمال الدين الأفغاني» «دين الله واحد» «قصة الحديث المحمدي» وغيرها.

● تعرفت إليه عام ١٩٥٨ م.

● من علماء القاهرة المحققين.

●حقق في السنة النبوية وعرى الأيادي التي دست فيها الوضع والاختلاق، وأدخلت عليها الخرافات والإسرائيليات وقد أرخ الحديث النبوي وألقى عليه أضواء كشافة.

●يندفع فيما يكتب إلى نصرة أهل البيت ووجهة نظرهم.

●كتب مقدمة لكتاب: «أحاديث أم المؤمنين عائشة» استعرض فيها الفتنة التي قامت بها وما أثارت في المسلمين من الشقاق والصراع.

●أوذي في سبيل العقيدة الإسلامية إيذاء شديدا واستمر إلى آخر يوم في حياته يناضل في طريق الحق بصدق وإيمان تغمده الله برحمته الواسعة.

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن وصلت القاهرة للمرة الثانية نزلت في الفندق السالف الذكر، وكما أن في رحلتي الأولى التي زرت فيها القاهرة ونزلت بها لغرض نشر كتبنا وآثارنا في مصر الحبيبة.

وقد تعرفت إلى هذا الفندق بواسطة الأخ الوجيه صالح حسن شاكر صاحب مطعم المنظر الجميل الواقع أمام بناية عمر أفندي في شارع عبد العزيز.

واتفق أني تعرفت على صديق عراقي التقيت به في القاهرة وأخبرته بأن لي فكرة طبع ونشر بعض الكتب الإسلامية، في القاهرة، وسوف أحتاج إلى خطاط،

وإلى صنع «أكليشيهات» ـ عند زنكوغراف ـ فجاء بي إلى الأخ الوجيه حسين محمد كاظم ـ صاحب زنكوغراف النصر ٢ شارع دار الكتب ـ وعرفه بي وعرفني عليه وإذا بمكتبه هذا كالنادي وقد شاهدت فيه أصحاب المطابع وتعرفت على دور النشر والخطاطين، والصحفيين، والعلماء، ورأيت الكثيرين من الأساتذة والأدباء يترددون عليه، ويلتقون عنده.

وقد تعرفت هناك على الأخ الأستاذ محمد برهومة الصحفي، والمحرر في جريدة المساء، وعلى الكاتب القدير: الأستاذ عبد الهادي مسعود الإبياري صاحب الفكر الوقاد، والمؤلفات النموذجية.

وعلى الأستاذ الكبير الدكتور حامد حفني داود مؤلف «تاريخ الأدب العربي العباسي» و «الصاحب بن عباد بعد ألف عام»، نال به درجة الماجستير، والكتابة الديوانية في العراق نال به درجة الدكتوراه.

ومن الخطاطين الذين تعرفت عليهم:

الخطاط حسني الشامي وولديه فاروق، ونبيل، والأستاذ مكاوي، ومحمد، وعبد المنعم ولا زلت أحتفظ بنماذج من خطوطهم.

وتعرفت على الشيخ سليمان الوكيل صاحب مطبعة «دار التأليف».

وقد عمل لنا الأخ حسين محمد كاظم ـ صاحب المكتب أو النادي ـ دعوة في مكتبه فدعاني، والشيخ سليمان الوكيل، والأستاذ محمد برهومة على طعام في ظهر يوم جمعة وجلس معنا وقد أحضر لنا الطعام من أحد المطاعم القريبة لمحله وبعد أن فرغنا من تناول الطعام أحضر لنا الشاي، والقهوة، والكازوز، والشيشة، «والنركيله» وبعد أن تعرفت إلى الأستاذ محمد برهومة المحرر في جريدة المساء أخبرته أن لي رغبة في نشر إعلان بإحدى الصحف المصرية لإنشاء جناح خاص لكتب الشيعة الإمامية يوضع في قاعة المراجع بدار الكتب المصرية ووعدني

الأستاذ محمد برهومة أن يقوم هو بنشر هذا الإعلان.

وبعده تكلم الشيخ سليمان الوكيل وقال:

إن لي مطبعة وعندي كتب طبعتها ومستعد لطبع الكتب التي عندك [1].

ثم قال: إن العلامة الشيخ محمود أبو ريه له كتاب يطبعه الآن عندنا واسمه: «أضواء على السنة المحمدية»، وبلغه مجيؤك إلى القاهرة ويطلب فضيلته الاتصال بك فلو سمحت أن تزورنا في المطبعة وفضيلته سوف يحضر في الصباح قبل الساعة العاشرة وعنوان المطبعة بعد ميدان لاظوغلي ـ ٨ ـ شارع يعقوب بالمالية، مطبعة دار التأليف.

بالأوفست عام ١٩٧٢ م أكثر من مرة.

وفي صباح اليوم التالي قصدت المطبعة وصادف دخولي إليها في تمام الساعة العاشرة فرأيت الشيخ سليمان جالسا أمام الباب فدخلت وسلمت ورد علي السلام وأريته الساعة وقلت: ـ بص ـ فقال: أيوه مضبوط.

ـ أردت بهذا إخباره بأني حضرت المطبعة حسب الموعد المحدد ـ وعندما دخلت رأيت شيخا وقورا جالسا عن يمينه فسلمت عليه فرد علي السلام وأشار الشيخ سليمان صاحب المطبعة ـ على الشيخ الوقور الجالس عن يمينه وقال: هذا هو الشيخ محمود أبو رية الذي حدثتك عنه أمس فجلست إلى جنب فضيلته وحييته فرحب بي كثيرا، وفتحت الحديث معه وقلت:

يا مولانا الشيخ: بأي مذهب من المذاهب الأربعة متمسك.

---

(١) طبعت عنده في القاهرة كتاب: الوضوء في الكتاب والسنة (الطبعة الأولى، منه وأعيد طبعه.

فأجاب: أنا مسلم أعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأنا غير ملتزم بمذهب من هذه المذاهب الأربعة وقال:

أنا أعلم من الشافعي، وأبي حنيفة.

فسألته عن رأيه في الصحاح.

فقال: الصحاح صحاح عند أصحابها.

فقلت: ما رأي سيادتكم في بعض الرواة المكثرين للحديث.

فقال: تقصد ـ زي من ـ مثل من؟

قلت: «أبو هريرة».

فقال: أبو هريرة رجل وضاع.

قلت: قد ألف الإمام شرف الدين العاملي كتابا في حياة هذا الراوية المكثر وأسماه: «أبو هريرة» فمد فضيلته يده إلى حقيبة كانت معه وأخرج منها كتاب:

«أبو هريرة» الذي ألفه الإمام شرف الدين العاملي وكانت الطبعة الأولى طبعة صيدا ـ لبنان: وقال:

هذا ما أهداه لي الإمام شرف الدين، فناولني النسخة فأخذتها بيدي فرأيت الإهداء بخط الإمام شرف الدين على الكتاب وفيه: ما يشعر بجهاده وعلمه، وإكباره.

ثم أخبرته بوفاة هذا المصلح ـ شرف الدين ـ قبل أسبوع في يوم الاثنين الماضي الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٩٥٧ م الموافق ٨ / ٦ / ١٣٧٧ هـ وقد تغمده الله برحمته الواسعة ونقل جثمانه إلى مقره الأخير في النجف الأشرف ـ العراق ودفن بجوار جده الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى الغرف المحيطة بالصحن

الشريف في يوم الأربعاء ١٠ / ٦ / ١٣٧٧ هـ المصادف ١ / ١ / ١٩٥٨ م فتأثر كثيرا وقال:

كان في نيتي إهداء كتاب «الأضواء»[1] له عند إتمامه من الطبع، ثم طلب فضيلته الشيخ سليمان ـ صاحب المطبعة ـ وقال:

هات الملازم المطبوعة من كتاب «الأضواء» فجاءني بها الشيخ سليمان وكانت آنذاك خمسة عشر ملزمة ولغاية «٢٤٠» صفحة مطبوعة فأخذتها بيدي وتصفحتها حتى وصلت إلى عنوان: «أحاديث المهدي» فرأيت فضيلته ينقل عن ابن خلدون البربري ويقول:

وقد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي وفندها كلها [2] فقلت: يا مولانا الشيخ.

إن البربري هذا ابن خلدون من ألد أعداء الشيعة وخصومهم ولا يصح نقل

---

(١) وهو: «أضواء على السنة المحمدية» طبع ثلاث طبعات الأولى بمصر في مطبعة دار التأليف ٨ شارع يعقوب بالمالية تحت إشراف المؤلف عام ١٩٥٨ م والطبعة الثانية طبعت ١٩٦٤ م في صور ـ لبنان. وفيها من الأغلاط المطبعية ما تزيد على الألف وقد دفع لي فضيلة المؤلف «الطبعة الثانية» هذه وقال: أريد منك مراجعة هذه النسخة وتصحيحها لي بدقة وعندي روايات كثيرة وأريد إضافتها إلى هذه الطبعة ولتكون النسخة التي أقدمها إلى المطبعة خالية من الأخطاء وسليمة منه وحينما كنت بمصر راجعت قسما منها وبعد ذلك صحبتها معي إلى العراق وبعد مراجعتها وتصحيحها أرسلتها إليه بالبريد المضمون بعنوان ٩ شارع قرة بن شريك القاهرة وبعد مدة وصلتني منه رسالة يشكرني فيها ويخبرني بوصول الكتاب إليه.

والطبعة الثالثة التي أضاف إليها الزيادات والتحقيقات طبعت بمطابع «دار المعارف» بمصر ضمن مطبوعاتها وذلك في عام ١٩٦٩ م.

(٢) راجع هامش «الأضواء» ص ٢٠٩ الطبعة الأولى.

شئ من الخصم وكلامه ليس بحجة.

وإذا كنتم بحاجة إلى «أحاديث في المهدي» فإن معي كتاب «منتخب الأثر» في الإمام الثاني عشر لفضيلة العلامة الكبير الشيخ لطف الله الصافي وفيه ينقل عن أعلام السنة ومحدثيهم وإني مستعد لتقديمه لفضيلتكم حيث أنه ملم بهذا الموضوع.

ثم طلبت من فضيلته عنوان منزله فقال:

الجيزة ٩ شارع قرة بن شريك واكتب عندك رقم الهاتف ٨٩٥٤٥٦ ووعدته أن أحضر عنده في منزله مع موعد سابق وانصرفت.

وبعد أيام اتصلت به هاتفيا وحددت الموعد معه وقصدت منزله وصحبت معي كتاب: «منتخب الأثر» وأهديته له وجلست معه ساعة وانصرفت.

وبعد مدة اتصلت به هاتفيا للاجتماع به في منزله وحددت الموعد معه ولما وصلت إلى باب المنزل وطرقتها وإذا بفضيلته فتح لي الباب ورحب بي كثيرا وأحضر لي القهوة - بعد فترة قصيرة - وجاءني بالشاي وتذاكرنا حول «أحاديث المهدي» وكتاب: «منتخب الأثر» وكان قد أعجب به كثيرا واستفاد منه ثم طلبت من فضيلته أن يكتب للسيد العسكري حول هذا الموضوع وقلت: المواضيع التي تخص الشيعة يجب أن تراجعوا فيها مصادر الشيعة ولا يصح النقل والاعتماد على كتب خصومهم وللباحث أن يتحقق من صحة النصوص المتعلقة بأي فئة من غير مصادرها ولأجل هذا أنا مستعد لأتعاون معكم وأرسل لكم جميع ما تحتاجون إليه من مصادر الشيعة [1].

---

(١)عندما رجعت إلى العراق أرسلت لفضيلته أكثر من خمسين كتابا أرسلتها له بالبريد المضمون من ←

ثم قلت لفضيلته:

السيد العسكري من كبار المؤلفين في العراق ومعروف لدى كبار علماء النجف الأشرف ويمكنكم مراسلته وأخذ ما يخص هذا.الموضوع منه فراجعه فضيلته بعد ذلك وذكر هذا في كتابه: «أضواء على السنة المحمدية» في الطبعة الثالثة التي طبعتها دار المعارف بمصر تحت إشرافه ثم جرى الحديث حول الخلافة الإسلامية، والخلفاء، وما أصيب به المسلمون من انحطاط، واضطهاد، وذلك لتفرقهم، وتسلط الاستعمار الغاشم عليهم وجعلهم فرقا، وأحزابا.

ثم تحدثت عن المذاهب الأربعة وقلت:

إن هذه المذاهب: هي التي احتضنتها السياسة، وروجتها تجاه الإمام الصادق من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقلت: إن المستشرقين الذين طعنوا في الإسلام استندوا إلى الخرافات، والإسرائيليات التي وجدوها في كتب أهل السنة.

فقال: أنا معك.

ثم سألته عن اتجاهه الفكري هذا وتبنيه لقضايا التمحيص في السنة النبوية التي هي أساس الإسلام فكان يتحرق فضيلته على ما في عامة الكتب الدراسية الأزهرية، وغيرها في الخرافات، والإسرائيليات.

وهو الأمر الذي جعله يتجه إلى تمحيص السنة النبوية، وتعرية الأيادي التي

العراق حتى أنه أخبرني في أحد رسائله إلي بأني اكتفيت ولست بحاجة إلى كتاب ولا تكلف نفسك.

دست فيها هذه الأباطيل التي روجتها اليهودية المتمثلة في كعب الأخبار، وأبي هريرة، وأضرابهما فكان كتابه هذا ثورة على الباطل، وانتصارا للحق، وتخطيطا للوصول إلى السنة النبوية.

كما وقد قال لي بالحرف الواحد:

ألفت هذا الكتاب لأقدمه إلى سدة الرسول الأعظم صلوات الله عليه وقد نزهت أحاديثه مما شأنها، تقربا إليه، وزلفا إلى ربه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم ٨٩ : ٣٦.

والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا ٧٦ : ١٩.

بهذه الإشراقة من الإيمان الصادق، والتجرد في خدمة الدين وضع كتابه هذا فجزاه الله عن الإسلام خير جزاء المحسنين.

ثم أهديت له مجموعة من الكتب التي طبعتها في القاهرة وانصرفت.

وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة قصدت داره العامرة وقد حملت له مجموعة من الكتب كنت قد صحبتها وحملتها معي من العراق، ومن بينها: «أحاديث عائشة» لمؤلف كتاب «عبد الله بن سبأ» - السيد العسكري - وطلبت منه أن يكتب رأيه حول هذا الكتاب الخالد. وهذا نص ما كتبه.

***

أحاديث أم المؤمنين عائشة

بسم الله الرحمن الرحيم

يحسب العامة وأشباه العامة من الذين يزعمون أنهم على شئ من العلم أن التاريخ الإسلامي وبخاصة في «دوره الأول» قد جاء صحيحا لا ريب فيه، وأن

رجاله جميعا ثقات لا يكذبون ـ وهو من أجل ذلك يصدقون كل خبر جاء من هذه الفترة، ويشدون أيديهم على تلك الأحاديث التي شحنت بها الكتب المشهورة في الحديث.

تلك التي حملت الطم والرم، والغث والسمين، والصحيح القليل، والموضوع الكثير.

وقد بلغ من ثقتهم بأحاديث هذه الكتب، أن من يشك في حديث منها يعد في رأيهم فاسقا!!.

وإذا كان الله قد آتاهم عقولا لا ليفهموا بها، وفهوما لا يزنون بها، فإنهم يعطلون هذه المواهب استمساكا بالتقليد الأعمى، والتعبد لمن سلف!.

وإذا أنت بصرتهم بالحق، وبينت لهم المحجة الواضحة، لووا رؤسهم، وأصروا على معتقداتهم واستكبروا استكبارا.

وليتك تسلم من ألسنتهم، بل يرمونك بشتائمهم، وسبابهم، ويسلقونك بألسنتهم، وقد بلوت ذلك منهم عندما أخرجت كتابي: «أضواء على السنة المحمدية» الذي أرخت فيه الحديث، وكشفت كيف روى وما شابه رواية من الموضوعات ومتى دون وما إلى ذلك ما يجب بيانه ـ فإنهم ما كادوا يقرأونه حتى هبت علي أعاصير الشتائم والسباب من كل ناحية، من مصر والحجاز والشام! فلم أبال كل ذلك بل أستعذ به لأني على سبيل الحق أسير فلا يهمني شئ يلاقني في هذا السبيل مهما كان.

ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يقفون في سبيل الحق حتى لا يظهر.ويمنعون ضوء العلم الصحيح أن يبدو، لا يعلمون مقدار ما يجنون من وراء جمودهم، وأن ضرر هذا الجمود لا يقف عند الجناية على العلم والدين فحسب؟ بل يمتد إلى ما

وراء ذلك.

فإن الناشئين من المسلمين وغير المسلمين الذين بلغوا بدراستهم الجامعية العلمية إلى أنهم لا يفهمون إلا لقبولهم، وما وصلوا إليه بعلمهم، قد انصرفوا عن الإسلام لما بدى لهم على هذه الصورة المشوهة التي عارضها هؤلاء الشيوخ عليهم.

من أجل ذلك كله كان من الواجب الحتم على العلماء المحققين الذين حرروا أعناقهم من أغلال التقليد، وعقولهم من رق التعبد للسلف، أن يشمروا عن سواعد الجد، ويتناولوا تاريخنا بالتمحيص، وأن يخلصوه من شوائب الباطل والعصبيات، ولا يخشون في ذلك لومة لائم.

وإني ليسرني كل السرور أن أشيد بفضل عالم محقق كبير من علماء العراق قد نهض ليؤدي ما عليه نحو الدين والعلم فأخرج للناس كتبا نفيسة كانت كالمرآة الصافية التي يرى فيها المسلمون وغير المسلمين تاريخ الإسلام على أجمل صوره في أول أدواره، ذلكم هو الأستاذ «مرتضى العسكري» فقد أخرج لنا من قبل: كتاب «عبد الله بن سبأ» أثبت فيه بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، أن هذا الاسم لم يكن له وجود وأن السياسة «لعنها الله» هي التي ابتدعت هذا الاسم لتجعله من أسباب تشويه وجه التاريخ، وبين أن شيخ المؤرخين في نظر العلماء وهو الطبري قد جعل جل اعتماده في تاريخه ورواياته على رجل أجمع الناس على تكذيبه.

ومن الغريب أن جميع المؤرخين الذين جاؤوا بعد الطبري قد نقلوا عن ابن جرير كل رواياته بغير تمحيص ولا نقد، وهذا الرجل الكذاب هو: سيف بن عمر التميمي.

وأردف العلامة العسكري هذا الكتاب النفيس بكتاب آخر أكثر منه نفاسة هو كتاب: «أحاديث عائشة» وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ هذه السيدة لا كما جاء من ناحية السياسة والهوى والعصبية، ولكن من أفق الحقيقة التي لا ريب فيها، وكتبه بقلم نزيه يرعى حرمة العلم وحق الدين لا يخشى في الله لومة لائم.

أشار الأستاذ في تمهيده لكتابه إلى ما في الأحاديث التي نسبت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من اختلاف بين حديث وآخر، وبين بعض تلك الأحاديث، وآي القرآن فما كان مثار الطعن والنقد إلى النبي من أعداء الإسلام.

ثم بين أن هذه الأحاديث إن هي إلا مجموعات مختلفة رويت عن رواة مختلفين، وعلى الباحث العالم النزيه أن يقوم بتصنيفها نسبة إلى رواتها.ثم يدرس أحاديث كل منهم على حدة.وبخاصة أحاديث الرواة المكثرين أمثال: عائشة، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، مع دراسة حياة راويها، وبيئته وظروفه، ثم مضى يقول:

إن التاريخ الإسلامي منذ بعثة الرسول حتى بيعة يزيد بن معاوية لا يفهم صحيحا إلا بعد دراسة أحاديث أم المؤمنين «دراسة موضوعية» ولأن الأستاذ المؤلف: بصدد البحث عن التاريخ الإسلامي في دوره الأول فقد قدم هذه الدراسة على غيرها من الدراسات.

وبعد أن بين صعوبة هذه الدراسة لما يجد في سبيلها من عقبات متعددة أخذ في موضوع دراسة فبين نسب عائشة، ومولدها، وتزويجها من النبي (صلى الله عليه وسلم) وما صنعته معه «كامرأة» كما قال شوي: من مكر وكيد «كيدهن عظيم».

وإنها قد أقامت مع النبي نيف وثمانية أعوام، ثم أخذ يذكر أنها كانت تؤيد

خلفاء النبي «أبي بكر، وعمر، وعثمان» في أو خلافته ثم انحرافها عنه وترأسها للمعارضة له حتى بلغ من أمرها أنها كانت تحرض على قتله، وما أن قتل هذا الخليفة بسبب خروجه عن نهج سابقيه، وتركه الأمر لقومه يتصرفون فيه بأهوائهم حتى «برزت «تعارض عليا معارضة شديدة لم يلق مثلها من غيرها، وكان في أول شئ بدا منها لهذا الإمام العظيم أنها ما كادت تعلم بنبأ بيعته حتى ثارت ثائرتها وصاحت: لا يمكن أن يتم ذلك! ولو انطبقت هذه - أي السماء على الأرض - ولما لبثت أن ألبت عليه طلحة والزبير وقادوا جميعا الجيوش الجرارة لمحاربة علي ﷺ في وقعة الجمل - وكانت تركب جملا من المدينة إلى البصرة، وبعد أن انتهيت هذه المعركة بسفك الدماء المحترمة انتهت المعركة بقتل طلحة فأعادها «علي ﷺ» إلى المدينة مكرمة لم ينلها سوء، ولكنها لم تحفظ له هذا الجميل، ولم ترجع عن غيها وظلت تعمل ضده بكل وسيلة وكان من ذلك أن كانت تؤيد معاوية في حروبه مع «.علي ﷺ» ولم تهدأ ثائرتها حتى قتل علي فقرت عينها، وهدأت نفسها، وتمثلت عند قتله بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

وقد كان ذلك بسبب ضغنها لعلي ﷺ، وما يكنه صدرها له لأنه زوج فاطمة بنت خديجة.

وما كان لموقفه من حديث الإفك ما بينه شاعر الإسلام الكبير: أحمد شوقي بأحسن بيان فقال يخاطب عليا ﷺ بقوله:

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل ... ماذا رمت عليك ربة الجمل

أثأر عثمان الذي شجها ... أم غصة لم ينتزع شجاها

ذلك فتق لم يكن بالبال ... كيد النساء موهن الجبال

وإن أم المؤمنين لامرأة * وإن تلك الطاهرة المبرأة

أخرجها من كنها وسنها * ما لم يزل طول المدى من حنقها

هذا بعض ما قاله شاعر الإسلام في علي ﷺ في كتاب أرسله إليها وإلى طلحة والزبير أثناء وقعة الجمل، لو أنها عقلته وتدبرته لاشتد ندمها واستغفرت الله مما أجرمت وإن كان الظن أن الله لا يغفر لها.

قال ﷺ :

وأنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش؟ والبروز للرجال؟ والوقع بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحترمة؟.

ثم إنك على زعمك طلبت دم عثمان، وما أنت وذاك؟ وعثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم؟

إنك بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعثلا فقد كفر! ثم تطلبين اليوم بدمه! فاتقي الله وارجعي إلى بيتك والبسي عليك سترك والسلام.

هذه لمحة خاطفة مما حواه كتاب «أحاديث عائشة» ولو نحن ذهبنا نبين ما فصله هذا العالم المحقق في كتابه هذا مما أوفى به على الغاية، ولم نر مثله من قبل لغيره لاحتجنا إلى كتاب برأسه..

وإذا كان لا بد من كلمة نختم بها قولنا هذا الموجز فإنا نقول مخلصين: إنه يجب على كل من يريد أن يقف على حقيقة الإسلام في مستهل تاريخه إلى بيعة يزيد فليقرأ كتابي هذا العلامة «عبد الله بن سبأ ـ وأحاديث عائشة» وليتدبر ما جاء

فيهما، فإن فيهما القول الفصل.

أما ما نرجوه من العلامة مؤلفهما فهو أن يغذ السير في هذا الطريق الذي اختطه حتى يتم ما أخذ نفسه به.

والله ندعو أن يكتب له التوفيق، والسداد في عمله، إنه سميع الدعاء...

محمود أبو رية
القاهرة: عن جيزة الفسطاط
ليلة الجمعة ١٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ
الموافق ٢٣ فبراير ١٩٦٢ م

***

هذا وإني لما غادرت القاهرة وأتيت إلى سوريا ولبنان وقبل وصولي العراق عرفت فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو رية على جماعة من الأساتذة والعلماء والكتاب في كل من سوريا ولبنان، والعراق:

كالأستاذ صدر الدين شرف الدين [(١)].

وفضيلة الشيخ محمد جواد مغنية [(٢)].

درس على شيوخ قريته ثم سافر إلى النجف الأشرف فأنهى هناك

---

(١) صاحب مجلة النهج التي تصدر في صور ـ لبنان ومؤلف كتاب: «هاشم وأمية»، وحليف مخزوم، وغيرهما.

(٢) الشيخ محمد جواد مغنية ولد سنة (١٣٢٢ هـ) في قرية (طير دبا) من جبل عامل وتوفي في (٢١ محرم سنة ١٤٠٠ هـ) في بيروت ـ لبنان.

دراسته. وكان من أبرز أساتذته السيد حسين الحمامي. ثم عاد إلى جبل عامل فسكن قرية (طير حرفا) ثم عين قاضيا شرعيا في بيروت، ثم مستشارا للمحكمة الشرعية العليا، فرئيسا لها بالوكالة... فنجح في إقصائه عن الرئاسة. ثم أحيل إلى التقاعد فانصرف إلى التأليف فأخرج العدد من المؤلفات من أهمها: «الفقه على المذاهب الخمسة» و «فقه الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام» في ستة مجلدات و «التفسير الكاشف» وهو تفسير مطول للقرآن و «في ظلال نهج البلاغة» وهو شرح له، و «التفسير المبين» وغير ذلك. انظر أعيان الشيعة: ٩ / ٢٠٥ بيروت ١٣٠٤ هـ

وآية الله الإمام الخوئي[1].

---

(١) هو السيد أبو القاسم بن السيد علي أكبر بن المير هاشم الموسوي الخوئي النجفي، من أعاظم زعماء الشيعة الإمامية في العالم الإسلامي وكان المرجع الأعلى الديني الوحيد لطائفة الشيعة الإمامية في جميع أنحاء العالم وله: «البيان في تفسير القرآن» و«معجم رجال الحديث» و «إعجاز القرآن» وغيرها. وإليك ترجمة حياته بقلمه، قال (قدس سره):

« نشأت في خوي مع والدي وإخوتي، وأتقنت القراءة والكتابة، وبعض المبادئ حتى حدث الاختلاف الشديد بين الأمة لأجل (حادثة المشروطة)، فهاجر والدي من أجلها إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٨ هـ والتحقت به في سنة ١٣٣٠ هـ برفقة أخي الأكبر المرحوم السيد عبد الله الخوئي وبقية أفراد عائلتنا.

أساتذته:

١ ـ آية الله الشيخ فتح الله (المعروف بشيخ الشريعة الإصفهاني)، توفي سنة ١٣٣٩ هـ.

٢ ـ آية الله الشيخ مهدي المازندراني.

٣ ـ آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي (١٢٧٨ ـ ١٣٦١ هـ).

٤ ـ آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهاني الكمباني (١٢٩٦ ـ ١٣٦١ هـ).

٥ ـ آية الله الشيخ محمد حسين النائيني (١٢٧٣ ـ ١٣٥٥ هـ).

٦ ـ آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢ هـ).

٧ ـ آية الله السيد حسين البادكوبي (١٢٩٣ ـ ١٣٥٨ هـ).

ويذكر الإمام الخوئي بأن الشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ النائيني أكثر من تتلمذ عليهم فقها وأصولا. قال: «حضرت على كل منهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه حفنة من السنين، وكنت أقرر بحث كل منهما على جمع من الحاضرين في البحث، وفيهم غير واحد من الأفاضل، وكان المرحوم النائيني آخر أستاذ لازمته، ولي في الرواية مشايخ أجازوني أن أروي عنهم كتب أصحابنا الإمامية وغيرهم، ولذا أروي بعدة طرق كتبنا الأربعة: (الكافي، الفقيه، التهذيب، الإستبصار)، والجوامع الأخيرة: (الوسائل، البحار، الوافي) وغيرها من كتب أصحابنا (قدس سرهم). فمن تلك الطرق ما أرويه عن شيخي النائيني، عن شيخه النوري بطرقه المحررة في خاتمة كتابه: (مستدرك الوسائل) المعروفة ب (مواقع النجوم) المنتهية إلى بيت العصمة والطهارة.

وقد أكثرت من التدريس، وألقيت محاضرات كثيرة في الفقه، والأصول، والتفسير، وربيت جما غفيرا من أفاضل الطلاب في حوزة النجف الأشرف، فألقيت محاضراتي (بحث الخارج) دورتين كاملتين لمكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري قدست نفسه، كما درست جملة من الكتب الأخرى، ودورتين كاملتين لكتاب الصلاة، وشرعت في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٧ هـ في تدريس فروع (العروة الوثقى) لفقيه الطائفة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي مبتدئ بكتاب (الطهارة) حيث كنت قد درست (الإجتهاد والتقليد) سابقا وقطعت شوطا بعيدا فيها والحمد لله حيث وصلت إلى كتاب (الإجازة)، فشرعت فيه في يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ، وقد أشرفت على إنجازه الآن في شهر صفر ١٤٠١ هـ.

وألقيت محاضراتي في الأصول (بحث الخارج) ست دورات كاملات، أما السابعة فقد حال تراكم أشغال المرجعية دون إتمامها، فتخليت عنها في مبحث الضد.

وفي غضون السنين السابقة شرعت في تدريس تفسير القرآن الكريم برهة من الزمن إلى أن حالت ظروف قاسية دون ما كنت أرغب فيه من إتمامه.

وكم كنت أود انتشار هذا الدرس وتطويره. وإني أحمد الله تعالى على ما أنعم به علي من مواصلة التدريس طيلة هذه السنين الطوال، وما توقفت إلا في الضرورات كالمرض، والسفر، حيث تشرفت بحج بيت الله الحرام عام ١٣٥٠ هـ وعام ١٣٦٨ هـ) انتهى كلامه (قدس سره).

وصدر من تقريراته في الفقه، والأصول، ما كتبه أفاضل تلامذته ما يقرب من أربعين مجلدا، وإليك أسماءها:

١ ـ تنقيح العروة الوثقى، ستة أجزاء (فقه).

٢ ـ دروس في فقه الشيعة، أربعة أجزاء (فقه).

٣ ـ مستند العروة، ثلاثة أجزاء (فقه).

٤ ـ فقه العترة، جزءان (فقه). وبقية الأجزاء من هذه الكتب الأربعة ما تزال مخطوطة.

٥ ـ تحرير العروة، مجلد (فقه).

٦ ـ مصباح الفقاهة، ثلاثة أجزاء (فقه).

٧ ـ محاضرات في الفقه الجعفري، جزآن (فقه).

٨ ـ الدرر الغوالي في فروع العلم الإجمالي، مجلد (فقه).

٩ ـ محاضرات في أصول الفقه، دورة كاملة طبع منها خمسة أجزاء.

١٠ ـ مصباح الأصول، جزآن (أصول).

١١ ـ مباني الاستنباط، جزآن (أصول).

١٢ ـ دراسات في الأصول العملية، مجلد (أصول).

١٣ ـ مصابيح الأصول، مجلد (أصول).

١٤ ـ جواهر الأصول، مجلد (أصول).

١٥ ـ الأمر بين الأمرين، مجلد (أصول).

١٦ ـ الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد، مجلد (أصول).

١٧ ـ رسالة في تحقيق الكر، جزء واحد.

١٨ ـ رسالة في حكم أواني الذهب، جزء واحد. انظر: دليل معجم رجال الحديث: ص ١٧١٤ طبع بيروت.

وترجم سيدنا الإمام الخوئي الشيخ آغا بزرك الطهراني وقال:

«...وله يد طولى في التفسير والتصانيف منها: (نفحات الإعجاز) و (رسالة في اللباس المشكوك) و (رسالة في الغروب) و (رسالة في قاعدة التجاوز) و (رسالة في إرث الزوج والزوجة قبل الدخول).. وغيرها. انظر: طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر: ١ / ٧١ ٧٢.

والعلامة الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي[1].

وانتقلت روح هذا الإمام الراحل فقيد الطائفة ومرجعها وزعيمها الأوحد إلى الرفيق الأعلى في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر من يوم السبت الموافق ٨ صفر عام ١٤١٣ هـ ودفن في مقره الأخير بجوار الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى حجرات الصحن العلوي الشريف التي كانت مدخلا كيشوانية إلى مسجد الخضراء الملاصق للصحن الشريف في الساعة الرابعة بعد منتصف ليلة الأحد ٩ صفر، تغمده الله برحمته الواسعة وحشره مع آبائه الطاهرين أئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام. وقد أرخ وفاته صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد حسين الأنصاري أيده الله تعالى وقال: (إخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى).

أيها الوادي الذي لا زال سرا * قد لوى كفك كف الكون لي

كلما غابت شموس فيك زهرا * زدت للناس عطاء زدت في

فيك كم عالم جيل غاض بحرا * قد طواه الموت في واديك طي

مذ ملى الخوئي تاريخك وفرا * قصر الموت أبو القاسم حي

* ٢٨٧ + ٣٩٠ + ٤٧٧ + ١٨ = ١٤١٣ هـ

مجلة النور، تصدر في لندن، السنة الثانية، العدد: ١٨ / ٣١.

(١) الأستاذ الكبير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي أحد الأعلام والشعراء اللامعين في العراق، ومن الخطباء الموهوبين الأفذاذ، تخرج من كلية الفقه في النجف الأشرف، وحصل على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم بالقاهرة. وكان سابقا رئيس جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف العراق وسكن في الآونة الأخيرة مدينة دمشق الشام ومن آثاره:

نحو تفسير علمي للقرآن طبع في النجف الأشرف عام ١٣٩١ هـ وله:

١ـ أحكام السجون بين الشريعة والقانون.

٢ـ استغلال الأجر وموقف الإسلام منه.

٣ـ هوية التشيع.

٤ـ منتجع الغيث تراجم الصحابة والأعيان من بني ليث.

٥ـ الأدب في عصوره الثلاثة.

وله ديوان شعر ومؤلفاته هذه مخطوطة وكان هذا الأستاذ قد أرسل كتاب الغدير في ١١ مجلد للشيخ محمود أبو رية كما جاء ذكره في هذه الرسالة الآتية وكنت قد أرسلت رسالة من النجف الأشرف لفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمود أبو رية قبل نهاية عام ١٩٦٩ م وطلبت منه أن يرسل لي بالبريد ما تبقى لديه من كتابه:

شيخ المضيرة «أبو هريرة» فأجابني بهذا الخطاب المؤرخ في ٢٢ / ٢ / ١٩٧٠ وإليك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الأستاذ الفاضل مرتضى الرضوي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكل عام وأنتم وسائر الأسرة الكريمة بخير وسعادة.

وبعد فقد ذهبت بالأمس إلى دار المعارف كما وعدوا لكي يعطوني البيان الصحيح عن النسخ الباقية من شيخ المضيرة بعد ما كانوا يعطون بيانات مختلفة وقد أعطوني بيانا قالوا إنه هو الصحيح الذي جاء بعد الجرد السنوي المعتمد وهذا البيان مؤرخ في (٢١ / ٣ / ١٩٦٩ م).وقد جاء فيه:

أن النسخ الباقية من الكتاب هي: ١٢٣ نسخة في جميع فروع الدار في مصر وغيرها من البلاد ويطرح من ذلك ٥٤ نسخة التي أرسلت إليكم أخيرا فيكون الباقي ٦٩ نسخة وهذا البيان لا شك فيه هو المعتمد.

وإني في انتظار خطاب منك عن وصول ال ٥٤ نسخة الأخيرة حتى أطمئن.

وإني أسرك بخبرين، ذلك أنني تلقيت أخيرا تفسير التبيان لشيخ الطائفة وهو في عشرة أجزاء كبار وكانت هدية من المفضال الحاج عبد الرزاق العويناتي.وكتاب الغدير من تأليف العالم الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، وهو ١١ مجلدا وهو دائرة معارف وقد عكفت على قراءته لأنه يعينني كثيرا على الكتاب الذي أنا بصدده عن «علي عليه السلام» وأدعو الله أن يعينني على قراءته واستخراج ما فيه مما ينفع كتابي والذي تفضل بإرساله إلي هو العلامة: أحمد الوائلي ولعلك تشكرهما عني.وقبل أن أختم خطابي هذا أعيد الرجاء في إخباري عن كل ما طلبت منك الإجابة عنه.والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والأستاذ رشيد الصفار وقد تبودلت الرسائل بينه وبين السيد صدر الدين شرف الدين وطلب من الشيخ أن يراسله وأرسل له فصولا من كتابه «شيخ المضيرة» فنشر منه في عدة أعداد من مجلته «مجلة النهج» وتوثقت بينه وبين الشيخ الاتصالات، وتبادلت بينهما الرسائل حتى استطاع الأستاذ صدر الدين أن يقوم بطبع كتابه «شيخ المضيرة» الطبعة الأولى في صور ـ لبنان[1] وكما تبادلت الرسائل بينه وبين الشيخ محمد جواد مغنية حول طبع «شيخ المضيرة أبو هريرة» وذلك قبل أن يتم الاتفاق مع السيد صدر الدين شرف الدين كما تبادلت الرسائل بينه وبين آية الله الخوئي، والأستاذ رشيد الصفار.

وفي ١٢ / ١٠ / ١٩٦٣ م تسلمت طردا من دائرة بريد النجف مرسله فضيلة الأستاذ «أبو رية» من القاهرة وفي باطنه ثلاثة نسخ من كتاب: «أبو هريرة راوية الإسلام» بقلم الحجاج الخطيب الشامي وقد صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة أعلام العرب إلى الأسواق بتاريخ ٧ / ١١ / ١٩٦٣ وكانت النسخ مهداة لي وللسيد العسكري وللأستاذ رشيد الصفار[2] هو لأني كنت همزة وصل وتعريف بينهم.

وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة التقيت بالأستاذ رشيد الصفار فكان يذهب

الجيزة في ٢٢ / ٢ / ١٩٧٠ محمود أبو رية

(١) الطبعة الثانية منه طبعت تحت إشراف المؤلف في دار الكتاب العربي بمصر للحاج محمد حلمي المنياوي، والطبعة الثالثة طبعت بمطابع دار المعارف بالقاهرة تحت إشراف المؤلف أيضا.

(٢) رئيس ملاحظي الحقوق في المصرف الزراعي المركزي في بغداد، ومحقق «ديوان الشريف المرتضى» المطبوع في ثلاثة أجزاء بمصر، وكتاب «جمل العلم والعمل» للشريف المرتضى أيضا وطبع في النجف وإيران.

معي إلى منزل الأستاذ الشيخ محمود أبو رية.

وكان آية الله الخوئي عندما تصل إليه رسائل الشيخ محمود أبو رية كان يرسل علي ويطلعني عليها أو يرسلها لي لأطلع عليها.

وفي أحد الأيام جاءني السيد عماد حفيد آية الله الخوئي وقال:

إن جدي يطلب حضورك، وكان عندي جماعة وعندما انصرفوا توجهت إلى دار سماحته ولما دخلت سلمت وجلست فتوجه نحوي سماحته وقال:

لقد تأخرت علينا في المجئ وأرسلت الرسالة إليك مع فضيلة السيد مرتضى الحكمي[1].

---

(١) انحدر من سلالة هاشمية، وأسرة عريقة في العلم والدين والسيادة، ونشأ في ظل والده المجتهد آية الله السيد محمد حسين الدزفولي، وكان من العلماء الذين شهد بفضله، واجتهاده المغفور له الإمام النائيني أستاذ العلماء والمراجع في عصرنا هذا.

وقد بدأ دراسته الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف وتابعها، وكما حصل على دراسته المنهجية، فحاز شهادة الليسانس في الشريعة واللغة من كلية الفقه في النجف الأشرف. وقد اختير ملازما للإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء صاحب كتاب «أصل الشيعة وأصولها»، وساهم في إدارة مرجعيته كما كان على صلة خاصة بالحجة الشيخ قاسم محيي الدين أحد أعلام النجف الأشرف، وحقق كتابه: «البيان في غريب القرآن» وانتخب عضوا بارزا في جمعية التحرير الثقافي، وعين مديرا لإدارتها.

أبدى فيها نشاطا ثقافيا ملحوظا. فقد أنيط به مجلة باسم «النشاط الثقافي» وهي تمثل أوجه النشاطات الدينية والثقافية.

كتب افتتاحياتها المركزة وحرر أبوابها الأخرى، وعالج فيها مختلف المسائل الاجتماعية والأدبية. وعلى أعقاب هذه الفترة تصدى بكل قدراته لحماية الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، وإدارة شؤونها في عهد المرجع الأعلى الإمام الخوئي الذي ظل يعتمده في حل مشاكلها العامة في أحلك الظروف. وقد كتب مقدمتين علميتين لكتابي الإمام الخوئي (قدس سره) إحداهما ←

وعند ذلك جلست زمنا يسيرا وإذا بفضيلة السيد الحكمي قد دخل علينا فتوجه إليه آية الله الخوئي وقال: لقد حضر السيد، فأعطه رسالة الشيخ ليطلع عليها فتسلمتها وقرأتها وهذا بعضها:

عزمت على وضع كتاب باسم:

«أمير المؤمنين علي وما لقي هو وبنوه من أصحاب رسول الله».

أولا: من الثالوث الأول أبو بكر وعمر وعثمان.

ثانيا: من الثالوث الثاني عائشة وطلحة والزبير.

وثالثة: الأثافي ما صنعه عثمان من تأسيس الدولة الأموية ثم انتهاء أمر

لكتاب:

«البيان في تفسير القرآن» وآخرهما لكتاب: «معجم رجال الحديث» وكان له فضل كبير في إخراجهما وتنسيقهما.

وقدم لكتب أخرى علمية وفكرية وهي في مختلف حقول الفقه والأصول، والتاريخ والأدب، والحديث، والكلام.

أبدع في التعريف عنها وتمتاز كتاباته باللغة البليغة وبالاختصاص فيما يكتب من الحقول المختلفة.

وله مؤلفات في الفلسفة والأدب والتاريخ؟ كما أن له أبحاثا ومقالات نشرتها مختلف المجلات، عالج فيها مختلف مسائل الفكر والعقيدة.

وقد ذكر في أمهات المصادر من أمثال «نقباء البشر» للحجة الشيخ آغا بزرك الطهراني، و «معارف الرجال للحجة الشيخ محمد حرز الدين و «معجم المطبوعات النجفية» و «معجم رجال الفكر» للشيخ هادي الأميني كما ورد له ذكر في كتب ومجلات عديدة لا تخفى على القارئ المتتبع.

ويسكن في الوقت الحاضر مدينة طهران؟ ولم يفتأ يتابع قضايا الفكر والعقيدة في كتاباته وآثاره.

الخلافة إلى سكير خمر عربيد ملعون هو وأبوه وجده.

وإني الآن أعكف على قراءة المصادر التي تعينني على ذلك وكل ما أرجوه أن يوفقني الله إلى أداء هذا العمل على أكمل وجه[1].

محمود أبو ريه

القاهرة: ١٢ / ١ / ١٣٨٨ هـ

وفي ٥ / ١١ / ٦٩ وصلتني رسالة من الأستاذ «أبو رية» تاريخها ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٩ من القاهرة يقول فيها:

«كتاب قصة الحديث المحمدي» الذي كانت وزارة الثقافة قد طلبته مني منذ عشر سنين ووقف الأزهر في سبيله حتى لا يظهر قد أراد الله أن يظهر رغم أنف الأزهر بعد ما قرأه الدكتور طه حسين وشهد بقيمته شهادة فائقة وسأرسل لك نسخة منه هدية ومعها بعض نسخ لأصدقائنا الأعزاء ومع كل نسخة بيان مطبوع منا...

وفي ٢٠ / ١١ / ١٩٦٩ جاءني البريد ويحمل ملفا فيه ثلاث نسخ من الكتاب «قصة الحديث المحمدي» أحدهما كانت باسمي، والثانية باسم السيد العسكري، والثالثة للأستاذ رشيد الصفار وفي كل نسخة بيان مطبوع وإليك نصه:

---

(١) هذه الرسالة بخط الشيخ محمود أبو رية وتوقيعه موجودة لدى الزعيم الديني والمرجع الأعلى للشيعة الإمامية صاحب السماحة آية الله العظمى الإمام الخوئي طاب ثراه.

ـ **المؤلف** ـ

للحقيقة والتاريخ

كان من حق هذا الكتاب (قصة الحديث المحمدي) أن يخرج إلى الناس مطبوعا منذ أكثر من عشر سنين، ذلك بأن وزارة الثقافة المصرية كانت قد طلبت منا مختصرا لكتابنا: «أضواء على السنة المحمدية» عندما ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٨ م لتجعله حلقة في سلسلة مكتبتها الثقافية، وقبل نشره عرضته على الأزهر ليبدي رأيه فيه وما كاد يقف عليه حتى أرصد له من كيده فرماه بأن فيه ما يخالف الدين وطلب عدم نشره وتداوله بين المسلمين[١]، ولم تستطع هذه الوزارة أن تخالف عن أمره لأنه ما يربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وظل هذا الكيد يلاحق الكتاب هذه السنين الطويلة لكي يحول دون نشره بين الناس[٢] إلى أن علم أخيرا بالأمر نصير الدين والفكر الدكتور طه حسين طلب أصول الكتاب من وزارة الثقافة ولما اطلع عليه أعاده علينا مع خطاب، دحض فيه ما رماه الأزهر به.

وصرح في جلاء أنه موافق للدين كل الموافقة لا يخالفه ولا ينبو عنه في

---

(١) الشخص الذي يرمز إليه الأستاذ أبو رية هو الشيخ محمد أبو زهرة كما أخبرني فضيلته بذلك في إحدى رحلاتي إلى القاهرة وهذا الشيخ من علماء الأزهر وأستاذ الشريعة والقانون بكلية الحقوق بجامعة القاهرة.

(٢) وقف الأزهر في سبيل هذا الكتاب كما وقف في سبيل كتابين لنا آخرين وهما كتاب: «دين الله الواحد» وكتاب «صيحة جمال الدين» وقامت في سبيل ذلك معارك حامية على مجلة الأزهر وغيرها واهتم الناس بهذه المعارك وتوقعوا ما قد يترتب عليها من عواقب قد تضرنا لأن الأزهر بقوته وجحافله كان يحاربنا ونحن وحدنا ولم يكن وراءنا في هذا المعمعان أحد يؤيدنا، ولكن الله سبحانه هو العون والوزر وقد كتب لنا بفضله النصر والظفر، وبتأييده تعالى باءت كل الحملات التي وجهت إلينا من كل جانب بالخيبة والهزيمة والحمد لله حمدا كثيرا.

شئ مطلقا.

وأنه مفيد فائدة كبيرة جدا في علم الحديث...

وأن في نشره الخير كل الخير، والنفع كل النفع وبذلك انحسم الأمر، وحصحص الحق، واتخذ الكتاب سبيله إلى الناس مطبوعا لينتفعوا به.

ولأهمية خطاب الدكتور طه حسين نشرنا صورته على غلاف الكتاب، تبصرة لأولي الألباب.

محمود أبو ريه
١٣ / ١٠ / ١٩٦٩ م

***

٢ـ الأستاذ فكري عثمان أبو النصر:

من خريجي الأزهر الشريف، والمدرس بوزارة التربية والتعليم.

- ولادته ولد في قرية تلبانة في أعمال مركز المنصورة عام ١٩٢٧ م.
- درس في الأزهر الشريف.
- تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٤٥ م.
- لا يزال يمارس في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم.
- هو اليوم محرر في جريدة الأهرام بمصر.

له كتاب: «من كفاحنا الفكري» و «ذكريات خالدة» وغيرهما.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى هذا الأستاذ عن طريق الأستاذ خاله الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي وحينما أقدمت على طبع الموسوعة الفقهية «وسائل الشيعة ومستدركاتها» طلبت من الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي أن يعرفني على أستاذ ليقوم بتصحيح ملازم هذا الكتاب الفقهي الخالد فدلني على الأستاذ فكري، وبعد أن تم طبع المجلد الثاني من هذه الموسوعة الفقهية «وسائل الشيعة ومستدركاتها» عرضت على الأستاذ فكري أن يكتب لبعض أجزاء هذه الموسوعة الحديثية كلمة حول أحاديث العترة النبوية فتفضل مشكورا بهذه الكلمة الخالدة وإليك نصها:

- ١ -

وسائل الشيعة من فقه العترة الطاهرة

كتاب فذ جامع لأحاديث رسول الإسلام الكريم، وأحاديث أهل بيته وعترته الأكرمين والاستدلال بها على صحة أحكام الدين - في العبادات والمعاملات - على المذهب الشيعي.

والشيعة مذهب إسلامي عظيم - لا يختلف، من حيث العبادات والمعاملات في كثير عن مذاهبنا الأربعة في مصر - وهو إلى الحنفية أكثر تطابقا، وأقرب شبها، كما أنه من حيث نظرته الفلسفية العميقة لأحداث الإسلام الأولى يتجاوب مع شعورنا، ولا يختلف عن فلسفتنا - لولا ما يتقيد به من عدم الأخذ والاستدلال بأي حديث آخر - مهما كانت قوة سنده، وصحة ثبوته، وروايته بعكس أهل السنة الذين يأخذون بهذا وذاك.

والشيعة في ذلك التقيد بأحاديث العترة الطاهرة ـ لهم حججهم الفلسفية أنهم هم الذين أحاطوا بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ونادوا بأحقيته في الخلافة ـ وأنه أحق بها وأهلها ـ لقد أحاطوا بهذا الحق وناصروه نصرا عزيزا وتساقطوا من حوله جماعات ـ إنه حق الإمام علي وخلفه في ولاية المسلمين.

لعمري اتجاه من الشيعة ينبئ عن قلوب عامرة بالإيمان، صادقة في الإحساس، حرة في التفكير، صادقة في العزيمة ـ وهو ما يشتهر به إخواننا الشيعة في أقطار المسلمين: في العراق، وإيران، والبحرين، واليمن، والهند، وباكستان، والبرازيل، و...

ومن الخطأ البين أن يعتقد ويظن أن الشيعة لم تتكون إلا في غمرة تلك الأحداث المروعة التي أثارها معاوية لا...

لقد تشيع الناس لعلي بعد وفاة الرسول عليه السلام، يوم نادى الأنصار بالخلافة، ونادى بها سائر العرب للمهاجرين، والقرشيين من آل الرسول، ولم ينته الخلاف إلا بعد أن حسمه عمر.

ولما لم ينظر لها نظرة فلسفية بعيدة المدى، عميقة الغور: فقد أخطأ هذه النظرة الفلسفية التي حققت صدقها الأحداث ـ هي أنه بخروج ولاية المسلمين عن آل البيت ـ حتى ولو كانت لأبي بكر وعمر وعثمان ـ قد أصبحت معرضة لأن ينتزعها الأقوى والأدهى ـ فيما بعد أبي بكر وعمر وعثمان وتصبح هدفا للطامعين والمغامرين.

أما لو كانت في آل البيت وحدهم مع العمل بمبادئ الشورى والنصيحة التي أقرها الإسلام ـ لو أن عمر رضي الله عنه أيد هذا الاتجاه، ونظر هذه النظرة وتعمق هذا التعمق لما وقعت هذه المآسي، بل لظل الإسلام أبد الدهر أعلى مكانة، وأبسط نفوذا، وأقوى إشراقا، وأهدى سبيلا، ولكانت لنا في الشرق خلافة إسلامية

ودولة عربية تصارع دولة الفاتيكان الرومية، وقوة الغرب المادية.

هذا ما استوحيته من اطلاعي على هذا الكنز الصادق من الأحاديث في العبادات، والتشريع، والآداب الإنسانية التي يشتهر بها الشيعة في بقاع الأرض.

ولما كانت قراءتي لهذا السفر لمجرد الاطلاع - بل كانت لمراجعته ودرسه وقياسه على مذاهبنا، فراجعته مرة لإعداده إملائيا ونحويا ولغويا، ونقله من تلك الطبعة اليدوية القديمة إلى تلك الطبعة الواضحة الصحيحة - مع جمع الكتابين وتنسيقهما، ومرتين آخرتين لتصحيح ما يقع فيه جامعوا الحروف من أخطاء وأنا في هذه القراءات الثلاث دارس عميق الدرس - فهو أول كتاب أقرؤه للشيعة، والمصدر الثاني لمعلوماتي عن الشيعة هي: تلك الأحاديث الشيقة، والمعلومات القيمة عن حقيقة المذهب التي كانت تضمنا وتجمعنا بالسيد مرتضى الرضوي الذي أتاح لي المساهمة المتواضعة في إخراج هذا السفر الجليل، والبدء في دراسة هذا المذهب التشريعي النبيل.

والحق يقال: إن حقيقة مبادئ وفلسفة المذهب الشيعي تكاد تكون مجهولة جهلا تاما في مصر - حتى في أوساط فقهائنا وعلمائنا السنيين!!

مما حدا بأزهرنا الشريف إلى تقرير تدريس المذهب الشيعي وفلسفته في الكليات الأزهرية - وهو ما ننتظره ونرجوه - لتتوحد الآراء، وتستقيم الموازين، وتتحقق الآمال.

والله ولي التوفيق والهداية.

فكري أبو النصر

من علماء الأزهر الشريف

ومدرس الأدب العربي بالليسيه الفرنسية

«سابقا» / القاهرة

وفي رحلتي إلى القاهرة عام ١٣٩٤ هـ المصادف عام ١٩٧٥ م زرت الأستاذ فكري أبو النصر في مبنى جريدة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة وحددت الموعد معه للزيارة في منزله وأهديت له مجموعة من مطبوعاتنا في القاهرة مع كتاب:

«المراجعات» للإمام شرف الدين طاب ثراه وطلبت منه أن يكتب لنا انطباعاته عن الكتاب لنقدمه له عند نشره، وقد طبع كتاب «المراجعات» في القاهرة عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م وبه التقديم الذي كتبه الأستاذ فكري عن الكتاب وهذا نصه[1].

- ٢ -

المراجعات

الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القيم. والصلاة والسلام على أفضل خلقه وخاتم رسله وأنبيائه: محمد بن عبد الله... الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى عترته أئمة الهدى من بعده إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد تفضل مشكورا أخي في الله وصديقي السيد الأستاذ مرتضى الرضوي - بإهدائي مجموعة قيمة من الكتب في المذهب الشيعي الإمامي، ومن بينها كتاب «المراجعات» وهو يشتمل على حوار ممتع صاف حول المذهب الشيعي.

---

(١) أوردنا هذا التقديم في الطبعة السابعة عشر لكتاب «المراجعات» المطبوع بمصر في مطبعة دار المعلم بالقاهرة ٨ شارع جنان الزهري السيدة زينب وتجده في الطبعة التاسعة عشر المطبوعة بمطبعة الكيلاني ٢٢ شارع غيط العدة بالقاهرة وما بعدها في الطبعات التي صدرت أخيرا بعد عام ١٩٧٧ بمصر - المؤلف -.

ويستخرج دفائنه بين إمامين جليلين هما:

الإمام الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر الأسبق.

والإمام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي الشيعي الإمامي (رحمهما الله).

وطلب مني أن أقدم لموسوعته الإسلامية التي يعتزم إعادة طبعها..وقد أجبته إلى طلبه شاكرا له ثقته، ومستعينا بما أهدانيه من أسفار في المذهب الشيعي الإمامي الجعفري من جهة، ومناقشاتنا المستفيضة في المذاهب الإسلامية وأحكامها.كلما ضمنا لقاء، وجمعت بيننا الظروف التي كثيرا ما تدفعه للحضور إلى القاهرة ولقاء أصدقائه وأحبائه وشيعته فيها.

ومن ضمن هذه الموسوعة الإسلامية كتاب: «المراجعات» بما تحويه من معتقدات وأحكام في المذهب الشيعي الإسلامي الكبير..أصوله وفروعه.وبما تلقيه من أضواء ساطعة، تنير الطريق، وتهدي الساري، وتقود الباحث إلى حيث يجد ضالته، ويقف على بغيته.

إنما تؤدي خدمة كبرى لجمهور الباحثين وعلماء المذاهب الأخرى الذين يفتقرون إلى الغوص في ثنايا المذهب الإمامي والوقوف على حقائقه وأسانيده وما يتفق وما يختلف فيه مع المذهب السني وغيره من المذاهب.ودراسته دراسة موضوعية علمية ومنصفة.حتى يمكن فتح باب الحوار والمناقشة معه من جديد.

حوار يزيد من رابطة الدين بين المذهبين الكبيرين ويقوي أواصر التعاطف والفهم فيما بينهم بأكثر مما هو قائم الآن.

ونبذ ما يدعو إلى الفرقة والخصام، والعمل الجاد على انفتاح الطوائف

والمذاهب الإسلامية بعضها على بعض وإزالة هذه الجدر الوهمية التي أقيمت بينها. مما يؤدي حتما إلى الالتقاء على نقاط كثيرة مما يتصورها البعض نقاط خلاف. إذا ما توفرت النية الحسنة، والرغبة في تشكيل قاعدة متينة من التعاون الصادق والمشترك، وحصر نقاط الاختلاف، توطئة لتطويقها، وتجاوزها إلى ما فيه نفع الإسلام ومصلحة المسلمين.

ومن ثم إلى الاستمرار في نشر الدين وتماسك أهله وإسعادهم. ولا ننسى أبدا قول الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

فكيف - بالله - نترك أوامر الله ونواهيه بالاعتصام بحبله وعدم التفرق. إلى أوامر المخلوق ونواهيه بالمنابذة والتفرق.

وأود في هذا المقام أن أذكر بما يقوم به الآن أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة من عمل جاد دؤوب، واجتماعات مستمرة. تهدف إلى إقامة نوع من الوحدة الطائفية فيما بينها.

بالرغم من الفوارق الكثيرة والبعيدة في أصول المعتقدات وفروعها. والعمل على تضييق شقة الخلاف في هدوء وروية وتفاهم. وصولا إلى أهدافهم في الوحدة والتعاون المشترك.

وفوق ذلك، فقد استطاع أحد هذه المذاهب المسيحية الكبرى أن ينقض أصلا من أصول معتقداته التي يشترك فيها معها كل المذاهب الأخرى. ابتغاء مرضاة طائفة أخرى غير مسيحية وهم - اليهود -.

ولمجرد مسايرة التطور الإنساني والمصلحة السياسية، ألا وهي تحميل اليهود وزر وذنب مقتل المسيح وصلبه. وهذا الأصل المتغلغل في وجدان المسيحيين منذ نشأة المسيحية، وبسببه ظلوا يحملون الكراهية والبغضاء

وصنوف الحقد والاضطهاد لليهود طوال عشرين قرنا من الزمان، حتى أصدرت دولة الفاتيكان «الرئاسة البابوية الروحية للمسيحيين الكاثوليك في روما» وثيقة تبرئ اليهود من هذا الوزر الكبير في معتقدهم.

ومما يدعو إلى الدهشة أن ذلك يتم في الوقت الذي استطاع فيه اليهود وصهاينتهم أن يحققوا نصرا على العرب المسلمين.

وكأنه مكافأة لهم على إذلالهم للعرب والمسلمين الذي تصوروا أنهم قد أصبحوا لقمة سائغة، ولن تقوم لهم بعدها قائمة، حتى كان نصر الله لهم في رمضان من عام ١٣٩٣ هـ اكتوبر ١٩٧٣ م الذي أذهلهم وأرعد فرائصهم.

ولم يتم هذا النصر للعرب والمسلمين إلا بأدنى حد من الوحدة فكيف بالوحدة الكاملة؟!!

إلى هذا الحد بلغت بأهل الأديان الأخرى رغبتهم في التطوير والتغيير وإلى هذا الحد يبلغ حرصهم على الوحدة الدينية والتقريب بين مذاهبهم عن طريق الحوار المخلص والجاد فيما بينهم، فأين نحن من هذا كله؟؟ وليس بين مذاهبنا مثل ما بينهم من خلاف وشقاق وتباعد.

إن أهم ما نقدمه من هذا الموسوعة الإسلامية كتاب «المراجعات» ذلك الحوار المفتوح بين العالم السني الجليل الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر الأسبق.وبين العالم الشيعي الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين كبير علماء الشيعة في لبنان.

وهو حوار موضوعي أمين، يتيح التعرف على الحقيقة، بعيدا عن التحيز أو التأثر بالعاطفة المذهبية أيا كانت...

ومن حسن الحظ أن أهل السنة لا يختلفون مع الشيعة في محبة آل البيت النبوي الكريم، ومناصرتهم وتقديسهم.وتعاطفهم الشديد مع الإمام الأكبر علي بن أبي طالب في طلب الخلافة وأحقيته لها وذريته من بعده.

وأن منزلته من رسول الله صلوات الله عليه هي بمنزلة هارون من موسى عليه السلام كما لا يختلف المذهبان في معظم أصول الدين وفروعه.لولا ما يذهب إليه الشيعة من استنباط أحكام مذهبهم مما تواتر عن الأئمة الاثنا عشر من آل البيت النبوي[1] دون سواهم من صحابة رسول الله، الذين لم يشايعوا الإمام عليا «كرم الله وجهه» والعترة الطاهرة الذين خاطبهم الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

ولا يأخذ الشيعة كذلك في الأصول بمذهب الأشعري، وفي الفروع بالمذاهب السنية الأربعة على أساس أن مذهب الأئمة أسبق منها.وبالتالي: أدعى إلى الوثوق به، وأولى بالتبعية من سواه، حيث كان عليه المسلمون في القرون

---

(١) روى البخاري عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: يكون اثنا عشر أميرا فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: كلهم من قريش صحيح البخاري ٩ / ٨١.

وفي صحيح مسلم بسنده عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش صحيح مسلم ٦ / ٤ وفي ٣ / ٤ روايات أخرى بمضمون رواية البخاري.

وفي رواية أحمد عن مسروق قال: » كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو ـ يقرئنا القرآن، فقال رجل: يا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله:

ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله فقال اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل ـ مسند أحمد وغيره.

الثلاثة الأولى للإسلام.وباب الاجتهاد فيه مفتوح إلى اليوم.

وكـذلك لم يـؤثر بالمـذهب الشـيعي الصـراعات السياسـية طـوال التـاريخ الإسلامي.

وكلها أمور يمكـن طرحهـا للمناقشـة والحـوار بـروح التسـامح والتسـامي مـن أجل وحدة الهدف المشترك، والغاية النبيلة، البعيدة عن الأعراض والأهواء.

كمـا يـرى بعـض العلمـاء مـن المـذهبين أن أفضـل وسـيلة يمكـن بهـا تحقيـق ذلك.أو على الأقل، الحد الأدنى منه هو أن ينظر أهل السـنة إلى المـذهب الشـيعي باعتباره مذهبا خامسا بجانب المذاهب الأربعة السنية سواء بسواء.

وهنا تحضرني فتوى لفضيلة الإمام الأكـبر المرحـوم الشـيخ محمـود شـلتوت عنـدما كـان رئيسـا للأزهـر، نشـرت عـام ١٩٥٩ م بمجلـة «رسـالة الإسـلام»[١] في العدد الثالث من السنة الحادية عشر ص ٢٢٨ يقول فضيلته:

«إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهب معين، بل نقول: إن لكـل مسلم الحق في أن يتبع أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صـحيحا، والمدونـة أحكامها في كتبها الخاصة بها، ولمن قلـد مـذهبا مـن هـذا المـذاهب أن ينتقـل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شئ من ذلك».

ثم قال فضيلته: «إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنـا عشـرية هـو مـذهب يجـوز التعبـد بـه شـرعا كسـائر مـذاهب أهـل السـنة، فينبغـي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة».

---

(١) تصدرها جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة ١٩ شارع حشمت باشا بالزمالك.

إن أمام العرب والمسلمين اليوم فرصة كبيرة، بما حققوه على الصعيدين العسكري والسياسي، واستثمارها إلى أقصى حد لخير الإسلام والمسلمين جميعا على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم، وكسب مغانم كثيرة يرضونها لأنفسهم ولأوطانهم.

ونيل حقوقهم من مغتصبيها، وامتلاك إرادتهم حرة قوية منيعة، وبسط نفوذهم على ما تحت أيديهم من ثروات، وما وهبهم الله من كنوز، والتصرف فيها وفق مشيئتهم وما تمليه عليهم مصالحهم ومصالح أجيالهم من بعدهم. وما يساعدهم على اللحاق بأقصى درجات التطور والتقدم العلمي والصناعي والحضاري الذي هو سمة العصر وآية الرقي...

وفي النهاية تشكيل قوة متحدة متماسكة، تستطيع أن تفرض إرادتها واحترامها، وتبرز للعالم أصالة تراثها الديني والحضاري، وتعطي للعالم زادا جديدا من الحضارة الروحية والخلقية الممتزجة في الوقت نفسه بالحضارة المادية. بعد أن يكونوا قد بلغوا الغاية في الوحدة الصافية، وساروا في تيار واحد يجرف ما يعترضه من عوائق وحواجز. يعطي الخير والنماء للإسلام وأهله كما تعيد إليه ملامح صورته المشرفة، ورسالته الحقة. (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

لقد آن الأوان لأن نضع حدا لهذه الفرقة... التي أوجدها أعداء الله، أعداء الإسلام، وأصحاب الأهواء والأغراض والأطماع طول القرون الماضية...

وشغلونا بأنفسنا ومعاشنا عن واجبنا المقدس نحو نصرة دين الله والتمكن له في الأرض.

وأدخلونا في جدل عقيم، وتسلطوا على مقدراتنا.

وشوهوا كل مقوماتنا ونحن عاجزون عن صدهم، مستسلمون لكيدهم..

ليس أمامنا من سبيل - والله - إلا الوحدة...

الوحدة بكل أهدافها ومراميها وأغراضها السامية ليس من أجلنا فحسب، ولكن من أجل البشرية جمعاء.

وفي إعتقادي أن الوحدة تسبقها الوحدة الدينية، والتعاطف المذهبي...تعطي المثل والقدوة...وترفع الراية...

وحدة دينية هادئة، تحمل المشعل وتضئ الطريق للوحدة السياسية، وتضع الأساس للقوة الإسلامية الكبرى التي تستطيع أن تحقق السلام على الأرض..

وترفع راية الحق والعدل فوق ربوعها من جديد.

إن العب ء الأكبر في لم شمل المسلمين، وتوحيد كلمتهم..يقع أول ما يقع على رجال الدين...

هذه هي رسالتهم الأولى، وواجبهم الأسمى، قبل أي شئ آخر...فإن لم يؤدوها ويسعوا إلى تحقيقها...فما أدوا الرسالة ولا قاموا بواجبهم، ولا أدوا فريضة الجهاد في سبيل الله...

فلا سبيل إلا بالوحدة أساس العزة والمنعة.

إن جماعة مخلصة من كبار رجال الدين من كل المذاهب الإسلامية، يؤمنون بهذه الرسالة ويتحررون من قيود حياتهم وأغلال منافعهم الذاتية، يخلصون النية لله وحده ولدينه القويم وتتحد أفكارهم وغايتهم..

يستطيعون أن يحققوا هذا الأمل الكبير، أو على أقل القليل، يضعون اللبنة الأولى، والنواة الصالحة في الأرض الطيبة، يرعاها بعدهم غيرهم حتى تنبت

وتزدهر، وتينع وتثمر، وتؤتي أكلها الطيب الشهي، ولنثق...أن الله سينصر دينه، ويتم نوره ولو كره الكافرون[1].

فكري أبو النصر

القاهرة: في ١٧ / ١١ / ١٩٧٥

***

٢ـ الشيخ عز الدين أبو العزائم

شيخ الطريقة العزمية.

- ولادته: ولد في مدينة سماط في محافظة المنيا ـ نوفمبر عام ١٩٢٦ م.
- تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٥٣ م.
- عمله: مدير إدارة القضايا في شركة مصر للبترول.
- أهم آثاره: تحقيق آثار جده «أبي العزائم» في التفسير «أسرار القرآن» وفي الفقه «أصول الوصول لمعية الرسول» وهو خاص في العبادات والمعاملات وفي غيرهما.

---

(١) جاء نشر هذا التقديم في كتاب «المراجعات» وهي الأبحاث التي دارت بين الأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري الجامع الأزهر وبين الإمام شرف الدين العاملي حول أصول المذهب والإمامة العامة وطبعت لأول مرة بمطبعة العرفان ـ صيدا لبنان عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م، وصورنا هذه الطبعة بالأوفست بالقاهرة بمطبعة الأستاذ سعيد رأفت..

ـ المؤلف ـ

- تعرفت إليه في القاهرة عام ١٩٧٥ م.
- وهو شيخ الطريقة العزمية.
- ومن الأساتذة المرموقين بمصر.
- يدعو إلى التقارب بين الشيعة وجمهور السنة.
- يرى أن كتب الشيعة الإمامية من أقوى الكتب، وأن البحث فيها مغني.
- يدعو إلى مطالعة كتب الإمامية والوقوف عليها.
- يتميز بروح الإنصاف والولاء لأهل البيت عليهم السلام.
- يرى أن الإمامة يجب أن تكون بالنص أو الإشارة، لا بالإجماع.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

في رحلتي إلى القاهرة عام ١٣٩٥ هـ المصادف ١٩٧٥ م وفي إحدى ليال شهر رمضان المبارك كنت عند الأخ السيد طالب الرفاعي وكان عنده جماعة وجلست إلى جنب الأستاذ المهندس محمد عزت مهدي[١] وكان قد بلغه مجيئي إلى مصر والقاهرة وسمع عني ولم يصادف أن يجتمع بي قبل هذا اليوم فرحب بي كثيرا وقال:

قرأت كتابك «مع رجال الفكر في القاهرة» وهو كتاب قيم وقد حصلت على نسخة منه، وقصدت منزله بعد أيام وجرى هناك الحديث عن الأستاذ عز الدين

---

(١) مدير عام شركة القاهرة للمقاولات العامة ورئيس جميعة أهل البيت عليهم السلام في القاهرة.

أبو العزائم وأثنى عليه الأستاذ المهندس كثيرا وقال:

إنه يوالي أهل بيت الرسول عليهم السلام ويكبرهم.

وبعد أيام هيأ لي الأستاذ المهندس الاجتماع به في مساء الاثنين ١٣ أكتوبر المصادف ١٥ شوال عام ١٣٩٥ هـ وعند أول لقاء به في داره العامرة استقبلنا وحيانا ورحب بنا كثيرا وبعد تبادل التحيات سألني سيادته عن الإمام «الثاني عشر» المهدي المنتظر وقال:

ما هو السر في غيبته وما الفائدة لوجوده؟!

قلت: الإمام المهدي الثاني عشر من خلفاء الرسول وعترته صلوات الله وسلامه عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفائي بعدي اثنا عشر[1]، عدد نقباء

---

(١) سيأتي ذكر خلفائي بعدي ضمن محاورتنا مع الأستاذ عبد الرحيم أحمد العرابي برقم ٣٠ ونقدم إلى القارئ الكريم ما يلي:

تحقيق في حديث اثنا عشر خليفة

قال القندوزي البلخي الحنفي:

قال بعض المحققين: إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان، وتعريف الكون والمكان علم أن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديثه هذا الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثنا عشر ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثنا عشر ولظلمهم الفاحش، إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كلهم من بني هاشم.

وفي رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته صلى الله عليه وآله وسلم في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم الآية ←

(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) سورة الشورى الآية ٢٣.

وحديث الكساء، فلا بد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته عليهم السلام، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم، وأتقاهم وأعلاهم نسبا، وأفضلهم حسبا، وأكرمهم عند الله، وكانت علومهم عن آبائهم متصلة بجدهم صلى الله عليه وآله وسلم بالوراثة الدينية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد هذا المعنى: أي أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته، ويشهد ويرجحه حديث الثقلين، والأحاديث المتكررة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها.

ينابيع المودة ٢ / ٤٤٦ طبعة الآستانة.

طرق حديث الخلفاء بعدي اثنا عشر

ذكر يحيى بن الحسن في كتاب «العمدة» من عشرين طريقا في أن الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، في «البخاري» من ثلاثة طرق، وفي «مسلم» من تسعة طرق، وفي «أبي داود» من ثلاثة طرق، وفي «الترمذي» من طريق واحد، وفي «الحميدي» من ثلاثة طرق.

القندوزي في ينابيع المودة ص ٤٤٤.

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كلهم تجتمع عليه الأمة في رواية جابر بن سمرة فمراده صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمة على الإقرار بإمامة كلهم وقت ظهور قائمهم المهدي. ينابيع المودة ٢ / ٤٤٦ طبعة الآستانة وفي المناقب عن واثلة بن الأصقع بن قرخاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مسائل فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم عليها فأسلم على يديه صلى الله عليه وآله وسلم» ثم قال:

أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم.

قال: أوصيائي الاثنا عشر، قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة.

وقال: يا رسول الله سمهم لي. فقال:

أولهم سيد الأوصياء أبو الأئمة علي ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم، ولا يغرنك جهل الجاهلين، فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليه، وعليك وآخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه. فقال جندل:

وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياء عليهم السلام إيليا وشبرا وشبيرا، فهذه اسم علي والحسن والحسين.

فمن بعد الحسين؟ وما أساميهم؟ قال: إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي، ويلقب بزين العابدين، فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق، فبعده موسى يدعى بالكاظم، فبعده ابنه علي يدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي، فبعده ابنه علي يدعى بالنقي والهادي، فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي، والقائم والحجة، فيغيب ثم يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، فطوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم.

أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: (**هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**)

ثم قال تعالى: (**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**) المجادلة: ٢٢.

فقال جندل: الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم.

ثم عاش إلى أن كانت ولادة علي بن الحسين، فخرج إلى الطايف ومرض، وشرب لبنا وقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن، ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة.

ينابيع المودة ٢ / ٤٤٢. طبعة الآستانة.

تعيين أسماء الخلفاء الاثني عشر

أخرج القندوزي في الباب السادس والسبعين في بيان الأئمة الاثنا عشر بأسمائهم:

عن فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم يهودي يقال له نعثل فقال: يا محمد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك.

قال: سل يا أبا عمارة:

فقال: يا محمد صف لي ربك فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصف إلا بما وصف نفسه - إلى أن قال - صدقت فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون. فقال:

إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين.قال: يا محمد فسمهم لي «قال: إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه علي علي فإذا مضى فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء: اثنا عشر.

قال: أخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين.

قال ﷺ: يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسم، والحسين بالذبح.

قال: فأين مكانهم؟ قال: في الجنة في درجتي.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك.

ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة، وفيما عده إلينا موسى بن عمران عليه السلام، أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له: أحمد ومحمد، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، فيكون أوصياؤه بعده اثنا عشر، أولهم: ابن عمه وختنه، والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، ويقتل أمة النبي الأول بالسيف والثاني بالسم، والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف، وبالعطش، في موضع الغربة، فهو كولد الغنم، يذبح ويصبر على القتل، لرفع درجاته، ودرجات أهل بيته وذريته، ولإخراج محبيه وأتباعه من النار.وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث فهؤلاء الاثنا عشر عدد الأسباط.

قال ﷺ: أتعرف الأسباط؟ قال: نعم إنهم كانوا اثنا عشر أولهم لاوي بن برخيا، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثم عاد فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها، وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك.

قال ﷺ: كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة.

وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الإسلام به ويجدده، طوبى لمن أحبهم وتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسك بهداهم.

فأنشأ نعثل شعرا:

صلى الإله ذو العلى * عليك يا خير البشر

أنت النبي المصطفى * والهاشمي المفتخر

بك هدانا ربنا * وفيك نرجوا ما أمر

ومعشر سميتهم * أئمة اثنا عشر

حباهم رب العلى * ثم اصطفاهم من كدر

قد فاز من والاهم * وخاب من عادى الزهر

آخرهم يسقي الظما * وهو الإمام المنتظر

عترتك الأخيار لي * والتابعين ما أمر

من كان عنهم معرضا * فسوف تصلاه سقر

ينابيع المودة ص ٤٤٢.

وقال الدكتور عبد الهادي الفضلي:

حديث الاثني عشر: ونصه ـ كما في رواية البخاري في الصحيح ٤ / كتاب الأحكام:

عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال: (يكون بعدي اثنا عشر أميرا) فقال كلمة لم أسمعها.

فقال أبي: إنه قال: (كلهم من قريش).

وأشير إلى مضمون هذا الحديث في سفر يوحنا اللاهوتي من الكتاب المقدس: الإصحاح الثاني عشر بقوله:

وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليهما وعلى رأسها الكيل من اثني عشر كوكبا...ولدت ابنا ذكرا عتيدا أن يرعى جميع الأمم بعصى من حديد».

وعلق عليه الأستاذ سعيد أيوب في كتابه: «المسيح الدجال: قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى) ط ١ نشر دار الإعتصام بمصر ٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م علق عليه بالتالي:

في ص ٧٧ «قالوا في التفسير (إنما امرأة فاضلة...وقور ويأتي النسل من هذه المرأة)

ومكانة أولاد فاطمة رضي الله عنها من قلب رسول الله ﷺ معروفة * وأهل الكتاب عندنا وضعوا الصفات التي ترمز إلى الاسم كون هذا الوضع مشكلة من:

هي أن صفحاتهم لم تفصح صدرها للأسماء العربية، لكنها امتلأت بالأسماء التي كانت تحتويها البيئات التي عاش فيها اليهود، وشاءت حكمة الله أن تضع أقلامهم صفات النبي ﷺ

التي تعتبر بحق علما عليه».

وفي ص ٩٠ : «ثم يقول الرأي عن القيادات التي ستخرج من هذه العاصمة (يحرسها اثنا عشر ملاكا، ويقوم سور المدينة على اثني عشر دعامة كتبت عليها أسماء رسل الحمل الاثني عشر).

وعن البراء: أن النبي ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال: اللهم إني أحبهما فأحبهما رواه الترمذي بسند صحيح.(التاج الجامع للأصول ٣ / ٣٥٦).

والجدير بالذكر أن أبناء الحسن والحسين - رضي الله عنهم - اشتغلوا بالعلم.وذكرت تفاسير أهل الكتاب أن نسل المرأة الوقور سيواجه المخاطر، وحدث هذا فعلا.ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قلت: هذه القيادات جاء ذكرها في حديث النبي ﷺ: (لا يزال هذا الدين، عزيزا ينصرون على من ناواهم عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش).

وفي حديث، (اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل) كما في سفر الرؤيا فإنه ربط عدد نقباء المدينة الجديدة بعدد نقباء بني إسرائيل، ومن هؤلاء سيكون - المهدي المنتظر كما ذكر ابن كثير في تفسير سورة النور وقال: وفيهم المهدي الذي اسمه يطابق اسم النبي ﷺ وقال: إن في الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة».مفاده:

يقول أستاذنا السيد محمد تقي الحكيم «والذي يستفاد من هذه الروايات:

* يوم الدين / ستينفس: ص ٨٧ و ١٠٦، تفسير الرؤيا / حنا ص ٢٧٢، جين واكسون - آخر ساعة العدد الصادر في ٢٦ / ٩ / ١٩٨٤ م.

* روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا» رواه البخاري، والترمذي (التاج الجامع للأصول: ١ / ٣٥٦).

١ - أن عدد الأمراء، أو الخلفاء لا يتجاوزون الاثني عشر وكلهم من قريش.

٢ - وأن هؤلاء الأمراء معينون بالنص، كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل لقوله تعالى: (ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا فيهم اثني عشر نقيبا)

٣ - أن هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقي الدين الإسلامي أو حتى تقوم الساعة، كما هو مقتضى رواية مسلم: (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة).

وأصرح من ذلك روايته الأخرى في نفس الباب (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان).

وإذا صحت هذه الاستفادة فهي لا تلتئم إلا مع مبنى الإمامية في عدد الأئمة وبقائهم وكونهم من المنصوص عليهم من قبله ﷺ، وهي منسجمة جدا مع حديث الثقلين وبقائها حتى يردا عليه الحوض.

وصحة هذه الاستفادة موقوفة على أن يكون المراد من بقاء الأمر فيهم بقاء الإمامة والخلافة - بالاستحقاق - لا السلطة الظاهرية.

لأن الخليفة الشرعي خليفة يستمد سلطته من الله، وهي في حدود السلطة التشريعية لا التكوينية، لأن هذا النوع من السلطة هو الذي تقتضيه وظيفته كمشرع، ولا ينافي ذلك ذهاب السلطنة فهم في واقعها الخارجي لتسلط الآخرين عليهم...

ومن الجدير بالذكر أن هذه الروايات كانت مأثورة في بعض الصحاح، والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمة فلا يحتمل أن تكون من الموضوعات بعد اكتمال العدد المذكور، على أن جميع رواتها من أهل السنة ومن الموثوقين لديهم.

ولعل حيرة كثير من العلماء في توجيه هذه الأحاديث وملائمتها للواقع التاريخي كان منشؤها عدم تمكنهم من تكذيبها، ومن هنا تضاربت الأقوال في توجيهها وبيان المراد منها..

والحقيقة أن هذه الأحاديث لا تقبل توجيهها إلا على مذهب الإمامية في أئمتهم واعتبارها من دلائل النبوة في صدقها عن الأخبار بالمغيبات أولى من محاولة إثارة الشكوك حولها كما صنفه بعض الباحثين متخطيها في ذلك جمع الاعتبارات العلمية، وبخاصة بعد أن ثبت صدقها بانطباقها على الأئمة الاثني عشرية.

الأصول العامة للفقه المقارن.وانظر: خلاصة الكلام: ٣٣ - ٣١١.حديث باب حطة ونصه: كما في رواية الصواعق المحرقة ص ١٥٠: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له.وفي رواية: غفر له الذنوب».

وتخلص من كل ما تقدم إلى التالي:

١ - إن هذه الأدلة، وهي ما بين متواتر، ومستفيض، أقرنته دلائل القطع بصدوره عن النبي ﷺ وعشرات أخرى أمثالها، صريحة في شرعية مذهب أهل البيت، ومشروعية أتباعه.

بل هي صريحة في وجوب اتباعهم، ولزوم الالتزام بهديهم.

٢ - إن النبي ﷺ نص على إمامة علي عليه السلام في حديث الغدير وفي هذه الأحاديث المتقدمة،

بني إسرائيل أولهم علي وآخرهم المهدي ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه المهدي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا[1] والإمام المهدي له غيبتان:

وفي عشرات أمثالها.

ثم امتدت الإمامة منه إلى أبنائه الأحد عشر بوصية السابق على اللاحق.

٣ ـ ولأنا رأينا أن مذهب أهل البيت هو التفرع الأصيل لمدرسة النبي محمد ﷺ يأتي هذا أيضا في حق مذهب الإمامية لأنه التجسيد الحقيقي لمذهب أهل البيت.

قال الشيخ محمد المنتصر الكناني في كتابه: (معجم فقه السلف: عترة، وصحابة وتابعين نشر المركز العالمي للتعليم الإسلامي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة) ج ١ ص ٥:

«والظفر بفقه العترة ظفر بالعلم والهدى والأمان من الضلال، وبكتاب الله مقترنا بالهداية والأمان حتى دخول الجنة».

وقال السيد محمد بن يوسف الحسيني التونسي المالكي، الشهير بالكافي، في كتاب:

(السيف اليماني المسلول ص ١٦٩ طبعة الترقي بدمشق):

روى أبو بكر محمد بن مؤمن الشيرازي في كتابه المستخرج من التفسير الاثني عشر في إتمام الحديث المتقدم (يعني حديث السفينة) بعده: فقال علي يا رسول الله من الفرقة الناجية؟

فقال: (المتمسكون بما أنت عليه وأصحابك).

وفي الأحاديث المذكورة آنفا ما يدل على أن المتبعين لأهل البيت، والمقدمين لهم والمقتدين بهم هم الفرقة الناجية.

وحث الرسول على الاقتداء بهم والتمسك بما هم عليه وإيجاب ذلك على جميع الخلق بروايات الكل يعلمنا علما ضروريا أن أهل البيت هم الفرقة الناجية.

فكل من اقتدى بهم وسلك آثارهم فقد نجى ومن تخلف عنهم وزاغ عن طريقهم فقد غوى.

تراثنا العدد ٢٧ / ٢١ ـ ٢٥ قراءة في كتاب التوحيد.

(١) أربعون مصدرا من مصادر السنة يتفقون مع الشيعة في أن المهدي مولود.

أربعون عالما من علماء السنة يعترفون بوجود الإمام المهدي عليه السلام وهم:

١ ـ محمد بن طلحة بن محمد الحسن القرشي النصيبي الشافعي في كتابه: «مطالب السئول».

٢ ـ محمد بن يوسف بن محمد الگنجي الشافعي في كتابه: «البيان».

٣ ـ الشيخ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ في كتابه: «الفصول المهمة».

٤ ـ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قرعلي الحنفي سبط ابن الجوزي في آخر كتابه الموسوم: ب «تذكرة خواص الأمة».

٥ ـ الشيخ محيي الدين بن عربي الطائي الأندلسي في الباب ـ ٣٦٦ ـ في كتابه: «الفتوحات المكية».

٦ ـ الشيخ العارف الخبير أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني في المبحث (٦٥) من كتاب: «اليواقيت والجواهر».

٧ ـ الشيخ حسن العراقي العابد الزاهد الذي اجتمع في المهدي محمد بن الحسن العسكري في جامع دمشق وأقام عنده سبعة أيام بلياليها فيما ذكره الشعراني في كتابه: «لواحق الأنوار في طبقات الأخيار» المطبوع بمصر سنة ١٣٠٥ هـ.

٨ ـ الشيخ علي البراسي صاحب المقامات والكرامات الكثيرة حيث صدق الشيخ العراقي فيما أخبره به في الاجتماع به في الاجتماع بالمهدي وأن عمره عليه‌السلام كان يومئذ ٦٢٠ سنة.

٩ ـ نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الدشتي الحنفي المعروف بالملا جامي شارح كفاية ابن الحاجب في كتابه: «شواهد النبوة».

١٠ ـ محمد بن محمد بن محمود البخاري المعروف بخواجه بارسا من أعيان علماء الحنفية في كتابه: «فصل الخطاب» في المحاضرات.

١١ ـ الحافظ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس في أربعينه.

١٢ ـ الشيخ عبد الحق الدهلوي المحدث الفقيه صاحب التصانيف الشائعة الكثيرة البالغة مائة مجلد وهو حنفي المذهب في رسالته التي أفردها لمناقب الأئمة من أهل البيت.

١٣ ـ السيد جمال الدين عطاء بن السيد غياث الدين فضل الله الشيرازي المحدث المعروف في كتابه «روضة الأحباب» وهي من الكتب المشهورة.

١٤ ـ الحافظ أحمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري المعاصر للإمام أبي محمد

الحسن العسكري وقد كتب عنه بمكة، وروى عن الإمام المهدي أيام غيبته الصغرى كما في كتاب المسلسلات المشهور ب «الفضل المبين» وهو كتاب يعرفه محدثوا السنة.

١٥ ـ حجة الإسلام عبد الله بن أحمد بن محمد الخشاب المعروف في كتابه: «تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم».

١٦ ـ ملك العلماء شهاب الدين بن عمر الهندي صاحب التفسير في كتاب: المناقب الموسوم ب «هداية السعداء».

١٧ ـ العلامة المحدث الشيخ المتقي بن حسام الدين بن القاضي عبد الملك ابن قاضي خان القرشي في كتابيه «المرقاة في شرح المشكاة»، و «البرهان في علامة مهدي آخر الزمان».

١٨ ـ العلامة فضل بن روزبهان شارح «شمائل الترمذي» في كتابه الذي سماه «إبطال الباطل» ردا على «نهج الحق» للعلامة الحلي.

١٩ ـ الشيخ سليمان بن خواجة كالان الحسيني القندوزي في كتابه: «ينابيع المودة».

٢٠ ـ شيخ السلام أحمد الجامي.

٢١ ـ صلاح الدين الصفدي في «شرح الدائرة».

٢٢ ـ الشيخ عبد الرحمن البسطامي في كتابه «دائرة المعارف».

٢٣ ـ المولوي علي أكبر بن أسد الله المؤودي الهندي في كتابه: «المكاشفات».

٢٤ ـ عبد الرحمن شيخ مشايخ الصوفية في كتابه: «الانتباه».

٢٥ ـ القطب المدار الذي كتب عبد الرحمن الصوفي المتقدم الذكر كتاب ـ «مرآة الأسرار» لأجله.

٢٦ ـ قاضي جواد الساباطي في كتابه: «البراهين الساباطية».

٢٧ ـ الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد بن أبي الحسين المعروف بالشيخ سعد الدين الحموي في كتابه الذي أفرده لأحوال المهدي عليه السلام.

٢٨ ـ الشيخ عامر بن عامر البصري في قصيدته التائية الطويلة المسماة: «بذات الأنوار».

٢٩ ـ صدر الدين القونوي في قصيدته الرائية المذكورة في: «ينابيع المودة».

٣٠ ـ شيخ مشائخ الصوفية المولى جلال الدين الرومي صاحب «المثنوي». كما يدل عليه بعض الأشعار الفارسية الموجودة في ديوانه.

الأولى: «الصغرى»، عين فيها سفراء أربعة: الخلاني، وحسين بن روح، ومحمد بن عثمان السمري، وعثمان بن سعيد السمري.

وهؤلاء الأربعة كانت ترجع إليهم الشيعة الإمامية في الغيبة الصغرى وكانوا هم الواسطة بين الإمام، والشيعة الإمامية في أخذ الأحكام الشرعية والقضايا وغيرها.

والثانية: «الكبرى» وعينوا فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام صفاتا خاصة لترجع إليه شيعتهم ومن تتوفر فيه الصفات الآتية عند إمكان الوصول إليهم لرؤيتهم ومشاهدتهم وأخذ الأحكام منهم وهي هذه:

«من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، محافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه».

←

٣١ - الشيخ العارف محمد الشهير بشيخ عطار في كتابه: «مظهر الصفاة».

٣٢ - شمس الدين التبريزي.

٣٣ - السيد نعمة الله الولي.

٣٤ - السيد النسيبي.

٣٥ - السيد علي بن شهاب الدين الهمداني في المودة العاشرة من كتابه، الموسوم ب: «المودة القربى».

٣٦ - علامة زمانه الشيخ محمد الصبان في كتابه: «إسعاف الراغبين».

٣٧ - عبد الله بن محمد المطيري المدني في كتابه: «الرياض الزاهرة».

٣٨ - شيخ الإسلام أبو المعالي محمد سراج الدين الرفاعي في كتابه الموسوم ب «صحاح الأخبار».

٣٩ - الناصر لدين الله أحد خلفاء بني العباس.

٤٠ - بعض المصريين من مشايخ الشيخ إبراهيم القادري الحلبي.

أي يرجعوا إليه في أخذ الأحكام الشرعية وحل قضاياهم الإسلامية.

ولذلك ترى الشيعة الإمامية في هذا العصر «عصر الغيبة الكبرى» يرجعون إلى الفقهاء، ومن تتوفر فيه الشروط والصفات المتقدمة.

وأدل دليل على وجود الإمام المهدي عليه السلام «حديث الثقلين» لقوله صلوات الله عليه وآله «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فالإمام المهدي هو حي وموجود لأن قرينه هو: القرآن الكريم موجود.

ويجب عندنا «نحن الشيعة الإمامية» تقليد الأفقه، الأعلم، ولا يجوز عندنا تقليد الميت ابتداء، وأن باب الاجتهاد مفتوح عندنا ولذلك ترى مذهب الشيعة الإمامية يتمشى مع روح العصر في تفهم الأحكام وتطورها.

ثم قدمت لسيادته: مجموعة من مطبوعاتنا في القاهرة، وكتاب: «تحت راية الحق»[1] وغيرهما. وسألته عن الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أفضلهم فقال: قرأت قبل أيام في كتاب: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:

قلت لأبي ما تقول في التفضيل قال في الخلافة: أبو بكر وعمر وعثمان، قلت: فعلي؟

قال يا بني: علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد[2] ثم قال الأستاذ:

---

(١) قدم لهذا الكتاب الدكتور حامد حفني داود رئيس الأدب العربي بجامعة عين شمس بمصر (في طبعته الرابعة) ونقد فيه الدكتور أحمد أمين وأشار إلى زلاته وأخطائه الكثيرة التي لا تعد، والتي وردت في فجر إسلامه وطبع في دار التوفيقية للطباعة بالأزهر الشريف.

(٢) أنظر: تاريخ بغداد: ٧ / ٤١، طبقات الحنابلة: ٢ / ١٢٠.

الإمام علي نفس رسول الله ﷺ وذكره الله تعالى في آية المباهلة بقوله: (وأنفسنا وأنفسكم) فهو نفس رسول الله ﷺ.

ثم قلت له: هل قرأت من كتب الشيعة الإمامية، وما هي انطباعاتك عنها:

فقال: قرأت «عقائد الإمامية» و «المراجعات» أكثر من مرة وعندي كتاب عن «المتعة» وكتاب: «أصل الشيعة وأصولها.»[1]

فقلت: ما رأيكم فيها.

قال: إنها من أقوى الكتب والبحث مغن فيها، ومعظم أسانيدها من كتب أهل السنة.

ثم قلت: هل زرتم مراقد أئمة أهل البيت في العراق؟

قال: الحمد لله الذي أكرمني بالزيارة وكان البرنامج زيارة الكاظمية، والنجف، وكربلاء، وقال:

أكرمني الله تعالى بتعرفي على الأستاذ المحامي إسماعيل قطيمش في العراق وكان له الفضل في صحبتي إلى سامراء لزيارة الإمامين علي الهادي، والحسن العسكري والغيبة.

ثم سألت الأستاذ وقلت:

ما رأيكم في الإمامة؟ وهل تنعقد بالنص أو الإجماع؟

---

(١) هذه الكتب التي ذكرها الأستاذ هي من مطبوعاتنا في القاهرة وقد كنا قد أهديناها له عند زيارتنا له في داره العامرة.

ـ المؤلف ـ

فأجاب: الإمامة لا تصلح في الانتخاب، وإنما تكون بالنص أو الإشارة.

ثم قال: ما من مصري إلا ويحب الإمام علي وأهل بيته، وهم قمة وما عداهم دون ذلك.

ثم سألته: هل قرأت من فقه الشيعة الإمامية شيئا؟

أجاب: نعم: قرأت من كتب الفقه للشيعة «مختصر النافع» الذي نشرته وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة ولم أر فيه شيئا ما يخالف أصول الدين وجرى حديث الخلافة عن النبي ﷺ، ومن الأجدر أن يخلف النبي ﷺ. فذكر الأستاذ كلمة مؤداها:

أن اتفاقا كان قد حصل بين أبي بكر وعمر حول موضوع الخلافة وأنه قرأ في مجلة لواء الإسلام أن أحد الحاضرين قال لعمر ـ عند قراءته كتاب أبي بكر حول توليته الخلافة ـ بالأمس ولاك، واليوم وليته. فطلبت من الأستاذ «أبي العزائم» أن يطلعني على هذه المجلة فجاء بها وهذا نصها:

لقد وقف عمر في المسجد يعرض كتاب أبي بكر وهو مغلق، على القوم وقال:

هذا كتاب أبي بكر فقام أحد الحاضرين وقال له:

أتعلم ما فيه يا عمر؟ قال: لا.

قال: «ولاك أبو بكر هذا العام، ووليته عام أول».

فلم يتقاصر فرد من القوم أن يصرح بما في نفسه..وانجلى الأمر عن أن عمر

تلى كتاب استخلافه من أبي بكر.[1]..

ثم أخذ الأستاذ أبو العزائم يتلو علينا من شعر جده الشيخ محمد أبو العزائم في مناجاته لآل البيت عليهم السلام فقال:

يـــا كرامـــا إذا ســـئلتم أجبـــتم　　　وليوثـــا إذا اســـتغثتم أغثـــتم

وبحـــارا للمكرمـــات وغوثـــا　　　وحصـــونا مـــن أمكـــم آويـــتم

وكنـــوزا للســـائلين إذا مـــا　　　يممـــوا فضـــلكم لهـــم أغـــدقتم

وأمانـــا للخـــائفين وكهفـــا　　　وعيـــاذا للمســـتجير أجـــرتم

ومـــلاذا للعائـــذين وعونـــا　　　مـــن دعـــاكم لشـــدة لبيـــتم..الخ

ومن شعر جده في روضة الإمام الحسين عليه السلام:

يــا بــن بنــت الــنبي جئتــك أرجــو　　　يــا غيــاثي ومنجــدي واعتمــادي

ورجــائي منــك القبــول فجــد لــي　　　يــا غيــاث الــورى بنيــل مــرادي

منها:

يـا شمـوس الهـدى لمـن جـاء يرجـو　　　وبحـار العطـا لمـن جـاء صـادي

ثم تلى علينا قصيدة مطلعها:

مـــولاي يـــا ســـبط الرســـول　　　يـــا بـــن الوصـــي ابـــن البتـــول

فـي الـــــذكر آي بينـــــت　　　فضـــل الحســـين ابـــن الرســـول

---

(١) راجع مجلة لواء الإسلام القاهرية ص ٣٨٧، السنة ١٤ / العدد ٦.

في «إنمـــــا» [1] لــــي حجــــة تنبــــئ بــــأنوار الأصـــــول

أنـــــت الوســـــيلة ســــيدي أنــت الغيـــاث لــدا المحــول...الخ

ثـم قـال: أريـد أن أؤلـف كتابـا عـن الإمـام الحسـين عليه السلام وسأصـدر بعـض القصـائد الـتي قالهـا جـدي في الإمـام الحسـين عليه السلام .ثـم ذكـر أن ألـف كتابـا في موضـوع «الجفـر» فقـام مـن مكانـه وجـاء بنسـخة منـه وكتـب عليهـا الإهـداء لـي فتسلمتها وشكرته، وودعناه ونزل في توديعنا إلى الباب وانصرفنا.

***

٤ـ الشيخ محمد زكي إبراهيم:

رائد العشيرة المحمدية بجمهورية مصر العربية.

- ولادته: ولد بالقاهرة ١٣ / ٨ عام ١٩١٦ م.
- ينتسب إلى الدوحة النبوية عن طريق الإمام الحسين عليه السلام .
- حفظ القرآن الكريم وأجاد قراءاته الواردة.
- تلقى عن والده بعض العلوم الأزهرية ثم انتسب إلى الأزهر الشريف وتخرج فيه.
- تخصص في التصوف الإسلامي، وعلم الحديث والتاريخ الإسلامي.

---

(١) يشير إلى آية التطهير الواردة في أهل البيت عليهم السلام وهي:
(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وذكر نزول هذه الآية فيهم عليهم السلام .العلامة ابن حجر الهيثمي في صواعقه المحرقة ضمن الآيات الواردة فيهم عليهم السلام .
ـ المؤلف ـ

- خدم الأدب العربي ولغة القرآن وله بحوث في الشعر والنقد وأصول الخطابة.

- إنصرف بحكم الوراثة والتخصص إلى خدمة التصوف الإسلامي.

- من أهدافه عقد (المؤتمر الصوفي العالمي) وإخراج فكرة (دائرة المعارف الصوفية).

- عمل بوزارة التربية والتعليم حتى أصبح مفتش قسم وانتهى إلى الدراسات العليا الإسلامية.

- أصدر مجلة (المسلم) من خمسة وعشرين عاما بانتظام.

- هو الآن عضو أكثر من عشرة هيئات رسمية وشعبية.

- أهم آثاره (مزارات أهل البيت) (الرسائل الصوفية الثلاث) (عصمة النبي) (قضية الوسيلة والخلاف عليها بين المسلمين) (مع القرآن الكريم) (الصيحة) وله أكثر من عشرين رسالة وأبحاث وله مقالات إسلامية في الصحف والمجلات:

(لواء الإسلام) (منبر الإسلام) مجلة (الشبان المسلمين) مجلة (منبر الشرق) وله رسائل في الفقه والأصول لا تزال مخطوطة. وله مساجلات مع زعماء الفكر والفلسفة في جريدة الجمهورية وأخبار اليوم.

بسم الله الرحمن الرحيم

زرت فضيلة هذا الأستاذ الكبير في مقر العشيرة المحمدية بجامع البنات الكائن في شارع بور سعيد بمعية الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي وبعد أن جلسنا حيانا فضيلته بأحسن التحيات وقدموا لي مجموعة أعداد من مجلة «المسلم» الغراء.

جلست معه قليلا، وقدمت لفضيلته مجموعة من الكتب التي قمت بنشرها بالقاهرة ونشروا عنها في مجلة المسلم ضمن الكتب التي تهدى إلى المجلة في عدد الشهر القادم حينذاك. كما أني قد أهديت لفضيلته كتاب «مصادر نهج البلاغة وأسانيده».

وعندما اطلع فضيلته بأن لي دار نشر باسم «مكتبة النجاح» في النجف الأشرف ـ العراق نشروا عني في أحد الأعداد للمجلة وكتبوا فيه:

تطلب هذه المجلة من وكيلنا في العراق ـ السيد مرتضى الرضوي صاحب «مكتبة النجاح» في النجف الأشرف وطلبت من فضيلته أن يقدم لكتاب «الزهراء» لكاتبه سماحة العلامة الكبير السيد محمد جمال الهاشمي وكنت قد صحبته معي من العراق وكان في نيتي أن أقوم بطبعه في القاهرة بعد تقديم أحد الأعلام له. فدفعته إليه ليكتب له التقديم، واتصلت بفضيلته بعد مدة هاتفيا وأخبرني أنه مريض وكان قد كتب شيئا مختصرا، وإليك ما كتبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الله

شعارنا وغايتنا

لبيك اللهم لبيك

أخي في الله تعالى، الأستاذ المؤمن الصادق، والمجاهد الموفق، الشريف العالم[1] السيد مرتضى الرضوي.. رضي الله عنه.

---

(١) أردت حذف هذه الألقاب من هذا الكتاب لعدم انطباعتها علي، ولكن بعض الأعلام أشار علي ←

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ولكن أبرك دعائي، وأخلص ثنائي. وقد تفضلتم مشكورين مبرورين، فأحسنتم بنا الظن، وطلبتم منا كلمة تقدمون بها إلى جمهوركم المثقف رسالة «الزهراء» للكاتب المحقق السيد محمد جمال الهاشمي، بعد أن أضفتم إلى الرسالة فصولا جديدة استوعبت أطراف البحث، واستكملت الموضوع في إجمال تفصيلي، أو تفصيل مجمل، كله تفتح وإيمان، وغيرة، ومحبة، وصفاء.

وقد تلقيت رغبتكم الشريفة، وأنا أعاني أزمة مرضية، ونفسية فوق الطاقة فليس في قدرتي ما يساعفني بقراءة الرسالة والملحقات، ولا في قدرتي ما يساعفني بالكتابة عن جدتنا البتول، بضعة الرسول، وزوج سيف الله المسلول، وأم أحب الأمة إلى نبي الأمة سيد شباب أهل الجنة، وريحانتي الدوحة المقدسة، جدنا الإمام أبي محمد الحسن، وجدنا الإمام أبي عبد الله الحسين عليهما السلام.

وأن الكتابة عن آل البيت عبادة يجب أن تؤدى على وجهها، والتقلب في ذكرياتهم حياة فوق الحياة، والانصراف إلى خدمة تاريخهم توفيق عزيز، والخلوص إلى التفكير فيهم مدد لا يتاح، ولا ينبغي إلا لأهل الله.

ولقد تتبعت سطور بعض الصفحات، بقدر ما أذنت به حالتي، فلم أجد لدي طاقة كتابة المقدمة التي ترضيني ويرضى بها عني الله ورسوله، وآل البيت الشريف.

فمثل هذه الكتابة الموصولة الأسباب بالدين والدنيا، ثم بالماضي والحاضر

⬅

بعدم حذفها وقال: هذه أمانة يجب أن تنشر كما هي.

والمستقبل ثم بحركات العقول والقلوب والأسرار، بل وما وراء الأسرار.

وهـذه الكتابـة لا يتعـرض لهـا رجـل مثلـي اليـوم، تحتويـه أزمـات أمـراض الجسم، ومتاعب النفس.وهما شئ عظيم.

من أجل ذلك أعتذر إلى أخي خجلان آسفا، بقدر ما أشكر له ثقته بي وبقدر ما أدعو له بجوامع الخير من كل قلبي.والسلام على النبي وآل بيته والأحباب.

وأما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله ..

المفتقر إليه وحده محمد زكي إبراهيم من العشيرة المحمدية
القاهرة: ٢٠ من ربيع الثاني سنة ١٣٨٥ هـ
١٩ من أغسطس (آب) سنة ١٩٦٥ م

وقصدت العشيرة المحمدية مع الدكتور حامد حفني داود أستاذ الأدب العربي في كلية الألسن ولم يكن فضيلة السيد الرائد هناك بل كان «أمينه» السيد أحمد «أبو التقى» فأهدى إلي العدد الأخير من المجلة، فأخذته وصرت أنظر فيه وأتصفحه وقلت له:

إن مجلتكم هذه قد أسميتموها: مجلة العشيرة المحمدية في الدفاع عن أهل بيت النبي الأطهار، سلام الله تعالى عليهم فما بالكم تخالفون النبي ﷺ بأضعاف صفحات المجلة فتعجب وقال: كيف؟

قلت: لقد نهى رسول الله ﷺ عن مثل هذه الصلوات وسماها البتراء[1]

---

(١) ستأتي في محادثاتنا مع الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

وروى ابن حجر في صواعقه وقال:

صح عن كعب ابن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد[1] وقال ﷺ لا تصلوا علي الصلاة البتراء، قالوا يا رسول الله، وما الصلاة البتراء قال:

تقولوا: اللهم صل على محمد وتمسكون.

قولوا: اللهم صلي على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم والصلاة الإبراهيمية مذكورة في جميع كتب المناقب، فعند ذلك أجاب سيادته قائلا:

بأن «إكليشية» ﷺ غير موجودة هنا في مصر فأخبرته بأنها موجودة في مسبك الحرية بالإمام الشافعي وإنني قد أوصيت أحد الأساتذة هنا بمصر وعمل لي منها كمية لطبع كتاب: «وسائل الشيعة ومستدركاتها» فاتصل سيادته بالمسبك أمامي وطلب منه مقدار كيلو من هذه «الإكليشية» وأنا في القاهرة وصدر العدد ومتى جاء ذكر اسم النبي محمد ﷺ فيه وضعت هذه «الإكليشية» بدلا من الأولى التي كانت خالية من ذكر الآل عليهم السلام وهي: ﷺ والمجلة لا تزال تصدر إلى هذا اليوم.

وقد لاحظت على غلاف المجلة وقد طبع في أعلاه من جهة اليمين «حي على الفلاح» وإلى جانبه: لبيك اللهم لبيك.

فقلت: لسيادته:

---

(١) أنظر: الصواعق المحرقة ص ١٤٤.

لو أنكم كنتم أبدلتم «حي على الفلاح» ب «حي على خير العمل»[1] لكان أفضل وأحسن لأن من خير الأعمال السعي في نشر هذه المجلة ومطالعتها واقتنائها، وتوزيعها، وإهداؤها

فالتفت إلي الدكتور حامد وقال:

يا أستاذ: هذه مجلة ولها عدة سنوات تصدر بهذا الشكل، وأول عدد صدر منها على هذا النحو، ولا يمكن تغييره وتبديله.

فأخذت العدد بيدي ورميت به فوق المنضدة وقلت:

ما قيمة مجلة يا أستاذ:

تشكل لجان من أساتذة وعلماء وخبراء لسن بعض القوانين للدولة، ولم يمر عليها زمن طويل حتى تلغى تلك القوانين، وتبدل، وتغير، ويضرب بها عرض الجدار.

وبعد ذلك: أخذ السيد الأستاذ الدكتور حامد بيدي وخرجنا وقد ترك السيد ـ أبو التقى أحمد ـ أمين العشيرة ـ في نفوسنا للسيد الرائد من الاحترام والتقدير قدرا لما له من ماض طويل مجيد في الكفاح في سبيل نشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) قال الأستاذ الفكيكي: قال الإمام القوشجي متكلم الأشاعرة وحكيمهم في أواخر مبحث الإمامة من شرح كتاب التجريد في علم الكلام أن عمر ﵁ قال: وهو على المنبر:
أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهن، وأحرمهن وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحج، وحي على خير العمل. إلا أن الإمام القوشجي أفاد: إنما صدر ذلك من عمر (عن تأويل واجتهاد. أنظر: المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي ط القاهرة المطبعة العربية بدرب الجماميز.

وفي رحلتي إلى القاهرة عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م في شهر رمضان المبارك زرت سماحة الأستاذ الأكبر السيد رائد العشيرة المحمدية في داره العامرة وقدمت لفضيلته مجموعة من مطبوعاتنا وغيرها فنشر عنها في مجلته الغراء تحت عنوان:

«الكتب والكتاب» وإليك نص ما نشره:

هدية الأستاذ الرضوي

الأخ الأستاذ السيد مرتضى خادم أهل البيت، ومحب مصر والناشر الثقافي الإسلامي المعروف والمجاهد المضحي بالمال والأهل، والصحة مهاجرا إلى الله في خدمة الإسلام والتقريب بين طوائف أهل القبلة في زيارة مفاجئة مولانا الإمام رائد العشيرة المحمدية حمل إليه هدية شخصية في عشر رسائل هي:

١ ـ مع رجال الفكر في القاهرة.

٢ ـ دراسات في نهج البلاغة.

٣ ـ ثورة الحسين وظروفها وآثارها.

٤ ـ الرد على فجر الإسلام.

٥ ـ الوضوء في الكتاب والسنة.

٦ ـ المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي.

٧ ـ المراجعات.

٨ ـ علي ومناؤوه.

٩ ـ أصل الشيعة وأصولها.

١٠ ـ عقائد الإمامية.

وإن التعليق على كل كتاب منها ليحتاج إلى كتاب آخر وهي: بحمد الله كتب أصبحت معروفة للجمهور المسلم فللأستاذ الرضوي من الله كل الأجر وفي الإمام الرائد كل الشكر، مع أبرك الدعاء، وأصدق التقدير والوفاء [١].

***

٥ـ الشيخ أحمد حسن الباقوري

وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية.

- ولادته: من مواليد «باقور» في الصعيد الأعلى
- تخرج في الأزهر الشريف، وأصبح من علمائها الأعلام.
- رشح نفسه مرات في عضوية مجلس الأمة.
- حصل: على ثقة الحكومة رغم انتمائه سابقا إلى الإخوان المسلمين.
- عين: وزيرا للأوقاف بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ م.
- نجح في إدارة دفة وزارة الأوقاف مدة طويلة.
- أهم آثاره: «مع كتاب الله» وكتاب «مع الصائمين»، «مع القرآن» «أثر القرآن الكريم».
- سعى: في نشر كتاب: (مختصر النافع) في فقه الشيعة الإمامية.

---

(١) مجلة المسلم السنة ٢٦ العدد ٣ ص ٣٤.

● لـه تقـديم لكتـاب: «العلـم يـدعو للإيمـان» وكتـاب: «وسـائل الشـيعة ومستدركاتها» وله مشاركة واسعة في المقـالات الأدبيـة والدينيـة، والأحاديـث في الإذاعة والتليفزيون.

● وهـو مـن كبـار رجـال الفكـر الإسـلامي ومـن دعـاة التقريـب بـين المـذاهب الإسلامية العاملين لها.

● يدعو إلى نشر كتب الشيعة للوقوف عليها بغية إزالـة الخـلاف بيـنهم وبـين إخوانهم من أهل السنة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفـت علـى هـذا الأسـتاذ الكـبير في ٥ / ٣ / ١٩٥٨ م في وزارة الأوقـاف بمصـر، وكانـت زيـارتي لفضـيلته بعـد صـدور الجـزء الأول مـن كتـاب: «وسـائل الشيعة ومستدركاتها».

فأخذت الكتاب معي إلى وزارة الأوقاف، ودخلت على مدير مكتب الوزير: الأسـتاذ عبـد الكـريم الخطيـب[1] وأطلعتـه علـى الكتـاب الـذي معـي وأريـد تقديمه لسيادة الوزير، فاتصل هاتفيا بالسيد الوزير وبعد برهـة دخلـت علـى السـيد الوزير، ورحب بي غايـة الترحيـب فأهديتـه كتـاب «وسـائل الشـيعة ومسـتدركاتها» وجلست ساعة عنده، ولما هممت بالخروج قام سيادته من مكانه إلى باب غرفتـه

(١) سيأتي ذكره في حرف الخاء برقم ١٨ في هذا الكتاب.

وفتح لي الباب بيده، وودعني وخرجت.

وبعد أيام ذهبت إليه، وأهديت له الكتب التي طبعتها في القاهرة مع كتاب «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» للعلامة المحقق السيد عبد الزهراء الخطيب فسر لذلك كثيرا، وقال سيادته:

إن مجلة الأزهر هي لجميع المسلمين، وأرجو إخبار علماء الشيعة والأساتذة ليبعثوا إلى المجلة بمقالاتهم وآرائهم لنشرها في المجلة ونحن نرحب بهذا.

وفي يوم من الأيام اتصل بي الأستاذ الحوماني[1] هاتفيا وقال: كنت أمس عند الأستاذ الشيخ الباقوري، وهو مريض، وكنت قد ذهبت لعيادته في منزله، وجرى الحديث عنك، ويرغب أن تزوره.

فاتفقت على موعد محدد لزيارته في عصر اليوم الثاني مع الأستاذ الحوماني، وعندما حضر الأستاذ الحوماني أخبرته بأني طبعت كتاب: «المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي» للأستاذ توفيق الفكيكي[2] وقد قدم له تقديما رائعا الأستاذ عبد الهادي مسعود مدير الفهارس العامة بدار الكتب المصرية سابقا وقد صدر في هذا اليوم، فقال:

لا بأس أن تصحبه معك وتقدمه لسيادة الشيخ الباقوري.

---

(١) أديب لبناني له مؤلفات كثيرة، وعدة دواوين شعرية رائعة ومن مؤلفاته: «دين وتمدين» صدر منه خمسة أجزاء وله «حي الرافدين» وديوان «أنت أنت».

(٢) مؤلف كتاب «الراعي والرعية» شرح عهد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر، طبع مرتين الأولى في النجف الأشرف والثانية في بغداد.

فأخذت الكتاب معي، وذهبت بمعية الأستاذ الحوماني إلى منزل الشيخ الباقوري، وعندما دخلنا عليه رحب بنا كثيرا. وبعد أن جلسنا قدمت له كتاب «المتعة» فتناوله وقال: إن بعض الشبان الذين بعثتهم الدولة إلى الخارج للدراسة، سألوني وقالوا: ما نصنع ونحن بعيدون عن أهالينا وأزواجنا، فأفتيتهم بالمتعة.

ثم قلت للأستاذ الباقوري: يا أستاذ إن لي رغبة ملحة في تحقيق كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي في الفقه على المذاهب الخمسة وأريد أن أدفعه إلى أربعة من الأساتذة والعلماء هنا ليحققوا الكتاب.

المسائل الفقهية للمذهب الحنفي يحققها الحنفي.

والمسائل الفقهية للمذهب الشافعي يحققها الشافعي.

والمسائل الفقهية للمذهب المالكي يحققها المالكي.

والمسائل الفقهية للمذهب الحنبلي يحققها الحنبلي.

فأجابني فضيلته قائلا: أما أنا فمالكي.

ثم نهض من مكانه وجاء بنسخة من «الخلاف» وكانت الطبعة الأولى، وقال: هذه النسخة أهداها الإمام البروجردي عند زيارتنا له في إيران، وأنا راجعت الكتاب ورأيت فيما ينقله عن المالكية كله صحيح وموجود في كتبنا.

قلت: نعم، أنا أعلم أنه صحيح، ولكن لو يحقق الكتاب، ويشار إلى مصادره يكون أفضل.

ثم بعد ذلك طلبت من فضيلته أن يقدم لنا كلمة نفتح بها الجزء الثاني من كتاب: «وسائل الشيعة ومستدركاتها» فرحب سيادته بهذا الطلب ووعدنا بالتقديم في زيارة ثانية في وزارة الأوقاف.

وبعد أيام راجعت الأستاذ عبد الكريم الخطيب مدير مكتب الوزير في وزارة الأوقاف حول تقديم سيادة الوزير لكتاب: «وسائل الشيعة ومستدركاتها» فأخبره وجاءني به مطبوعا، وقد طبع بالآلة الكاتبة على ورقة مطبوع عليها اسم الوزارة. وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الأوقاف:

مكتب الوزير.

السيد الأستاذ: مرتضى الرضوي.

السلام عليكم ورحمة الله وبعد.

فإني أشكر لك جهدك الذي بذلت في إخراج كتاب: «وسائل الشيعة ومستدركاتها» كما أشكر لك قصدك الطيب من إخراج هذا الكتاب الذي نرجو أن يفتح طريقا جديدا من طرق التقريب بين جماعات المسلمين، فما تفرق المسلمون في الماضي إلا لهذه العزلة العقلية التي قطعت أواصر الصلاة بينهم، فساء ظن بعضهم ببعض، وليس هناك من سبيل للتعرف على الحق في هذه القضية إلا سبيل الاطلاع، والكشف عما عند الفرق المختلفة من مذاهب وما تدين به من آراء ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة [1].

والخلاف بين السنيين والشيعيين خلاف يقوم أكثره على غير علم، حيث لم

---

(١) كتب الأستاذ الباقوري هذا الكتاب عندما كان وزيرا للأوقاف عام ١٩٥٨ م وذلك عندما نشرنا بمصر كتاب «وسائل الشيعة ومستدركاتها» في أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الفقه والأخلاق.

ـ المؤلف ـ

يتح لجمهور الفريقين اطلاع كل فريق على ما عند الفريق الآخر من آراء وحجج.

وإذاعة فقه الشيعة بين جمهور السنيين، وإذاعة فقه السنين بين جمهور الشيعة من أقوى الأسباب وآكدها لإزالة الخلاف بينهما، فإن كان ثمة خلاف فإنه يقوم بعد هذا على رأي له احترامه وقيمته.

ولهذا فإن إخراج مثل هذا الكتاب عمل يتسحق القائم عليه شكرا وتقديرا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وزير الأوقاف
أحمد حسن الباقوري
١٥ / ١٢ / ١٩٥٨ م

❊❊❊

٦ـ الدكتورة عائشة بنت الشاطئ

- أستاذة التفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بفاس ـ جامعة القرويين
- الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).
- أستاذه اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس.
- أستاذة الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ودار الحديث، جامعة القرويين - المغرب.
- حصلت على درجة الدكتوراه.
- أستاذة في اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس.

- عينت: أستاذة للدراسات القرآنية بكلية الشرعية ودار الحديث.
- أهم آثارها: «التفسير البياني للقرآن الكريم» جزآن، «مع المصطفى»، «موسوعة آل النبي»، «أم النبي»، «بطلة كربلاء»، «تراثنا بين ماضي وحاضر»، «قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر»، «مقال في الإنسان»، «لغتنا والحياة»، «مع أبي العلاء في سجنه»، «الخنساء»، «الإعجاز البياني للقرآن»، «مسائل ابن الأزرق».
- تعرفت إليها بمكتبها في جريدة الأهرام عام ١٩٦٥ م.
- كاتبة مجيدة في الموضوعات الإسلامية، وتتناول الشخصيات التاريخية والإسلامية بالتحليل الدقيق.
- كتبت في تفسير القرآن بالأسلوب البياني وأجادت فيه.
- تنزع في ثقافتها وقلمها إلى نصرة أهل البيت والإشادة بهم.
- لها أسلوب متين في عرض آرائها والدفاع عن قضايا الإسلام.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

قصدت الدكتورة بنت الشاطئ بعد الاتصال بها هاتفيا في مكتبها بجريدة الأهرام وأهديتها الكتب التي طبعتها في القاهرة مع كتاب ألفه العلامة المحقق السيد عبد الزهراء الخطيب وهو:

«مصادر نهج البلاغة وأسانيده» يقع في أربعة أجزاء، عندما رأت الدكتورة كتاب: «أصل الشيعة وأصولها» للإمام كاشف الغطاء قالت:

«أنا شيعية، تشيعت من التاريخ».

ورحبت بي كثيرا وسرت بالكتب التي أهديتها لها ثم قالت:

«إني أريد أن أكتب كتابا عن الإمام الحسين وأريد أن أدخل العراق من الطريق الذي دخله الإمام الحسين حتى أصل إلى كربلاء، وأكتب عما أراه أثناء الطريق لحين وصولي مشهد الإمام الحسين».

هذا وإني كنت قد صحبت معي من العراق مجموعة من الكتب منها:

كتاب «الزهراء» بقلم العلامة الكبير السيد محمد جمال الهاشمي. أصدره العلامة السبيتي ضمن أعداد: حديث الشهير[1].

فأخبرت الدكتورة بنت الدكتور الشاطئ عن هذا الكتاب وطلبت منها تقديم كلمة عنه تعبر فيها عن رأيها في الكتاب لكي تضم إليه لإعداده للطبعة الثانية.

وبعد أيام صحبت الكتاب معي وقصدت مكتبها في جريدة الأهرام.

ودفعته لها فقالت: أتركه الآن عندي أطالعه وأكتب التقديم له. فتركته عندها وانصرفت.

---

(١) العلامة الشيخ عبد الله السبيتي العاملي له عدة مؤلفات قيمة منها: تحت راية الحق في الرد على فجر الإسلام لأحمد أمين، طبع لأول مرة في صيدا والطبعة الثانية منه طبعت في طهران ونفذ وأعادته بالأوفست على طبعة صيدا مكتبتنا مكتبة النجاح عام ١٣٩٣ هـ طهران والطبعة الرابعة من هذا الكتاب طبعت في القاهرة بمطبعة «دار التوفيقية للطباعة بالأزهر» في شهر رمضان عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

وقد صدره بكلمة رائعة فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور حامد حفني داود رئيس قسم الأدب العربي بكلية الألسن بجامعة عين شمس وأستاذ كرسي الأدب العباسي بجامعة الجزائر وقد طبع من آثار العلامة السبيتي: «إلى مشيخة الأزهر»، و «أبو هريرة في التيار» وغيرها.

وبعد أيام أخر اتصلت بها هاتفيا حول التقديم فحددت الموعد في يوم الأحد ٧ / ١١ / ١٩٦٥ م فقصدت مكتبها بذلك الموعد المحدد فكانت تاركة لي هذا الخطاب وهذا نصه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد كان موعدنا أن أترك لسيادتك كتاب: «الزهراء» مساء اليوم إذ كنت أنوي السفر يوم الثلاثاء بعد لكن زحمة الشواغل أدت إلى تأجيل السفر أياما، وسوف أترك الكتاب والمقدمة لسيادتك هنا، بعد ظهر يوم الأربعاء الموافق ١١ / ١١ / ١٩٦٥ إن شاء الله.

أرجو المعذرة وشكرا، والسلام عليكم ورحمة الله؟

بنت الشاطئ
الأحد ٧ / ١١ / ١٩٦٥

وكتبت على الظرف الذي فيه هذا الخطاب:

الأستاذ السيد مرتضى الرضوي صاحب مكتبة النجاح بالنجف الأشرف ـ العراق.

وفي ذلك التاريخ المحدد لاستلام الكتاب والتقديم قصدت مكتبها فقابلتها وقالت:

هذا الكتاب فيه أخطاء واشتباهات، ولا أدري ما يعجبك منه، والظاهر أنك ترغب في طبعه ونشره لأنه تاريخ حياة جدتك الزهراء، واستلمت الكتاب منها

مع التقديم[1] وانصرفت؟.

***

٧ـ الدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني:

● مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

● ولادته: في القاهرة في ١٤ / ٤ / ١٩٣٠ ونشأ نشأة طيبة وتربى تربية إسلامية في ظل والده طاب ثراه.

● درس في كلية الآداب قسم الفلسفة حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٦١ م.

● زميل معهد الدراسات الإسلامية في جامعة ماجيل بكندا عام ١٩٥٥ م ـ ١٩٥٦ م.

● قضى عاما في إسبانيا بدعوة من حكومة إسبانيا لدراسة المخطوطات في الفلسفة الإسلامية والتصوف وأشرف على عدد من رسائل الخريجين في جامعة القاهرة.

● أهم آثاره: «علم الكلام وبعض مشكلاته» «ابن عطاء الله السكندري والتصوف» «عبد الحق بن سبعين وفلسفته الصوفية»، وله مباحث كثيرة نشرها في

---

(١) التقديم الذي كتبته الدكتورة يقع في ستة صفحات نسيته في النجف الأشرف ـ العراق ولم تحضرني هنا صورة منه وقد أطلعت عليه مؤلفه العلامة الجليل السيد محمد جمال الهاشمي ولم يوافق على نشره فتركته.

ـ المؤلف ـ

مجلة عالم الفكر الكويتية ومجلة الوعي الإسلامية الكويتية ومنبر الإسلام في القاهرة وله مقالات في أكثر الصحف والمجلات المصرية.

- تعرفت إليه في القاهرة عام ١٩٦١ م.
- وهو شيخ إحدى الطرق الصوفية، ومن الشخصيات الفكرية والفلسفية.
- كتب مقدمة لكتاب «وسائل الشيعة ومستدركاتها» للجزء الثالث منه تعرض فيها إلى علم الإمام الإلهامي وأصالة فقه الشيعة الإمامية وتجني المتخرصين على قدسية عقائدهم التي هي من صميم الإسلام.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى فضيلته بواسطة الأخ الشيخ حسن زيدان طلبة[1] وقد دعيت أكثر

---

(١) هو: والد الشيخ زيدان «أبو المكارم» مؤلف كتاب «بناء الاقتصاد الإسلامي» وقد تعرفت إليه عند مراجعتي لمحل الأخ الصديق الحاج سعد خضر المجلد الفني في درب سعادة قرب المحكمة المختلطة بالقاهرة، وكنت ألتقي به دائما في دار الكتب المصرية، ومع الأستاذ الكبير السيد سقر المحقق الشهير بمصر، وهذا الشيخ يجيد الخط العربي كتابة ويجيد قراءة الخط المغربي كاملا وقد دفع له الأستاذ صقر كتابا كتب بالخط المغربي، ونقله له هذا الشيخ إلى الخط العربي، وقد دعاني إلى داره مرتين لتناول الطعام ظهرا الأولى عند ما كان يسكن في حي الأزهر والثانية في داره التي انتقل إليها أخيرا في:

١ - ورشة البلاط - شارح عيسى بن يزيد بكوبري القبة. وله إلمام بتصحيح الكتب في المطابع، ولفظه وأخلاقه الدمثة اخترته لتصحيح - ما يقع فيه جامعوا الحروف من أخطاء في كتاب «وسائل الشيعة ومستدركاتها» وغيره من الكتب التي قمت بطبعها بالقاهرة وبواسطته تعرفت على كثير ←

من مرة لحضور الاحتفالات الدينية التي كان فضيلة أستاذنا يقيمها في شتى الأعياد والمناسبات الدينية في أحد الجوامع في حي الأزهر وكان الدكتور التفتازاني يرتدي لباسا خاصا كالألبسة التي يرتديها الحائز على درجة الدكتوراه، عند استلامه الشهادة من يد رئيس الدولة.

والدكتور التفتازاني يرأس إحدى طرق مشيخة الصوفية بجمهورية مصر العربية.

وكان فضيلته يقف داخل الجامع، يحيي الضيوف، ويرحب بهم.

وفي مثل هذه الاحتفالات كان يحضر أحد الشيوخ لتلاوة القصائد والأشعار الخاصة بتلك المناسبة، ليلقيها على مسامع الحاضرين.

وفي أثناء القراءة كان المستمعون يحركون رؤوسهم وأكتافهم، ويهتفون جميعا بصوت واحد، وقد يأخذهم الوجد والانتعاش من لحن تلك القراءة التي يجيدها ذلك الشيخ الوقور فيتساقطون على الأرض واحدا بعد الآخر من شدة هذا الوجد والانتعاش.

ولقد شاهدت مرة امرأة واقفة في مدخل الجامع والطريق المزدحم بالمارة، وكانت تحرك برأسها وكتفيها، وتميل أحيانا إلى اليمين والشمال، وإلى الركوع تارة أخرى كل ذلك من أثر سماع تلاوة ذلك الشيخ الوقور.

وكان يشارك في هذه الاحتفالات الدينية ـ التي يقيمها أستاذنا التفتازاني ـ كل

←

من الأساتذة والعلماء، كما سيأتي ذكره عند ذكرهم، واخترته صاحبا ومرافقا لي على الدوام وهو من خيرة الأفاضل ومن تعرفت إليهم بمصر.

أصحاب الفضيلة أمثال: الشيخ الباقوري، وعدد من كبار مشيخة الأزهر وغيرهم من العلماء الأعلام.

وبعد الفراغ من تلاوة تلك الأذكار والأناشيد الدينية اللائقة يوزعون الحلوى والشاي على الحاضرين وبعد الفراغ من تناوله ينفضون.

وقد حضرت هذه الاحتفالات أكثر من مرة، وكان ذلك بدعوة من الدكتور التفتازاني، إذ كان فضيلته يرسل لي بطاقة الدعوة للمشاركة في الاحتفال إما بواسطة البريد على عنوان الفندق أو بواسطة الشيخ حسن زيدان، لأنه على اتصال دائم به. وقال لي يوما الأخ الشيخ حسن زيدان أروم مواجهة الأستاذ فذهبت مرة بصحبة الشيخ حسن زيدان لزيارة الدكتور التفتازاني في داره العامرة الكائنة في شارع الأنصار بالدقي ـ وصحبت معي الكتب التي نشرتها في القاهرة وطلبت منه أن يكتب تقديما لأنشره في أول المجلد الثالث من كتاب «وسائل الشيعة» ومستدركاتها «فتفضل سيادته ـ مشكورا ـ بكتابة ذلك التقديم، وقد نشرته في أول الجزء الثالث من إحدى الموسوعات الفقهية الجامعة لأحاديث الشيعة الإمامية الموسومة ب» وسائل الشيعة ومستدركاتها «.

وفي عام ١٩٦٧ م، بعد ما وصلت القاهرة قصدت دار الشيخ حسن زيدان، وعرفته بمجيئ ونزولي في فندق ميامي على عادتي، وكان الشيخ حسن هذا على اتصال دائم بي في الأيام التي أقضيها في القاهرة.

وقد جاءني في أحد الأيام على عادته إلى الفندق فلم يجدني، وكنت في مكتب الدكتور حامد حفني داود ١٩ ـ شارع عبد العزيز ـ ومكتبه بالقرب من فندق ميامي، فجاء إلى مكتب الدكتور حامد وقال:

إذا كانت لك رغبة في الرواح إلى منزل الأستاذ الدكتور التفتازاني فاتصل به

هاتفيا لنذهب هذه الليلة عنده، فاتصلت بفضيلته من مكتب الدكتور حامد وذهبت بمعية الشيخ حسن زيدان إليه وبعد أن وصلنا إلى داره العامرة طرقنا الباب ففتحها فضيلته ورحب بنا كثيرا على عادته، وأدخلنا غرفة الاستقبال المعدة للضيوف، وبعد أن استقر بنا المكان التفت الشيخ حسن نحو الدكتور التفتازاني وقال:

الدكتورة فوقية حسين محمود[1] تهديك السلام وهي مسرورة من حديثك البارحة في التلفزيون، فأجاب الدكتور التفتازاني قائلا: الفضل يعود للسيد مرتضى.

فقال الشيخ حسن: وكيف ذلك؟!

فأجاب قائلا:

كنت حاضرا في دائرة التلفزيون، وإذا بواحد كان يتكلم حول التاريخ الإسلامي وقد ظهر على (شاشة) التلفزيون، وفي أثناء حديثه تطرق إلى ذكر» الشيعة «وقال ما تقوله الخصوم فيهم بالنسبة إلى عقائدهم، وآرائهم؟

فأخبرت شخصية هناك وقلت:

إن هذا الأستاذ غير مطلع على عقائد الشيعة وآرائهم وأنا أعرف منه بعقائدهم، وعندي من كتبهم ما يجعلني أتعرف على حقيقتهم، وبعد أن أتم حديثه دعيت في نفس الوقت وظهرت على (شاشة) التلفزيون وتحدثت عن

---

(١) الدكتورة فوقية حسين محمود: أستاذة في كلية البنات بجامعة عين شمس بالقاهرة، وكان الشيخ حسن زيدان قد حدثها عني فأهدت لي مؤلفها الجديد «الجويني إمام الحرمين» وكتبت عليه الإهداء: فوقية حسين محمود ١٢ / ١ / ١٩٦٧.

المواضيع التي كان الأستاذ قد تطرق إليها وبعد أن انتهى الدكتور التفتازاني من حديثه هذا جاءت الخادمة لنا بالشاي والقهوة، وبعد ذلك قام الدكتور ومد يده إلى كتاب من مؤلفاته واسمه:

(علم الكلام وبعض مشكلاته) الذي تم طبعه في مايو عام ١٩٦٦ م، وكتب عليه: إهداء إلى السيد مرتضى الرضوي مع أخلص تحيات المؤلف وتمنياته.١٩٦٧ م أبو الوفا التفتازاني وقدم فضيلته الكتاب إلي وبعد أن فرغنا من شرب الشاي استأذناه، وانصرفنا.

وفي إحدى سفراتي إلى القاهرة زرت فضيلته في داره وأهديت له الكتب التي قمت بطبعها ونشرها في القاهرة مع كتاب» مصادر نهج البلاغة وأسانيده «وقد اطلع عليها أستاذنا الدكتور التفتازاني وذكر: إنه استفاد منها كثيرا.

وإلى القارئ نص ما كتبه الدكتور عن كتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وسائل الشيعة

وقع كثير[1] من الباحثين، سواء في الشرق أو الغرب، قديما وحديثا، في أحكام كثيرة خاطئة عن الشيعة، لا تستند إلى أدلة، أو شواهد نقلية جديرة بالثقة.

وتداول بعض الناس هذه الأحكام فيما بينهم دون أن يسائلوا أنفسهم عن صحتها أو خطئها.

---

(١) هذا التقديم كنا قد طبعناه في أول الجزء الثالث من كتاب «وسائل الشيعة ومستدركاتها» الذي تم طبعه في دار القومية العربية للطباعة ١٦ شارع النزهة ميدان الجيش بالقاهرة في عام ١٣٨١ هجرية.

وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة من جانب أولئك الباحثين، الجهل الناشئ عن عدم الاطلاع على المصادر الشيعية، والاكتفاء بالاطلاع على مصادر خصومهم.

ومما لا شك فيه أن أي باحث يتصدى للبحث عن تاريخ الشيعة أو عقائدهم أو فقههم لا بد له من الاعتماد - أولا وقبل كل شئ - على تراث الشيعة أنفسهم في هذا التاريخية التي يجدها في كتب خصوم الشيعة تحريا دقيقا، وذلك للوصول إلى الحقيقة ذاتها، وإلى كل ما ينبغي عليه من التجرد عن كل هوى مذهبي سابق يؤثر عليه في إصدار أحكامه.

وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة أيضا أن الاستعمار الغربي أراد في عصرنا هذا أن يوسع هوة الخلاف بين السنة والشيعة، وبذلك تصاب الأمة الإسلامية بداء الفرقة والانقسام، فأوحى إلى بعض المستشرقين من رجاله بتوخي هذا الفن باسم البحث الأكاديمي الحر.

ومما يؤسف له أشد الأسف أن بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحاضر تابع أولئك المستشرقين في آرائهم دون أن يتفطن إلى حقيقة مراميهم.

والشيعة اسم كان يطلق قديما على كل من شايع عليا رضي الله عنه، وقال بإمامته وذريته من بعده نصا ووصاية، وهو يطلق الآن على الاثني عشرية خاصة.

والشيعة عموما يستندون في تشيعهم للإمام علي رضي الله عنه إلى شواهد من الكتاب والسنة.

والاتفاق بين السنة والشيعة في أصول العقائد ظاهر جلي، وذلك إذا استثنينا مسألة الإمامة، إذ يرى أهل السنة أنها قضية مصلحية تناط باختيار العامة على، حين يراها الشيعة قضية أصولية، وأن الإمام المنصوص عليه هو علي رضي الله

عنـه، وأن الإمامـة لا تخـرج مـن أولاده، وإن خرجـت فـبظلم أو تقيـة، وتنحصـر الإمامة عندهم في اثني عشر إماما.

والاتفـاق بـين السـنة والشـيعة في الأحكـام الفقهيـة واضـح بـين، وذلـك إذا استثنينا الخلاف حول بعض الأحكـام الفروعية، مثـل «نكـاح المتعـة» الـذي ثبت نسخة عند أهل السنة ولم يثبت عند الشيعة.

ولم لا يقع الاتفاق بين السنة والشيعة في أصول العقائد والأحكام الفقهيـة إذا كان المصدر الذي يستمد منه كلاهما واحدا وهو: الكتاب والسنة؟.

إن مدى الخلاف الموجود بين السنة والشيعة ليس فيما يبدو لنا بأبعد مما هو موجود مثلا بين مذهبي الإمام مالك وأتباعه من أهل الحديث، والإمام أبي حنيفة النعمان وأتباعه من أهل الرأي والقياس.

فإذا عرفنـا بعـد ذلـك أن أهـل السـنة جميعـا يقـرون بالفضـل والعلـم والتقـوى لأهل البيت الأطهار، ويرون أن لهم منزلة خاصة لا يدانيهم فيها أحد وأن محبتهم والتقرب إليهم من كمال الدين، وباب للقـرب مـن الله، وذلـك لمـا ورد في حقهـم من الكتاب والسنة من الشواهد وعرفنا أن الخـلاف بـين السـنة والشـيعة لـيس بـذي خطر!

ومـع أن التشـيع يسـتند أساسـا إلى شـواهد مـن الكتـاب والسـنة إلا أن بعـض البـاحثين مـن غـير المنصـفين نسـبوه إلى مصـدر غـير إسـلامي! وكـان بالإنصـاف يقتضي في هؤلاء الباحثين ألا يطرحوا هـذه الشـواهد مـن حسـابهم إذا أرخـوا ومـن أراد زيادة في هذا الطلب فعليه الرجوع إلى الكتب المعتبرة في علـم الحـديث عنـد أهل السنة، مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم وغيرهمـا، وذلـك في الأبـواب الخاصة بمناقب أهل البيت رضوان الله عليهم.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد، أن شأن التشيع فيما قيل عنه من أنه دخيل على الإسلام شأن التصوف الإسلامي أيضا، فقد كان بعض الباحثين قديما وحديثا يعتبرون التصوف من صدر غير إسلامي، سواء أكان هذا المصدر فارسيا أم نصرانيا، يونانيا أم هنديا، على حين أن التصوف من حيث هو علم للمقامات والأحوال التي تعرض لقلوب المتعبدين السالكين لطريق الله عز وجل، كالتوكل والرضا، والزهد، والمحبة، والصبر واليقين، والمعرفة والأنس بالله والخوف والرجاء وما إليها، هو علم الأخلاق الدينية مستند أولا وقبل كل شئ، إلى الكتاب والسنة.

وجدير بالذكر كذلك أن بين التصوف والتشيع صلات قوية، وللإمام علي رضي الله عنه عند الصوفية منزلة خاصة رفيعة، فهم يعتبرونه مثلا أعلى في الزهد والتقوى، والورع والصبر واليقين، والرضا والتوكل، وكتبهم حافلة بذكر مناقب ذريته، رضي الله عنهم أجمعين.

ومما يدعو إلى التأمل أيضا أن شيوخ الصوفية من أصحاب الطرق كالرفاعي والبدوي، والدسوقي والجيلاني وغيرهم من جلة علماء أهل السنة من الصوفية يرجعون جميعا في أسانيد طرقهم إلى أئمة أهل البيت الأطهار بسندهم إلى الإمام علي عليه السلام بسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولعل هذا مستند عندهم إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: » أنا مدينة العلم وعلي بابها «وهذا يفيد عند الصوفية خصوصية في علم الحقيقة، أو علم المكاشفة، أو علم الباطن، ليست لغير الإمام علي كرم الله وجهه.

وهناك في كتب أهل السنة أنفهسم شواهد كثيرة على خصوصية الإمام علي في العلم، وحسبنا أن نسوق الرواية التالية على سبيل المثال لا الحصر: » عن

عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال:

إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك.

فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين بل إنه يضر وينفع، وذلك في تأويل كتاب الله تعالى في قوله: ﴿**وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**﴾ ـ فلما أقروا أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رق وألقمه في هذا الحجر، وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان. يشهد لمن وافى بالموافاة، فهو أمين الله في هذا الكتاب؟

فقال له عمر: «لا أبقاني الله في أرض لست فيها يا أبا الحسن»[1].

فعمر بن الخطاب كما يستفاد من هذه الرواية يقبل الحجر الأسود اقتداء بالرسول ﷺ، وهذا شأن كل مسلم في الاقتداء بالنبي.

أما الإمام علي، فهو إلى جانب علمه بأن الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع من حيث هو حجر، إلا أنه يعلم مكاشفة أن الله تعالى إذا أراد له أن يضر وينفع لضر ونفع بإرادة الله، كيف لا وفيه سر ذلك العهد القديم الذي أخذه الله تعالى على أرواح بني آدم في عالم الذر قبل وجودها في عالم الأمر!؟.

وهو شاهد على بني آدم يوم القيامة؟[2].

---

(١) رواه الخمسة، وزاد الحاكم: فقال علي...إلخ، وراجع كتاب الجامع لأصول أحاديث الرسول ٢ / ١٤٩، تأليف الشيخ منصور علي ناصيف، ط، القاهرة ١٣٥٢ هـ.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال في الحجر: «والله ليبعثنه الله يوم ←

وهنا قد يعترض فيقول:

إذن هذا لا يعلل بالعقل، فيرد عليه بأن كثيرا من الأحكام الشرعية لا تعلل بالعقل، لأنه فوق إدراك العقل، والدليل على ذلك أن مناسك الحج لا تعلل، فلم يبدأ بالطواف من الحجر الأسود بالذات؟.

ولم تجمع الحجار من المزدلفة بالذات لرجم إبليس؟

إن لكل شئ سره ولكل مكان خصوصيته!.

فهناك إذن أمور في الاعتقاد أو في التشريع اختص الإمام علي رضي الله عنه وذريته من بعده بعلمها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولذلك لا ينبغي أن يغفل المسلمون من غير الشيعة عن قيمة تراث الشيعة في العقائد وفي الفقه، فهذا التراث يروي عن آل البيت رضي الله عنهم، وهم أئمة في الفقه والتشريع، وسادة لهم فضلهم ومكانتهم في قلوب المسلمين على اختلافهم.

لذا كان سرورنا عظيما بتلك الحركة الناهضة المباركة التي يصطلح بها الأخ الصديق السيد مرتضى الرضوي صاحب مكتبة النجاح بالنجف الأشرف بالعراق بنشر أمهات الكتب في عقائد الشيعة وفقههم.فإن استمرار هذه الحركة من شأنه أن يكشف الحجاب عما خفي عن أعين أهل السنة من تراث إخوانهم الشيعة.

ومن أجل هذه الأمهات من كتب الشيعة كتاب:

القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق» رواه الترمذي وحسنه، «المرجع نفسه ٢ / ١٤٩».

«وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» للفقيه الحجة الشيخ محمد بن الحسن الشهير بالحر العاملي و «المستدرك على الوسائل» للمحقق الميرزا حسين النوري، وقد نشرا معا في هذه الطبعة التي نقدمها للقراء.

والكتابان يتعلقان بالأحكام الفقيهة والآداب المسندة إلى الرسول ﷺ وفقا لمرويات الأئمة من أهل البيت رضي الله عنهم.

ويعد هذا الكتابان مرجعين هامين للغاية للباحثين في تاريخ الشيعة وعقائدهم، وفقههم في الشرق الإسلامي، أو في أوروبا وأمريكا.

وإنا لنرجو مخلصين أن يكون في نشر هذين الكتابين وأمثالهما، ما يحقق غاية التقريب بين السنة والشيعة، وإيجاد نوع من الفهم المتبادل بينهما، فينظر كل فريق منهما إلى الآخر نظرة إنصاف وتقدير.

نسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين جميعا إلى ما فيه خيرهم، وإلى تقوية أواصر المحبة والأخوة بينهم مصداقا لقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة).

والله ولي التوفيق.

د.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني
مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب
جامعة القاهرة
القاهرة في ١٦ جمادى الثانية ١٣٨١ هـ

***

٨ـ الأستاذ عبد الله يحيى العلوي

من مشاهير الكتاب في العالم الإسلامي

- ولادته: ولد في سنغافورة عام ١٩٠٣ م.
- حصل: على الشهادة العالمية عام ١٩٢٠ م في الأزهر الشريف.
- لجأ: إلى أندونوسيا عام ١٩٤٧ م.
- مثل: «الملايو» في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراتشي باكستان عام ١٩٥١ م
- انتخب: عضوا في إدارة المجلس التشريعي بسنغافورة، ونائبا لرئيس جمعية الشبان المسلمين بها ورئيسا لجمعية الدعوة الإسلامية وللرابطة الإسلامية.
- هاجر: إلى القاهرة عام ١٩٥١ م.
- عين: مستشارا لأعمال سفارة اليمن أكثر من مرة وممثلا لحكومتها في أربعين مؤتمرا دوليا وشعبيا وفي جامعة الدول العربية بالقاهرة.
- انتخب عضوا في هيئة جماعة الكفاح ممثلا عن اليمن.
- عين: سفيرا لليمن في أندونوسيا في أواخر عهد سيف الإسلام محمد البدر.
- عين: ممثلا لليمن لدى منظمة الشعوب الآسيوية الإفريقية بعد قيام العهد الجمهوري باليمن.
- حضر: المؤتمرات التي أقامتها المنظمة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

● أصدر: مجلة باسم «عكاظ» واشترك في عدة صحف في سنغافورة كما ساهم في عشرات المقالات الأدبية في صحف القاهرة ومنها: «البلاغ».

● أهم آثاره: «تقرير سياسي منظوم» عن الاجتماع العادي «٣٢» لمجلس الجامعة العربية بالمغرب «تقرير سياسي منظوم» لوحات شعرية في قوالب فكاهية «أنيس منصور» آه منه وآه عليه «أخطاء المنجد» دواوين شعر منها: «المجاج» و «الشجاج» و «أحبها» وغيرها «العربية السعيدة» «منه وإليه» «فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب» «الفاسيات» «ندوة شاهي في رحاب أهل البيت» وغيرها مخطوطة ومطبوعة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت على هذا الأستاذ الكبير في القاهرة في عصر الخميس ٢٣ ذي القعدة الحرام عام ١٣٧٥ هـ الموافق ٢٧ / ١١ / ١٩٧٥ بواسطة الأخ الأستاذ أحمد ربيع المصري سكرتير عام لجنة نشر المؤلفات التيمورية بالقاهرة وكنت أتردد عليه في اللجنة وفي أحد الأيام كنت في اللجنة إذ قدم لي الأستاذ أحمد ربيع كتاب: «المجاج»:

ففتحته فرأيت قد كتب عليه الإهداء باسمي بعبارة رقيقة فيها صفات لا تنطبق علي ولا أستحقها فحمدت الله تعالى على حسن ظن أستاذنا الكبير فذهبت لزيارته بداره العامرة بالزمالك بمعية الأستاذ أحمد ربيع المصري وتفضل مشكورا بإهدائه لي آثاره وكانت جلسة ممتعة ودارت بيننا أحاديث متنوعة.

وفي صباح الأربعاء ٧ / ٤ / ١٩٧٦ اتصل بي الأستاذ أحمد ربيع وقال:

اتصلت بالأستاذ العلوي وعرفته بوصولك القاهرة ويمكننا مقابلته في منزله بالزمالك في غد، الخميس ٨ / ٤ / ١٩٧٦ في الساعة السادسة بعد الظهر.

قلت: سأحضر في عصر غد بعد الساعة الخامسة وفعلا حضرت في الموعد المحدد وذهبت بمعيته إلى أستاذنا العلوي.وفي تمام الساعة السادسة مساء وصلنا داره العامرة وضربنا على الجرس وإذا بأستاذنا الكبير فتح لنا الباب ورحب بنا كثيرا وأدخلنا في صالة الاستقبال وقدم لنا ما يقدم للضيوف ودار الحديث ـ في هذه الجلسة ـ عن أشياء كثيرة منها: الوفاء وقلت: إنني تعاملت مع أشخاص كثيرين هنا بمصر ومع الأسف لم أجد من أحدهم وفاء وبعد ذلك فتحت حقيبتي وأخرجت منها كتابي: «مع رجال الفكر في القاهرة، وقرأت فيه على الأستاذ العلوي لقائي مع المرحوم أحمد خيري باشا وكان عنده كلب وقلت:

قد وضع العرب للكلب «٧٠» اسما تدل على مختلف صفاته وحالاته وقد أعطاه الله تعالى صفات دلت على نبل سريرته فإذا ما وجدت واحدة منها في الإنسان دلت على طهارة نفسه وصفاء ضميره، وطهارة قلبه.

وقلت: بلغني أن بعض المذاهب الإسلامية يجوز أكل لحم الكلب؟! فهل عثرتم على مصدر.

قال: نعم.ثم قام من مجلسه وجاء بكتاب: «الفقه على المذاهب الأربعة» وإذا بالجزيري يقول فيه:

المالكية ـ لهم في الكلب قولان: قول بالكراهية وقول بالتحريم..

ثم قال الجزيري: ويحرم أكل الخنزير والكلب والميتة ـ وهي التي زالت حياتها بغير ذبح شرعي ـ وقال:

في مبحث ما يمنع أكله وما يباح، أو يحل وما لا يحل[1].

وحين قرب وقت الصلاة «صلاة المغرب» قال الأستاذ العلوي:

ما حكم الصلاة في السفر عندكم، الجمع، أو التقصير؟

قلت: المسافر إن نوى الإقامة في بلد يمكث فيه عشرة أيام تجب عليه الصلاة تامة ولا فرق بينه وبين المقيم فيها.

ولو أن المسافر دخل بلدا لأجل عمل له فيه ولا يدري متى يفرغ منه يومين أو أسبوعا أو أقل أو أكثر وحيث أنه لا يمكنه تحديده عليه أن يأتي بالصلاة قصرا لغاية ٢٩ يوما وبعد هذه المدة يتم الصلاة ولو بقي يوما واحدا هذا: ما عندنا نحن الشيعة الإمامية ثم قال الأستاذ:

الأسف أن الشعب هنا يجهل حقيقة الشيعة ولا يعرف عنها سوى ما صوره له أعداؤه!! وقال:

يا حبذا لو أنكم تفكروا بإصدار مجلة أو نشرة ـ وتباع بسعر رخيص تعرضوا فيها آراء الشيعة الإمامية ومفاهيمها حيث أن المصريين يجهلون حقيقتها ولا يعرفون عنها سوى ما صورها الأعداء.

وقلت: هل نص الرسول ﷺ على الخليفة من بعده؟

قال: نعم لقد نص عليها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بأحاديث صريحة صحيحة لا غبار عليها ويفهمها من تجرد عن التعصب وبغض الآل، كما نص عليها أيضا العقل السليم.

---

(١) راجع: الفقه على المذاهب الأربعة: ٢ / ٥ طبعة مطبعة الحضارة الشرقية بمصر.

أما الأحاديث فمنها:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

«أنت ولي كل مؤمن بعدي».

«القرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

«من كنت مولاه فعلي مولاه».

إن هذه الأحاديث فقط، وفقط لمن أمعن في ألفاظها وعمق معانيها لأكبر دليل على استخلاف النبي ﷺ عليا في قومه حين خرج إلى غزوة تبوك، كما استخلف موسى عليه السلام هارون على قومه واستوزره، وأن تشبيه النبي ﷺ عليا بهارون من موسى فيه كل الاستدلال على أن يخلفه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وقصة الغدير المعروفة المتواترة وحدها فقط صريحة في أن النبي ﷺ أثبت الولاية لعلي ليكون خليفته. وقد هم رسول الله ﷺ أن يكتب ـ في مرض وفاته حين رأى الصحابة رضي الله عنهم في هرج ومرج ـ كتابا يحول بينهم وبين الضلال والتفرقة، لولا أن عمر بن الخطاب حال بينه وبين كتابة الكتاب.

وقوله ﷺ «من كنت مولاه فعلي مولاه» صريح في أن عليا أصبح منذئذ مولى كل مؤمن ومؤمنة.

أما الدليل العقلي: على أحقية الإمام علي بالخلافة كرم الله وجهه.

فهو أن الخلافة وتولي أمور المسلمين بعد رسول الله ﷺ لا يجدر أن يتولاها إلا من كان نسيج وحده، وقريع دهره في الشمائل والفضائل، وقد فات أقرانه، وأربى على الأكفاء، وتميز عن النظراء، وترفع عن الأشكال، وانفرد عن

مواقف الأشباه، لا تفتح العين على مثله ولا يلقى نظيره، ولا يدرك قرينه، كاملا في دينه، وفي عمله، وفي تقواه، لإعلاء كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ونصرة سيد الأنام ﷺ.

وكان أسبق الخلق إلى الإسلام، غير مدافع وأفضلهم وأشجعهم، وأتقاهم غير معارض.

وكل هذه الصفات مستجمعة في الإمام علي الذي ولد مسلما، وأسلم بأمر من الله تبارك وتعالى، وتخرج من مدرسة الرسول الأعظم ﷺ وترعرع وشب منذ نعومة أظفاره في رحاب سيد الوجود وإمام المتقين ﷺ وكان جهاده في سبيل الإسلام فوق كل جهاد، وتقواه فوق كل تقوى، وبطولاته فوق كل بطولات، وإيمانه وزهده فوق كل زهد وإيمان، يصغي إلى النبي ﷺ.

وهو يناجي ربه وخالقه فيرتوي من أقواله وعظاته ويعرف الفضيلة من مصدرها، والعرفان من ينبوعه، والإيمان من مقلعه، عرف كل ذاك.

وهو وليد في رحاب إمام المتقين ﷺ وحيث عنى بتربيته، يضعه النبي ﷺ في حجره ويضمه إلى صدره، ويكنفه في فراشه، ويمسه جسده الشريف ﷺ ويشمه عرقه، ويريه نور الوحي.

إن شريط التاريخ حين يمر على العقل السليم، وهو يستعرض كبار الصحابة رضي الله عنهم، وأعمالهم فردا فردا، ويقارن بينه وبين أعمال الإمام علي كرم الله وجهه، وجهوده، وجهاده، ونشأته ومكانته من الرسول الأعظم ﷺ إلخ، ليحكم دون تردد، بأنه الأجدر بالخلافة، والأحق بها، دون ريب.

أي عقل يا ترى لا يقر أن عليا كرم الله وجهه، أحق بالخلافة، وقد أعطاه النبي ﷺ الولاية؟ وهو الذي ولد مسلما، وأخلص بالشهادة لله، وسبق إلى

الإسلام بدعوة من الرسول الأعظم ﷺ؟.

أي عقل يا ترى لا يقول أن عليا كرم الله وجهه ليس أحق بالخلافة وهو الذي ولد بالكعبة، ولم يسجد لصنم قط، وشارك النبي ﷺ في أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة وهو الذي كان في حروب الرسول ﷺ من أولها إلى آخرها ما عدا غزوة تبوك حيث استخلفه الرسول ﷺ على المدينة.

أي عقل لا يقول إن عليا أحق بالخلافة وهو الذي قال فيه النبي ﷺ «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة وهو الذي لم يدع بيتا في العرب، إلا ترك فيه ناعيا، أو ناعية من أجل: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة، وهو الذي قتل وحده من جيش المشركين في يوم بدر النصف بينما قتل المسلمون بأجمعهم، وأكتعهم، وأبصعهم وأكملهم النصف الآخر؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ «أنا مدينة العلم وعلي بابها»؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة وهو ظهيره، وأخوه في الدنيا والآخرة، وعيبة علمه ووارث حكمته، وسابق الأمة، وصاحب النجوى، وباذل الأموال سرا وعلانية، ووارث الكتاب وذو الأذن الواعية؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية علي في الخلافة، وهو أمير المؤمنين، ويعسوب

الدين، وزوج البتول وقاتل الفجرة.وصاحب الراية، وسيد العرب؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية علي في الخلافة وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لولا علي لهلك عمر»؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية الإمام علي في الخلافة، وقد تقدم الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إليه يوم غدير خم، وكل منهما يقول: «بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟»

أي عقل لا يؤمن بأحقية الإمام في الخلافة وهو الذي قال فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل: «إن الحق معه حيث دار»؟

إن عليا كرم الله وجهه، هو الأحق بالخلافة، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتلكم الصفات المجتمعة فيه، ولا ريب.

ولم تـــــك تصــــــلح إلا لـــــــه ولم يــــــك يصــــــلح إلا لهــــــا

وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة من بعد الرسول، مع وجود الإمام الفاضل ليس دليلا على أفضلية أبي بكر على علي[1].

---

(١) قال ابن أبي الحديد:

قال النقيب: ومما جرأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن علي ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره.وأنكر على الرسول مرارا أمورا...إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه:

إئتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدي.

وقوله ما قال وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه.

وأعجب الأشياء أنه قال له ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله.فافترق الحاضرون من المسلمين في

إنها السياسة في كل زمان ومكان، إنها حصيلة يوم السقيفة، إنها نتاج اختلاف الآراء يوم طلب سيد الوجود ﷺ إلى الحاضرين من أصحابه أن يؤتوه دواة وصحيفة، ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده.

ثم قلت: هل تنعقد الخلافة بالنص أم بالإجماع؟

أجاب: لا ريب أنه إذا جاء النص بطل ما دونه وهو قاعدة أصولية.

وقلت: ما رأيكم في فتح باب الاجتهاد، وما هو السبب في غلقه؟

قال: لقد ظل الاجتهاد مفتوحا منذ الفتح، وما زال عند الإمامية والزيدية ورثة أهل البيت إلى الآن ولم يسد بابه إلا في عصر المنتصر العباسي، وبأمر من

الدار فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله ﷺ، وبعضهم يقول القول ما قال عمر.فقال رسول الله وقد كثر اللغط، وعلت الأصوات: قوموا عني، فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع فهل بقي للنبوة مزية، أو فضل؟!...

فمن بلغت قوته، وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص.

ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من الأنصار ولا ينكر عليه أحد...وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة، وأفظع، وأشنع.

شرح نهج البلاغة: ٣ / ١١٧ ـ ١١٨.

وأخرج أبو يعقوب بن شيبة بن الصلت المتوفى سنة ٢٦٢ هج عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب أنه قال:

لقد صالح نبي الله (صلى الله عليه وسلم) أهل مكة يوم الحديبية على صلح، وأعطاهم شيئا.لو أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) أمر عليا أميرا فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعت له ولا أطعت...

مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ٥٥ ط بيروت تحقيق كمال يوسف الحوت.

عنده ولأمر يجيش في نفسه، ويخشى من تفاعله وأثره على دولته وحكمه. خصوصا عندما اشتد الصراع بين رجالات المذاهب الفقهية في ذلك العصر، وبين فقهاء الرأي وفقهاء الأثر بالأخص.

ومن الأسباب التي حالت دون استمرار الاجتهاد عند أهل السنة انقراض العلم وجمود الفكر، وخمول الذهن، وشلل الرأي، وقد يكون خوف السلطة الحاكمة من استمرار الاجتهاد، وتصدي المجتهد لأوضاعهم، والفتوى ضدهم، عاملا من عوامل غلق باب الاجتهاد وتفشي الجمود الفقهي.

ثم قلت: هل أمر الرسول ﷺ باتباع أحد المذاهب الأربعة، وما رأيكم فيها؟

قال: كيف يأمر الرسول ﷺ باتباع مذهب معين في زمن لم تكن فيه تلكم المذاهب؟

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون في النوازل إلى الكتاب والسنة، وإلى ما يتمخض لديهم من النظر عند فقد الدليل، وكذلك تابعوهم، فإن لم يجدوا، نظروا إلى ما أجمع عليه الصحابة فإن لم يجدوا اجتهدوا، واختار البعض قول صحابي أو تابعي أو إمام حين يطمئن إلى الدليل ويأنس به، ولا يتعين على المسلم أن يتقيد بتقليد مذهب معين، ولم ينقل عن السلف الحجز في ذلك، وتقليد أئمة المذاهب الأربعة، وعدم التقيد بتقليد مذهب، أو قول معين أمر جائز، والتلفيق بين أقوال المذاهب لا محذور فيه (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) والالتزام بتقليد إمام أو مذهب معين لم يحدث إلا في القرن الثالث من الهجرة وبعد فناء القرون التي أثنى عليهم الرسول ﷺ.

ومن المؤسف أن الحكام في ذلكم العصر والسياسة لعبت دورها في تقييد

الشعب المحكوم عليه بتقيد مذهب معين، تمشيا على مذهب: «الناس على دين ملوكهم».

على أنه قد تواترت الروايات عن الإمام مالك، أنه حين قال له الرشيد: أنه يريد أن يحمل الناس على مذهبه، نهاه عن ذلك.وكذلك الإمام الشافعي القائل: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وقال أبو حنيفة: لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يفتي بكلامي.

وقال أحمد: لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا غيره.

لقد شوهت الحقائق، واتهم كل فريق الآخر بشتى التهم، ورماه بما ليس فيه وخلط الشيعة بين أهل السنة والنواصب، وخلط أهل السنة بين الشيعة والغلاة منهم.وكانت النتيجة الحتمية هي القطيعة بين مئات الملايين من المسلمين مع الأسف الشديد.

إن هناك ولا ريب خلافات في المذاهب ولكن لم تمس والحمد لله أركان الإسلام على أنها بفضل انتشار الشيعة، وتعارف بعضهم بعضا، وأخذ الحقائق الفقهية والعلمية من مصادرها، وقد وهنت خيوطها وضعفت أسبابها، وكادت تتلاشى في المجتمعين الشيعي والسني، وعرف كل منهم أن ما بين تلكم المذاهب من خلافات لم تمس الجوهر من كل مذهب، ولا تستوجب القطيعة والتكفير برغم تعصب الكثيرين من أهل السنة الذين يجهلون مذهب الإمامية، ويروون الموبقات مع الأسف - عنهم.

إنها الآراء الجامحة، والأقلام الطائشة، والحكومات الحاكمة، والجهل المتفشي، والتعصب الأعمى، كل ذلك مجتمعة أو بعضها قد فعل فعله في الماضي وما زال عالقا بالأذهان، وضخمه وبالغ فيه.لا عن قصد ولكن عن جهل

وعصبية.

وعلى علماء المسلمين، وهم المسئولون أولا أن يعطوا بكل ما أوتوا من قوة وسلطان للتقريب بين المذاهب، وتبادل الزيارات، وتعرف بعضهم إلى بعض ويزيلوا تلكم الحوائط الثلجية ولا ريب مع الإخلاص في العمل.وإزالة الأتربة عن العقول المتحجرة، وعن التزمت، سوف تذوب تدريجيا، ويتم اللقاء بين الطوائف الإسلامية على وجهه الأكمل إن شاء الله.

وسألت الأستاذ عن أبي هريرة وقلت:

ما رأيكم في أبي هريرة، وفي أحاديثه؟

أجاب: رأيي فيه رأي عمر بن الخطاب حين ضربه بالدرة، فلقد قال فيه:

«أكثرت يا أبا هريرة من الرواية، وأحرى بك أن تكون كاذبا على رسول الله»[1].

---

(1) **شخصية أبي هريرة**

قال الأستاذ الكبير عبد الله يحيى العلوي:

«في كتاب» الأحكام» للآمدي: أنكر الصحابة على أبي هريرة كثرة روايته إلخ».

ويقول ابن قتيبة: كانت عائشة رضي الله عنها أشد الصحابة، والسابقين الأولين إنكارا على أبي هريرة لتطاول الأيام بها وبه.

وكان الإمام علي كرم الله وجهه سيئ الرأي في أبي هريرة وقال عنه:

ألا إنه أكذب الناس.أو قال: «أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة».

وممن اتهم أبا هريرة بالكذب: عمر، وعثمان، وعلي.

ولما قالت عائشة: إنك لتحدث حديثا ما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار، إذ قال لها ـ كما رواه ابن سعد، والبخاري، وابن كثير وغيرهم ـ:

شغلك عنه ﷺ المرآة، والمكحلة.

ثم هدده وأوعده أن يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد، لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس، أو بأرض القردة، وجاء مثل هذا في «البداية والنهاية».

وقلت: هل زرتم مراقد أهل البيت في العراق، وما هي انطباعاتكم عنها؟

قال: لقد كان لي شرف زيارة تلك البقاع الطاهرة حيث يرقد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولا أقول إلا:

تلــــك أرض قدســـــت تربتهـــا   واســــتقر المجـــد في أبوابهـــا

كيـــف لا تصـــبح أسمـــى مشـــهد   وبنــــو خـــير النبـــيين بهـــا؟

وقد أفزعت كثرة رواية أبي هريرة: عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له:

أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله ثم هدده، وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده.

وقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقي ابن مخلد الأندلسي قد احتوى في حديث أبي هريرة على: ٥٢٧٤ روى البخاري منها: ٤٤٦.

وقد استعمل عمر أبا هريرة على البحرين عام ٢١ ثم بلغه عنه أشياء تخل بأمانة الوالي العادل فعزله، واستدعاه وقال له:

هل علمت من حين أني استخلفتك على البحرين وأنت بلا نعلين.! ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار، وستمائة دينار.

وفي رواية عن أبي هريرة نفسه أن عمر قال:

يا عدو الله، وعدو كتابه سرقت مال الله من أين اجتمعت لك عشرة آلاف دينار؟!».

«تقرير سياسي منظوم» مطبعة دار التأليف بالمالية بالقاهرة.

ثم قلت للأستاذ: هل اجتمعتم بعلماء الشيعة الإمامية المتمسكة بمذهب أهل البيت؟ وما هي انطباعاتكم عنها؟

قال سيادته: لا شك أن علماء الشيعة المتمسكين بمذهب أهل البيت الذين حملوا مشعل شريعة جدهم الرسول الأعظم ﷺ على هدى ونور من الله، وأأسف جد الأسف إذ لم يكن لي حظ التعرف بأولئك الأعلام، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتيح لي زيارتهم في مدائنهم.

وسألت الأستاذ عن رأيه في الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق وفي فتواه بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية التي أصدرها عام ١٩٥٩ م.

أجاب: التعبد بمذهب الإمامية لا يحتاج إلى استئذان من شيخ الأزهر أو عالم أزهر حسب أن مذهب الإمام جعفر الصادق، أعلم الناس باختلاف الفقهاء، وأكمل أهل زمانه وأورعهم، وأنصحهم لله.

ملأت آثاره دنيا العرب والإسلام.مذهب اعتصره صاحبه من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن أحاديث جده الرسول الأعظم ﷺ.

ثم قلت: ما رأيكم حول التقريب بين المذاهب الإسلامية؟.

قال: الدعوة إلى التقريب بين المذاهب مطلوب من كل مسلم، لكون المسلم أيا كان مذهبه أخوه: يحرم عليه عرضه، ودمه، وماله.والمسلم أخو المسلم، لا يخذله ولا يهجره، ولا يبغضه، والحب في الله، والبغض في الله من الدين.

ومن الأسف الشديد أن أكثر علماء السنة يجهلون حقيقة المذهب الإمامي

ويتناقلون دائما عما سمعوه من تقولات حول الشيعة وورثوه جهلا عن آبائهم وأجدادهم، من تفشي زواج المتعة بينهم.وتأليههم للإمام علي، الأمر الذي ليس له وجود بينهم اليوم.رغم أن زواج المتعة[1] لو طبق اليوم لما وصل التفسخ

---

(١) **تحريف حديث المتعة في صحيح البخاري**

قال السيد الإمام الخوئي، روى هذا الحديث:

كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس معنا نساء، فقلنا له: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل.

ثم قرأ عبد الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين).

رواها عن البخاري جماعة من المحدثين، والمفسرين، والفقهاء بهذا النص، ولكن الموجود في صحيح البخاري المتداول الجزء ٦ الصفحة ٥٣ يخالف ما ذكره هؤلاء من وجهين:

١ـ حذف كلمة: «ابن مسعود» من سند الحديث ـ وقد ذكره معظمهم ـ لأنه يقول: بجواز المتعة، حتى لا تكون قرينة على أن المراد بهذه الرواية هو جواز نكاح المتعة وترخيصه».

٢ـ حذف كلمة: «إلى أجل» من آخر الرواية، لأنها صريحة في ترخيص نكاح المتعة، كما فهمها الشراح وفسروها، لأن الترخيص في النكاح في هذا المورد لا بد وأن يكون ترخيصا لنكاح المتعة، دون النكاح الدائم، خاصة وأن المقصود من:

«ليس معنا نساء» أي نساؤنا وزوجاتنا، لا مطلق النساء، وإلا لم يكن معنى للترخيص في النكاح في تلك الحالة، ويؤيد ذلك ما ورد في بعض المصادر «ليس لنا نساء».

ولدلالة هذه الرواية على نكاح المتعة ادعى غير واحد من الفقهاء نسخ هذا الحكم الثابت في هذه الرواية بتحريم نكاح المتعة بعد ذلك بروايات أخرى تفيد تحريمها.

ومع أن ذلك لا يتم لهم لأسباب مرت عليك ـ عند مناقشة تلك الروايات في آية المتعة ـ فإن يد التحريف تناولت هذه الرواية فغيرتها عما كانت عليه من الصحة.ألا قاتل الله التحريف، وأهواء المحرفين.!

ومن المحدثين، والمفسرين، والفقهاء الذين رووا الحديث المذكور عن البخاري على وجه الصحة هم:

بشباب المسلمين إلى ما وصل إليه الآن.

إن علماء السنة كثيرا ما ينسبون إليه الشيعة كافة بما فيهم الإمامية.قولا لغلاة الشيعة أو لفقيه من الإمامية خالف علماءهم جميعا، أو قولا لجاهل لا يفهم عن التشيع شيئا.والشيعة الإمامية أنفسهم لا يقرون به.لأنه قول فرد أفراد خالفهم فيه أكثر فقهاء المذهب نفسه.

وقول مجتهد.أو جماعة من المجتهدين.لا يكون حجة على الآخرين.

ومن الخطأ أن ينسب إلى مذهب الإمامية قول وجد في كتاب عالم منهم.

⟵

(ا) البيهقي: في سننه الجزء ٧ الصفحة ٣٠٠ طبعة حيدر آباد.

(ب) السيوطي: في تفسيره الجزء ٢ الصفحة ٣٠٧ طبعة الميمنية بمصر.

(ج) الزيلعي: في نصب الراية الجزء ٣ الصفحة ١٨٠ طبعة دار التأليف بمصر.

(د) ابن تيمية: في المنتقى الجزء ٢ الصفحة ٥١٧ طبعة الحجازي بمصر.

(هـ) ابن القيم: في زاد المعاد الجزء ٤ الصفحة ٨ طبعة محمد علي صبيح بمصر.

(و) القنوجي في الروضة الندية الجزء ٣ الصفحة ١٦ طبعة المنيرية بمصر.

(ز) محمد بن سليمان في جمع الفوائد الجزء ١ الصفحة ٥٨٩ طبعة دار التأليف بمصر

ولهذه الرواية مصادر أخرى وهي:

(ح) مسند أحمد: الجزء ١ الصفحة ٤٣٠ طبعة مصر ١٣١٣.

(ط) تفسير القرطبي: الجزء ٥ الصفحة ١٣٠ طبعة مصر ١٣٥٦.

(ى) تفسير ابن كثير: الجزء ٢ الصفحة ٨٧ طبعة مصر البابي الحلبي.

(ك) أحكام القرآن: الجزء ٢ الصفحة ١٨٤ طبعة مصر ١٣٤٧.

(ل) الاعتبار للحازمي: الصفحة ١٧٦ طبعة حيدر آباد.

وهناك مصادر أخرى كصحيح أبي حاتم البستي وغير ذلك من أمهات المصادر.

البيان في تفسير القرآن ص ٥٤٦ للسيد الإمام الخوئي قدس سره.

ومن عرف طريقتهم.وتتبع كلمات علمائهم.تجلت له هذه الحقيقة بأوضح معانيها.وما أحوج علماء الشيعة والسنة اليوم إلى التزاور والتآلف ليعرف بعضهم بعضا على حقيقته.وليقطعوا دابر الساسة الذين فرقوا المسلمين إلى مذاهب.

ثم قمت بعد أن انتهت الجلسة فاستأذنته وانصرفت.

وفي مساء السبت ١ / ٥ / ١٩٧٦ م حضرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية لمقابلة الأستاذ أحمد ربيع المصري سكرتير عام اللجنة حيث كنت على موعد معه من قبل وبعد لحظات تناول الأستاذ ربيع التليفون وتحدث مع أستاذنا السيد عبد الله العلوي وأعلمه بحضوري فتفضل أستاذنا العلوي وكلمني وحددت معه المقابلة في داره العامرة في مساء الاثنين ٣ / ٥ / ١٩٧٦ م.

وفي الموعد المحدد توجهت إلى زيارته وصحبت معي كتابين «أصل الشيعة وأصولها» بقلم الإمام كاشف الغطاء النجفي و «تحت راية الحق» للعلامة الكبير الشيخ عبد الله السبيتي العاملي[1].

وطلبت من أستاذنا أن يكتب انطباعاته عنه.

وقلت: لعلنا نوفق للقيام بنشره إن شاء الله، ومد أستاذنا يده وتناول «أصل الشيعة» وصار يتأمله وينظر فيه وقال:

---

(١) تحت راية الحق: رد به مؤلفه على ما لفقه أحمد أمين المصري في فجر إسلامه من مفتريات واتهامات ألصقها بالشيعة الإمامية استوحاها من أسياده المستشرقين أعداء الإسلام.جمعها ونشرها بين المسلمين لتفتيت عضدهم خلافا لما أمر الله تعالى به من التمسك والاعتصام حيث قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فياله من موقف مخز يوم القيامة يوم يعض الظالم على يديه، يوم لا ينفع الندم، وعند ذلك يخسر المبطلون.وطبع تحت راية الحق الطبعة الرابعة منه في القاهرة في: دار التوفيقية للطباعة بالأزهر عام ١٣٩٨ هـ.

لو يوجد تاجر ثري يطبع من «أصل الشيعة» آلافا من النسخ ويوزعها مجانا لكان أسدى بهذا أكبر خدمة إلى الإسلام لأن الكثير لا يعرفون عن الشيعة أي شئ والتقريب بين المسلمين ضروري في هذا العصر.

وبعد هذا: أثنى سيادته ثناء عاطرا على مؤلفنا «مع رجال الفكر في القاهرة» وقد سبق أنني قدمته لسيادته في رحلتي السابقة إلى القاهرة وقال:

أي واحد يقرأ كتابك: «مع رجال الفكر» يجد فيه الملح، والطرائف، والبيانات.

وفي هذه الجلسة المباركة جرى حديث الصلاة بالخفين أو النعلين فعرضت رأي الإمامية بجواز الصلاة في النعل العربي وقلت:

أورد صورا عديدة صاحب كتاب «فتح المتعال» في أوصاف النعال.

وعندنا تصح الصلاة في النعال إذا كان طاهرا وإن كان نجسا مشى به على الأرض وهي تطهر باطن القدم والنعل بالمشي عليها أو المسح بها بشرط أن تزول عين النجاسة إن كانت ويعتبر في الأرض أن تكون يابسة وطاهرة ـ والنجاسة الحادثة من المشي على الأرض النجسة. ولا فرق في الأرض بين التراب والرمال والحجر. وأن لا يمنع الإبهامين من الرجل حال السجود على الأرض بحيث أن تكون رؤوس الأصابع ظاهرة من النعال لإمكان مباشرتها الأرض.

وأما القير والأسمنت فلا يطلق عليه أرض ولا يطهر باطن القدم والنعل.

وكان النعال العربي في عصر الرسالة لا يستر ظاهر القدم ويمسكه بخيط رفيع وحديث أن النبي ﷺ مسح على نعليه: لأن المسح ببعض اليد مجز.

ثم قام سيادته وجاء بكتاب: «نفحات القرآن»، وكتاب «الأحاديث القدسية»

بجزأيه من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وتكرم سيادته بإهدائهما لي فأخذتهما شاكرا له هديته الثمينة وانصرفت.

وفي زيارتي للأستاذ العلوي قبل أسبوع كان قد حدثني عن ابن عمه المرحوم العلامة الكبير السيد محمد بن عقيل بن يحيى العلوي صاحب كتاب: «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» إنه اجتمع بالشيخ جمال الدين القاسمي في حفل قد أقيم تكريما لفضيلته عندما زار دمشق وهذا نصه:

بعد الحرب الأولى بسنة سافر ابن عمنا السيد محمد بن عقيل العلوي إلى العراق وإلى دمشق وفي دمشق أقيمت حفلة تكريم لابن عمنا السيد محمد بن عقيل وحضرها لفيف من الزعماء والعلماء منهم الشيخ جمال الدين القاسمي[1] وفي أثناء الحفل سأل القاسمي لماذا رددت على: «النصائح الكافية» وأنت ممن يعرف ما فيها من أدلة صحيحة، وحجج قوية.

أجاب وكان الخجل قد أخذ منه مأخذه:

إنني أردت من تأليفي وردي على «النصائح الكافية» أن ألفت أنظار

---

(١) الشيخ جمال الدين القاسمي من النواصب ومن ألد أعداء الشيعة وخصومهم ومن المناوئين للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل البيت وكان مقيما بدمشق ويقال له: «علامة الشام» وكان نظيره في القاهرة محب الدين الخطيب يحمل النصب والعداء السافر لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عامة ولشيعتهم خاصة أنظر تعليقه على الطبعة الثالثة من العواصم والقواصم المطبوع بالمطبعة السلفية عام ١٣٨٧ هـ وحدثني عنه العلامة المحقق الشيخ محمد زهري النجار في القاهرة أنه كان حاضرا عنده من الظهر إلى المغرب وجده لم يؤدي الصلاة وكان تاركا لها وقد لقيا حتفهما الشامي، والخطيب.

نعوذ بالله من سوء العاقبة ويومئذ يخسر المبطلون.

المسلمين إلى ما في هذا الكتاب من بينات وحقائق.

وقال هذا وهو خجل بأنه يؤلف كتابا وهو غير مؤمن بما فيه.

فأجاب السيد محمد بن عقيل العلوي:

إنما الأعمال بالنيات.

ثم قال أستاذنا العلوي: وفي ذلك الحفل سئل ابن عمنا هل لمعاوية فضل قال:

ليس يعرف لمعاوية أي فضل[1].

---

(١) قال ابن أبي الحديد:

معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس وأمه هند وقال:

وكانت هند تذكر في مكة بفجور ونقل ابن أبي الحديد عن الزمخشري في ربيع الأبرار وقال:

كان معاوية: يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد وقد كان أبو سفيان دميما قصيرا.

شرح النهج ١ / ١١١ الطبعة الأولى بمصر

وقال ابن عبد البر: قال أبو عمر قالوا فلما قتل حمزة ﷺ وثبت عليه [هند] فمثلت به، وشقت بطنه، واستخرجت كبده فشوت منه وأكلت.

الإستيعاب بهامش الإصابة: ٤ / ٤٢٦ ط مصر

وذكر الدميري: أن معاوية رأى من الشرفة رجلا مع جاريته فدخل عليها وقال للرجل: ما جرأك على ذلك؟.

فقال الرجل: حلمك يا أمير المؤمنين. فحلم عنه معاوية وتركه.

حياة الحيوان ٢ / ٢٣٠ ط مصر

وقال السيوطي: الديلمي في التاريخ حديث من خرج يدعو إلى نفسه أو إلى غيره وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاقتلوه.

تاريخ الخلفاء ص ٩٢ رقم الحديث: ٨٨

وقال سبط ابن الجوزي: وقد سئل جدي أبو الفرج ﷺ فقيل له:

أشهد معاوية بدرا؟ فقال: نعم.ولكن من ذلك الجانب ـ يعني من جانب الكفار ـ

تذكرة الخواص: ١٠٤

وأخرج نصر بن مزاحم عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قالا:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه».

قال الحسن فما فعلوا، ولا أفلحوا.وقعة ص ٢١٦ ط مصر.

وذكر الشيخ محمود أبو رية معاوية وقال: معاوية بن أبي سفيان.

ومعاوية مطعون في دينه وقد كان في الجاهلية زنديقا، وأصبح بعد الإسلام طليقا.«وقد ورث عن أبيه قوته، وقسوته، وكيده، ودهاءه، ومرونته كذلك، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكرا للإسلام، وبغضا لأهله، وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر فثار لها المشركون يوم أحد.ولكن ضغنها لم يهدأ، وحفيظتها لم تسكن، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارها».

علي وبنوه للدكتور طه حسين ص ٦١

ويقول الشيخ محمود أبو رية:

وهند هذه هي التي أغرت وحشيا بحمزة عم النبي حتى قتله ثم أعتقته.

ولما قتل حمزة بقرت بطنه، ولاكت كبده، وفعلت فعلاتها بجثته!

وإذا كان معاوية قد ورث بغض علي عن آبائه مما حدثناك عنه فإن هناك أسبابا أخرى تسعر من نار هذا البغض منها: أن عليا قتل أخاه حنظلة يوم بدر، وخاله: الوليد بن عتبة وغيرهما كثير من أعيان، وأماثل عبد شمس.

ومن أجل ذلك كان معاوية أشد الناس عداوة لعلي يتربص به الدوائر دائما، ولا يفتأ يسعى في الكيد له سرا وعلانية، قولا وعملا.

شيخ المضيرة ص ١٧٤ ط دار المعارف بمصر.

فقال جمال الدين القاسمي تريد أن يقطعوا راتبي وأنا موظف هنا؟!

وقمت مستأذنا أستاذنا العلوي وانصرفت[1].

---

(١) السيد العلامة مرتضى الرضوي (مقتبس من كتابه مع رجال الفكر في القاهرة) المطبوع في بيروت / دار الهادي / الطبعة الخامسة ـ ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.

المتحولون

حقائق ووثائق





www.karzakan.com

❖ المهندس معتصم زكي.

❖ عضو حزب التحرير في فلسطين سابقاً.

❖ تحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام حديثاً.

❖ له قول شهير في أغلب حواراته عندما سئل عن حركة التشيع في فلسطين قال: (اعتقد أن أغلب المستبصرين في فلسطين إنما يستبصرون بسبب السيد القائد الأمين العام لحزب الله "السيد حسن نصر الله" دام عزه ومجده وحفظه الله للأمة الإسلامية جمعاء).



المهندس معتصم زكي

لن يتغير واقع الأمة الإسلامية بدون نهج آل البيت عليهم السلام

دعا المهندس الفلسطيني معتصم زكي (عضو حزب التحرير بفلسطين سابقاً) المسلمين إلى اتباع نهج أهل البيت عليهم السلام متسائلاً «أين نحن من وصية رسول الله؟ إن جميع بقاع المسلمين ـ غير الشيعة ـ لا يعرفون أهل البيت عليهم السلام ، فكيف ينصر الله أمة لا تعرفهم؟!، مضيفا»(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فعندما نريد أن نغير واقع الأمة يجب علينا أن نغير ما في قلوبنا وعقولنا على أساس نهج آل البيت عليهم السلام ، فنحن إنما نكون أقوياء بالتمسك بكتاب الله وعترة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

جاء ذلك في لقاء مفتوح استضافه فيه الموكب الحسيني في مأتم قرية كرزكان (البحرين) ليل أمس الثلاثاء الموافق للثاني عشر من أبريل ٢٠٠٥م.

وعلى رغم ما نقله من أن بعض الجماعات الإسلامية في فلسطين ـ كما هو في غيرها ـ تكفر الشيعة، إلا أن زكي ـ الذي أعلن تشيعه قبل عام ـ قال«إن الجميع في فلسطين يحبون السيد حسن نصرالله، ولكن حين تقول لهم أنه شيعي، يقولون لك: لا! الشيعة شيء ونصر الله شيء آخر! فيما أنني أعتقد أن أغلب المستبصرين الفلسطينيين يستبصرون بسبب السيد».

المهندس معتصم زكي قال أن زوجتي تشيعت قبل شهر واحد فقط، أي بعد

ما يقارب العام من تشيعه، وعند سؤاله عن أولاده قال مازحاً: لديّ خمسة أولاد صغار... سيصبحون شيعة بالطبع!.

واقع الأمة الإسلامية ونهج أهل البيت عليهم السلام

وكان زكي قد بدأ حديثه عن واقع الأمة الإسلامية إذ قال ينبغي أن يكون واقعها كما هي الآية الكريمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، إلا أن الأمة اليوم أصبحت من أذل الأمم، وأصبحنا كالأيتام على مائدة اللئام، وإن العقل والشرع يرفض ذلك، فأين هو الخلل؟

وأضاف: المريض يبحث عن الطبيب المختص لتشخيص علاجه، والأمة مريضة فمتى أصيبت بهذا المرض؟ هل هو بعد إطاحة أتاتورك في تركيا بالدولة العثمانية عام ١٩٢٣م؟ أم ماذا؟

واعتبر«السقيفة» بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم محطة الخلل التي لم يتبع فيها المسلمون وصية نبيهم حين قيل له«حسبنا كتاب الله»، وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وهو القائل أيضاً: «مثلي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»، وهذه الأحاديث متواترة لدى كل المسلمين من أبناء العامة والشيعة.

ووجه زكي خطابه إلى الحاضرين بقوله: لقد أراحكم الله من عناء البحث (عن الحقيقة بالتشيع)، فادعوا إلى ذلك بكل ما لديكم من قوة، إن الفلسطينيين بحاجة إليكم فادعوهم إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، وكل المسلمين بحاجة إلى

هذا الخير، هذا واجبكم الشرعي بحسب الأدلة الشرعية والعقلية، فأنا أعتقد أن فلسطين لن تتحرر إلا على يد المؤمنين. مشيراً إلى أن التشيع لآل البيت عليهم السلام يعد جوهر الإيمان وحقيقته، وفي موضع آخر استشهد بقول الأمين العام الأسبق لحزب الله الشهيد السيد عباس الموسوي (يأبى القدس أن يتحرر إلا على يد المؤمنين).

قصة الاستبصار

وعن كيفية تحوله إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام والذي دعاه إلى ذلك، قال المهندس: كنت في حزب التحرير وهو حزب إسلامي بفلسطين لحوالي ١٧ عاماً، إلا أنني لاحظت الكثير من المشكلات التي نعاني منها، والتي لا سبيل لذكرها الآن، وفي إحدى الفترات تابعت محاضرات للشيخ حميد المهاجر على قناة الرشاد الفضائية التي كانت تبث لمدة ساعة أو ساعتين أيام عاشوراء، ولم أكن حينها أعرف شيئاً عن الحسين وأهل البيت عليهم السلام سوى أن للحسين قصة حزينة.

وبعد أن استمعت إلى الشيخ المهاجر وعرفت أنه يتحدث عن مظلومية الحسين عليه السلام أبكتني القصة كثيراً، وقد ناقشت أفراد الحزب فيها لعلنا نستفيد من ثورة الحسين عليه السلام فدائماً كانوا يتهربون من الحديث في هذا الشأن واتهموني بأني «رافضي»، وكانوا يقولون لي «إنها فتنة عصم الله المسلمين منها فلنعصم منها ألستنا»، وبات مجرد الحديث عن أهل البيت عليهم السلام ممنوعاً ويثير الفتنة!

بعدها اتجهت لمتابعة محاضرات للسيد كمال الحيدري في قناة سحر

الإذاعية، لقد كان يتحدث بشكل رهيب، وكان كلما سمعته ينقض لديّ أفكار بأسلوبه الفكري العقلي المقنع، لقد كنت أسجل محاضراته وأناقش بها أهلي وأفراد الحزب فلم يأتني أحد بأجوبة على أسئلتي، بعدها استقلت من الحزب وقلت«هذا فراق بيني وبينكم».

بعد فترة تعرفت على عالم الإنترنت والشيعة فيه وأخذت أدخل على غرف المحادثة في برنامج البالتوك وأستمع للمناظرات في هذا الشأن، والحمد لله أصبحت الآن شيعياً، ومنطقتي التي أسكنها أصبح فيها العشرات من المستبصرين.

فلسطين والتشيع

وعن انتشار مذهب أهل البيت عليهم السلام بفلسطين، قال: خلال السنوات الثلاث الأخيرة انتشر التشيع في عدد من مدن غزة، وبشكل أقل في مدن بالضفة، هناك العشرات من الشيعة في قلقيلية والعديد منهم في نابلس وطولكرم وغيرها، وهذا إنجاز رهيب حتى الآن.

وعن ما إذا كان الشهيد فتحي الشقاقي (قائد في حركة الجهاد الإسلامي بفلسطين) تشيع قبل استشهاده وأنه سجن بسبب كتاب للإمام الخميني (قدس سره) قال: نعم، كان الشقاقي وبعض قادة الجهاد شيعة، مشيراً إلى أن حركة الجهاد تضم العديد من الشيعة اليوم لكنهم لا يعلنون جهرة عن تشيعهم.

وعن عوامل عدم انتشار التشيع بشكل كبير في فلسطين قال: لا يوجد لدينا كتب عن أهل البيت عليهم السلام، كما أن بعض الجماعات يعتبرون التشيع خطراً قد يفوق خطر اليهود! إنها مشكلة وبجهود الشيعة في العالم يمكننا حلها.

وكشف زكي عن استدعائه من قبل السلطة الفلسطينية لمساءلته عن دعوته

لمذهب أهل البيت عليهم السلام، قائلاً: قلت لهم أن هذا الأمر عقلي وقد توصلت له بمجهودي الخاص وليس بتنسيق مع أحد في الخارج، واعترضوا على أحاديثي بشأن أبي بكر وعمر فقلت لهم بأن الشيوعيين في فلسطين ينكرون وجود الله سبحانه وينكرون رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتقلدون المناصب في الدولة ولهم حريتهم فماذا لو أنني أنكرت أبا بكر وعمر... هذه حريتي في الاعتقاد.

وأضاف: لديّ محل تجاري، وقد واجهني العديد من الزبائن بتهم الكفر والمقاطعة واعتبار بضاعتي نجسة لا يجوز شراؤها، وبعد فترة حين وجدوا أن معتصم الذي يعرفونه بحسن تعامله وحبه لهم وحضوره لأفراحهم وأتراحهم هذا هو لم يتغير، اكتشفوا وأدركوا خطأهم. مضيفاً بلهجته: «الواحد بدّو يتحمّل».

وعند سؤاله: هل هناك ضرر على الشيعة في فلسطين؟

أجاب: هناك ضرر على الشيعة في العالم كله!

رؤيا

وإثر سؤال وجهه له أحد الحاضرين عما إذا كان قد رأى رؤيا في المنام ذات صلة بالموضوع، قال: رأيت أنني كنت جالساً مع الشباب والأصدقاء وكان الجو ماطراً وعاصفاً، فتركتهم وهم مستنكرين ذهابي عنهم في هذا الطقس، فسرت وسط أشجار الصبار والشوك حتى تعبت ولم أعد أحتمل فناجيت الله سبحانه أن ينقذني، وأنا أصرخ: يا الله ساعدني... فإذا بي أرتفع إلى السماء وواصلت المسير فوجدت هناك نوراً ساطعاً ووردة أذهلتني، وهناك امرأة تصلي قد بهرني النور الساطع منها فهو لا يوصف، فسلمت عليها وردت السلام وقالت لي بالحرف الواحد«دير بالك يا ابني»، فسررت بذلك، وعدت لمواصلة المسير فتكررت

الحال وازدادت المخاطر وكدت أسقط على الأرض من شدتها فرجع نفس المنظر مرة أخرى وذهبت إليه فإذا بالسيدة بعد أن سلمت عليها ترد وتقول«لا تسقط يا ابني»، قلت لها أنا لا أستطيع أن أكمل... وصرخت ساعديني... ساعديني... حتى استيقظت من النوم!

متفرقات من الحوار

- إن أكبر مشكلة يواجهها الإنسان عند انتقاله إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام هي نفسه، فقد عشت معركة مع نفسي، أذكر مثالاً صغيراً عليها، إذ أنني تساءلت عن الصلاة على محمد وآل محمد في صلاتنا، كنت أسأل نفسي: من هم آل محمد؟ ولماذا نصلي عليهم في الصلاة؟ أليست صلاتنا عليهم من صلب الدين؟!

إنه سؤال بسيط بالنسبة إليكم، لكنه سؤال صعب جداً في الأردن أو فلسطين فلن تجد اثنان يقولان لك أن آل البيت هم هؤلاء... هذا مستحيل!! أنا رجعت إلى صحيح مسلم ورأيت حديث أهل الكساء وعرفتهم.

- السيد نصر الله كما كان الإمام الخميني يتحلون ببعد نظر في تعاملهم مع القضية الفلسطينية، ويعون للبعد السياسي أكثر منا.

- أعتقد أن أغلب المستبصرين في فلسطين إنما يستبصرون بسبب السيد حسن نصر الله، حين يسأل الفرد من أين لنصر الله هذا الفكر؟ ومن أين له هذا النهج؟ إنه نهج أهل البيت عليهم السلام، فالإسلام الصحيح هو نهجهم والدليل على ذلك محبة السيد نصر الله عند الجميع... الكل في فلسطين يحب السيد نصر الله لكنك عندما تقول أنه شيعي، يقولون لك: لا... نصر الله شيء والشيعة شيء

آخر!!

- لقد حاول الاستعمار تحجيم القضية الفلسطينية، ودعوة الإمام الخميني ليوم القدس العالمي (آخر جمعة من شهر رمضان) أعادت القضية إلى مسارها الطبيعي، وهذا هو الصحيح.

- أول كتاب قرأته عن التشيع كتاب«الحقيقة الضائعة» لمستبصر سوداني.

- أختلف مع الشيعة في بعض الأمور، وهذا أمر طبيعي كون هذا الفكر والمذهب جديد بالنسبة لي، فأنا ما زلت أحتاج إلى البحث عن هذه الأمور، ولكن الأهم هو أنني أتمسك بأساس مذهب أهل البيت عليهم السلام وأحاول بناء عقليتي على ذلك.

- هناك شبهات وقضايا ما زلت أبحثها وهي مثار الاختلاف بين الشيعة أنفسهم، مثل قضية التطبير.

- أقولها بصراحة وهذا اعتقادي الشخصي: «كل من ليس على مذهب أهل البيت عليهم السلام فهو ضال».

- قناة سحر الإذاعية التي تبثها إيران إلى العرب لا تأثير كبير لها في فلسطين.

- حالياً أقلّد السيد القائد لبراءة الذمة، ذلك لأن الإنسان المكلف عليه أن يقلد (في المسائل الفقهية)، لكنني أريد التوسع وإكمال البحث في هذه المسائل وكذلك في مسألة ولاية الفقيه وغيرها.

- نعم، نخطط لإقامة مأتم عزاء (مبسط) في فلسطين عن الإمام الحسين عليه السلام.

- الحصول على التربة الحسينية في فلسطين كالكنز!.

- عند سؤاله: هل هناك فرق بين أن تكون سنياً أو تكون شيعياً؟

أجاب بالآية الكريمة (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). - المستبصر الفلسطيني لم يقابل أي فقيه أو مرجع شيعي كما قال، أما عن سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم فقال: صليت وراءه ولم أقابله بعد، لكنني قابلت عدة علماء هنا في البحرين.

- اعترض أحد الحضور قائلاً: حصر المؤمن في المسلم الشيعي قد يكون موجوداً في الروايات ولكن الوضع الحالي ومسألة الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لا تتناسب مع هذا الخطاب؟

أجاب: يجب أن تكون الدعوة للوحدة على أساس ثوابت محددة، فمثلاً لا يمكن أن أدعو إلى الوحدة على أساس أن الحسين عليه السلام خرج على إمام زمانه يزيد!... نعم علينا أن ندعو إلى الوحدة وفق ثوابتنا... وإلا كيف يكون المؤمن مؤمناً (مع كونه مسلماً) إذا لم يؤمن بولاية أمير المؤمنين؟! لأن ولايته وولاية أهل البيت عليهم السلام ركن من أركان الإيمان. - جئت إلى البحرين بدعوة من بعض معارفي الذين عرفتهم على طريق الإنترنت، وقد لمست من شعب البحرين الطيبة والكرم.

نصيحته للشيعة

فلنحاسب أنفسنا يومياً ماذا فعلنا لنشر الإسلام؟ إن نشر مذهب أهل البيت واجب شرعي وعقلي، وهناك الكثير من المسلمين بحاجة إلى هذا الطريق، وهو طريق النجاة الذي لا يوجد طريق للنجاة غيره.

البريد الالكتروني لمرسل المعلومات: karzakan@hotmail.com



❖ المذيع الكويتي فيصل دويسان.



المذيع الكويتي فيصل دويسان

الإذاعي الشهير المستبصر (فيصل دويسان) يُحرِجُ عثمان الخميس ويثبت هروبه وضعفه:

عزيزي الموقر أخي في الله طيب القلب طاهر النفس فيصل دويسان حفظه الله تعالى، بعد أن حوله بهذا النبأ الصاعق ، لأن ذاك العزيز له شهرة واسعة ومن عائلة مرموقة معروفة في المجتمع الكويتي لشهرة العزيز أبي محمد بارك الله فيه وهدى الله به طيبي القلب أمثاله.

وفجأة تجده وجهاً لوجه مع عثمان الخميس، وكما كان اللقاء فجأة بالنسبة للأخ العزيز أبو محمد كانت هزيمة الخميس فجأة، إذ بسرعة خرّ الخميس على وجهه واحتدّ وغضب وصار يتهم..

أكيد قلبه يحترق من تشيع فيصل مع جدله وتبصره ـ ثم هرب من المباهلة التي كانت قد تواعد مع أبي محمد.

فكما ذكر الأخ العزيز، فإن الخميس قد أنكر وجود حديث الثقلين الصحيح في الترمذي ، تفاجأ الخميس ـ إذ لو كان يعلم بوجود المصدر معه في السيارة لكان استخدم خدعة أخرى أقصد لكل كذاب ـ وهذا التفصيل سمعته مباشرة في البالتوك من أخي أبي محمد بارك الله فيه.

مضمون رسالة المذيع الكويتي
المستبصر فيصل الدويسان يحكي فيها ما جرى مع الخميس:

بسم الله الرحمن الرحيم

خير الأسماء

حضرة الأخ الكريم المبجّل الفخر الرازي حفظه الله تعالى

سلام من الله عليكم ورحمة ..

أما بعد..

تناقل بعض الناس مسألة مناظرة بيني وبين عثمان الخميس المعروف بطعنه بعقائد المسلمين الشيعة، ودرءاً للتحريف اكتب باختصار حكاية المناظرة والاتفاق على المباهلة الذي قطعه على نفسه ثم أخلفه.

فأنا أخي الكريم أكثر الناس بعداً عن الطائفية وحرصاً على جمع المسلمين لا سيّما وأنا ابن عائلة سنية عريقة وأفتخر بانتمائي إليها، ما حدث هو أنه جيئ بي إلى عثمان الخميس ليقنعني بخطأ انتقالي إلى مذهب الإمامية فوافقت على مناظرته شريطة المباهلة وهي نعمة من الله تعالى حيث بواسطتها يرى الناس الصادق ويتبين الكاذب فرفض ابتداء ثم وافق فحضرت بعد أسبوع لمسجد يؤمّ فيه الناس بمنطقة مشرف في الكويت هالني في البداية كيف أنكر وجود حديث صحيح في الترمذي مفاده وجوب اتباع القرآن الكريم وآل البيت عليهم السلام وعندما قلت إن معي سنن الترمذي صدم هو ومن معه من الحضور وعندما قرأته علت وجوههم الدهشة لأنه منذ قليل أنكر وجوده..

بعد ذلك بدأ بالطعن في أحد رواة الحديث واستند لتهذيب ابن حجر بل وخطّأ عالمهم الأكبر الألباني الذي صحح الحديث..

غريب أمر هذا الرجل الذي ينكر وجود الرواية أولاً ثم يطعن بأحد رواتها بعد ذلك لمَ لمْ يوافق على وجودها في صحيح الترمذي من البداية إذن ثم يطعن بها بعد ذلك؟

بعد ساعة اراد إنهاء الجلسة فقلت له إذن هذا موعد المباهلة كما اتفقنا.. فغضب وقال:

باهل نفسك. فمسكت يده وقلت له:

لقد وعدت وأخلفت

فقال: كان ودي أباهلك بس أنت جاهل

فقلت له: ألم أقل لك بنفسي الأسبوع الماضي أني لست عالماً بل جاهل ورغم ذلك وافقت.. فلم تهرب؟

حاولت عندئذ إشهاد الحاضرين وكانوا جميعاً من الوهابية.

فقالوا: نشهد على ماذا؟

أنت لم تجب كما يجب، فقلت اتفقنا على المباهلة وأنتم شهود على ذلك وترك المباهلة وأنتم شهود .. فقال واحدٌ منهم أنا عندي من يباهلك.

فقلت له: إليّ به إذن ..

وهنا يبدو أن عثمان الخميس قد أشار له من ورائي فسكن.

فقلت له:

أين صاحبك الذي يريد المباهلة فصمتوا جميعاً وخرجوا من المسجد وتركوني وحيداً.

فسبحان الله لقد تحققت الرؤيا التي رأيتها في منامي قبل عدة ليال حيث رأيت عثمان الخميس يقوم ويتركني وحيداً دون مباهلة.. وقد فاضت قريحتي بابيات إثر ذلك.

يسعدني أن أضمنها رسالتي ولك مطلق الحرية بنشر الرسالة والأبيات:

وقـــالوا: كيـــف واليـــت عليـــاً؟ إذن أنـــت المُضَـــلَّلُ والتعـــيسُ

فقلـــتُ: أمـــا سمعـــتُم قـــولَ طـــه عـــن الـــثقلين والقـــولُ أنـــيسُ

كتـــابُ اللهِ يُنجـــي مـــن ضـــلالٍ كـــذلك آلُـــهُ الطُهْـــرُ الشـــموسُ

حـــديثٌ قـــد رواهُ الترمـــذيُّ وأخـــرى حيـــث تعضـــدُها نفـــوسُ

فحـــين يقـــول عـــالمُكُمْ صـــحيحٌ تَراغَـــدْتُم وقُلـــتم: ذا دســـيسُ

وآلُ البيـــتِ كالنـــاس ســـواءٌ فقلـــتُ: أمـــا وقـــد حَمِـــيَ الـــوطيسُ

ســـنوقِعُ مـــا اتفقنـــا لا تجـــادلْ ليُفضـــخ مـــن هـــو النـــذلُ الخســـيسُ

فباهـــلْ إن أردتَ الحـــقَّ حقـــاً فحاصـــرني مـــن القـــومِ العبـــوسُ

فَخلَّفـــني بمســـجدهِ وحيـــداً وفـــرَّ مـــن المباهلـــةِ الخمـــيسُ

هذا ولعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن عليّ ولي الله وصلوات الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

أخوك من الكويت فيصل الدويسان ٢٠٠٤م

إن النبي ﷺ لم يخترع طرقاً غير متعارفة لإيصال الدين لأذهان البشر، وبإطلاع الذهن السني الفطري غير الملوّث بالتأويلات والإلتفافات على أقوال النبي الظاهرة في المرجعية الدينية لأهل البيت وهي صحيحة وموجودة في مصادره، ينصدم.. ويقول:

أين علماؤنا عن كل هذا؟!

وهذا الحال ظاهر لكل من خاض نقاشاً مع من يفهم العربية من أهل السنة فيتضح بهذا وبما قدمنا من هو الأقرب للحقيقة والمالك للعذر يوم القيامة.

ومما قاله من الشعر بعد إعلانه التشيع :

نَفْسِي عَلَى ذِكْرِ المُرْتَضَى طَرُبَتْ   وَفِي سَفِينَةِ أَهْلِ البَيْتِ قَدْ رَكِبَتْ

هَويَّتِي عَلَوِيُّ النَّهْجِ قَدْ كُتِبَتْ   لا عَذَّبَ اللهُ أُمِّي إنَّهَا شَرِبَتْ

حُبَّ الوَصِيِّ وَغَذَّتنِيهِ بِاللَّبَنِ   رَضَعْتُ مِنْ ثَدْيِهَا رَدْحاً مِنَ الزَمَنِ

حَتَى نَمَا حُبُّ دَاحِي البَابِ فِي بَدَنِي   للهِ مِنْ حُرَّةٍ طَابَتْ وَمِنْ لَبَنِ

وَكَانَ لِي وَالِدٌ يَهْوَى أبَا حَسَنِ   فَصِرْتُ مِنْ ذِي وذَا أهْوَى أبَا حَسَنِ

وهذه صورة الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حبر الاسعاد

حضرة الأخ الكريم المبجل الشيخ الزين حفظه الله تعالى

سلام من الله عليكم ورحمة أما بعد

تناقل بعض الناس مسألة مناظرة بيني وبين عثمان الخميس المعروف
بطعنه بعقائد المسلمين الشيعة، ودوماً للتعريف أكتب ملخصاً لحكاية
المناظرة والاتفاق على المباهلة الذي قطعه على نفسه ثم أخلفه.
فأنا أخي الكريم أكثر الناس بعداً عن الطائفية وحرصاً على جمع المسلمين
لاسيما وأنا ابن عائلة سنية عريقة وأفتخر بانتمائي السني. ما حدث
باختصار أنه جيء بي إلى عثمان الخميس ليقنعني بخطأ انتقالي إلى مذهب
الإمامية فوافقت على مناظرته شريطة المباهلة وهي نعمة من الله تعالى
حيث سوا بحضرتنا يرى الناس الصادق ويتبين الكاذب فرفض ابتداءً
ثم وافق فحضرت بعد اسبوع لمسجد يؤم فيه الناس بمنطقة مشرف في الكويت
فاجأني في البداية كيف أنكر وجود حديث صحيح في الترمذي مفاده وجوب
اتباع القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام وعندما ناولته نسختي من سنن الترمذي
صدم هو ومن معه من الحضور وعندما قرأته علت وجوههم الدهشة
لأنه منذ قليل أنكر وجوده. بعد ذلك بدأ بالطعن في أحد رواة الحديث
واستشهد بتهذيب ابن حجر بل وخطّأ عالمهم الأكبر الألباني الذي صحح
الحديث. غريب أمر هذا الرجل الذي ينكر وجود الرواية أولاً ثم يطعن
بأحد رواتها بعد ذلك لم لم يوافق على وجودها في صحيح الترمذي من البداية
إذن ثم يطعن بها بعد ذلك؟ بعد ساعة أراد إنهاء الجلسة فقلت
له إذن هذا موعد المباهلة كما اتفقنا. فغضب وقال:
باهل نفسك. فمسكت يده وقلت له لقد وعدت وأخلفت فقال:
كان ودي أباهلك بس أنت جاهل فقلت له: ألم أقل لك بنفسي
الاسبوع الماضي أني لست عالماً بل جاهل ورغم ذلك وافقت. فلم تهرب؟

١

حاولت عندئذ استشهاد الحاضرين وكانوا جميعاً من الصحابة فقالوا: نشهد على ماذا؟ أنت لم تجب كما يجب، فقلت: اتفقنا على المباهلة وأنتم شهود على ذلك وترك المباهلة وأنتم شهود. فقال واحد منهم: أنا عندي من يباهلك، فقلت له: إليّ به إذن.. وهنا يبدو أن عثمان الخميس قد أشار له من ورائه فسكت، فقلت له: أين صاحبك الذي يريد المباهلة؟ فصمتوا جميعاً وخرجوا من المسجد وتركوني وحيداً. فسبحان الله لقد تحققت الرؤيا التي رأيتها في منامي قبل مدة ليال حيث رأيت عثمان الخميس يقوم ويتركني وحيداً دون مباهلة. وقد فاضت قريحتي بأبيات إثر ذلك يسعدني أن أضمنها رسالتي وأطلب من الجريدة بنشر الرسالة والأبيات:

وقالوا كيف واليت علياً ؟ إذن أنت المضللُ والتعيسُ
فقلتُ: أما سمعتم قولَ طه عن الثقلين والقولُ أنيسُ
كتابُ اللهِ يُنجي من ضلالٍ كذلك آلهُ الطُهرُ الشموسُ
حديثٌ قد رواهُ الترمذيُّ وأخرى حيث تعضدُها نفوسُ
فحين يقول عالمُكم صحيحٌ تراجعْتم وقلتم: ذا دسيسُ
وآلُ البيتِ كالناسِ سواءٌ فقلتُ: أما وقد حَميَ الوطيسُ
سنوقعُ ما اتفقنا لا تجادلْ ليُفضحَ من هو النذلُ الخسيسُ
فباهلْ إن أردتَ الحقَّ حقاً فما صبري من القومِ العبوسُ
فخلَّفني بمسجدِهِ وحيداً وفرَّ من المباهلةِ الخميسُ

هذا ولعنة الله علي إن كنت من الكاذبين والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله وصلوات الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين أخوك من الكويت فيصل الدويسان 2006





❖ الممثل السينمائي العالمي الأستاذ صلاح الدين بن سعد.

❖ ولد عام ١٩٥٤م في مدينة قفصة (تونس) (الجريد التونسي) بلد الشاعر الشهير أبو القاسم الشابي رحمه الله.

❖ أنهى دراسته الثانوية العلمية ودرس مادة التقنية والتكنولوجيا على يد أستاذه الدكتور محمد التيجاني السماوي مؤلف كتاب (ثم اهتديت).

❖ درس الباكالوريوس في ألمانيا عام ١٩٧٩م.

❖ غادر مدينة قفصة عام ١٩٧٦م.

❖ درس الطب البشري في ألمانيا من عام ١٩٨٠- ١٩٨٤م.

❖ كان يدرس الطب نهاراً ومعهد الفنون المسرحية ليلاً.

❖ مثّل (٥٤) فيلماً وأشهر فيلم مثّل فيه (٢١ ساعة في ميونخ) وكان دوره الفدائي عيسى الذي اغتال الفريق الرياضي الإسرائيلي في ميونخ (العملية الفدائية).

الممثل السينمائي العالمي الأستاذ صلاح الدين بن سعد

أجرى معه الحوار: هشام آل قطيط

السيرة الذاتية:

* صلاح الدين بن سعد.

* من مواليد ١٩٥٤ مدينة قفصة ـ تونس (الجريد التونسي) الذي أخرج النوابغ من الرجال على مر التاريخ الإسلامي مثل أبو القاسم الشابي المعروف شاعر الغاب الداعية الإسلامي الدكتور محمد التيجاني السماوي مؤلف كتاب (ثم اهتديت) وهذا هو الممثل العالمي صلاح الدين بن سعد الذي رأى في منامه أنّه يمثل دور البطل الشهيد ابن عم الحسين عليه السلام ورسوله إلى العراق (مسلم بن عقيل).

* أنهى دراسته الثانوية العلمية، ودرس مادة التقنية والتكنولوجيا على يد أستاذه الدكتور التيجاني السماوي.

* درس البكالوريوس في ألمانيا عام ١٩٧٩م.

* سافر إلى ألمانيا وغادر مدينة قفصة ـ تونس عام ١٩٧٦م.

* بدأ بدراسة الطب البشري في ألمانيا عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤م.

كان يدرس الطب نهاراً، ويدرس في معهد الفنون المسرحية ليلاً وآخر الليل

كان يقرأ القرآن وهذا الفضل يعود إلى أبويه.

فدرس الطب ووصل إلى السنة الرابعة وتركها لأسباب سنذكرها.

بالإضافة إلى أعمال أخرى كان يقوم بها منها: ممارسة الرياضة حيث أنه حصل على بطولة مدينة فرانكفورت في ألمانيا ثم حصل على بطولة ألمانيا في المرتبة السابعة وفي أوروبا (قسم ألعاب القوى).

بالإضافة إلى كل هذه المواهب والطاقات يتكلم خمس لغات عالمية الإنكليزية ـ الفرنسية ـ الإسبانية ـ الإيطالية ـ الألمانية، وشيئاً من اليونانية بالإضافة إلى اللغة الأم اللغة العربية.

السبب الذي جعله يغادر كلية الطب بعد وصوله السنة الرابعة، اكتشاف طاقته الموهوبة وذكائه الحاد ودقة ملاحظته وعبقريته الإبداعية من قبل الروائي الشهير والكاتب الألماني المعروف.

(Bodokirchoff) بودوكيرشوف فعرض على الأخ صلاح دور رئيسي في مسرحية (الحوار مع الجسم) هذه المسرحية التي أخذت نجاحاً باهراً في عاصمة ألمانيا.

حيث كرم من قبل محافظ فرانكفورت لنجاحه في هذا الدور المميز وقال له حرفياً:

«نحن نفتخر بك لتعدد مواهبك ونجاحك البارز».

وبعد كل هذا اهتمت به كبرى الشركات العالمية السينمائية والمسرحية وإلى الآن مثّل (٥٤) فيلماً عالمياً باللغة الإنكليزية.

وأشهر فيلم أجنبي عرفته الدول العربية والأجنبية ألا وهو فيلم (٢١ ساعة في ميونخ) وكان دوره الفدائي عيسى الذي اغتال الإسرائيليون في ميونخ في العملية الفدائية.

وآخر فيلم عالمي مثّل فيه (صلاح الدين الأيوبي إنتاج أميركي بريطاني للمخرج العالمي (Ridly Scott) ردلي سكوت.

ومن أراد معرفة المزيد عنه:

WWW. bcn Saad. De

Email: bensaad 2 @Freenet. de

* زوجته سورية من حمص وله ولد عمره سنة ونصف وسماه (محمد كاظم).

* عديله الأخ والصديق رياض علي ديب من اللاذقية ـ قرية الشبطلية.

* يسكن حالياً في مدينة فرانكفورت ـ ألمانيا.

* أعلن عن تشيعه عام ١٩٨٢م.

ونتيجة تردده الكثير إلى سورية وزيارة المقامات المقدسة مثل مقام السيدة زينب عليها السلام ومقام السيدة رقية عليها السلام ومقامات السبايا في الباب الصغير.

فهو يعرفني بعد قراءته لكتابي (واكتشفت الحقيقة .. من بيروت كانت البداية)، ومشروعي الأخير (المتحولون) فقال لي: اطلعت عليه في مدينة ألمانيا بعد لقائي بأحد الأخوة اللبنانيين في مكتبته فأطلعني على هذا المشروع الباهر فأعجبت به واجتمعنا عدة مرات وكان برفقة عديله الأخ رياض.

التقيت به يوم الجمعة بعد الصلاة في مقام السيدة رقية عليها السلام في ٢ من محرم الحرام ١٤٢٥هـ وقرّرنا أن نعمل معه حواراً حول رحلته الموفقة نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

فأجريت معه هذا الحوار في منزل الأخ رياض.

* فها هو عزيزي القارئ أحد عمالقة الشاشة العالمية يتكلم معنا ويجيب

على أسئلتنا بكل وضوح وصراحة وفي شهر محرم الحرام حول رحلته نحو منهج أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل.

* بداية نرحب بالأستاذ صلاح الدين بن سعد الممثل العالمي الشهير الملتزم بأدواره وسلوكه المستقيم، ونحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا للقاء به في شهر محرم الحرام لننقل لك عزيزي القارئ تجربة مريرة ونبوغ واضح، وكلام نبيل لباحث قضى ردهة من الزمن في بطون الكتب والمصادر والمقارنة والتمحيص والتدقيق ليشنف أسماعنا فنقول له أهلاً وسهلاً في شهر الحسين عليه السلام في شهر محرم.

- أشكرك يا شيخ هشام على التزامك وحماسك في هذا العمل المشرف وهو نقل تجارب المفكرين والعلماء والمثقفين الذين تحولوا نحو منهج أهل البيت عليهم السلام.

س١- بداية أستاذ صلاح الأسئلة كثيرة، ولكن أقول لك وأنت في شهر محرم الحرام عظم الله أجورنا وأجوركم بمصاب الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة الذي أريق دمه الشريف في هذا الشهر لينير أمامنا الدرب، ليبدد لنا الظلمة أسألك ما شعورك وأنت في بداية شهر محرم الحرام؟

ج: شعوري يا شيخ لا أستطيع أن أصفه لأنّه مليء ومشحون بالطاقة ولكن أتحدث لك بكل صراحة أولاً أحمد الله الذي وفقني بعد زيارة السيدة رقية عليها السلام أن نجتمع في هذا اللقاء الموفق لأوصل رسالتي وكلامي إلى العالم أجمع والشباب الإسلامي بشكل خاص لأقول لهم إنّ عاشوراء ليست للذكرى، بل عاشوراء درس بليغ يجب أن نستفيد منه العبرة والعظة، عاشوراء الحسين عمالقة ومفكرون وقادة سياسيون تحدثوا عنها وتعلموا منها غاندي قائد سياسي هندي

ليس له علاقة بالإسلام قال: «لقد تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر».



والزعيم الباكستاني الراحل محمد علي جناح خاطب أبناء شعبه في إحدى المناسبات الدينية قائلاً ما نصه:

«من ثورة الحسين استلهمنا الدروس والنضال والصمود والتضحية ففزنا بالنصر، وكان الله في عوننا».

والرئيس الراحل جمال عبد الناصر لدى افتتاحه الضريح الجديد المرسل من مسلمي الهند إلى مقام رأس سيدنا الحسين عليه السلام حيث كان الرئيس جمال عبد الناصر في مقدمة الذين حضروا لإزاحة الستارة عن الشباك الذهبي الجديد فخاطب الشعب والمحتفلين بقوله:

«السلام عليك أيّها القائد العظيم الذي أعلن أول ثورة في الإسلام ضد المتسلطين على رقاب الشعوب المظلومة».

حتى أعداؤه كمعاوية بن أبي سفيان فهو يقول عن الحسين عليه السلام ما نصه:

«إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزراً إلى أنصاف ساقية».

هذا غيض من فيض يا شيخ.

س٢ـ أستاذ صلاح هل حفظت ما قيل من الشعر في الإمام الحسين عليه السلام ؟

ج : أنت تحرجني بعض الشيء ولكن الحقيقة علقت في ذهني بعض الأبيات للشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري بحق الإمام الحسين عليه السلام :

فداءً لمثواك من مضجع تنوّر بالأبلج الأروع

بأعبق من نفحات الجنان روحاً ومن مسكها أضوع

ورعياً ليومك يوم الطفوف وسقياً لأرضك من مصرع

والذي يجرح قلبي ويزيد في جراحاته أنّ الكثير من المسلمين في العالم لم يفهموا ثورة الحسين عليه السلام لم يكتبوا عنها كما يجب أنا أتأثر نفسياً وشعورياً عندما أجد أنّ الكثير من المفكرين المسيحيين كتبوا عن ثورة الحسين عليه السلام وقالوا فيه ما قالوا: قرأت كتاباً للكاتب المسيحي أنطوان بارا اسمه الحسين في الفكر المسيحي وغيره من هذه العناوين وقرأت في كتاب مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: قول أحد القساوسة :

«لو أنّ عندنا مثل الحسين لرفعنا في كل مدينة بيرقاً ونصبنا في كل زاوية منبراً ودعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين».

تأملت هذا القول ملياً أحس بالضيق الشديد فأحسست بالراحة وتنفست الصعداء بعد خروج تلك الدموع الساخنة فأتذكر بعض الأبيات للشاعر المسيحي

بولس سلامة والقصيدة طويلة بعنوان علي والحسين:

حَمَل المجد خافقاً في لوائه بطل ظل مفرداً في سمائه

هاشمي صافي الفرند براه الله، نصراً لمصطفى أنبيائه

***



والحقيقة الحديث ذو شجون طويل عن عاشوراء وأختم قولي بكلماتِ قالها الداعية الإسلامي الكبير الشيخ عبد الحميد كشك المصري عن عاشوراء:

«عارٌ وشنارٌ إذا لم نحيي عاشوراء، فعاشوراء ليست لمذهب دون مذهب بل للعالم كله».

للإسلام كله، الحسين لكل العالم، الحسين قائد أول ثورة في العالم ضد الطغاة، فيجب أن نتعلم منها ونستفيد منها في هذا العصر بالخصوص.

س٣ـ أستاذ صلاح سمعت أنّك في المنام قد قمت بدور فني أو فيلم عالمي عن الحسين عليه السلام يكون دورك فيه لشخصية القائد البطل رسول الحسين إلى أهل العراق (مسلم بن عقيل)؟ وكيف كانت الرؤيا؟

ج: كنت نائماً في منزلي الكائن في مدينة فرانكفورت الألمانية بعد صلاة الليل وقراءة القرآن، جاءني رجل في المنام يرتدي العباءة السوداء والعمة الخضراء وجهه كالنور لم أستطع النظر إليه فقال لي: وخاطبني باسمي: «بني صلاح تكلم من الآن وإذا عرض عليك أن تمثل شخصية مسلم بن عقيل فلا تتردد».

فاستيقظت أحدّث نفسي ما الذي جرى؟ ما الذي حصل؟ ما المطلوب منّي؟

يا إلهي هل يأت يوم وأمثل دور هذه الشخصية العظيمة الخالدة التي كانت تمثل صراع الحق مع الباطل فلا زالت هذه الرؤية تفعل فعلها في نفسيتي حتى يأت هذا اليوم؟

فإنّه قريب إن شاء الله وأملي كبير في الله بأن أوفق في فيلم عالمي عن الحسين عليه السلام، وعن شخصية مسلم بن عقيل.

س٤ـ أخ صلاح هل لك أن تحدثنا عن الشرارة الأولى التي لمعت في بصيرتك متى وكيف؟ وأدّت إلى توجهك نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ج: الشرارة الأولى بدأت من آية التطهير ما نصه قوله تعالى في كتابه العزيز: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[١].

فمن هنا بدأت معي التساؤلات هل هذه الآية محصورة بأهل البيت؟

أم أنّ نساء النبي قد دخلت في هذه الآية؟

بدأت بالبحث والتحقيق فوصلت إلى أنّ العلماء قد اختلفوا في تحديد آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله إلى أقوال:

القول الأول: آل البيت: هم الذين حرمت عليهم الصدقة وهم بنو هاشم

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

وهذا القول هو اختيار الأكثرين ولا شك أن بعضهم أخص بكونه من آل البيت من بعض، فعلي وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم[1].

القول الثاني: آل البيت هم ذريته وزوجاته.

القول الثالث: إنّ آل النبي محمد ﷺ هم أتباعه إلى يوم القيامة وهذا القول ضعيف.

وأقوال أخرى لا تصمد أمام البحث العلمي.

فمما استدل أصحاب القول الأول: «الذين قالوا بأنّ آل البيت هم الذين حرموا الصدقة بحديث زيد»[2].

وعن زيد بن أرقم أنّ النبي ﷺ قام فيهم خطيباً بماء يدعى خمّاً[3] وفيه أنّه ﷺ حثّ على التمسك بكتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي وأذكركم الله في أهل بيتي، وأذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهلي بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده وفي رواية أخرى: قيل من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده»[4].

وحديث عمر بن سلمة: قال: نزلت هذه الآية[5]: (إنما يريد الله ليذهب

---

(١) منهاج السنة: ج٧ ص٧٥ ـ ٧٨.

(٢) حديث زيد: حديث غدير خم.

(٣) خم: منطقة تقع بين مكة والمدينة.

(٤) صحيح مسلم: برقم (٢٤٠٨) كتاب فضائل الصحابة باب ٤ رقم ٣٧.

(٥) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) في بيت أم سلمة، فدعى النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب الرجس[1] وطهرهم تطهيراً»[2] قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: أنت على مكانك وأنت إلى خير، قال: وفي رواية نقلها أحمد بن حنبل في مسنده الرواية: «قالت أي أم سلمة، فأدخلت رأسي البيت، فقلت وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنّك إلى خير، إنّك إلى خير»[3].

س٥ـ هل في ذهنك آيات أخر نستدل بها على أفضلية أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم بالخلافة والإتباع؟

ج: نعم، نعم هناك آيات كثيرة أذكر منها آية الولاية:

وهي قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[4] هذه الآية نزلت في الإمام علي بإجماع المفسرين السنة والشيعة حتى ابن كثير يذكر في تفسيره وذلك رغم عدائه المعروف لأهل البيت عليهم السلام.

وآية المودة: وهي قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى).

وآية التبليغ التي نزلت على النبي في آخر الدعوة الإسلامية وهي قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته

---

(١) الرجس: قيل هو الشك، وقيل العذاب، وقيل الإثم، قال الأزهري: الرجس: اسم لكل مستقذر من عمل.

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٧٨٧) ومسلم بمعناه برقم ٢٤٢٤ كتاب فضائل الصحابة باب رقم ٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل رقم٤٤ برقم ٢٦٥٠٨.

(٤) سورة المائدة: آية ٥٥.

والله يعصمك من الناس)[1]. فبلغ الرسول يوم غدير خم بأنّ الولاية والخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام وحديثه المشهور والمتواتر الذي تنقله كتب السنة والشيعة على حد سواء وهو ما نصه: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ونزول آية الإكمال يوم الغدير (اليوم أكملت لكم دينكم) راجع الدر المنثور للشيخ السيوطي الشهير في ذيل تفسير قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) المائدة: ٣. عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم) راجع الدر المنثور: (١٩/٣) للسيوطي.

وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ رقم ٤٣٩٢ وشواهد التنزيل للحسكاني ٢٠٠/١ حديث ٢١٠ وص٢٠٣ ح٢١٣، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٨٥/٢ ح٥٨٨ وآيات كثيرة يضيق الحديث والحوار عن ذكرها.

س٧. وهل لك يا أستاذ أن تذكر لنا بعض الأحاديث التي ألوت بعنقك إلى هذا التحول العظيم نحو هذا المنهج؟

ج: يا أخي يا شيخ هشام لماذا أنت مصرٌ في هذا الحوار على كتابة التفاصيل بدقة عن قصة تحولي. أنا ذكرت لك بعض الآيات القرآنية الواضحة والصريحة التي لا تقبل التأويل ولا التبرير وعلى القارئ أن يذهب ويفتش ويبحث ويراجع المصادر إن أراد معرفة الحقيقة.

س٨. عفواً يا أخي صلاح إنّ الآيات القرآنية تحتاج إلى بيان من السنة النبوية فأنا أريد منك أن تذكر لي بعض الأحاديث النبوية الصريحة أيضاً والواضحة التي من

---

(١) سورة المائدة: آية ٦٩.

خلالها عرفت الحقيقة إذا سمحت هل لك أن تذكر لي بعض الأحاديث؟

ج: من الأحاديث الواضحة والصريحة الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه[1] عن النبي ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»وهذا ما يعرف بحديث المنزلة.

وهذا الحديث واضح وصريح على خلافة علي عليه السلام بعد رسول الله.

وإن أردت أن أعرض لك بعض أوجه الشبه في المنازل للزيادة في الاستدلال فسأذكرها لك.

أول منزلة: إنّ هارون كان شريكاً لموسى في أمره وكذلك علي عليه السلام شريك رسول الله ﷺ في أمره على الإمامة والخلافة ولم تستثنى من ذلك سوى النبوة فقط.

والمنزلة الثانية: إنّ هارون كان أخاً لموسى عليه السلام فكذلك علي عليه السلام كان أخاً لرسول الله بدليل حديث المؤاخاة المتواتر نقله بين الفريقين[2].

والمنزلة الثالثة: إنّ هارون عليه السلام كان وزيراً لموسى وكذلك علي عليه السلام كان وزيراً لرسول الله ﷺ.

والمنزلة الرابعة: إنّ هارون كان أفضل قوم موسى عند الله تعالى، وكذلك علي عليه السلام عنده أفضل أمة النبي عند الله ورسوله أيضاً.

والمنزلة الخامسة: إنّ هارون كان أعلم قوم موسى عليه السلام وكذلك علي عليه السلام كان أعلم قوم أمة محمد ﷺ بعد النبي.

والمنزلة السادسة: إنّ هارون كان معصوماً من الخطأ والنسيان وكذلك علي

---

(١) صحيح البخاري: ج٢ ص١٩٧ في باب مناقب علي بن أبي طالب.

(٢) راجع حديث المؤاخاة بين علي والنبي في مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٣٠.

كان معصوماً من الخطأ والنسيان.

والمنزلة السابعة: أبى رسول الله محمد ﷺ إلاّ أن تكون أسماء بني علي إلاّ كأسماء بني هارون (شبر وشبير ومشبر أي حسن وحسين ومحسن) فأراد بهذا النبي التأكيد على المشابهة بين الهارونيين وتعميم الشبه بينهما من جميع المنازل ومن هنا أحب أن ألفت إلى قضية مهمة وربما تكون حساسة نحن نعرف الحسن والحسين أي شبر وشبير (لكن ما قصة مشبر) أي محسن لا يعرف عنه المسلمون شيئاً إلاّ القليل.. القليل.

نحن نعلم أنّ الحسن عليه السلام قتل بالسم والحسين مات شهيداً في كربلاء أمّا المحسن فمن هنا يا أخي يجب أن نعرف قصة المحسن، وما أدراك ما قصة المحسن؟ كيف أسقط هذا الجنين وهو في بطن أمّه الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين؟ كيف غيب ذكره عن ألسنة المسلمين؟ وما قصته؟ لماذا غفل المفكرون والعلماء عن ذكره؟ والسؤال الذي أطرحه على القارئ والمستمع أين قبر أم المحسن فاطمة الزهراء عليها السلام لا أحد يدلنا عليه لماذا؟ ما الخطب؟ ما الأمر؟

فإليك الجواب من شاعر أهل البيت عليهم السلام الأزري:

فلأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها

فمضت وهي أعظم الناس وجراً في فم الدهر غصة من جواها

وثوت لا يرى لها من قبرٍ أي قدس يضمه مثواها

فما هو السر على عدم معرفة قبر سيدتنا فاطمة روحي لها ولبعلها ولنبيها الفداء، التي ماتت بعد أبيها بستة أشهر وهي التي أوصت علياً عليه السلام بإخفاء قبرها لماذا؟

لتستشف فينا روح الثورة وتحذرنا على مرّ العصور كي نبقى نتذكر دائماً أن

قبرها في قلب كل موالٍ ومحبٍ لفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، وإن قبر فاطمة في قلب كل مسلم واعٍ عرف الإسلام بعد بحثٍ وتحقيق ومقارنة.

فأنا أقول لكل قارئ إن كنت تشكك في كلامي فارجع إلى المصادر والبحث في التاريخ والسيرة والصحاح لتعرف صدق ما أذهب إليه.

س٩ـ عفواً أستاذ أنت في طرحك هذا زدتني عقيدة فوق عقيدتي في منهج أهل البيت عليهم السلام وجعلتني أنسى أن أقول لك هل لديك أحاديث أخرى تستدل بها؟

ج: عندي حديث واحد فقط أذكره لك واضح وصريح وهو ما نصه:

روى الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه الصحيح، واللفظ للترمذي والإمام أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

وقال محمود شكري الألوسي البغدادي أحد علماء أهل السنة: «وهذا الحديث ثابت عند الفريقين أهل السنة والشيعة، وقد علم منه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا في المقامات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين العظيمين القدر والرجوع إليهما في كل أمر، فمن كان مذهبه مخالفاً في الأمور الشرعية اعتقاداً وعمداً فهو ضال»[2].

---

(١) الترمذي الجامع الصحيح ـ ط بيروت ١٩٨٧ ج٥ ص٦٤٢ صحيح مسلم: بيروت ـ دار القلم ط١ ١٩٨٧ ص١٨٧٣ مسند الإمام أحمد: ط١ بيروت دار الفكر ١٩٧٨م ج٣ ص١٧، ١٤، ٢٦ ج٥ ص١٨١.

(٢) مختصر التحفة الإثني عشرية: استنبول مكتبة ايشق ١٩٧٦ ص٥٢.

س١٠ـ ما رأيك في موضوع وقضية الصحابة هل أنّ الصحابة كلهم عدول برأيك أم لا؟ ماذا يمكن أن تفيدنا في هذا الحوار حول هذا الموضوع؟

ج: أنت تسألني وتحاورني في مواضيع حساسة لدى المسلمين بل وخطيرة لكن لابدّ لي أن أدلي بدلوي حول هذا الموضوع ولو بشكل مختصر فالذي جعلني أتجرأ وأتكلم حول موضوع الصحابة كنت أقرأ في بداية استبصاري في صحيح البخاري فوقفت على بعض الروايات التي أخرجها الإمام البخاري في صحيحه بالإسناد إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أرى يخلص إلاّ مثل همل النعم»[١].

وفي حديث آخر:

أخرج في آخر باب الحوض عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال النبي ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي ﷺ منكم وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي؟ فيقال: هل شعرت ما عمل بعدك؟ والله ما برحوا يدعون على أعقابهم»[٢].

وأخرج في الباب المذكور عن سهل بن سعد، قال:

قال النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مرَّ علي شرب، ومن

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: ج٤ ص٩٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ـ باب الحوض.

شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم».

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم فقال: اشهد على أبي سعيد الخدري تسمعه وهو يزيد فيها: فأقول: «إنهم مني، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي».

وكثير من الأحاديث يا أخي لو أردت فتح هذا الملف لكتبنا المجلدات وهذا بالإضافة إلى بعض الآيات القرآنية التي تحضرني الآن مثل آية الانقلاب.

قال تعالى في كتابه العزيز: (وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً).

وأيضاً في سورة البقرة آية الآية٩ يقول تعالى في كتابه الكريم: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم).

وفيهم من كان يؤذيه (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)[١]. ومن الصحابة من اتخذوا أيمانهم جنة كقوله تعالى: (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين)[٢].

وكثير من الحقائق قد كشفها القرآن الكريم وبين عنها بكافة صورها ونماذجها كقوله تعالى: (يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا

(١) سورة التوبة: الآية ١٠١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦١.

إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً)[1].

وأقول في نهاية المطاف:

إنّ رأي سماحة العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب (المراجعات) هو الرأي السليم والأصوب حيث قال: «رأي الشيعة في الصحابة أوسط الآراء».

وقال أيضاً ما نصه حرفياً: «إنّ من وقف على رأينا في الصحابة علم أنّه أوسط الآراء إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعاً، ولا أفرطنا إخراج الجمهور الذين وثقوهم أجمعين، فإنّ الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة»[2].

وقال أهل السنة والجماعة: بعد أدلة كل فرد منهم ممن سمع النبي ولاّه من المسلمين مطلقاً.

وأمّا نحن الشيعة: فإنّ الصحابة بمجردها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة لكنها بما هي ومن حيث هي غير عاصمة فالصحابة هم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين وفيهم مجهول الحال فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة وأنا متأثر بما قاله العلامة شرف الدين (قدس سره ورحمه الله).

س١١ـ أستاذ صلاح كيف كنت تتصور تلك الهالة المقدسة للصحابة جميعاً ألم تشعر بأنك كنت في طوق من العزلة بحيث ممنوع تفكر أو تنتقد أي صحابي حتى لو أنّ الصحاح كشفت بعض الحقائق فنجد أن أغلب علماءكم عندما تسأله

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١٦.

(٢) راجع كتاب شرف الدين في أجوبته لموسى جار الله.

عن الصحابة يقول لك مباشرة (الصحابة كلهم عدول) ما رأيك حول هذا السؤال؟

ج: نحن أجبنا عن رأينا في الصحابة وبينت أن رأينا هو رأي الشيعة وهو أوسط الآراء «ونحن أمة وسطا» لكن أحب أن أقول: إنّ نظرية عدالة جميع الصحابة هي نظرية مخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية بدليل إني قد بينت بعض من الأدلة القرآنية ومن السنة النبوية في السؤال السابق.

لكني أحب أن أضيف نقطة مهمة جداً وهي أنّ الهالة المقدسة مطابقة لنظرية عدالة جميع الصحابة وهذه النظرية هي من مختلقات الاستخبارات الأموية في ذلك العصر للتغطية والتمويه على الجرائم والموبقات التي ارتكبها معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد بحق آل البيت عليهم السلام روحي لهم الفداء.

ولا تنسى يا أخي أنّ معاوية أوجد بعض المبررات لوصوله إلى سدة الحكم فذلك لابدّ أن يختلق بعض النظريات والمبررات لدعم شرعيته في الحكم فلذلك لجأ إلى الوضع والدس والتزوير في الأحاديث النبوية لتبرير خلافته وزعامته، ولذلك قرب كعب الأحبار الحبر اليهودي، وتميم الداري وأبو هريرة وغيره ممن تجرءوا بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا تنسى أنّ الاستخبارات الأموية اختلقت شخصية عبد الله بن سبأ هذا الشخص الموهوم بأنّه هو واضع أحاديث الوصاية من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحق علي عليه السلام.

وبدلاً من أن تنتقد الصحابة مثل طلحة والزبير وعائشة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم في حرب الجمل التي خاضتها عائشة ضد إمام الأئمة علي بن أبي طالب فلابدّ هنا من إيجاد مبرر لوضع وتحميل كل هذه الجرائم في عنق شخصية وهمية هو (عبد الله بن سبأ) لتبرير ساحة هؤلاء الصحابة فاختلقت الاستخبارات

ذلك الدور البارع والذكي الذي انطلى على كثير من المسلمين في العالم وإلى اليوم الكثير من المفكرين الإسلاميين هم ضحايا لهذا الأعلام المضاد وأقولها بكل صراحة ومع الأسف الشديد نحن في عصر العلم والتحقيق والبحث والاستقصاء فكيف تنطلي مثل هذه الأمور على أغلبية الشباب المسلم المثقف؟ حتى أنّ الباحث المصري صاحب الموسوعة اليهودية (الدكتور عبد الوهاب المسيري) وقع في شخصية عبد الله بن سبأ وقال أنّها موجودة في إحدى كتبه.

س١٢. عفواً أستاذنا الكريم كيف استطعت كسر هذا الطوق والخروج عن المألوف ومخالفة أبناء جلدتك في طريقة تفكيرك هذه؟

ج: استطعت كسر هذا الطوق بالعزيمة والإرادة وحكمت عقلي ورجعت إلى الأدلة بنفسي كالصحاح مثلاً وكتب السيرة والتاريخ وكان شعاري قوله تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

الاستدلال: أتترك الدليل يا أخي وأتبع قول فلان وفلان أو العالم الفلاني قال كذا.. أو فلان قال كذا..

لماذا لا أرجع إلى المصدر فمن هنا أحمد الله سبحانه وتعالى الذي ألهمني القوة والإرادة والفكر المستقل لأتبع الدليل وأتبع قوله تعالى في كتابه العزيز: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب).

فالسبب الرئيسي الذي وضعني على طريق الصواب هو قراءتي لكتاب المراجعات للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين(رحمه الله) وتأملي في تلك الرسائل المتبادلة بينه وبين العلامة الأكبر شيخ الأزهر الشريف (رحمه الله) الذي بين فيه مؤلفه الحوار حول الإمامة بعد رسول الله ﷺ وحديث العترة الطاهرة

ومصيبة الزهراء عليها السلام وحيث السفينة أذكر أنّه أثّر في كل التأثر ما نصه: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» وهو حديث معتبر وصحيح ومتفق عليه بل ومجمع عليه وكما يخطر الآن ببالي أنّ أكثر من مائة مصدر يذكره من كتب أهل السنة مثل صحيح مسلم، ومسند أحمد بن حنبل: ١٤/٣، ١٧، ٢٦ والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء: ٣٠٦/٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩١/١٢.

والإمام فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب في آية المودة.

والسيوطي في تفسيره «وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم» وهذه الآية من سورة البقرة الآية ٥٨ ومصادر أخرى.

وأذكر أنّ الإمام الشافعي (رحمه الله) قد ذكر صحة هذا الحديث الشريف في أبيات له نقلها العلامة العجيلي في (ذخيرة المآل) فلكما انفردت بنفسي كنت أردّدها لشدة ما تأثرت فيها فأردّدها لك الآن:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم   مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا   وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم   كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
إذا افترقت في الدين سبعون فرقة   ونيفاً على ما جاء في واضح النقل
ولم يك ناجٍ منهم غير فرقة   فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفي الفرقة الهلاك آل محمد   أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد   وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل
إن كان مولى القوم منهم فإنني   رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي
رضيت علياً لي إماماً ونسله   وأنت من الباقين في أوسع الحل

***

س١٣ـ هل لديكم أستاذ صلاح بعض الأمور التي تركت الأثر الكبير في نفسيتكم من خلال قراءة كتاب المراجعات أو حادثة معينة مثلاً تحب أن تذكرها؟

ج: أقول لك حادثة عظيمة: فقد اتفق المحدثون والمؤرخون عن النبي ﷺ قال لمن حضر عنده وهو في مرضه الذي توفي فيه: «ائتوني بورق ودواة لأكتب لكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي» فعارضه جماعة فقال أحدهم: إنّ الرجل ليهجر كفانا كتاب الله!!

وعارضه آخرون فقالوا: دعوا رسول الله ﷺ ليوصي.

فكثر اللغط، فقال ﷺ: «قوموا عني فإنّه لا ينبغي النزاع عند نبي».

في رواية أخرى «اختلف القوم واختصموا فمنهم من يقول: قربوا إليه ليكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عنده ﷺ قال لهم (قوموا) فقاموا.

فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب واذكر أنّ السبط ابن الجوزي في كتابه (تذكرة الخواص)(١).

قال: وذكر أبو حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين) ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير «ائتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدي» فقال عمر: دعوا الرجل فإنّه يهجر.

فحادثة رزية يوم الخميس كان لها الأثر الكبير في نفسيتي بحيث ذهلت عندما رجعت لصحيح البخاري ورأيت هذه الحادثة!

---

(١) تذكرة الخواص: ص٦٤ و٦٥ مؤسسة أهل البيت ـ بيروت.

فأقول لكل الشباب الإسلام في العالم يجب أن تقرؤوا الصحاح وخصوصاً صحيح البخاري لما فيه من أحداث رهيبة غفل عنها الكثير من العلماء والباحثين ونهج البلاغة للإمام علي عليه السلام وكتب التاريخ كتاريخ بغداد وتاريخ الطبري وكتب المتشيعين خصوصاً أذكر منها (ثم اهتديت) لابن مدينتي قفصة (التيجاني السماوي) وكتاب (الأنطاكي الحلبي) و(لماذا اخترت مذهب الشيعة مذهب أهل البيت عليهم السلام) علماً أنّ هذا العالم تخرج من الأزهر الشريف ثم تشيع.

س١٤ـ أنت ذكرت كتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ما الذي أثر فيك؟ هل لك أن تذكر لي من خطبه شيئاً؟

ج: أذكر الخطبة الشقشقية الشهيرة الواضحة والصريحة في مظلومية الإمام علي عليه السلام وغصب الخلافة منه وسكوته حفاظاً على بيضة الإسلام ووحدة المسلمين في ذلك التاريخ والذي قال فيها:

«أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير فسدلت ثوبها وطويت عنها كشحاً، وطفقت ارتأي بين أنّ أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىً وفي الحق شجى، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى إلى فلان بعده».. الخ.

س١٥ـ عفواً أخي الكريم الكثير من المفكرين والعلماء يشككون في أصل نهج البلاغة، والأغلب منهم يقول إنّه عبارة عن لملة جمعها الشريف الرضي ما تقول في ذلك؟

ج: أقول إنّ هذا كلام بعيد عن الأنصاف كل البعد:

أولاً: لو تأملت الخطب وفصاحة البلاغة فيها لقلت أنّه كلام فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق.

ثانياً: شرحه الشيخ محمد عبده شيخ الأزهر الشريف ولم يشكك بذلك وهو عالم من العلماء الفطاحل.

ثالثاً: والشارحون له مثل أبن أبي الحديد المعتزلي لم يكن شيعياً على الإطلاق، والشيخ محمد الخضري في كتاب محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية صفحة ٢٧ وغيرهم ممن صرحوا إنّ الخطبة الشقشقية من بيان الإمام علي عليه السلام.

وأثبت لك بالأدلة العلمية وراجعت بنفسي أهمّ المصادر التي تثبت أنّ الخطبة الشقشقية موجودة قبل ولادة الشريف الرضي وقبل أن يولد أبوه أبو أحمد النقيب نقيب الطالبيين.

ونقل ابن أبي الحديد في آخر شرحه للخطبة، عن الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب أنّه قال: «والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة.

وقال ابن أبي الحديد: وقد وجدت أنّ كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبو القاسم البلخي أمام البغداديين من المعتزلة.

وقال ابن ميثم البحراني الحكيم المحقق في كتابه شرح نهد البلاغة أنّي وجدت هذه الخطبة في كتاب الأنصاف لابن قبة وهو متوفى قبل أن يولد الشريف الرضي.

ويقول أيضاً وجدتها: بخط الوزير ابن فرات كان قد كتبها قبل ميلاد الرضي بستين سنة.

ومن أراد المزيد من المعرفة فليراجع أسانيد وخطب نهج البلاغة (مؤلف

كتاب أسانيد نهج البلاغة السيد عبد الزهراء الخطيب (ره) والذي طبعته مؤخراً دار الزهراء في بيروت.

س١٦ـ عفواً أخي الكريم ذكرت من قبل أنك بحثت وقرأت في كتب التاريخ والتفسير كالطبري وتاريخ بغداد وابن الأثير ما رأيك في إعادة كتاب التاريخ من جديد؟

ج: يا أخي التاريخ لم يذكر إلاّ بعض من الحقائق خوفاً من السلطات الحاكمة آنذاك لم تصلنا إلا بعض من الحقائق يا أخي الطبري بعظمته المعروف بمحمد بن جرير الطبري وهو المفسر الشهير والمؤرخ الكبير ويعد من أشهر أعلام القرن الثالث الهجري بلغ من العمر ستاً وثمانين عاماً ومات سنة ثلاثمائة وعشر من الهجرة في مدينة بغداد فمنعوا تشييع جثمانه فدفن ليلاً في داره!!

تأمل يا أخي يرعاك الله كل ذلك لأنّه كتب بعض الحقائق في تاريخه وتفسيره ونشر بعض الأخبار والأحداث التي أغاظت المتعصبين والمعاندين من أبناء جلدته ونحلته.

وغيره مثل الحافظ النسائي المعروف وهو أحد أصحاب الصحاح الستة ورد إلى مدينة دمشق سنة ثلاثمائة وثلاث من الهجرة النبوية فوجد أهلها سائرين على البدعة السيئة التي سنها معاوية وجماعته في دمشق ألا وهي لعن وسب الإمام علي عليه السلام بعد كل صلاة وفي خطب الجمعة، فتأسف لذلك الوضع فعندها قرر أن يكتب ويجمع كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضائل ومناقب أمير المؤمنين فكتب كتابه المسمى بخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يقرأ منه كل يوم على المنابر فهجم عليه في يوم من الأيام جماعة من الطغام والجهلة اللئام فضربوه على خصيته وأنزلوه من المنبر وسحقوه بأقدامهم حتى

أغمي عليه وبعد قليل مات فحملوا جثمانه إلى حرم الله ودفن في مكة حسب وصيته التي أوصى بها!!

ماذا أتحدث يكفي هذا!!

التاريخ كله بحاجة إلى إعادة كتابة من جديد.

س١٧ـ أخيراً وليس بآخر أتعتقد بانّ علياً بن أبي طالب هو الخليفة الحق بعد رسول الله ﷺ مباشرة؟

ج: أنا أعجب من سؤالك الحقيقية بعد كل هذا الحديث والطرح والكلام والحوار أتسألني هكذا سؤالاً؟!

ولكن رغم ذلك سأجيبك في آية قرآنية يقول تعالى في كتابه العزيز: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار)[1] وأقول لك ولكل من يريد أن يعرف أنّ علياً أول من آمن به وينقل ذلك ابن الصباغ المالكي قول الإمام الثعلبي في تفسيره أنّه روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وزيد بن أرقم أنّهم قالوا: أوّل من آمن برسول الله ﷺ بعد خديجة أم المؤمنين هو علي بن أبي طالب.

وكان علي يومئذٍ لم يبلغ الحلم وأقول أنّه أول من أسلم وهو الذي نصبه رسول الله ﷺ خليفة في غدير خم وأول السابقين وزوج سيدة نساء العالمين «علي مع الحق والحق مع علي» ماذا أتكلم بعد كل هذا فتحضرني أبيات نسبت للإمام علي عليه السلام قال الحافظ القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة الكتاب المعروف والمشهور لما وصل إلى الإمام علي عليه السلام أنّ معاوية افتخر بملك الشام فقال لغلامه: أكتب ما أملي عليك فانشد علياً تلك الأبيات التي لو تأملها كل

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

مسلم في العالم لعرف ﷺ الحقيقة من هذا المنطق والفصاحة والبلاغة وهذا ما قاله:

محمد النبي أخي وصهري | وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي | يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي | منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها | فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً | غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي ولايته عليكم | رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل | لمن يلقى الإله غداً بظلمي

***

في رأيي هذه الأبيات تكفي «لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

س١٨. في الحقيقة يا أستاذنا الكريم الحديث والحوار معكم ذو شجون ولكن الله يساعدكم على أسئلتنا المطروحة ولو أطلت عليكم وأكثرت عليكم الأسئلة لكن بقي عندي سؤالاً مهما إذا أمرتم الإجابة عليه؟

قائلاً لي تفضل تفضل بحماس وشجاعة دون تردد أو ملل فأحسست الحقيقة كأنني أمام بحر هادر فقلت له أسألك عن الشورى التي تمت في عصر الخليفة عمر ما رأيك فيها يا أخي؟

ج: يا أخي سامحك الله أي شورى حصلت؟ هل هذه التي تمت تسميها شورى؟ هذه دكتاتورية بعينها هذه الشورى التي حصلت لما طعن ابن الخطاب من قبل أبي لؤلؤة وعلم أنّه ميت..

قال: إنّ رسول الله مات وهو راض عن هذه الستة من قريش: علي،

عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم..

ثم قال: أدعو لي أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي، فكن مع خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله واجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب عنقيهما، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة في النظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقهم، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختارون لأنفسهم.

أقول: هذا الأمر القاطع والحكم الصارخ من الخليفة في شأن أصحاب الشورى هل هذه شورى؟ أم دكتاتورية وهمجية؟ فأقول: لماذا أصرّ عمر على الثلاثة التي فيهم عبد الرحمن بن عوف لماذا الثلاثة الذي منهم عبد الرحمن هم رأيهم نافذ؟

والثلاثة الآخرين لم يكن أمرهم نافذ والعجب العجاب أن يقدم رأي الثلاثة التي منهم عبد الرحمن والثلاثة الذين فيهم علي بن أبي طالب باب مدينة العلم الفاتح في الإسلام الشجاع البطل رأيه غير نافذاً؟

هل أنّ عمر بن الخطاب سمع رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحق والحق مع علي».

هل غاب عن عمر حديث الرسول ﷺ القائل به: «يا عمار! إن سلك الناس كلهم وادياً، وسلك علي وحده وادياً فاتبع علياً وخل عن الناس، يا عمّار إنّ علي لا يردك عن هدى، ولا يدلك على ردى، يا عمار إنّ طاعة علي طاعتي،

وطاعتي طاعة الله» والله ما كانت الشورى العمرية إلاّ مكيدة ومؤامرة ولعبة سياسية هدفها: إقصاء وإبعاد الإمام علي عليه السلام عن الخلافة وليحرموه من حقه للمرة الثالثة!![1].

يا أخي الخليفة الأول كيف تم تعيينه؟ ألم يقل عمر بن الخطاب: «إنّ بيعة أبي بكر تمت فلته وقى الله المؤمنين شرها ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه»[2].

ألم تكن خلافة الثاني قد تمت نتيجة هذه الفتة فحتى لا تكون خلافة عثمان أيضاً فلتة فقال أدعو لي ستاً وهكذا كلها طرق غير شرعية مبنية على السياسة وحب الجاه والسلطان فأين النصوص والأدلة على خلافة هؤلاء؟!!

س١٩ـ ما هي أهم الكتب برأيك التي تفيد في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام؟

ج: ١ـ كتاب المراجعات: للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

٢ـ النص والاجتهاد: لنفس المؤلف.

٣ـ أجوبة ومسائل موسى جار الله.

٤ـ الغدير: للشيخ الأميني.

٥ـ لماذا اخترت مذهب الشيعة مذهب أهل البيت عليهم السلام: للشيخ الأنطاكي الحلبي.

٦ـ ثم اهتديت: للدكتور التيجاني السماوي. صلى الله عليه وآله وسلم

٧ـ مشروعكم المتحولون.

٨ـ ليالي بيشاور: لسلطان الواعظين الشيرازي.

---

(١) راجع أخي القارئ قصة الشورى في شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٨ ط دار إحياء التراث ـ بيروت.

(٢) صحيح البخاري.

٩ـ نهج البلاغة.

١٠ـ وأدعية مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام مثل دعاء كميل للإمام علي والصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام ودعاء أبي حمزة الثمالي.. أثرت روحياً في نفسي.

١١ـ مقتل الإمام الحسين: عبد الرزاق المقرم.

١٢ـ السقيفة: للشيخ المظفر.

١٣ـ معالم المدرستين: للسيد العلامة مرتضى العسكري.

١٤ـ خمسون ومائة صحابي مختلق للعسكري.

وأيضاً كتاب (مع الخطيب في خطوطه العريضة) لآية الله لطف الله الصافي وكتاب فضيحة الجاني عثمان الخميس على محمد التيجاني للدكتور القزويني وكتاب الله وللحقيقة للشيخ علي آل محسن في الردع على الكتاب الموهوم (لله وللتاريخ).

وكتاب عبد الله بن سبأ (دراسة وتحليل) للشيخ علي آل محسن وكتب أخرى.

س٢٠ـ هل لديكم أسلوب أو طريقة أو منهج يفيد في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام وتبيان مظلوميتهم عبر التاريخ؟

ج: أنا أقول قبل كل شيء علينا أن نترجم أخلاق وسلوكية أهل البيت عليهم السلام على الأرض ترجمة واعية وهادفة وبناءة.

وأن نكون دعاة صادقين بسلوكنا وقيمنا وأخلاقنا ومبادئنا حتى نعرف العالم العربي والإسلامي. وحتى الأجنبي بسلوكنا المستقيم قبل أن نتكلم للآخرين عن فضائل أهل البيت عليهم السلام.

عندما يكون السلوك مستقيماً يتساءل الآخرين أي الفرق ينتمون هؤلاء أصحاب الأخلاق والمثل العليا عندئذٍ نجيبهم بقوة نحن من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

علينا أن نستقطب العالم بسلوكنا وتصرفاتنا حتى نكون مقياساً لخلقهم ومثلهم وأذكر قولاً نسب لأحد الأئمة «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا».

من هذا المنطلق أدعوا أتباع ومنهج أهل البيت عليهم السلام من هذا التصور أن يكونوا زيناً بأخلاقهم، أن يكونوا زيناً بتعاملهم، أن يكونوا زيناً قولاً وفعلاً.

وبعد هذا يأتي الطرح والمنهج المثالي والخلقي البعيد كل البعد عن السب والشتم لأنّ أخلاق أهل البيت عليهم السلام ترفض كل الرفض وتأبى كل الإباء أن نكون سبابين، خاصة لمثل هذا المنهج الرباني أن نكون كما قال تعالى في كتابه العزيز: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وقول آخر في كتابه الكريم: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

على هذا المنهاج وعلى هذا المنوال يجب أن نسير لنستطيع ن نعكس الصورة المثالية الربانية لهذا المنهج القويم، ولا نسيء في قضايا الطرح والنقاش والحوار.

وأن نقرأ الكتب التي توزع في سبيل هذا المنهج قراءة دقيقة وتأملية لأنّ ليس كل الكتب المطبوعة تصلح أن تكون للدعوة أو نشر هذا الفكر النير.

فأخاطب في كلماتي هذه المختصرة المراجع العظام ووكلاء المراجع في العالم الإسلامي، أن تكون هناك ضوابط لمخاطبة الآخرين بطريقة معاصرة لأني أرى طريقة الخطاب المعاصر تحتاج إلى إعادة قراءة وتأمل أكثر فأكثر لتوسعة رقعة هذا المنهج الرباني العظيم، بطرق خطابية أفضل من الماضي، وإنّ كل

الكتب يجب أن تخضع لرقابة الخبراء من العلماء والباحثين لكي نستفيد من هذه الملاحظات ونتجاوزها فيما بعد لخدمة الفكر.

س٢١ـ هل من كلمة حرة لديك تحب أن توجهها للشباب الإسلامي في العالم؟

ج: أحب أن أنصح شبابنا في العالم الإسلامي، أنّ الإسلام اليوم هو في حالة من الخطر، وكما صوره أحد الباحثين الغربيين في أمريكا.

قال نحن انتهينا من الخطر الأحمر وبقي لدينا الخطر الأخضر. طبعاً يقصد الباحث أنّ الخطر الأحمر هو الشيوعية والخطر الأخضر الذي هو الإسلام.

فالإسلام اليوم هو في خطر واضح فعلينا أن نوحد الصفوف سنة وشيعة وأن نقف صفاً واحداً ضدّ كل المخططات المشبوهة والمرسومة لعالمنا الإسلامي.

وأن نقف بكل قوة ضد كل من يشوّه الإسلام ويعمل على إحياء الفتن الداخلية بين كل التيارات الإسلامية.

س٢٢. ما رأيك بفتوى شيخ الأزهر الشريف الشيخ محمود شلتوت (ره) حول جواز الانتقال من مذهب أهل السنة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

ج: الحقيقة إنّ هذه الفتوى تمثل كل الإنصاف الحقيقي لهذا المنهج وعندما اطلعت عليها في مقدمة كتاب المراجعات النسخة المحققة للشيخ الراضي كان لها الأثر الكبير في نفسي وجذّرت في روحي متابعة البحث لأنّه لا مشكلة لمن يريد أن ينتقل لأي مذهب آخر ما دام يبرئ الذمة وهذه الفتوى حقيقية هي صادرة من فطاحل علماء السنة وهو شيخ الأزهر الشريف (رحمه الله).

فأتمنى لشبابنا الإسلامي في العالم أن يطلّع على هذه الفتوى الشريفة الحقة.

س٢٣. هل لديكم من كلمة في نهاية المطاف؟

ج: أحمد الله سبحانه وتعالى فأقول: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

وأدعو الله أن يوحد كلمة المسلمين وينصرنا على أعداء الدين من الأولين والآخرين ويثبتنا على محبة محمد وآل محمد إلى قيام يوم الدين.

وأقول: علينا بالتوحد، وجمع الكلمة، ورصّ الصفوف ونحن بحاجة ماسة في هذه الظروف إلى الوحدة الإسلامية كما قال تعالى في كتابه العزيز: (وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)[1].

وقال تعالى في آية أخرى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات فأولئك لهم عذاب عظيم)[2].

فعلينا أيها المسلمون في العالم أن ندرك أبعاد المرحلة التي نعيشها في هذا العصر.

وصدق الشاعر عندما قال:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا

وأخيراً: أشكرك يا سماحة الشيخ على إتاحة الفرصة لي لكي أوصل هذه الكلمات إلى إخوتي القرّاء الكرام في العالم عبر هذا المشروع (المتحولون).

وفقك الله يا أخي هشام في هذا الطريق لرفع راية أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم، ونحب أن نعرف القارئ بنص الفتوى التي أصدرها شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى

التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، في شأن جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية.

فأجاب فضيلته:

إنّ بعض الناس يرى أنّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلاً؟

أجاب فضيلته:

١ـ إنّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهب معين بل نقول إنّ لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ـ إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله و ما كانت شريعته بتابع لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

السيد صاحب السماحة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي القمي:

السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب.

سلام عليكم ورحمته أمّا بعد فسرّني أن ابعث إلى سماحتكم بصورة موقّع عليها بإمضاء من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية راجياً أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها والسلام عليكم ورحمة الله.

شيخ الجامع الأزهر

س٢٤ـ هل أنك بعد قراءة نص الفتوى التي أصدرها شيخ الأزهر الشريف ازددت يقيناً وتشبثاً في هذا المنهج؟

ج: لاشك بذلك أنا متأثر بأقوال الإمام علي عليه السلام:

«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».

لاشك أنّ هذه الفتوى تصدر من علمٍ من أعلام وأقطاب أهل السنة والجماعة زادتني تمسكاً وتشبثاً وإصراراً على عقيدتي الصحيحة في طريق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وأضيف نقطة مهمة جداً وضرورية للقارئ أن يطلع ويتأمل بها ألا وهي اعترافات شيخ الأزهر الشريف الشيخ سليم البشري بعد المراسلات التي تمت بينه وبين العالم الشيعي السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (قده) مؤلف كتاب (المراجعات):

وأذكر في ذهني المراجعة رقم (١١١):

قال الشيخ البشري شيخ الأزهر مخاطباً العالم الشيعي شرف الدين:

«أشهد أنكم في الفروع والأصول، على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول.

وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً، فأظهرت من مكنونه ما كان خافياً، فالشك فيه خبال، والتشكيك تضليل، وقد استشففته فراقني إلى الغاية، وتمخرت ريحه الطيبة فأنعشني قدسي مهبها بشذاه الفياح، وكنت - قبل أن أتصل بسببك - على لبسٍ فيكم لما كنت أسمعه من إرجاف المرجفين، وإجحاف المجحفين، فلما يسّر الله اجتماعنا أويت منك إلى علم هدى ومصباح دجى، وانصرفت عنك مفلحاً منجحاً، فما أعظم نعمة الله بك عليّ، وما أحسن عائدتك لديّ والحمد لله رب العالمين».

أقولها وبكل صدق عندما تأملت هذه المراجعة والاعترافات العظيمة لقطب من الأقطاب وهو يقف معترفاً للسيد شرف الدين بأنه يحمد الله أن تنوّر بعد هذا اللقاء نزلت دموعي بحرارة ساخنة لاعترافات شيخ الأزهر سليم البشري (ره).

س٢٥ـ بقي لدينا سؤالاً مهماً وحساساً واجهته أنا قبل تشيعي وبعد رحلتي ودعوتي نحو التشيع، فهذا السؤال ما تجلس في مكان إلاّ وتسأل عنه من قبل علماء وأهل السنة والجماعة وكثير من المفكرين والكتاب يتساءلون حول هذا السؤال ألا وهو: لماذا سكت الإمام عن حقه ولم يدافع عنه إذا كان هو الأحق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ؟

ج: أقول لك يا أخي إنّ الإمام علي عليه السلام كان يتحرى السكينة في بث النصوص، ولا يريد أن يقارع خصومه بشكل مباشر احتياطاً على الإسلام، واحتفاظاً بريح المسلمين، وربما اعتذر عن سكوته وعدم مطالبته في تلك الحالة بحقه فأجاب السيد شرف الدين عن هذا السؤال المطروح من قبل الشيخ البشري:

فأذكر من بعض الأقوال قول للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنما يعاب من أخذ ما ليس له».

وأشهر موقف للإمام علي عليه السلام هو يوم الرحبة إذ جمع الناس في أيام خلافته لذكرى يوم الغدير فقال لهم:

«أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم ما قال، إلاّ قام فشهد بما سمع، ولا يقم إلا من رآه بعينيه وسمعه بأذنيه، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً، فشهدوا أنّه أخذه بيده، فقال للناس:

أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه..» الحديث وحديث الغدير أشهر من أن يذكر تواتره.

والخطبة الشقشقية واضحة كل الوضوح في بيان الحقيقة.

وقال مرة أخرى في نهج البلاغة: أذكر في كتاب كتبه إلى أخيه عقيل: يقول فيه:

«فجزت قريش عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي».

وكم قال: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم».

وسأله بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال: «يا أخا بني أسد إنك لقلق الوضين، ترسل في غير سدد، ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم، أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدون برسول الله نوطاً، فإنها كانت إثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله والعود إليه يوم القيامة،

ودع عنك نهباً صيح في حجراته..» إلى آخر الخطبة.

وقال أيضاً في مكان آخر من نهج البلاغة:

«أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم؟ كذباً علينا وبغياً أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى، إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم..» إلى آخر الخطبة.

وحسبك قوله في أجلى الحقيقة:

«حتى إذا قبض رسول الله ﷺ رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير مواضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا فق يالحيرة، وذهلوا في السكرة، على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدنيا مباين». إلى آخر الخطبة من نهج البلاغة، في الجزء الثاني، ١٥٧ ص٧٩ وص٧٩ من الجزء الثاني من الكلام ١٤٠، وص٣٦ الجزء الثاني من النهج من الكلام١٤٦.

س٢٦. هل لديك احتجاجات أخرى في هذا السياق؟

ج: يكفي أن أذكر لك مقاطع من خطبة الزهراء عليها السلام المهمة، لأنّ أهل البيت كانوا يلزمون أولادهم بحفظها كما يلزمونهم بحفظ القرآن لأهميتها.

ماذا قالت السيدة الزهراء عليها السلام؟

«ويحهم أنى زحزحوها ـ أي الخلافة ـ عن رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، الطبن بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟

نقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله، وتالله لو تكافؤوا على زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتقله وسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه، ولا يتتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً روياً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولا يترنم جانباه، ولأصدرهم بطانه، ونصح لهم سراً وإعلاناً، غير متحلٍ منهم بطائل إلاّ بغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلمّ فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبا، وإن تعجب فقد أعجبتك الحادث إلى أي لجأ لجأوا؟ وبأي عروة تمسكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذناب بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً إلاّ أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) (أخرجها أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب الصفة وفدك، ص٢٣ من كتابه).

وأقول في نهاية الكلام أنّ أمر الخلافة والوصية غني عن البرهان ويحضرني قول أحد الشعراء:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

س٢٧ـ هل كان للأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام تأثيراً روحياً في عقيدتك؟

ج: نعم.. نعم.. دعاء كميل الدعاء الذي علمه أمير المؤمنين لتلميذه كميل بن زياد النخعي ويدعوا به الشيعة خصوصاً يوم الخميس ليلة الجمعة.. يا إلهي.. يا إلهي.. ما أعظم هذا الدعاء؟ وما أعظم كلماته ومفرداته؟!

عندما سمعت في مقام السيدة زينب عليها السلام أحد القرّاء لهذا الدعاء كأني أسبح

في ملكوت السماء «اللهم إني أسالك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء، وخضع لها كل شيء، وذل لها كل شيء.

ويا إلهي وبحمدك تسمع فيها صوت عبد مسلم سجن فيها بمخالفته وذاق طعم عذابها بمعصيته وحبس بين أطباقها بجرمه وجريرته، وهو يضج إليك ضجيج مؤمل لرحمتك ويناديك بلسان أهل توحيدك ويتوسل إليك بربوبيتك يا مولاي فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمك أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك، أم كيف يحرقه لهيبها وأنت تسمع صوته وترى مكانه».

الحقيقة كلمات يريد أمير المؤمنين أن يعلمنا كيف نخاطب الله وندعوه بتذلل وخشوع وروحانية، أنت تكون كلك مع الله تعالى، بكل توجه وإرادة ويقين حتى تحس بلذة الإيمان والعقيدة.

هذه المدرسة حتى الدعاء فيها عجيب، يا أخي الخلفاء مدرسة الصحابة لا يوجد فيها أدعية روحية مثل هذه الأدعية!!

الصحيفة السجادية، الصحيفة العلوية، الصحيفة الفاطمية، أهل البيت مدرسة مناجاة، مدرسة روحية تملأ الفراغ الروحي لدى الإنسان الذي ينتمي إلى هذه المدرسة يملأ كل فراغه.

الله أكبر يا أخي الطريقة التي يخاطب الإمام زين العابدين بها ربه طريقة روحية تشدك إلى الله توجهك بصدق، أذكر بعض المقاطع في الدعاء المروي عن أبي حمزة الثمالي في كتاب مفاتيح الجنان ص٢٥٤ للشيخ عباس القمي ما نصه:

«إلهي إن عفوت فمن أولى منك بالعفو، وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم ارحم في هذه الدنيا غربتي، وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي

اللحد وحشتي، وإذا نشرت للحساب بين يديك ذل موقفي واغفر لي ما خفيّ على الآدميين من عملي، وآدم لي ما به سترتني، وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي، وتفضل عليّ ممدوداً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي، وتحنن عليّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي.

وجد عليّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي، حتى لا أستأنس بغيرك يا سيدي، إن وكلتني إلى نفسي هلكت سيدي فبمن أستغيث إن لم تقلني عثرتي، فإلى من أفزع إن فقدت عنايتك في ضجعتي وإلى من التجئ إن لم تنفس كربتي سيدي من لي ومن يرحمني إن لم ترحمني، وفضل من أؤمل إن عدمت فضلك يوم فاقتي، وإلى من الفرار من الذنوب إذا انقضى أجلي سيدي لا تعذبني وأنا أرجوك إلهي حقق رجائي وأمن خوفي فإن كثرت ذنوبي لا أرجو لها إلاّ عفوك».

دعاء عظيم بكلماته، بقوته، يأخذ العقل واللب إلى التوجه نحو معرفة الله، نحو التأمل في الآخرة في المصير.

ودعاء آخر بكيت بكاءً شديداً عندما سمعته وهو:

«إلهي كيف تؤيسني من عطائك وقد أمرتني بدعائك صلي على محمد وآل محمد، وارحمني إذا اشتد الأنين وحظر عليّ العمل، وانقطع مني الأمل، وأفضيت إلى المنون، وبكت علي العيون، وودعني الأهل والأحباب، وحثي علي التراب، ونسي اسمي وبلي جسمي، وانطمس ذكري، وهجر قبري فلم يزرني زائر، ولم يذكرني ذاكر وظهرت مني المآثم واستولت علي المظالم، وطالت شكاية الخصوم، واتصلت دعوة المظلوم..

إلهي ارحمني يوم آتيك فرداً شاخصاً إليك بصري، مقلداً عملي قد تبرأ جميع الخلق مني نعم وأبي وأمي ومن كان له كدي وسعيي، فإن لم ترحمني،

ومن يؤنس في القبر وحشتي، ومن ينطق لساني إذا خلوت بعملي وسألتني عما أنت أعلم به مني فإن قلت: نعم، فأين المهرب من عدلك، وإن قلت لم أفعل قلت ألم أكن الشاهد عليك، فعفوك عفوك يا مولاي قبل سرابيل القطران، عفوك عفوك يا مولاي قبل جهنم والنيران عفوك عفوك يا مولاي قبل أن تغلّ الأيدي إلى الأعناق يا أرحم الراحمين وخير الغافرين».

(مفاتيح الجنان: ص١٧٢).

وأدعية كثيرة لا يسعني أن أذكرها.. فهذه نماذج من الأدعية قد ملكت قلبي وأسرتني بألفاظها بطريقة المناجاة لله سبحانه وتعالى تحس في هذه الأدعية حركة الدعوة الواعية إلى الله وطريق اليقين بلا تردد.

س٢٨ـ فكلما كررت لك وقلت آخر سؤال تأخذنا الأسئلة والأسئلة كثيرة لكن نستطيع القول ما رأيك في الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة في هذه الأيام؟

ج: أقول لك هنا:

أنا شيعي وليلى أموية والاختلاف في الرأي لا يفسد للودّ قضية.

وإن اختلفنا في الآراء فهذه طبيعة الحياة، والاختلاف يوجد القوة في الرأيين المختلفين، ولكن نحن لو بحثنا في نقاط الالتقاء بين السنة والشيعة لوجدنا أنّ نقاط الالتقاء أكثر من نقاط الاختلاف.

أذكر منها:

ـ التوحيد الذي لا خلاف عليه.

ـ المعاد.

ـ الإيمان باليوم الآخر، والإيمان الجنة والنار والصراط. وعذاب القبر ويوم القيامة.

ـ ظهور الإمام المهدي وإنشاء دولته.

ـ القبلة الواحدة.

ـ الصيام ـ الصلاة ـ الحج ـ الزكاة ـ الجهاد.

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أليس كل هذا النقاط نقاط التقاء..؟

وما أحرانا وما أحوجنا إلى تحطيم تلك الحواجز التي ركزت بيننا بعد أن أكل الزمان عليها وشرب فنحن بحاجة إلى توحيد الكلمة، وتوحيد الأنظمة والقواعد، وتوحيد المجتمع، وتوحيد المقاصد، فعقيدة التوحيد هي المبنى الوحيد لجميع الفضائل وهي الحجر الأساس للحرية واشتراك الجميع في الحقوق المدنية والإنسانية، فلا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود وكل الناس أمام الحق والشرع سواء والناس كلهم من آدم وآدم من تراب.

قال رسول الله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وقال أيضاً: «ومن أصبح وأمسى ولا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».

وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام» أي دمه وماله وعرضه، وإنّ الوحدة الإسلامية ضرورة ملحة في هذه الظروف ولكن أقول إنّ الوحدة السياسية في مواجهة العدو المشترك أيضاً ضرورة ملحة.

والحوار الفكري الحر في محاولة الوصول إلى الحق أيضاً ضروري، فهل يوجد تناقض بين هذين الطرحين؟

وهل تلغي الوحدة السياسية الحوار الفكري الحر؟

أم هل يفجر الحوار الفكري الحر النزيه القائم على الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة المتفق عليها بين الفريقين الوحدة السياسية؟

لا يوجد أي تناقض..

فرأيي أنّ الحق هو محور الكون.. لأنّه بالحق والعدل قامت السماوات والأرض، والعدل أساس الملك.

لكن قضية الحوار قضية مقدسة، والانفتاح على الآخر والحوار معه قوة ذاتية في شخصية المجتمع، فالمجتمع القائم على الحوار النزيه هو المجتمع الحي الحضاري الإنساني لأن القرآن الكريم هو أول من دعا إلى الحوار في قوله تعالى: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب).

وأرى دائماً أنّ العلماء من الشيعة هم على مر التاريخ من دعاة الوحدة الإسلامية قديماً وحاضراً وكتبوا المؤلفات الكثيرة في هذا الميدان.

أذكر منها على سبيل المثال:

١ـ أحاديث في الوحدة الإسلامية: للسيد محمد حسين فضل الله.

٢ـ الجق اليقين في التأليف بين المسلمين: للسيد محسن الأمين العاملي.

٣ـ دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية: منشورات جماعة التقريب.

٤ـ الدعوة الإسلامية إلى وحدة السنة والإمامية: الشيخ أبو علي أبو الحسن الخنيزي.

٥ـ نظرة في الوحدة الإسلامية: للشيخ محسن الحسيني.

٦ـ قصة التقريب بين المذاهب الإسلامية: للشيخ حسين المهاجري.

٧ـ الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: السيد محمد باقر الحكيم.

٨ـ الوحدة ركيزة العمل الرسالي: للسيد محمد تقي المدرسي.

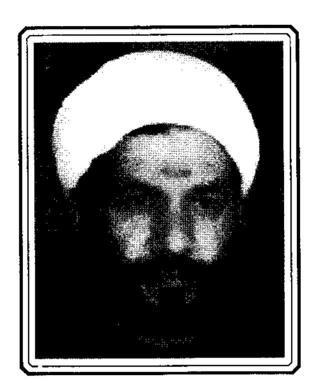
٩ـ الجوامع والفوارق: للشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي.

١٠ـ الوحدة الإسلامية: الشيخ عبد الكريم الزنجاني.

ومئات الكتب لعلماء الشيعة تدعو إلى الوحدة الإسلامية. وفي نهاية المطاف أقول: لماذا لا نقتدي بإمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام الداعي الأول إلى الوحدة الإسلامية من اللحظات الأولى رغم مظلوميته مد يده إلى الخلفاء وبايعهم لماذا؟

كل هذا للحفاظ على بيضة الإسلام والوحدة الإسلامية التي هي هدفنا ومقصدنا ورسالتنا إلى العالم، وقال الله الكريم في محكم كتابه: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



❖ الشيخ أبو حيدر الكبيسي.

❖ ولد عام ١٩٥٨م بمدينة (ذي قار) في العراق.

❖ تحول من المذهب الحنفي إلى مذهب أهل البيت عام ١٩٨٦م بعد دراسات مكثفة ومعمّقة ومحاولات عديدة أجراها مع العلماء.

الشيخ أبو حيدر الكبيسي

ولد عام ١٩٥٨م بمدينة «ذي قار» في العراق[١]، من عائلة تعتنق المذهب الحنفي ونشأ في أوساط هذا المذهب.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٦م، بعد دراسات مكثفة ومعمّقة ومحاورات عديدة أجراها مع العلماء.

في رحاب مأساة واقعة الطف:

يقول فضيلة الشيخ الكبيسي: «كنت منذ الصبى أجد قلبي ينبض بمحبّة أهل البيت عليهم السلام، وكنت أهوى الحضور في المجالس التي تقام أحياء الذكرى إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام - لا سيما التي تقام في شهر محرم الحرام - كما كنت أقصد حرمه الطاهر في كربلاء لأداء مراسم الزيارة أيام الأربعين مع مواكب المعزين من الشيعة، مما أدّى إلى تعلقي لمعرفة أهل البيت عليهم السلام وقراءة تاريخهم وتتبع سيرتهم الشريفة.

وكنت بعد معرفتي لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام أقف منبهراً لعظمتهم وجلالة قدرهم، حتى إنّني ولشدّة إعجابي بشخصية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام صرت أذكره في الإقامة عند الصلاة، رغم أنني كنت أؤدّي الصلاة وغيرها من الفرائض وفق المذهب الحنفي!.

---

(١) العراق: أنظر الترجمة رقم (١٠).

كنت مسروراً بإلمامي ومعرفتي بأهل البيت عليهم السلام، ولكن مصرع الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه من مآسي في كربلاء أوجد حرقة في قلبي، فكنت أطفئها بدموعي من خلال مشاركتي في مآتم العزاء التي تقام حزناً عليه، ولم أكن أبالي بالانتقادات التي كان يوجهها لي أبناء طائفتي، لأنّني كنت أرى أنّ كل فرد يمتلك المشاعر الإنسانية و يتمتع بسلامة الوجدان يتأثر وينفعل بارتكاب أي ظلم أو جور بحق إنسان عادي، فكيف به إذا سمع بوقوع ظلامة فادحه على قريب له أو عزيز كان يكنّ له المحبّة من خلال قرابة أو صداقة أو عقيدة؟!.

وكان واضح لديّ أنّ البكاء لا ينافي الصبر، بل هو يمثل حالة طبيعية للنفس إزاء الأحداث المؤلمة، وأنّ بكاء الإنسان بسبب المآسي التي تحل به أو بأحد أحبائه أو أعزائه لايتنافى مع الفطرة السليمة».

مشروعية البكاء على الميت:

قد أشاع البعض متوهماً أنّ البكاء على الميت بدعة دخلت حياة المسلمين فيما بعد، ثم عمد إلى زرع الشك في الأذهان، لكن هذا التوهم يرتفع بمجرد أن يراجع الباحث سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

فقد ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام وأصحابه والتابعين بكوا لفقدهم الأعزّة والأحبّة، والمصائب حلّت بهم أو بغيرهم من المقرّبين!.

وفي الحقيقة أنّ الذين قالوا بحرمة البكاء وجعلها ذريعة للتوهين والطعن، غفلوا أو تغافلوا عن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان، فالإنسان إن تحققت آماله شعر بالفرح والسرور، وإن أخفق في ذلك أو أصيب بنائبه فإنّه يحزن ويغتم وقد ينهار أمام ذلك، ولهذا نجد أنّ سيد الكائنات نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بكى على إبنه إبراهيم، وعلى خديجة، وعلى عمه أبي طالب، وعلى أُمّه آمنة بنت وهب،

وعلى عمه حمزة بن عبد المطلب، وعلى جعفر الطيار وعلى الإمام الحسين عليهم السلام، وغيرهم.

فقد ورد عن أنس أنّه قال: «دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف(رضي الله عنه): وأنت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! فقال: «يا بن عوف، إنّها رحمة» ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وورد عن أبي هريرة أنّه قال: «زار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله»[2].

وورد أيضاً: «أنّه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد غزوة أحد ـ البكاء من دور الأنصار على قتلاهم، ذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى، وقال: «لكن حمزة لابواكي له!» فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهن إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكين على حمزة، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا لهنّ وردّهن، فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت إلاّ بدأت بالبكاء على حمزة، ثم بكت على ميتها»[3].

---

(١) أنظر: صحيح البخاري: ١ / ٤٣٩ (١٢٤١)، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٠٧ (٢٣١٥)، سنن أبي داود: ٣ / ١٣٦ (٣١٢٦)، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، سنن ابن ماجة: ١ / ٤٩٧ (١٥٨٩)، كتاب الجنائز.

(٢) أنظر: صحيح مسلم: ٢ / ٦٧١ (٩٧٦)، كتاب الجنائز، مسند أحمد: ٢ / ٤٤١ (٩٦٨٦)، سنن أبي داود: ٣ / ١٧١ (٣٢٣٤)، كتاب الجنائز، سنن النسائي: ٤ / ٩٠ كتاب الجنائز، سنن ابن ماجة: ١ / ٤٩٢ (١٥٧٢)، كتاب الجنائز، المصنف لابن أبي شيبة: ٣ / ٢٩ (١١٨٠٧)، مستدرك الحاكم: ١ / ٥٣١ (١٣٩٠).

(٣) أنظر: الطبقات لابن سعد: ٣/٧، المغازي للواقدي: ١/٣١٥ ـ ٣١٧، مسند أحمد: ٢ / ٤٠

وورد أنّه صلى الله عليه وآله قال في حق جعفر عليه السلام: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»[1].

وورد عن عائشة: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل على عثمان بن مظعون ـ وهو ميّت ـ فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبّله وبكى، حتى رأيت الدموع تسيل على وجنتيه»[2].

وورد أيضاً أنّه صلى الله عليه وآله بكى على غيره من الصحابة[3].

وفي الحقيقة أنّ شبهة حرمة البكاء على الميت قد نشأت ممّا ورد عن عمر وإبنه عبد الله!

فقد ورد صحيح في مسلم عن عبد الله: «أنّ حفصة بكت على عمر، فقال: مهلا يا بنية! ألم تعلمي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه»[4].

وعن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «الميت يعذّب في قبره بما نيح عليه»[5].

والجدير بالذكر أنّ عائشة استدركت على عمر وإبنه لمّا بلغها من مقالتهما،

(٤٩٨٤)، تاريخ الطبري: ٢ / ٥٣٢، الإستيعاب لابن عبد البر: ١ / ٣٧٤، وغيرها.

(١) أنظر: انساب الأشراف للبلاذري: ٤٣، الاستيعاب لابن عبد البر: ١ / ٢٤٣، الطبقات لابن سعد: ٨ / ٢٢٠، المصنف لعبد الرزاق: ٣ / ٣٦١ (٦٦٩٥).

(٢) أنظر: سنن البيهقي: ٣ / ٥٧٠ (٦٧١٢).

(٣) أنظر: مستدرك الحاكم: ١ / ٥١٤ (١٣٣٤)، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ١٧٢ عن ابن سعد، المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١٤٢ (٢٩٣٢)، صحيح مسلم: ٢ / ٦٣٦ (٩٢٤).

(٤) صحيح مسلم: ٢ / ٣٦٩ كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهل، وأنظر سنن النسائي: ٤ / ١٦ كتاب الجنائز، سنن الترمذي: ٢ / ٣١٥ (١٠٠٢).

(٥) صحيح مسلم: ٢ / ٩٢٧ (٩٢٧) كتاب الجنائز، وأنظر سنن ابن ماجة: ١ / ٤٩٨ (١٥٩٥).

فقالت: «إنّكم تحدثوني عن غير كاذبين ولامكذبين، ولكن السمع يخطيء»[1]، وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذّب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه، إنّما مرّت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون وأنّه ليعذّب»[2].

وقد قال النووي في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المروية عن رسول الله ﷺ: «وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وإبنه عبدالله. وأنكرت عائشة، ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأنكرت أن يكون النبيّ ﷺ قال ذلك!»[3].

كما أثبت في سيرة الرسول أنّه ﷺ بكى في بعض الحالات على من رآه مشرفاً على الموت، وعلى من أستشهد، وعلى قبر الميت، بل أنّه بكى على ماسوف يجري من مصائب على الأحياء!.

بكاء النبيّ ﷺ على سبطه الحسين عليه السلام:

أكّد أصحاب السنن وأرباب السير في كتبهم أنّ رسول الله ﷺ بكى عدّة مرّات على سبطه وريحانته الإمام الحسين عليه السلام: كالطبراني، والهيثمي والخوارزمي، وأحمد، والنيسابوري، وأبي نعيم، والمحب الطبري، وابن عساكر، وابن حجر، وعبد الرزاق، وأبي يعلى، وابن كثير، وابن الصباغ

---

(١) أنظر: صحيح مسلم: ٢ / ٦٤١ (٩٢٩) كتاب الجنائز، صحيح البخاري: ١ / ٤٣٢ (١٢٢٦) كتاب الجنائز، سنن النسائي: ٤ / ١٩ كتاب الجنائز.

(٢) أنظر: صحيح مسلم: ٢ / ٦٤٢ (٩٣٠) كتاب الجنائز، صحيح الترمذي: ٢ / ٣١٧ (١٠٠٤) كتاب الجنائز، موطأ مالك: ١ / ١٥٣، كتاب الجنائز.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: ٦ / ٤٦٨ (٢١٤٠)، كتاب الجنائز.

المالكي، والمتقي الهندي، والقندوزي الحنفي وآخرين، وحث على البكاء عليه، وكيف لا! وقد حثّ أصحابه على البكاء لجعفر الطيار.

فقد روى الطبراني بسنده عن عروة عن عائشة، قالت: «دخل الحسين بن عليّ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى إليه، فنزا على رسول الله وهو منكب، ولعب على ظهره، فقال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتحبّه يا محمّد؟ قال: «يا جبرئيل ومالي لا أحبّ إبني؟!» قال: فإنّ أمتك ستقتله من بعدك! فمد جبرئيل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل إبنك هذا يا محمّد واسمها الطفّ.

فلمّا ذهب جبرئيل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتربة في يده يبكي...»[1].

وروى أيضاً بسنده عن أم سلمة(رضي الله عنه) أنّها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ذات يوم في بيتي، فقال: «لايدخل عليّ أحد»، فانتظرت فدخل الحسين عليه السلام، فسمعت نشيج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي، فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: «إنّ جبرئيل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: تحبه؟ قلت: أمّا من الدنيا فنعم، قال: إنّ أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء»...»[2].

وروى المحب الطبري بسنده عن أسماء بنت عميس أنّها قالت: «عقّ رسول الله عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين... فلمّا كان بعد حول ولد الحسين فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ففعل مثل الأوّل، قالت: وجعله في حجره فبكى صلى الله عليه وآله وسلم، قلت:

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١٠٧ (٢٨١٤)، وأنظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١٨٧، مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢٣٣، الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢ / ٥٦٧، وغيرها.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١٠٨ (٢٨١٩)، وأنظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١٨٩.

فداك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟! فقال: إبني هذا يا أسماء، إنّه تقتله الفئة الباغية من أمتي، لا أنالهم الله شفاعتي...»[1].

وإنّ ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام من فجائع ومآسي يوم عاشوراء لم يبك رسول الله صلى الله عليه وآله فقط، بل أبكى الملائكة والجن والجماد! وآل الأمر إلى بكاء أعدائه عليه عليه السلام!

فقد ورد عن ابن عباس: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم بنصف النهار، أغبر أشعث وبيده قارورة فيها دم! فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟! قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم التقطه، فأحصي ذلك اليوم، فوجدوه قتل يومئذ»[2].

وقال ابن سيرين: «لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا، إلاّ على الحسين بن عليّ»[3].

وقال خليفة: «لمّا قتل الحسين أسودّت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً، حتى رأيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر»[4].

وقال معمر: «أوّل ما عرف الزهري أنّه تكلّم في مجلس الوليد بن عبد الملك فقال الوليد: أيّكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن عليّ؟ فقال الزهري: بلغني أنّه لم يقلب حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط»[5].

---

(١) ذخائر العقبى للطبري: ١١٩، وأنظر: ينابيع المودة للقندوزي: ٢ / ٢٠٠، مسند زيد بن علي: ٤٦٨، البحار للمجلسي: ٤٣ / ٢٣٩.

(٢) أنظر: تاريخ ابن عساكر: ١٤ / ٢٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٤ / ٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ١٤ / ٢٢٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٤ / ٢٢٩.

وقالت أم سلمة: «سمعت الجنّ تنوح على الحسين يوم قتل، وهن يقلن:

أيهـــا القـــاتلون ظلمـــاً حســـيناً أبشـــروا بالعـــذاب والتنكيـــل

كـــل أهـــل السـماء يـدعو علـيكم مـــن نـــبيّ ومرســـل وقتيـــل

قـــد لُعنـــتم علـــى لســـان ابـــن داود وموســـى وصـــاحب الإنجيـــل»[1]

أمّا بكاء أعدائه عليه، فقد ورد أنّه عندما دنا عمر بن سعد من الحسين عليه السلام، قالت له زينب العقيلة عليها السلام: «يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟ فبكى وصرف وجهه عنها!»[2].

وذكر الذهبي أيضاً بكاء أعداء الحسين عليه السلام عليه، فقال: «... أخذ رجل حُليّ فاطمة بنت الحسين، وبكى، فقالت: لم تبكي؟! فقال: أأسلب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبكي؟ قالت: فدعه، قال: أخاف أن يأخذه غيري!»[3].

فيا ترى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي ويسمع نشيجه ـ وهو صاحب الشريعة ـ فلماذا لا نقتدي به ونتأسى بفعله الشريف؟!.

وإذا كان البكاء مصحوباً بصوت عال محرّم، فلماذا إنتحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عمه حمزة حتى بلغ به بكائه حد الشهيق[4]؟!.

أضف إلى كل ذلك ماورد من أنّ المسلمين ضجوا بالبكاء كضجيج الحجيج على فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ أجواء المدينة ارتجت من الصياح على الإمام

---

(١) المصدر نفسه: ١٤ / ٢٤٠.

(٢) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٣١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٣٠٣.

(٤) أنظر: المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١٤٢ (٢٩٣٢)، ذخائر العقبى للطبري: ١٨٠.

الحسن المجتبى عليه السلام يوم وفاته[1].

وذكر أنّ عائشة بكت على أبيها بعد رحيله وناحت عليه[2].

والحاصل أنّ البكاء والنياحة إذا لم يكونا مشتملين على ما لا يرضي الله تعالى فلا إشكال في جوازهما.

فلسفة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته:

إنّ البكاء على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ليس أمراً يتلبس به، بل هو أمر يعيشه كل موال للعترة في أعماق قلبه وأعماق كيانه، كما أنّ البكاء عليه هو مواصلة لخط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه إزاء أهل بيته عليهم السلام، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

كما أنّه يمثل المودّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإستجابة لقول الباري: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[4].

منطلق الاستبصار:

يقول فضيلة الشيخ الكبيسي: «أدركت أنّ فاجعة الحسين عليه السلام لها بُعد مأساوي لايصمد أمامه أيّ إنسان سليم الوجدان مرهف الإحساس، ولذلك تفاعلت بكامل كياني مع أحداث كربلاء، وإندمجت بها قلباً وعقلا.

ولقد شدني الإمام الحسين عليه السلام نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام وأدركت أنّه

---

(١) أنظر: تاريخ ابن عساكر: ١٣ / ٢٩١.

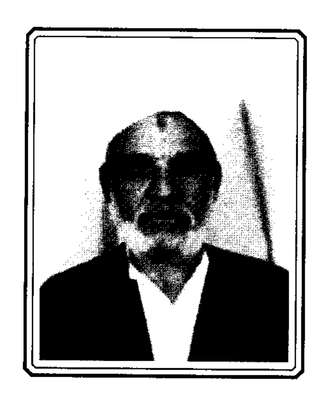
(٢) أنظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٤٢٣، الطبقات لابن سعد: ٣ / ١٩٦.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) الشورى: ٢٣.

صاحب الحقّ، وأنّ بكاء الرسولﷺ عليه هو اعلان عن سلب الشرعية عمن ناوءه وقاتله، حيث اعتبره رسول اللهﷺ سنخاً له حينما قال: «حسين مني وأنا من حسين».

فمن هنا تبيّنت لي الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، فتأثرت بنهضته وأعلنت استبصاري عام ١٩٨٦م».



❖ الشيخ مبارك البعداش.

❖ ولد عام ١٩٣٥م في منطقة قنا التابعة لمدينة قبلّي،تونس.

❖ تعنق المذهب المالكي سابقاً.

❖ تحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام ١٩٨٠م بعد دراسة معمقة وبحوث طويلة.



الشيخ مبارك البعداش

ولد الشيخ مبارك بن محمّد بن صالح بعداش عام ١٩٣٥م في منطقة «قنا» التابعة لمدينة «قبلّي» في دولة تونس[١]، وترعرع في أحضان عائلة ملتزمة ومحافظة تعتنق المذهب المالكي.

تشرّف بالانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام في عقد الثمانينات بعد حوارات عديدة أجراها مع العلماء والأساتذة، وبعد دراسات معمقة إندفع إليها لمعرفة الحقّ.

السيرة الحسنة وبلورة الفكر:

يقول الشيخ مبارك بعداش: «كنت أعيش في أجواء أسرة دينية محافظة بحيث ترك هذا الأمر الأثر البالغ في توجّهي الديني، ودفعني منذ صغري أن أكون مقيماً للصلاة ومداوماً على صيام شهر رمضان، كما أنّني التحقت في وقت مبكر بحلقات دروس القرآن الكريم، وكان لهذا الأمر الدور الكبير في بلورة فكري وسلوكي نحو الاتجاه الديني، رغم أنّ الأجواء التي كان يعيشها بلدنا تسير نحو الانحراف، وذلك بسبب الاستعمار الفرنسي المقيت الذي سعى لسلخ بلدنا عن

---

(١) تونس: تقع في شمال افريقيا وتطل على البحر المتوسط من الشمال والشرق. يبلغ عدد سكانها قرابة (١٠) ملايين نسمة، معظمهم يعتنق الدين الإسلامي بإستثناء نسبة ١٪ من المسيح واليهود، وأغلب المسلمين من أتباع المذهب المالكي، أمّا التشيع فجذوره قديمة وقبل الدولة الفاطمية، ويتواجد الشيعة في أكثر مدن هذا البلد.

هويته العربية والإسلامية، والذي فشل في نهاية المطاف ونبذ خارج البلاد، لكنَّهُ خلّف في ساحتنا الإسلامية رواسب فكرية جعلت مجتمعنا يعاني منها بعد ذلك.

الانجراف مع التيار القومي:

بعد إتمامي للدراسة الإعدادية شجعني والدي على الالتحاق بالمعهد الثانوي في جامع الزيتونة، فلبّيت طلبه وقضيت مدّة سبع سنوات في ذلك المعهد حتى تخرّجت منه عام ١٩٥٧م بحصيلة تاريخية وفقهية وثقافية يعتد بها، وكنت ذلك الحين في ريعان شبابي، وتزامنت هذه الفترة مع حركة التحرّر العربي والمدّ القومي الذي إجتاح الساحة حتى هيمن على عواطفي وأحاسيسي فأصبحت من المتحمسين والمؤيدين له، واستمر هذا الحال إلى أواخر الستينات حتى إلتقيت بـ«راشد الغنوشي أحد الحركيين الإسلاميين البارزين في شمال قارة افريقيا، إذ كان عائداً لتوه من سوريا وهو يحمل معه أفكاراً جديدة لاتلتقي مع ما كنت عليه من أفكار.

الإعجاب بحركة الأخوان:

وبحكم رابطة الصداقة التي كانت بيني وبين الغنوشي جلسنا معاً حتى دار الحديث حول ما يخص بلدنا، فتباحثنا معاً حول أفضل أسلوب وأفضل خط فكري بوسعه أن ينتشل أمّتنا من التدهور الذي تعاني منه، فوجدت فكره ومنهجه أفضل من الرؤى المادية التي أنا عليها، لأنّه كان يدعو إلى الله تعالى متبنياً للأطروحة الإسلامية، في حين كنت أدعو إلى تمجيد شخصيات كانت أفكارها محدودة وذو أبعاد ضيقة، فدعاني الأستاذ راشد للانضمام إلى حركة الإخوان المسلمين، فقبلت ذلك وأصبحت أحد أعضائها الناشطين والمتميزين، وكنت أتصوّر أنّ الدين كله متمثل بهذا التنظيم، وأنّ أفكار«حسن البنا» و«السيد قطب»

و«الشيخ المودودي» فريده في ذاتها، والأطروحة التي ليس لها مثيل في الساحة الإسلامية المعاصرة!.

ولكنني بعد فترة اطلعت على نقاط ضعف كثيرة في هذه الحركة كانت محفزة لابتعادي عنها، حيث وجدتها حركة مهتمة بالبعد الثقافي أكثر من أهتمامها بالبعد الروحي للشريعة الإسلامية، ومما زاد بعدي عنها طريقة تعامل قيادتها معنا، فهم يسكنون خارج تونس ومع ذلك كانوا يعممون أفكارهم التي لا تنسجم مع الأجواء التي كنا نعيشها ولايسمحون لنا بنقدها!.

التوجه نحو التصوف:

وبالفعل بدأت أنسحب من حركة الأخوان بشكل تدريجي غير ملفت للنظر، وكنت خلال هذه الفترة أبحث عمّا يشبع روحي ويروي ظمأي ويوقظ فطرتي ويجعل وجداني ممتلىء بشهود الله تعالى، فصممت أن أتوجه إلى التصوف لأسد هذا الفراغ الروحي الذي كنت أُعاني منه، فسافرت إلى مدينة«توزر» وإلتقيت بـ«الشيخ إسماعيل الهادفي» زعيم الجماعة المدنية، فجلسنا معاً وتحاورنا حول بعض المسائل الدينيّة، وتلقيت من أتباعه منهجهم الديني، ولكن بعد عودتي إلى مدينة«قفصة» التي كنت مقيماً فيها، تأملت في التصوّف فوجدته عبارة عن عمل دائري يدور على نفسه، ويعود من حيث يبدأ! فخاب أملي فيه.

الاطلاع على حقائق تاريخية:

بعد ذلك صادف أن إلتقيت بأحد الشباب المؤمنين، فدار حديث بيّننا حول الوضعية الاجتماعية لحركة الإخوان المسلمين؟

فقلت له: لا علم لي بهم منذ فترة.

ثم سألني عن وضعي النفسي؟

فقلت له: إنّني لا أشعر بارتياح وأنا ضجر من الحالة التي نعيشها.

فقال لي: هناك جماعة تسمى جماعة أهل البيت، فلماذا لا تذهب إليهم وتتعرف عليهم لعلك تجد بغيتك عندهم.

فتأملت في كلامه! وقلت في نفسي: إنّ أهل البيت عليهم السلام يمثلون فكرة تاريخية تراثية، برزت في العصر الإسلامي الأوّل ولم يكتب لها البقاء، وإنّ الإمام عليّ وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام هم كباقة زهور فوق منضدة الإسلام، ولم أتصور أنّ لهم إمتداداً حيّاً إلى يومنا هذا!، ولكن لا بأس أن أتعرف عليهم بصورة مباشرة لأرى ماهم عليه.

وبالفعل أخذني ذلك الشاب إلى أحد أصدقائه فدعانا إلى تناول طعام العشاء في منزله، واتصل هاتفياً بعدد من أصدقائه ليحضروا المأدبة على شرفي، فلبيت الدعوة.

بعد تناول وجبة العشاء جلسنا معاً نتجاذب أطراف الحديث، فسألني أحدهم عن اختصاصي في مجال العلوم الإسلامية؟

فقلت له: أنّا ملم بالسيرة، وقد بذلت جهدي لإتقانها ودراستها بصورة معمّقة.

فقال لي: بودّي أن أسألك عن ثلاثة أسئلة حول السيرة؟

قلت له: إسأل.

فقال لي: أين ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبنته فاطمة الزهراء عليها السلام حينما هاجر إلى المدينة؟

فكرت في الإجابة، فلم أجد جواباً لسؤاله!، وراجعت ذاكرتي فلم أجد في الكتب التي قد قرأتها أي خبر في هذا المجال، فكل ما ذكر في هذا المقطع التاريخي يرتبط بعائشة وأسماء إبنتي أبي بكر.

فقال لي: إن تريد الواقع، إنّ عدم ذكر هذا الأمر هو دليل على بتره، فإنّ مدوّني التاريخ والسيرة ديدنهم عدم تسليط الأضواء على الأمور المرتبطة بعترة الرسول عليهم السلام، لكونهم تبعاً للحكّام الذين حاولوا إخفاء ما يمنح أهل البيت عليهم السلام فضلاً أو منقبة!.

فلم أجد جواباً أستند إليه لردّ مدّعاه، وقلت: هذا الموضوع غير مهم جداً، هات سؤالك الآخر؟

فقال لي: هل تعلم كيف خرج الإمام عليّ عليه السلام من مكة بعد أن أدى أمانات وودائع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهل تعلم مع من هاجر؟ وكيف دخل المدينة المنورة؟

راجعت مرّة أخرى ذاكرتي فلم أجد فيها ما يحضر ببالي من كتب السيرة والتاريخ ما ذكر في هذا المجال، فإنّ الأضواء كلّها كانت مركزة على غيره من النساء والصبيان والعبيد، ولم يذكر التاريخ الذي طالعته شيئاً يرتبط بالإمام عليّ عليه السلام في هذا الخصوص بشكل لائق، سوى ما ورد أنّه أدّى الودائع وخرج بعد ثلاثة أو أربعة أيام، وأمّا كيفية خروجه ومن خرج معه وما جرى عليه فلم أجد له تفصيلا يذكر!

وكاد رأسي يتصدّع، لأنّه السؤال الثاني الذي لم أجب عليه.

فذكر ذلك الشخص مرّة أخرى مسألة وجود البتر في تدوين السيرة!.

فقلت له: إنّ هذا الأمر يحتاج إلى تتبع ودراسة، وقد يكون كما تقول، فإنّني سوف أبحث عن ذلك في ما بعد، ولكن هات سؤالك الثالث؟

فقال: سؤالي الثالث يرتبط أيضاً بهذا المجال، ويؤكّد ما ذكرته إليك بأنّ معظم مدوّني السيرة لم يكتبوا السيرة بصورة كاملة، بل دوّنوا منها ما كان يتلائم مع أهوائهم ومأربهم، وسؤالي هو: هل تعلم سبب بقاء رسول الله صلى الله عليه وآله في «قبا»

وهي على مشارف المدينة، في حين كان المسلمون من الأنصار والمهاجرين يخرجون كلّ يوم ـ رغم حرارة الجوّ ـ ينتظرون مجيء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فهل تعلم أي داع دعى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لذلك؟

هنا أيضا وجدّت كتب التاريخ والسيرة لم تشر إلى هذا الأمر، فقلت له: لا يوجد على ما في بالي ذكراً في الكتب التي قرأتها في هذا الخصوص!.

فقال لي: هل تعرف سبب ذلك؟

فحرت بالجواب، وأسقط ما في يدي، وأصبحت رجلاي لاتحملاني!.

وهنا أشار إليّ بالبتر من جديد.

فعرفت أنّ معلوماتي ملفقة وناقصة، فجلست أمام هذا الشاب كالتلميذ لأصغي إلى كلامه، فكانت إجاباته قوّية مؤيدة بالمصادر التاريخية للفريقين، فعجبت من التزييف الذي طال هذا الموضوع! كما طال غيره أيضاً كالحديث والتفسير والفقه و...».

وحيث أنّ هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت تمثلّ منعطفاً مصيرياً في مسيرة الإسلام، حاولت الأقلام أن تسلّط عليها الأضواء بشكل مكثّف، فأشاروا في تبيينها إلى من يهيء الراحلة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى من يحمل له الطعام، والمرأة التي يمر عليها في طريقه، والذي يقصّ أثره ويتبعه لينال الجائزة و...، في حين نرى أنّهم لم يذكروا ما يعتدّ به حول وصيّه الإمام عليّ عليه السلام، الذي هو منه بمنزلة النفس[1]،

---

(١) أشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن عليهم رجلا كنفسي.... ثم ضرب بيده على كتف عليّ بن أبي طالب عليه السلام» رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧ / ١١٠، والزمخشري في تفسير الكشاف، في تفسير قوله تعالى (إذا جاءكم فاسق بنبأ) من سورة الحجرات، والطبري في الرياض النضرة: ٢ / ١٠٣ (١٣٠٩)، والنسائي في السنن: / ١٢٧ (٨٤٥٧)، وابن حنبل في الفضائل: ٢ / ٥٧١ (٩٦٦).

والمؤدي عنه أماناته، والفادي له بنفسه!.

ومهما يكن من أمر فإنّ الحقائق أكبر من أن تحجب، خصوصاً وقد أنّزل الله تعالى في كتابه ما يؤكدها، كقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1]، إشارة إلى الإمام عليّ عليه السلام ليلة مبيته في فراش النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أنّ الله تعالى باهى به ملائكة السماء! حيث ورد أنّه تعالى أوحى إلى جبرائيل وميكائيل: «إنّي آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟! إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخّ بخّ! من مثلك يا بن أبي طالب، يباهي الله عزّوجلّ به الملائكة.

وأنزل الله عزّوجلّ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ عليه السلام: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ...**﴾»[2].

هجرة الإمام علي عليه السلام إلى المدينة:

تبدأ خطوات هجرة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد مبيته في فراش النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بخروجه من مكّة جهاراً متحدّياً لكبرياء قريش ومرغماً لأنوفها،

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) أنظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٤ / ٢٥، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٩، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٩٦ (١٣٣)، التفسير الكبير للرازي: ٢ / ٣٥٠، وقد ذكر السيد جعفر مرتضى العاملي في الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ٤ / ٣٣ ـ ٣٥ جملة من المصادر التي تروي ذلك فراجع.

ليوصل ودائع النبوّة ـ ضعينة الفواطم ـ إلى رسول الله ﷺ بسلام.

والعجيب! ماروى بعض العامة عن الإمام عليّ عليه السلام ، أنّه قال: «ما علمت أحداً هاجر إلاّ مختفياً، إلاّ عمر بن الخطّاب! فإنّه لمّا همّ بالهجرة تقلّد سيفه وتنكب بقوسه وانتضى بيديه أسهماً، واختصر في عنزته، ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكّناً، ثم أتى المقام فصلى متمكّناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لايرغم الله إلاّ هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمّه أو يؤتم ولده أو يرمّل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي ـ وقال ـ: فما تبعه أحد»[1].

فمدونوا التاريخ رغم أنّهم قصّروا في حقّ الإمام عليّ عليه السلام ، نجدهم في قبال ذلك قد عظّموا بعض الرجال ونسبوا إليهم مواقف بطولية لا حقيقة لها في أرض الواقع كما في هذا الحديث.

شخصية عمر بن الخطاب الحقيقية:

إنّ المتتبّع للتاريخ الإسلامي يكتشف أنّ عمر لم يسلم إلاّ قبل الهجرة بقليل، خائفاً مختبئاً في داره، حتى جاءه العاص بن وائل السهمي وتحدث معه وسأله عن حاله، فقال عمر: زعم قومك أنّهم سيقتلونني إن أسلمت، فقال العاص: لاسبيل إليك![2].

فبالله عليك! إنّ من يختبىء في دراه ويخشى الناس، ويستجير بالكافرين لحمايته، هل يقال عنه: أنّه أعزّ الإسلام عند إسلامه، أو أنّه خرج متحدّياً قريشاً

---

(١) أنظر: تاريخ ابن عساكر: ٤٤ / ٥١، السيرة الحلبية للحلبي: ٢ / ١٨٤، وأشار إلى ذلك الشبلنجي في نور الأبصار: ٩١، حياة الصحابة للكاندهلوي: ٢ / ٦٥.

(٢) أنظر: صحيح البخاري: ٣ / ١٤٠٣ (٣٦٥١)، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ١٠٤، السيرة الحلبية للحلبي: ١ / ٣٣٢.

في هجرته؟!.

وإن صحّ ما قيل عنه بخروجه الشجاع، فأين تلك البطولة حينما أرسله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى مشركي مكّة في الحديبية ليؤدّي عنه رسالته؟!

فقد ورد أنّه قال: «إنّي أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من عدي أحد يمنعني» وأشار على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بإرسال عثمان لهم![1].

ومن الأمور التي تكشف عن مدى شجاعة عمر وثباته، مارواه الزمخشري: «من أنّ أنس بن مدركة كان قد أغار على سرح قريش في الجاهلية، فذهب به، فقال له عمر في خلافته: لقد اتّبعناك تلك الليلة، فلو أدركناك؟ فقال: لو أدركتني لم تكن للناس خليفة»[2]!، وهي كناية ظريفة عن الفتك به وقتذاك.

ومن مواقفه أيضاً، إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمّا استشار أصحابه حول حرب بدر، قال عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلّت منذ عزّت...»[3]، فأعرض عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما أعرض عن أبي بكر الذي كان له رأي مماثل لرأي صاحبه[4].

وأمّا في يوم أحد ما كان من عمر إلاّ الانهزام! ففرّ مع كبار الصحابة من ساحة الحرب، مخلفين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً لايذب عنه إلاّ أخاه ووصيه الإمام

---

(١) أنظر: مسند أحمد: ٤ / ٣٢٤، تاريخ ابن عساكر: ٣٩ / ٧٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٢٩، تاريخ الطبري: ٢ / ٦٣١.

(٢) أنظر: ربيع الأبرار: ١ / ٧٠٧.

(٣) أنظر: المغازي للواقدي: ١ / ٤٨، السيرة الحلبية للحلبي: ٢ / ٣٨٦، الدر المنثور للسيوطي: ٣ / ١٦٦.

(٤) أنظر: صحيح مسلم، باب غزوة بدر: ٣ / ١٤٠٣ (١٧٧٩)، مسند أحمد: ٣ / ٢١٩ (١٣٣٢٠).

عليّ عليه السلام ونفر ممن جاء بعد ذلك، وقد غمزه النبيّ صلى الله عليه وآله في الحديبية فقال له: «أنسيتم يوم أحد! إذ تصعدون ولاتلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم»[1].

ولو ثبتت شجاعة عمر في الميادين ـ على اختلافها ـ لما كان يقرّ على نفسه بالفرار قائلاً: «لمّا كان يوم أحد هزمنا، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى»[2]!.

وكذا عندما جاءته امرأة مسلمة ومعها بنت لعمر ـ أيام خلافته ـ تطلبان برداً من أبراد كانت بين يديه، فأعطى المرأة وردّ إبنته، فقيل له في ذلك؟ فقال: «إنّ أبا هذه ثبت يوم أحد، وأبا هذه فرّ يوم أحد ولم يثبت»[3]!.

وقد سجل هروبه هذا جمع من أعلام العامة ـ على اختلاف مشاربهم ـ كالجاحظ[4]، والسيوطي[5]، والشوكاني[6]، فضلا عن الذين ذكروا من ثبت عند النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يوردوا اسم عمر.

فهذه المواقف تبين شخصية عمر بوضوح وإن حاول البعض أن يبرروا ذلك، كالفخر الرازي الذي قال حول المنهزمين يوم أُحد: «ومن المنهزمين عمر، إلاّ أنّه لم يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد، بل ثبت على الجبل إلى أن صعد النبيّ صلى الله عليه وآله!»[7].

---

(١) أنظر: المغازي للواقدي: ٢ / ٦٠٩، شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ٢٤.

(٢) أنظر: الدر المنثور للسيوطي: ٢ / ٨٨، كنز العمال: ٢ / ٣٧٦ (٤٢٩١)، شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ٢٢، وقد ذكره بلفظ آخر.

(٣) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ٢٢.

(٤) أنظر: رسائل الجاحظ: ١ / ٢٤٦ (العثمانية ٤٦).

(٥) أنظر: الدر المنثور للسيوطي: ٢ / ٨٠.

(٦) أنظر: فتح القدير للشوكاني: ١ / ٣٨٨.

(٧) أنظر: التفسير الكبير: ٩ / ٥١.

والجدير بالذكر أنّ الذي ينظر في التاريخ لايجد أنّ عمر أصيب بجرح، أو أنّه جرح أحداً، بل الجميع يقرّ بعدم امتلاكه المواقف البطولية في ساحة الحرب، وكل ما في الأمر أنّه فرّ في أُحد وخيبر وحنين، ولم يسجل له في حروب وغزوات رسول الله ﷺ موقف يعتد به!.

وعلى العموم لم تكن مواقف الرجل مشجعة حتى يعقل تحدّيه لقريش حين خروجه من مكة إلى المدينة، وواقع الأمر أنّ هذا التحدي كان من قِبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام [1]، الذي شهدت له العرب بذلك قبل وبعد استضاءتها بنور الإسلام.

فسأل بدراً واسأل أُحداً وسل الأحزاب وسل خيبر

لكن أعداء الإمام عليّ عليه السلام لم يتحملوا أن يروا مناقبه تزدهر في سماء المجد، فنسبوها إلى غيره!.

علة تأخر دخول النبي ﷺ للمدينة:

إنّ سبب بقاء الرسول ﷺ في «قبا» قد بيّنه ﷺ لأبي بكر حينما وجده يصر على الدخول في المدينة، بقوله: «ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أمّي وأخي، وإبنتي»[2]!.

فالإمام عليّ عليه السلام هاجر بمسمع ومرأى من قريش، وكان الرسول ﷺ قد ترك الزهراء عليها السلام عند فاطمة بنت أسد أم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا هاجر

---

(١) أنظر: الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ٥٢.

(٢) أنظر: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٥٢، السيرة النبويّة لابن هشام: ٢ / ١٣٨، أمالي الشيخ الطوسي: ٤٦٩ (١٠٣١)، اعلام الورى للطبرسي: ١ / ١٥٣، بحار الأنوار للمجلسي: ١٩ / ١٠٦ و١١٦، الروضة في الكافي للكليني: ٨ / ٣٤٠ (٥٣٦).

الإمام عليّ أخذ الفواطم معه تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ ، والفواطم هنّ : أمّه فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها)، وإبنة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وفاطمة بنت الزبير ـ على ما روي ـ وتبعهم أيمن ابن أم أيمن وأبو واقد فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالرفق، فاعتذر بخوفه من الطلب، وقد أدركه الطلب قرب «ضجنان»، فكانوا سبعة فرسان وثامنهم جناح مولى الحارث بن أميّة، فأقبل عليهم الإمام عليّ ﷺ منتضياً سيفه، فطلبوا منه الرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

ولما دنوا من الرواحل ليثيروها حال عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى جناح بسيفه عليه، فراغ الإمام عليّ عليه السلام عن ضربته وضربه على عاتقه، فمضت الضربة حتى كادت تمس كاثبة فرسه! وشدّ على الباقين وهو يرتجز ويقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد ... آليت لا أعبد غير الواحد

فتفرقوا عنه، وقالوا: أغن عنا نفسك يابن أبي طالب!، فقال عليه السلام : فإنّي منطلق إلى ابن عمي رسول الله ﷺ بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه، فليتبعني، أو فليدن مني...

ثم توجه بمن معه صوب النبيّ ﷺ حتى وصل إلى «قبا»، ولمّا بلغه ﷺ وصول أمير المؤمنين عليه السلام قال: أدعوا لي عليّاً، قيل: يا رسول الله لايقدر أن يمشي! فأتاه ﷺ بنفسه، فلمّا رآه اعتنقه وبكى عليه رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، وقال ﷺ لعليّ عليه السلام : يا عليّ، أنت أوّل هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لايحبّك ـ والذي نفسي بيده ـ إلاّ مؤمن قد إمتحن قلبه للإيمان، ولايبغضك إلاّ

منافق أو كافر[1].

الانتماء لمذهب أهل البيت عليهم السلام:

يقول الشيخ مبارك بعداش: «لقد أذهلتني هذه الحقائق، وجعلتني أتساءل في نفسي: لماذا هذا التعتيم على دور الإمام عليّ عليه السلام ؟! ولماذا هذا الإخفاء لذكر فاطمة الزهراء عليها السلام ؟! ثم لماذا هذه التغطية على مكانة الإمام عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟!.

وحسب ـ جميع مطالعاتي ـ لم أرى من ذكر أنّ الإمام عليّ عليه السلام دخل مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فالجميع يذكرون أبا بكر فقط، كما طرأ في ذهني سؤال آخر: وهو أنّ وصول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة إذا كان في شهر ربيع الأوّل، فلماذا نعتبر العام الهجري من أوّل شهر محرّم؟!.

وهكذا إنقدحت في ذهني أسئلة كثيرة لم أجد لها في كتبنا ـ أبناء العامة ـ ولاعند علمائنا جواباً، فبقيت حائراً أبحث عن مخرج لها، وأدركت أن لامخرج من هذه الدوامة إلاّ بالبحث والمطالعة والاستقصاء، فشمرت عن سواعد الجدّ وخضت في عباب القراءة لأصل إلى الحقيقة».

وبالفعل بادر الشيخ مبارك إلى هذا الأمر، وقد تنبّه صديقه راشد الغنوشي إلى تحوله التدريجي، فلمّا سمع بأنّه إنتمى إلى التشيع أسرع إلى زيارته.

فيقول الشيخ مبارك بعداش: «جاء راشد الغنوشي إلى منزلنا بعد أن تشيّعت فلم يجدني، وبحكم الصداقة القوية التي بيني وبينه، دعاه من في الدار للدخول

---

(١) أنظر: الامالي للطوسي: ٤٧١ (١٠٣١) بحار الأنوار للمجلسي: ١٩ / ٦٤ ـ ٦٧، تفسير البرهان للبحراني: ١ / ٣٣٢، المناقب لابن شهراشوب: ١ / ١٨٣ و ١٨٤، أمتاع الاسماع للمقريزي: ١ / ٤٨.



- الدكتور تاج الدين الجاعوني.
- دكتوراه في الطب النسائي.
- الأردن.
- له اهتمام شديد بطلب العلوم الدينية.
- طلبه للعقيدة الحقة (طريق أهل البيت عليهم السلام).
- له عدة مقالات في صحيفة الدستور الأردنية.
- له عدة مؤلفات منها (الإنسان هذا الكائن العجيب) أربعة أجزاء ط. دار عمار ـ الأردن.
- تحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام حديثاً

الدكتور تاج الدين الجاعوني

ولـد في المملكـة الأردنيـة الهاشميـة بالعاصـمة عمـان، واصـل دراسـته الأكاديمية حتى نال شهادة الدكتوراه في الطب النسائي، لكنه مع ذلك كـان يهوى الدراسـات الدينيـة، فخصص الكثير مـن أوقاتـه لتوسيع آفـاق رؤيتـه في المجـال الديني، فلهذا مزج الطب بالدين والاخلاق، وجمع بين العلـم والايمـان والأدب، وكانت ثمرة ذلك أنّه اضاف إلى المكتبـة الاسلامية كتاباً نفيساً مؤلـف مـن أربعـة أجزاء تحت عنوان «الانسان هذا الكائن العجيب، أطوار خلقه وتصويره في الطب والقرآن».

وقدّم فيه ثقافة طبّية ترفع مستوى ايمان المسلم بدينه، وقـد مـزج فيـه المـادة العلمية بالفكرة الدينيـة وقـد حـاول كمـا ذكـر الاسـتاذ عبـدالله الغريفـي في تقديمـه لكتابه هذا أن يتعامل مع الآيات القرآنيـة مـع خـلال الرؤيـة العلميـة الناضـجة ومـن خـلال المعايشـة الروحيـة الوجدانيـة، بحيث تلـتحم الرؤيـة العلميـة مـع المعايشـة الروحيـة الوجدانيـة، وتتجلـى روعـة المضـمون القرآنـي بمـا يحمـل مـن دلالات اعجازية في كل المسارات، وتبنّى هـذا الكتاب تنمية وعـي الأجيـال علـى أسـس قرآنية وركائز ايمانية تساهم في تجذير الأصالة في داخل الأمة لمواجهة التحديات الخطيرة التي تحـاول مسـخ الهويـة الحقيقيـة لاجيالنـا وتحـاول أن تملـىء المسـيرة ضمن المفهومات الجاهلية الكافرة.

اهتمامه بطلب العلوم الدينية:

لم يسمح الدكتور تاج الدين لنفسه أن يكون علم الطب حاجزاً له يمنعه عن الاهتمام بطلب العلم الديني والبحث عن المعرفة الصحيحة التي تمنح صاحبها رؤية كونية مطابقة للواقع والحقيقة.

فيقول الدكتور تاج الدين في هذا المجال: «حثّت التعاليم الاسلامية في القرآن والحديث على طلب العلم والمعرفة بحيث عدّت الإنسان الجاهل أعمى وجعلت المعرفة مقياساً هادياً لتقييم الأشياء وترجيحها، وعدّت النظرة السطحية إلى الأشياء تافهة. انظر المنطلق الصحيح للمعرفة ﴿**وَ الَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[1]، القرآن يحثّ على كسب العلم وطلب المعرفة وإعمال الفكر فيلفت العقول إلى التعمّق وسبر أغوار الكائنات فيشحذ الاذهان ويشرح الصدور».

ويضيف الدكتور قائلا: «قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَبِ**﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿**يُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[3]، القرآن الكريم يفاضل بين الذين يعلمون والذين لايعلمون، ثم لا يترك الانسان في حيرة بل يزوّده بكل أنواع المعرفة، ويطلب منه أن يتدبّر ويتأمل، حتى يستذكر الحق والخير، والآيات في القرآن كثيرة تنبّه الإنسان وتحفّزه على اليقظة، وتحذّره من الغفلة، ليتسنى له إدراك الواقع الحق. ثم

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، أولا يمايز بين العالم والجاهل، ثم يضع أمام الإنسان من المعارف في سائر المواضيع حول الطبيعة، والانسان، والحياة والسياسة والمجتمع والأحكام والحقوق والتاريخ والطب وكلّها لتوعية الإنسان ودعوته إلى الاعتبار».

ويؤكد الدكتور حول أهمية طلب العلوم الدينية: «إنّه ما من حركة إلاّ وأنت محتاج فيها إلى معرفة، فالمعرفة والعلم مقياس قيمة الإنسان، والقرآن الكريم يعمد إلى ايقاظ النفوس وحملها على أن تتدبّر وتتأمل، وهناك آيات كثيرة تُنبّه الانسان وتنير له الطريق ليتسنى له معرفة الحق والباطل».

طلبه للعقيدة الحقة:

يقول الدكتور تاج الدين: «لقد بيّن القرآن استلزام المعرفة للعقيدة، فقال: ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيماً﴾[2]، وقال: ﴿وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾[3]، وقال: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، أجل دعا القرآن إلى طلب المعرفة، معرفة النفس ومعرفة

(١) ق: ٣٧.

(٢) النساء: ١٦٢.

(٣) الحج: ٥٤.

(٤) آل عمران: ١٨.

الكون ومعرفة الله تعالى ومعرفة أحوال الناس والنواميس التاريخية، واكدّ على الحرية الفكرية في طلب الصائب من الآراء، قال ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَ أُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[1]، وقال: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2]».

ومن هذا المنطلق توجه الدكتور تاج الدين إلى البحث عن المذهب الاسلامي الصحيح الذي يوصله إلى الحق، فكلّف نفسه التنقيب في هذا المجال، بغض النظر عما يُعتقد به ابواه الذين كانا ينتميان إلى المذهب السني وبغض النظر عن المعتقدات التي تلقاها من المجتمع الذي عاش في كنفه.

تغييره للانتماء المذهبي:

اخلص الدكتور الجاعوني في بحثه عن الحقيقة، وحاول أن يتحرّر من كل فكرة سابقة قبل الشروع بالبحث والتقصّي، واجتهد ليستخلص بعون الله سبحانه وتعالى لنفسه صورة واضحة تورده مورد الصدق، فكانت النتيجة أنّه وجد أهل البيت عليهم السلام هم صفوة الله تعالى في خلقه، وهم سفن نجاة الأمة وأمانها من الاختلاف في الدين واعلام هدايتها وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيته في أمته ولولا هم لضاع الحق وذهب النور، فلهذا فتح الدكتور تاج الدين عقله وقلبه ليتلقى العلم من هؤلاء.

ثم ادرك الدكتور بأنّ أيقن الطرق إلى الصواب هو ما بينه أهل البيت عليهم السلام، وأنّ سبيلهم واضح لا يلجه شك أو شبهة وأنّ مذهبهم يؤدي إلى معرفة الحق، وأنّهم أغنوا الأمة الاسلامية عن اتباع المسالك الضالة التي ابتدعها من ليس له

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

أهل.

ومن هذا المنطق تحوّل الدكتور تاج الدين من مذهبه السابق واعتنق من أعماق وجوده مذهب أهل البيت عليهم السلام، ثم حاول أن يوطّن نفسه للدعوة إلى سبيل الحق وأن ينبّه مَن حوله إلى الحقائق التي حاول البعض كتمانها واخفاءها وفقاً لما أملت عليهم مصالحهم الذاتية.

وقد وُفق الدكتور في ضوء استطاعته أن يتلقّى على عاتقه هذه المهمة الصعبة، وكانت من جملة الأمور التي قام بها هي نشر جملة من المقالات في بعض الصحف المعترف بها من قبيل صحيفة الدستور، وحاول الدكتور من خلال هذه المقالات أن يعرّف الناس بمكانة ائمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم ومنزلتهم التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله لهم من بعده.

مؤلفاته:

١ـ «الانسان هذا الكائن العجيب، أطوار خلقه وتصويره في الطب والقرآن»:

صدر عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م عن دار عمار، الاردن في أربعة أجزاء.

ذكر المؤلف في المقدمة: «إن ما اقدمه هو لقطات علمية أو قل مشاهد قرآنية، حقائق طبية معروفة للكثيرين ليست هي بالاسرار ولا بالألغاز، وإنما هي آيات أو قل معجزات يجب التوقف عندها ودراستها واستيعابها.. هذا العمل المتواضع يسلّط الأضواء فقط على بعض الآيات الشريفة التي تعالج خلق الانسان.. من أجل بعث وعي قرآني».

ويتطرّق المؤلف في الأجزاء الأربعة من هذا الكتاب إلى اطوار خلقة الانسان وكل أطوار حياته منذ أن يكون نطفه في الرحم إلى أن يخرج انساناً وفي كل مراحل حياته، ويقدم المؤلف خلال ابحاثه النصائح الطبية التي تتجسد فيها

عناصر الوقاية من كثير الامراض وحماية الاطفال والنساء والرجال من كثير من عوامل الاعاقة وحماية الانسان من المزالق المرضية.

وقفة مع كتابه: «الانسان هذا الكائن العجيب»

يوضّح الكاتب فكرة الكتاب وما يريد أن يقول فيه، فيقول:

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الأُفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] صدق الله العلي العظيم وقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] وقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]... حثّ الإنسان المؤمن الواعي على التفكير. وقال تعالى يحذّر من الجهل والجهالة: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾[5].. وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[6] وقال: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[7]. وقال يستحثّ الناس على اتّباع النافع من البصائر والعلوم ﴿الَّذِينَ

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) الجاثية: ١٣.

(٤) الأعراف: ١٧٦.

(٥) الأنفال: ٢١.

(٦) الأنفال: ٢٢.

(٧) الحج: ٣.

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1]... وقال أيضاً: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَتِ﴾[2] هكذا حثّت التعاليم الإسلامية في القرآن والحديث على طلب العلم والمعرفة بحيث عدّت الإنسان الجاهل أعمى وجعلت المعرفة مقياساً هادياً لتقييم الأشياء وترجيحها، وعدّت النظرة السطحيّة إلى الأشياء تافهة. انظر المنطلق الصحيح للمعرفة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لمعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].. القرآن يحثّ على كسب العلم وطلب المعرفة وإعمال الفكر فيلفت العقول إلى التعمّق وسبر أغوار الكائنات فيشحذ الأذهان ويشرح الصدور...

﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآء دَافِق * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ﴾[4].

الماء الدافق:

يبدأ الكاتب في توضيح بعض المصطلحات القرآنية لأدوار الجنين على أساس ما يقوله الطب فيقول:

الماء الدافق ما هو؟ قال أكثر المفسرين هو السائل المنوي في الرجل... ولكن ماذا يقول الطب في المرأة؟... المعروف أنَّ للمرأة نوعين من الماء أولهما ماء لزج يسيل ولا يتدفّق وهو ماء المهبل، ويساعد فقط على ترطيب المهبل

---

(١) الزمر: ١٨.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

(٤) الطارق: ٥ ـ ٩.

وتنظيفه من الجراثيم. أمّا الثاني فهو ماء متدفّق أجل ماء متدفق يخرج من حويصلة المبيض مرّة كل شهر وفيه البويضة التي يلتقطها النفير (قناة فالوب) بوساطة أهداب ناعمة ملساء ويدفعها حتّى تلتقي بالحيوان المنوي في دهليز البوق... المهم أنّ كليهما يتدفقان... ماء الرجل وماء المرأة... وكلاهما يخرج من بين الصلب والترائب، أي من الخصية والمبيض... وكلاهما يتكوّنان بين العمود الفقري والأضلاع في الجنين وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[1].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾[2]:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[3] القرآن يتحدَّث عن النطفة قبل ١٤ قرناً... تارةً ليذكّر الإنسان بأصله ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[4] وطوراً ليذكّره بيوم الحساب. تارة ليحمله على البحث والاستقصاء أو التأمّل والتفكّر والاعتبار وطوراً ليحفزه على الإيمان بالواحد الأحد.. فيقول: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[5] ويقول في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ

---

(١) الطارق: ٥ ـ ٧.

(٢) المؤمنون: ١٣.

(٣) يس: ٧٧.

(٤) الإنسان: ١ ـ ٢.

(٥) العنكبوت: ٢٠.

يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ المَوْتَى﴾[1].

النطفة أو الحيوان المنوي تفرزه الخصية بأعداد وفيرة تصل إلى أكثر من ٣٥٠ مليون نطفة عند بعض الرجال وإلى النطفة الواحدة أو الصفر عند بعضهم الآخر (طبعاً في الأحوال غير الطبيعيّة). وإذا دقّقنا النظر في كل حيوان منوي وجدناه «كالطوربيد» له رأس مصفّح مدبّب وله عنق صغير وله ذيل. ورأسه مثلّث الشكل يشبه رأس صاروخ أو قذيفة طوله ٥ ميكرون (الميكرون ١/١٠٠٠ من الملّميتر). تتحرّك «النطفة» بواسطة الذيل من المهبل إلى عنق الرحم ثمّ إلى الرحم ومنها إلى النفير، لتلتقي بالبويضة (نطفة المرأة) في أحد النفيرين مكوّنة النطفة الأمشاج. العلم وقف حائراً سنيناً طويلة لا يعرف كيف يتكوّن الجنين والقرآن يتحدّث عن مراحل تخليق وتصوير الجنين خطوة خطوة قبل أربعة عشر قرناً وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿**ولتعلمنّ نبأه بعد حين**﴾[2].

ومحمّد رسول الله ﷺ لم تخلُ أحاديثه من ذكر «النطفة» قال لليهودي الذي بعثته قريش ليسأله ممَّ يُخلَق الإنسان: «يا يهوديّ... مِن كلٍّ يُخلق... من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة»[3].

البويضة (نطفة المرأة):

إنّ عملية تكوّن البويضات تبدأ بهجرة الخلايا الجرثومية البيضيّة الأوليّة من أماكن أخرى من جسم الجنين إلى منطقة الغدة التناسليّة. وأول ما يتمايز من هذه

(١) القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.

(٢) ص: ٨٨.

(٣) عن الإمام أحمد في مسنده.

الخلايا الجرثومية الأولية هو الخلية البيضيّة البدائية (أم البيض) ثم الخلية البيضية الأولية، ثم أم سلف البويضة ثم سلف البويضة.

يتضاعف أولا DNA (حامض ديزوكسي نيوكلييك) الصبغي (الكروموزومي) في الخلايا البيضيّة الأولية. ومن بعد تمر هذه الخلايا كمثيلاتها من الخلايا المنويّة الأوليّة في مرحلتين انقساميّتين مُنَصّفتين، وتنتهي بتكوّن بويضات تحتوي على نصف عدد الصبغيات الموجودة في خلايا الجسم العادية. وهذه البويضات الناضجة فالنطفة أصغر حجماً من البويضة.

ونطفة الرجل فيها ذيل والبويضة كرويّة بلا ذيل!

نطفة الرجل تتحرّك بديناميكيّة ذاتيّة أمّا البويضة فتحمل بأهداب النفير إلى داخله والنطف توجد بالملايين بعد سن البلوغ أمّا البويضات فبالآف فقط.

النطفة قويّة الشكيمة «بطّوطيّة»(بعيدة السفر) أمّا البويضة فهي وديعة تمشي على استحياء إلى قدر محتوم فإمّا أن تصادف «فارس الأحلام» في دهليز البوق، فتعتنقه مكونّة النطفة الأمشاج، وإمّا أن تشاء الظروف أنْ لا يكون أحد في الانتظار، فتنكمش ثمَّ تذوب ثمَّ تخرج مع دم الطمث.

البويضة كالأميرة تلبس التاج المشعَ.

النطفة (الحيوان المنوي) كالطوربيد يلبس قلنسوة المحارب على رأسه المدبّب وله عنق وذيل... ولا يهمّه سوى تنفيذ المهمّة التي أُنيطت به فهو دائم الحركة، جسور لا يبالي بالمخاطر، دؤوب، يبحث دون كَلل وملل وبلهفة المشتاق عن أميرة ذات تاج مشع، داخل دهليز موحش، وعر المسلك قاتم السواد مظلم الأركان، كثير التلافيف، ممتلىء بالتعاريج، وليس الذكر كالأنثى.

ولد أو بنت؟

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ ﴿أي ماء الرجل، المني﴾ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الأُنثَى﴾(1).

حقيقة علميّة يصدرها القرآن قبل أربعة عشر قرناً... يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم وهي أنَّ تحديد الجنس يعود للنطف عند الذكر. القرآن يمسّكنا بطرف الخيط، ويحثّنا في الوقت نفسه على البحث عن الطرف الآخر. فالله سبحانه وتعالى لا يريدنا أن نكون كسالى وخاملين، قال: ﴿وَ الَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(2).

وقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾(3).. هنالك حث واستنفار على البحث والتنقيب، والتفكّر والتعقّل ومعرفة النفس والكون قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(4).

وقال جلّ وعلا لافتاً النظر ومذكّراً: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الأَبْصَارَ وَ الأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(5).

ويعلّمكم الله والله بكل شيء عليم...

---

(1) القيامة: ٣٦ ـ ٣٩.

(2) العنكبوت: ٦٩.

(3) العنكبوت: ٢٠.

(4) فصّلت: ٥٣.

(5) النحل: ٧٨.

يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾[1]... نطفة الرجل فيها خصائص التذكير والتأنيث فيها نوعان من الكروموزوم (الصبغيّات) الجنسي بينما نطفة المرأة نوع واحد من الكروموزوم الجنسي وهو الكروموزوم الأنثوي...

وأخيراً، بعد أربعة عشر قرناً يتوصّل العالم إلى معرفة الفروق بين النطفة «الحيوان المنوي» والبويضة «نطفة المرأة» فقد اتّضح أنّ نواة البويضة الأنثويّة أو أيّة خلية أخرى لدى الأُنثى تحمل أجساماً جنسيّة من نوع (XX) (س س) وإن نطفة الرجل تحتوي أجساماً جنسيّة من نوع (XY) س ص فإذا انقسمت أصبحت النطف الجديدة إمّا (Y) ص أو (X) س أي ذكريّة (Y) ص وأنثوية (X) س. والحيوان المنوي الذي يحمل إشارة (Y) يختلف عن الحيوان المنوي الذي يحمل إشارة (X) (س).. وليس الذكر كالأنثى وهنالك اختلاف بينهما ليس في الشكل والمنظر فحسب بل في خصائص ومميزات متعدّدة فإذا ما لقّحتْ نطفة ذكريّة (Y) ص بويضة (X) س كان الناتج إنساناً ذكراً فيه جسميات (X) س و(X) س. وهكذاترى أنّ البويضة تعطي دائماً شارة الأنوثة، أمّا نطفة الرجل فهي التي بأمكانها تحديد أذكر أم أنثى لاحتوائها على خصائص الذكورة والأنوثة وصدق الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾[2] فلا يلومنّ أحد زوجته إذا هي أنجبت له إناثاً دون الذكور.

تكون النطفة الأمشاج:

قال الله تعالى: ﴿وَ قُلِ الحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا

---

(١) آل عمران: ٣٦.

(٢) آل عمران: ٣٦.

تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وَ خَلَقَ كُلَّ شَىْء فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[2].

البويضة، قلّما تعيش أكثر من ٣٦ ساعة بعد خروجها من المبيض، ونطفة الرجل تحتاج ٧ ـ ٣٠ ساعة للوصول إلى البويضة لتلقيحها... عمليّة حسابيّة تبدو بالنسبة لنا وكأنها مدروسة بدقّة، ولكنّها أي عمليّة تحديد المكان والزمان المناسبين لالتقاء النطفة بالبويضة (وهو الجزء الوحشي من قناة الرحم) وكما يقول جل وعلا ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْـئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3]﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيء وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4]» فاعل لا بمعنى الحركات ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَار مَّكِين ﴾[5].

جاء ذكر «القرار المكين» أيضاً في سورة المرسلات قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآء مَّهِين * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَار مَّكِين * إِلَى قَدَر مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾[6].

قال المفسرون «الماء المهين» الحقير، قليل الغناء. والمراد به النطفة، والمراد «بالقرار المكين» الرحم، والقدر المعلوم مدّة الحمل، والقرار مصدر أُريد

---

(١) النمل: ٩٣.

(٢) الفرقان: ٢.

(٣) يس: ٨٢.

(٤) يس: ٨٣.

(٥) المؤمنون: ١٣.

(٦) المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣.

به المقرّ مبالغة، والمراد به الرحم التي تستقر فيها النطفة، والمكين المتمكّن، لتمكّنها في حفظ النطفة من الضياع والفساد، ولكون النطفة مستقرّةٌ متمكنة فيها... والمعنى ثمَّ جعلنا الإنسان نطفة في مستقر متمكّن هي الرحم، كما خلقناه أوّلا من سلالة من طين أي بدّلنا طريق خلقه من هذا إلى ذاك.

وقد اختلف العطف من «فاء» إلى «ثمَّ» لأنَّ ما عُطِفَ بـ «ثُمَّ» له بينونة كاملة مع ما عُطِفَ عليه، وما لم يكن فيه بينونة عُطِفَ «بالفاء»، كقوله ﴿**فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**﴾[1].

هنالك إذن انتقال من مرحلة إلى أخرى... من مرحلة الطين ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأنسَانَ مِن سُلَالَة مِّن طِين**﴾[2] إلى مرحلة النطفة في القرار المكين ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَهُ نُطْفَةً فِي قَرَار مَّكِين**﴾[3] والمقصود طور النطفة الأمشاج لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُّطْفَة أَمْشَاج نَّبْتَلِيهِ**﴾[4] وذلك حين تلتحم النطفة (الحيوان المنوي) مع النطفة (البويضة).

لنقف قليلا عند كلمة «مكين». القرار المكين هو المتمكن الذي تنمو فيه النطفة الأمشاج، حتى تصير حميلا[5]، ثم جنيناً، ثمَّ تخرج طفلا، كامل الخِلقة

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) المؤمنون: ١٢.

(٣) المؤمنون: ١٣.

(٤) الإنسان: ٢.

(٥) حميلا: لفظ يطلق على الجنين الذي لم يبلغ الثلاثة أشهر.

سويَّ التكوين. هذا «القرار» عجيب لو أمعنّا النظر في شكله وتكوينه وقدراته. ما أعظم هذه الكلمة «مكين»، فقد جمعت كل المعاني المطلوبة لوصف الرحم. لم يقل سميك ولم يقل حصين ولم يقل متين فهو كل ذلك وأكثر... هو قرار مكين. فالرحم مؤمَّنة بعظام الحوض التي تحميها، ومميّزه بكثرة الأعضاء والأنسجة المسخّرة لخدمتها، وحفظها، ورعايتها، كالغدد، والأعصاب، والدم. وهي مشدودة بأربطة رحميّة، وهي مضغوطة، فلا تتمدّد طبيعيّاً إلاّ بعد الحمل، وهي مفروشة في الداخل بغطاء (طبقة) ملساء ناعمة رقيقة لاحتضان البويضة الملقَّحة. وهي ممسَّكة بحبال وأوتاد وأنسجة ومعلّقة كالجسر... إنّها فعلا مَحْضَن حريز كالحصن المنيع... إنّها قرار مكين..

والرحم تقع في الحوض الحقيقي لهيكل المرأة الذي يحميها... والرحم تستطيع أن تتمدّد وتتحرّك وتنمو حتى أنَّ حجمها يتضاعف أكثر من ٢٠٠٠ مرّة في نهاية الحمل. والرحم مع ذلك تبقى في مكانها لأنها مشدودة ومربوطة ومعلَّقة بأوتاد تحميها، وتحفظها، كجسر معلّق، تشدّها تارة، وترخيها أخرى بحسب ظروفها...

والرحم تقع في محور معيّن يلائم تقاسيم الحوض والبطن والفراغ الذي تملأه في الحمل، وفي غير الحمل.

والرحم ممسّكة بأغشية تشدّها إلى الحوض فهي أي الرحم يجب أن تتمكّن يوماً ما من حمل جنين قد يصل وزنه إلى ٤ أو ٥ كيلوغرامات. أو إلى حمل عدد من الأجنّة يفوق هذا الوزن!

والرحم (القرار المكين) محجوبة بالمهبل وبعضلات العجان من أسفل، ومحروسة بعضلات البطن من أمام ومربوطة بنسيج متين من خلايا خاصّة تمسكها بالمثانة وبالمستقيم من الخلف للمساندة.

والرحم متّصلة بالعنق، والعنق متّصل بالمهبل. وهذا يساعد على ثبات الرحم في مكانها كالجسر المعلّق. والرحم مطعَّمة ومقوّاة بعضلات ذي ثلاث طبقات لولا انقباضها الشديد بعد الولادة لاستمرَّ النزيف إلى ما لا نهاية.

والرحم تَعود إلى حجمها الأصلي بعد الولادة بمساعدة هرمونات نخاميّة (تفرزها الغدّة النخاميّة). والرحم مهيّأة للاستجابة لهرمونات كالأستروجين والبروجستيرون، فالأول يحرّك الرحم طرباً في المرحلة الأولى من الدورة الشهريّة فتَهتزّ، وتَنفتح، وتتقلّص، وتتلوّى، طالبةً النطفة، وبعد التلقيح تتهيّأ لتأثيرات الهرمون الثاني، أعني البروجستيرون، الذي يجعلها رزينة هادئة ساكنة، لأنّ في طيّاتها نطفة (ملقَّحة) أمشاج تَودّ أن تحافظ عليها! وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾(1). والقرار المكين آية من آيات الله... يجب التوقّف عندها وتأمّلها ودراستها.

العلقة:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾(2):

تتعلّق البويضة الملقَّحة بادىء ذي بدء عن طريق استطالات زغابيّة آكلة كأشباه الجذور، وهي عبارة عن أهداب.. خمائل تربط بين العلقة وأتربة جدار بيت الرحم... بحيرات دمويّة وغدد... التي منها تتغذّى وتتنفّس. ثمّ بعد فترة يتكوّن الغشاء المشيمي الذي من بعضه تتكوّن المشيمة فيما بعد، وبخملاته تتعلّق العلقة بالرحم في الأسبوع الثاني. ثمّ يتكوّن المعلاق (رباط، ساق موصل)

---

(1) الذاريات: ٢٠ ـ ٢١.

(2) المؤمنون: ١٤.

حوالي اليوم الرابع عشر، وهو الذي يربط الحميل بالغشاء المشيمي. وهذا المعلاق يتطوّر إلى الحبل السرّي الذي يوصل الجنين بالمشيمة، ويحوي أوعية دمويّة تنقل الغذاء والأكسجين إلى الجنين وتخلّصه من الفضلات بتمريرها إلى المشيمة.

تنتهي مرحلة «العلقة» مجهرياً في نهاية الأسبوع الثالث من التقاء البويضة بالنطفة... وذلك بابتداء تكوّن الكتل البدينيّة[1] (قطاعات الفقرات الأولية - أصل العظام والعضل) ونظام الدورة الدمويّة.

﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾[2]:

المضغة هي المرحلة التالية لمرحلة العلقة، وتبدأ في اليوم الثالث والعشرين تقريباً بعد التلقيح (الأسبوع الرابع) أو اليوم الأربعين تقريباً بعد آخر «حيضة». تتشكّل أوّلا كتل بدينيّة. وهذه الكتل التي تظهر تدريجيّاً في أوقات متفاوتة تصل في النهاية من ٤٢ إلى ٤٥ كتلة على كل جانب من مِحور الجنين من أعلى إلى أسفل. وهي التي تتكوّن منها فقرات العمود الفقري...

المضغة: في هذه المرحلة لا يزيد حجمها بما يحيط بها من دم وأغشية مشيميّة عن «كرة الطاولة» أو «بيضة الحمام» فهي إذن كقطعة لحم بقدر ما يمضغ!

لنتحدّث الآن عن فترة تعرف في علم الأجنّة والتشريح بفترة «الحميل» وهي التي أشار إليها القرآن الكريم «بالمضغة»... هذه الفترة هي بالذات فترة تخلّق وتمايز، وأعني أنَّ الطبقات الثلاث التي يتكوّن منها الحميل تبدأ بتخليق أنسجة

---

(١) بدينات أوّلية (سلف الغضروف) هي أصول الفقرات، واللحم.

(٢) المؤمنون: ١٤.

وأعضاء معيّنة. وبانتهاء هذه الفترة التي تمتد حسب علم الأجنّة إلى نهاية الشهر الثاني[1] يكون الحميل قد تكوّنت لديه أعضاء الأجهزة الرئيسيّة. والجدير بالذكر أنّه بسبب ذلك يتغيّر شكل الحميل إلى درجة كبيرة إذ يصبح بالإمكان الآن تمييز الملامح الرئيسيّة للشكل الخارجي لجنين بشري.

﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[2]:

١ ـ العمود الفقري:

وهو من معطيات الطبقة المخلّقة الوسطى للمضغة. فمع بداية الأسبوع الرابع أي حوالي الأربعين يوماً بعد آخر «حيضة» تبدأ خلايا طلائية متميّزة والمكوّنة للجدار الأمامي والجانبي للكتل الهيكليّة باتخاذ أشكال جديدة لها، متنوعة ثُمَّ تهاجر باتجاه الحبل الظهري. وهذه الخلايا التي تعرف بأجمعها بالخلايا الهيكليّة الأوليّة تكوّن أنسجة رخويّة، مخلخلة، تعرف بالأنسجة الضامّة. تحيط هذه الأنسجة بالحبل الشوكي والحبل الظهري لتكوّن العمود الفقري... بعد ظهور مراكز التمعظم فيها مع بداية الأسبوع التاسع من عمر الجنين الرحمي.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾[3]:

٢ ـ العضل والجلد:

أمّا الجدار الخلفي المتبقّي للكتلة الهيكليّة، والذي يعرف الآن بالكتلة العضليّة، فيكوّن طبقة جديدة من الخلايا، تمتاز بوجود أنوية شاحبة. وهذه

---

(١) من عمر الجنين الرحمي.

(٢) البقرة: ٢٥٩، لا يبدأ العظم بالتخلق إلاّ بعد ظهور مراكز التمعظم في النسيج المضغي ابتداء من الأسبوع التاسع لنمو الجنين (باستثناء عظم الترقوة).

(٣) البقرة: ٢٥٩.

الخلايا بالذات تكسو العظام التي نشأت من حولها، باللحم (العضل). وبعد تكوّن العضل من خلايا هذه الكتل المتميّزة، تنتشر هذه المجموعات من الخلايا العضليّة تحت الطبقة الخارجيّة (أكتودرم) بعد أن تفقد خاصّيتها الضامّة، لتكوّن طبقة الجلد والأنسجة تحت الجلديّة.

وهكذا فإنّ كل كتلة هيكليّة تكوّن أوّلا المحتوى الغشائي فالغضروفي، فالعظمي للفقرة المتخلّقة عنها؛ ثمَّ تقوم بإكسائها تدريجياً باللحم (العضل والعصب والجلد)... ولا تظن أنَّ كلَّ هذا يتم في أسبوع أو أسبوعين، بل يمتد من الأسبوع الرابع حتى ما بعد ظهور مراكز التمعظم في أجسام الكتل الغضروفيّة في بداية الأسبوع التاسع.

والمهم أنَّ الترتيب الزمني لتخلّق هذه الأنسجة في علم الأجنّة يتبع الترتيب الزمني الذي تنبأ به القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً. فسبحان الله الذي وعّى الإنسان وبصّره بأعاجيب خلقه فقال تعالى: ﴿يَـأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[1]... وقال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2].

٣ ـ الأطراف والمفاصل:

يتغيّر شكل الحميل الخارجي كثيراً خلال الشهر الثاني بسبب حجم الرأس وتكوّن الأطراف والوجه والأذن والأنف والعينين. ومع بداية الأسبوع الخامس

---

(١) الحج: ٥.

(٢) المؤمنون: ١٤.

يظهر نتوآن ذراعين وساقين (براعم) على شكل مجاديف أوّلا، ثمّ تتسطّح هذه الامتدادات الغضروفيّة مكوّنة الذراعين والساقين. وبعد ذلك تظهر براعم في أماكن أخرى كالرسغ والكوع والرقبة مكوّنة الكعبرة والزند والعضد في الطرف العلوي وعظمة الفخذ وقصبة الساق والشظيّة في الطرف السفلي. أما سلاميات أصابع اليد والقدم فتظهر على شكل امتدادات مستطيلة أوّلا ثمّ تتدوّر تدريجيّاً. وفي الأسبوع السابع تبدأ خلايا من الطبقة الوسطى المخلّقة للمضغة في التمايز تدريجياً لتكوين عضلات الأطراف فيما بعد، أي بعد ظهور مراكز التمعظم فيها وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً**﴾[1] في نظام زمني دقيق كشف عنه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً.

تبدأ الأجهزة في استكمال بنائها الأساسي خلال الشهر الثالث، مثل الكبد، والقلب والسمع، والبصر، والدماغ... وكذلك تشرع أعضاء الجنين التناسليّة في التمايز، ويصبح بالإمكان التفريق بين الذكر والأنثى. كما يُلاحظ للطفل حركات إراديّة. وقد استُدِل من ذلك على «نفخ الروح فيه» لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ**﴾[2] وقد تصوّر وجهه واتّخذ الشكل الإنساني المميّز.

الأسبوع التاسع حتى الولادة (المرحلة الجنينية) (FOETAL PERIOD):

هذه المرحلة مرحلة نمو وتطور... وتبدأ من الأسبوع التاسع وتنتهي بالولادة. تمتاز هذه المرحلة بسرعة نمو الجنين، وكذلك نضوج الأجهزة

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) السجدة: ٩.

والأعضاء التي تتكوّن منها إضافة إلى تحوّل المضغة تدريجيّاً إلى عظم فلحم (عضل وعصب الخ) ﴿فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لحْماً﴾[1] وذلك بعد ظهور مراكز التمعظم في مختلف أجزاء الهيكل العظمي. يزداد طول الجنين خلال الشهور الثالث والرابع والخامس من الحمل بمعدل سنتمتر واحد تقريباً كل أسبوع؛ على حين يزيد وزن الجنين بشكل ملحوظ خلال الشهرين الأخيرين من الحمل (الثامن والتاسع).

الروح بين الطب والقرآن:

﴿وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾[2].

اتفق العلماء على أنَّ الإسقاط حرام أو مكروه، ولم يتفقوا على مسألة وقت دخول الروح وتأويل حديث الرسول الأكرم المروي عنه. عن عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه): «إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمة أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة، مثل ذلك، ثم يكون مضغة في ذلك . ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أم سعيد»[3].

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ خلق أحدكم يجمع في بطن أُمة أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يبعث إليه الملك، فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح». أخرجه الشيخان. لاحظ لم تذكر النطفة ولا المضغة. وفي صحيح مسلم أيضاً: «أنَّ النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك فيقول يا رب ذكر أم

هنالك اختلاف عند العلماء حول ما إذا كانت الروح تُنْفَخ بعد الأربعين الأولى وأنَّ مراحل النطفة والعلقة والمضغة كلها تقع في الأربعين، أم أنَّ مرحلة كل واحدة منها تستغرق أربعين يوماً أو ليلة. إنَّ علم الأجنَّة يظهر أنَّ النطفة الأمشاج قد مرّت بمرحلة العلقة فالمضغة ثم أصبحت على هيئة إنسان مصغر له رأس وأُذنان وعينان ويدان ورجلان وأعصاب وعضل وقلب ينبض. وأنَّه في خلال الأسبوع التاسع أو العاشر من عمره الحقيقي (الرحمي) (الحادي عشر أو الثاني عشر بعد آخر حيضة)، قد تصدر عنه حركات إرادية بسيطة. فكون الملَكَ ينفخ الروح بعد الأربعين الأولى، أقرب إلى الواقع، إذ لا يمكن أن يصدر عن الجنين حركات إرادية، دون جهاز عصبي يتأثر بالبيئة. فكونه أصبح وِحْدَة شبه مستقلة، يستجيب لحوافز خارجيّة، وكونُه شكلا أصبح كالإنسان كامل الأعضاء، ولو بصورة مصغرة، يشجع الأخذ بالتأويل الذي يجعل نفخ الروح بعد الأربعين الأولى لا الثالثة من عمره الحقيقي (الرحمي)، والله أعلم.

المشكلة الأساسية أنّنا لا نعرف ما هي الروح وما دمنا لا نقدر على تحديد كنهها، أو هويتها، وماهيتها، تظل مشكلة ضبط وقت دخولها الحقيقي في جسم الإنسان بارزة للعيان، وصدق ربنا العظيم في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾[1]. ولو أنَّ ربنا أخبرنا ما الروح لهان الأمر. ولكن هذا لا يمنع من

أُنثى». وفي مسند الإمام أحمد: «إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث إليها ملك فيقول يا رب شقي أم سعيد، فيُعلم». وعن حذيفة بن أسيد: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها». رواه مسلم، وفي رواية أُخرى عن الرسول الأكرم ذكرها مسلم في صحيحه: «إنَّ النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها» إلى آخر الحديث.

(١) الإسراء: ٨٥.

التفكير بالواقع، حتى لا نظل نقتل أطفالنا لأتفه الأسباب، بحجة أنَّ الروح لم تُنْفَخ فيهم بعد، ذلك أنَّ بعض الأطباء والعلماء راحوا يصدرون الفتاوي بأنَّ القيام بإجهاض قبل نفخ الروح (وعندهم أنَّ نفخ الروح بعد الأربعين الثالثة) أمر جائز لا تَشَدّدَ فيه، بينما القيام به (أي الإجهاض) بعد نفخ الروح (أي بعد الأربعين الثالثة)، فهو محرَّم إلاّ إذا اقتضت ضرورة طبية. X

حقوق الطفل أو الجنين:

ضَمِنَ الإسلام حقوق الطفل قبل تكوينه، وبعد تكوينه، في أثناء، وقبل، وبعد الولادة. ووضع في ذلك قوانين وتشريعات كقوانين الأحوال الشخصيّة وقوانين الوصيّة والميراث والولاية على النفس، والمال، والحضانة، والنسب، والطلاق، وحقوق الأولاد الخ.

أما ما يهمنا في هذا البحث الموجز فهو حقوق الجنين. قال الله تعالى: ﴿وَ لاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاق نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾[1].

حرّم الإسلام قتل الطفل خشية الفقر قال الله تعالى: ﴿وَ إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنب قُتِلَتْ﴾[2]. لأنَّ بعض قبائل العرب كانت تئد بناتها خوفاً من العار أو الفاقة أو السبي. وقد وصف القرآن الكريم الأب الجاهل الذي يُبشَّر بميلاد ابنة وصفاً دقيقاً فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُون أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا

---

(١) الإسراء: ٣١.

(٢) التكوير: ٩.

يحَكُمُونَ ﴾[1].

أما عادة وأد البنات (بمعنى دسّهنَّ في التراب) فقد انقرضت... ولكنْ مع ذلك فالوأد للآن ما زال للأسف يُمَارسَ في بعض البيوتات بشكل أو بآخر. فالزوج الذي يعتدي على زوجته بالضرب المُبرح، أو يُضارّها بالطلاق، الذي لا يصل في العدد إلى حد (ثم يراجعها) أو يحلف عليها غُبناً بالإيلاء أو يجافيها بالظهار، أو بأي شكل من الأشكال، من غير وازع من ضمير... هذا الزوج إنّما يمارس عملية وأد عصرية.

نعم، والزوج الذي يعتدي على زوجته دون حق كذلك يئد «البنات»، لأنَّه يقتل فيها الإحساس بالكرامة واحترام الذات، والحب والحنان والاستقامة والطموحات الخلاَّقة. والزوج الذي يُحدّد النسل خوفاً من أنْ تلد زوجته بنتاً أخرى، كذلك يئد البنات، ويقتل الأولاد، إذا كانت ظروفه المالية والاجتماعية حسنة. والزوج الذي يسوق زوجته لتجهض طفلها عند الطبيب أو في أيِّ مكان آخر دون سبب شرعي إنَّما يئد أو يقتل البنات والأولاد. ومنهم مَن يدفع الثمن غالياً فيفقد زوجته أيضاً.

وفي القرآن الكريم إشارة وتحذير للنساء اللاتي يُفكّرن في قتل أولادهن، قال الله تبارك وتعالى: **﴿يَـأَيُّهَا النَّبِـيُّ إِذَا جَـآءَكَ الْمُؤْمِنَـاتُ يُبَايِعْنَـكَ عَـلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِّ شَيْئاً وَ لاَ يَسْرِقْنَ وَ لاَ يَزْنِينَ وَ لاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوف فَبَايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَّ إِنَّ اللهَّ**

---

(١) النحل: ٥٨ ـ ٥٩.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وبهذا يكون الكاتب قد جمع ما بين ما ورد في القرآن الكريم من اشارات كثيرة في عظمة الخلق وبين ما يقوله الطب الحديث في ذلك، وقدم مزيجاً مباركاً يوضح عظمة القرآن، ويدلل على انه الكتاب الإلهي الخالد الذي فيه تبيان كل شيء، فبعد أربعة عشر قرناً لازال يقدم للعلماء ما يبهر عقولهم، وصدق الله العلي العظيم حيث يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) النساء: ٨٢.

- الدكتور سعيد السامرائي.
- ولد في مدينة سامراء في منتصف الخمسينات.
- ينتسب للمذهب الحنفي سابقاً.
- تشيع بعد إنهاء الدراسة الجامعية.
- مقيم الآن في لندن.
- تشيع من كتاب المراجعات.

الدكتور سعيد السامرائي

ولد في مدينة سامراء بالعراق في منتصف الخمسينيات، ونشأ في عائلة تنتمي إلى المذهب الحنفي، لكنه لم يخضع للتميّز المذهبي ولم يتعصّب في الانتماء المذهبي، بل مال حيثما أملت عليه الأدلة والبراهين التي حصل عليها بالبحث، فتشيّع في منتصف العشرينيات من عمره بعد اتمامه للدراسة الجامعية، ثم هاجر إلى خارج العراق تخلّصاً من النظام الظالم المتسلّط على زمام الحكم، وهو حالياً مقيم في لندن.

سبيل معرفة العقيدة الحقة:

يرى الدكتور سعيد أن هناك طريقان لمعرفة العقيدة الحقة، أوّلها يوصل إليها والآخر قد يوهم بذلك.

أمّا الأول: فهو معرفته بعد اعمال الفكر وتدقيق النظر.

وأما الثاني: فهو بتقليد من تعتقد بعدالتهم. وهذا قد يوصلك إلى الحق إن كان من تتبع آراءهم وأحوالهم وأفعالهم على الحق، وقد يضلك إن كانوا غير ذلك، فإنك ستبقى على اعتقادك بأنك على الحق وهو التوهم، ويكون وصفك إذ ذاك على ما جاء به التنزيل **﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾**[1] **﴿إلاّ أنّهم هم**

---

(١) الكهف: ١٠٤.

المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[1].

أما الأول فهو الذي وصفه علي أمير المؤمنين عليه السلام عندما أجاب السائل عن الطائفة المحقة يوم الجمل، فلم يقل الامام «أنا على الحق» ولو قالها لكان صادقاً، بل قال: «اعرف الحق تعرف أهله».

ويرى الدكتور سعيد بإن الانسان الباحث إذا كان من النوع الأول فإن مطالعته للكتب الصحيحة والحقه ستكون ذا فائدة، وأما إن كانت من الثاني وكان قبلُ من غير المؤمنين بما جاء به الكتاب الذي يطالعه، فسيجد نفسه مكتئبة وصدره ضيقاً حرجاً مما يقرأ، لأنه يقرأ عبارات تبيّن الحقائق ويقرأ نصوصاً جلية واضحة تلوي الأعناق، فإمّا أن يفزع إلى تكذيبها، وهذا ديدن الضعيف الذي بهت أمام الحق فلا يدري جواباً فيلوذ بالأوهام وأما أن يأخذ الله بيده فيمرّ بحالة الطفرة فيغيّر منهجه ويتغلّب على نفسه.

تحذيره من الوقوع ضحية الطائفية:

يرى الدكتور سعيد السامرائي أن الطائفية هي من أهم الموانع لمعرفة الحق وهي من أهم العقبات التي تحول دون توجه الانسان إلى البحث أو قبول الحق إذا تبيّن له.

ويصف الدكتور سعيد الطائفية بأنّها مشاعر في القلوب، اسست على تاريخ قوامه الزيف، وتعليم كلّه جهل وتجهيل، وتنشئة تقوم على الضغينة والنفاق، ودعم سياسي لحكام متسلّطين دافعها تفريق الأمة ليسهل قيادها.

وباللغة الواضحة: فإن الطائفية هي شعور السني، أي سني بالضغينة تجاه الشيعي، أي شيعي، لأن الأخير لا يحب أئمته وبدون سبب أو غير ذلك، أو هي

---

(١) البقرة: ١٢.

استقراءاً من الواقع المعاش، ينتمون إلى هذه الفئة، ومصابون بأقصى درجات الطائفية. X

الدولة الطائفية:

الدولة الطائفية هي الدولة التي تميز بين رعاياها في التوظيف والمكافأة وإعطاء المسؤولية وتوزيع الحقوق والواجبات على اختلافها، لا على أساس المساواة كأصل، ثم الكفاءة ودرجة العطاء بعد ذلك، وإنما على أساس الانتماء الطائفي.

وتكون درجة طائفية الدولة أكثر أو أقل حسب الحكومة القائمة، والظروف الداخلية والخارجية للبلاد. فمثلا عندما يكون قادة الدولة ذوي مشاعر طائفية عميقة أصلا فإن الدولة تصعد درجة طائفيتها حتى وإن كانت الأوضاع الداخلية والخارجية ليست سيئة كثيراً.

إن التعامل على أساس طائفي لا يؤذي الفرد ضحية الطائفية ولكنه يؤذي البلاد، لأنه سيكون من غير الممكن أن يكون ذلك الرجل المناسب في المكان المناسب لأن الكفاءة لا تكون هي المعيار، كما أن ضحايا الطائفية سيتصرفون بشكل غير متوازن: إما بتفان شديد كي يثبتوا إخلاصهم وحسن نياتهم، وإما ببرود ولا إبالية لأن النتيجة واحدة ولن يحصلوا على التقييم لجهودهم.

وتكبر هذه العقدة، وتخرج من إطارها الضيق بين الموظف والمواطن صاحب المعاملة، الى عائلتيهما وأصدقائهما وزملائهما لتخدم كإثبات جديد على وجود المشكلة.

وتصبح المفارقة مدهشة مع أشخاص مثلي ممن نقلهم الدهر من صفوف الطائفة الحاكمة إلى صفوف الطائفة المحكومة. ففي ليلة وضحاها يصبح التعامل

وقع ذلك لبعض الرافضة ـ يعني الشيعة ـ في المدينة المنورة وغيرها، بل قد قيل إنهم تمسخ صورهم ووجوههم عند الموت والله أعلم» ! ![1] وسبحان واهب العقول!

ولعل هذا هو السبب الذي يجعل بعض الإسلاميين السّنّة يتجنبون لقاء نظرائهم من الشيعة، لأن المسلم الحقيقي يتقرّب إلى الله تعالى بمعاداة أعدائه والبراءة منهم، ولما كان الشيعة بنظر البعض أعداء لله ورسولهﷺ، فإن مفارقتهم وعدم اللقاء بهم يرجى منه الأجر والثواب، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

الطائفي:

فالطائفي إذاً، هو الشخص الذي يحمل بين جنباته تلك المشاعر المرّة المبنيّة على أسس واهية مبنية على جهل الأهل والمربين أو التوجيه الخبيث للحكام المتسلطين، أو كليهما، ويحمل هذه المشاعر تجاه أخيه المسلم، مع أنه يضحك في وجهه صباح مساء، ويشاركه أفراحه وأتراحه، ويشاركه في التجارة والسفر والعمل بسبب الجيرة أو زمالة العمل أو مقاعد الدراسة، وقد يتصاهر معه مع ما يعني ذلك من التحام العائلتين فيما بينهما.

وبعد، فالطائفي هو الذي يقف مواقف غير صحيحة، إما بوعي أو بدون وعي، بناءً على هذه المشاعر.

أما أقصى درجات الطائفية فهي ـ برأيي ـ التي لا يعرف بوجودها من يحملها، فهذا الإنسان لن يكون بمقدرته التفريق بين المواقف التي يتخذها: أيها على أساس طائفي وأيها على أساس آخر. والمؤلم هنا هو أن معظم الطائفيين،

---

(١) في كتابه «الردّ على الرافضة» أي الشيعة نشر دار طيبة ـ الرياض، في الصفحة: ٤٤.

الطائفية:

ليست الطائفية حزباً لوجود أحزاب مؤلفة من أفراد من طوائف مختلفة..

وليست شعاراً لأن الطائفي يخجل من رفعها شعاراً، بل هو ينفي وجودها عنده..

كما أنها ليست طريقة حياة، لأن الطائفي ضحية طائفيته يعيشون في بيوت متجاورة في منطقة واحدة ويلبسون ملابس متشابهة، ويذهبون إلى أعمال متشابهة، وفي نفس أماكن العمل، ويذهب أولادهم إلى نفس المدارس، بل ويدعو بعضهم بعضاً في مناسبات دينية كإفطار رمضان وغداء العيد مع أن الطائفية أسست أصلا في إطار ديني ـ سياسي، ومع أن هذه المناسبات تعني أن الجميع ينتمون إلى دين واحد أمر بالوحدة ونهى عن التفرق..

الطائفية هي مشاعر في القلوب، أسست على تاريخ قوامه الزيف، وتعليم كله جهل وتجهيل، وتنشئة تقوم على الضغينة والنفاق، ودعم سياسي لحكام متسلطين دافعه تفريق الامة ليسهل قيادها.

وتصل مشاعر الطائفي إلى نقطة اللاعودة عندما يحكم على الآخرين بالخسران المبين، ولا يعود هناك في نظره فائدة، ولا أجر أو ثواب من الانفتاح عليهم والتواصل معهم، اللهم إلاّ في المستوى الخارجي المنافق وحسب ما تقتضيه مصالحه التجارية أو الوظيفية أو غيرها. كيف لا والتعليم الطائفي يصل بالناس إلى درجات سافلة جداً من التفكير حتى يظن السنّي بأن الشيعة يمسخون إلى خنازير (أو ثعالب حسب قول جدتي رحمها الله)! وهذا ليس من قبيل المزاح لأنه مؤسس على تعليم وتنشئة، ولمن لا يصدق أسوق إليه قول المدعو «محمد بن عبدالوهاب» الذي ابتدع الوهابية. قال ـ جزاه الله بما قال ـ وهو يذكر مشابهة الشيعة لليهود (!) ما نصه: «ومنها أن اليهود مسخوا قردة وخنازير وقد نقل أنه

صدر سنة ١٩٩١م عن مؤسسة الفجر، لندن.

يتألف الكتاب من مقدّمة وسبعة فصول وخاتمة، وتدور محاور الفصول حول بعض المواضيع منها: عروبة الشيعة والتشيع أصلا وكياناً وتاريخاً، الموقف الايراني من العراق والعرب، من هم الفاسدون و...

وقفة مع كتابه: «الطائفية في العراق، الواقع والحل»

يتناول الكاتب في كتابه هذا موضوعاً حساساً ومهماً في الوقت نفسه، فالطائفية بلاء ابتلت به الديانات السماوية فضاعت فيه أهدافها الرسالية الشريفة، وهو أيضاً بلاء تمزقت به المجتمعات التي يفترض فيها أن تكون واحدة، فتسلط قوم على قوم ودفعوهم عن مراكز القدرة والثروة، ثم اضطهدوهم وحاربوهم في أرزاقهم بل وحياتهم.

وقد استغل ذلك الحكام والمستعمرون فدقوا على أوتار الطائفية لتدوم أيام تسلطهم على الشعوب المستضعفة، وتستمر معها أيام شهواتهم وملذاتهم ومطامعهم واستيلائهم على الثروات واستئثارهم بها.

وقد تناول الكاتب موضوع الطائفية في حالة خاصة، وفي مكان وزمان معينين، وقد جرى في هذه الحالة الكثير من الظلم والعدوان وهتك الحرمات والاعتداء على أرواح ومقدسات الناس، لكن كتابه لم يخلُ من طرح عام لأصل المشاكل الطائفية، وكيفية نشوئها في تاريخ المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، وما تسببه من ويلات ودمار في أي مجتمع اسلامي تنفذ فيه، وفي أي زمان ومكان يكون ظرفاً لموجاتها الهوجاء.

ونحن هنا نستعرض أهم ما أورده في موضوع الطائفية بشكل عام دون الخوض في التفاصيل الخاصة قدر الامكان.

رسول الله ﷺ بلا فصل، الشورى، عائشة واتباعها ويوم الجمل، معاوية وعمرو وصفين، المبغضون والمنحرفون.

الباب الرابع: مصادر المختار عن كتاب مصادر نهج البلاغة لعبدالله نعمة، ويقع في ثلاثة فصول، وهي تشتمل على مصادر بعض الخطب والكلام للمختار منها وبعض المختار من الكتب والرسائل وبعض المختار من أجوبة المسائل والكلام القصير.

٢ـ«الطائفية في العراق، الواقع والحل»:

صدر سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م عن مؤسسة الفجر، لندن.

جاء في تعريف هذا الكتاب بقلم المؤلف:

«لما كنت معتقداً ومقتنعاً بأن أغلب أهل السنّة ما وقفوا هذا الموقف المؤسف إلاّ بسبب العقد الطائفية التي تربّوا عليها ونشأوا تحت ضغطها، فإن الواجب تجاه العراق أولا، والعراقيين بشكل عام ثانياً، والسنّة المحكومين بهذه العقد ثالثاً، والشيعة العراقيين المظلومين رابعاً، هو الذي دفعني لأن أصنف هذا الكتاب عسى أن يكون فيه تبياناً للسّنّي حقيقة الموقف المؤسف الذي وقفه، والموقف الصحيح الذي يجب أن يكون عليه، وتبياناً للشيعي حقيقة الدوافع وراء هذا الموقف الذي يقفه سنّة العراق عموماً، وواجبه تجاه ذلك».

وينقسم هذا الكتاب إلى مقدمة وأربعة أبواب، وفي كل باب بضعة مقالات وخلاصة. وهذه الأبواب هي عبارة عن: ١ ـ هل في العراق مشكلة طائفية؟

٢ ـ العقد الطائفية.

٣ ـ على طريق الحل.

٤ ـ الاسلاميون داخل مثلث المبادىء وحضور الماضي والواقع المفروض.

٣ـ«صدام وشيعة العراق»:

أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، فلم يكن هناك في الحسبان دنيا، كما لم يكن هناك ترفاً فكرياً في الأمر.

مؤلفاته:

١ ـ «حجج النهج، المختار من نهج البلاغة»:

صدر سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م عن مؤسسة الفجر، بيروت.

يقول المؤلّف في المقدمة: «لقد قمت باختيار كل النصوص التي لها علاقة بموضوعين، أو بالأحرى طرفي موضوع واحد، أحدهما علة للآخر، فالأول هو تفضيل الإمام على معاصريه أجمعين والنص عليه والوصية إليه من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا سبّب أن يكون هو خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده مباشرة وهو الموضوع الثاني. لذا فانك قد تجد في المختار خطبة للامام في حرب صفين وتجد بعدها أو قبلها كلام له عليه السلام مع شخص سأله وهما جالسان في هدوء، وذلك لأنّ قاسمهما المشترك قد يكون ذكره الوصية في المقامين، أعني انه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا في غيرها من النصوص المختارة، كما تضمن المختار ما هو أشمل من ذلك، وهو ذكر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين لا يمثل الامام علي عليه السلام إلا أولهم وإن كان عظيمهم...

يتألف الكتاب بعد المقدمة من أربعة أبواب:

الباب الأول: ماذا يجد من يقرأ نهج البلاغة.

الباب الثاني: المختار من الخطب والكتب والمواعظ والكلمات وشرحها والمواضيع ذات العلاقة.

الباب الثالث: ملحق المختار ويقع في فصول، منها: مناقب وصفات الامام، الوصية والنص والتفضيل، دفع الأمير عليه السلام عن حقّه في الخلافة بعد

الانقلاب في الاعتقاد:

في نهاية مطاف بحث الدكتور سعيد فرضت الأدلة والبراهين نفسها عليه، فلم يجد بُداً سوى الاستسلام للأمر الواقع والإذعان للحق.

ويصف الدكتور سعيد حالة الانقلاب في الاعتقاد قائلا: إن الانقلاب في الاعتقاد حين يحدث يشير إلى عدة صفات، هي ولا فخر:

أولا: إن صاحبه لا يحمل الانحياز الناتج عن التعليم منذ الصغر والنشأة، لأنّ ما تعلمه أنذاك قد انقلب عليه، فما كان في قلبه بفعل التعليم والتنشئة قد زال.

ثانياً: أن صاحبه منفتح لقبول الرأي الآخر، ولولا ذاك ما انقلب على رأيه وقبل الرأي الآخر، وخصوصاً في موضوع العقيدة.

ثالثاً: أن صاحبه يبحث عن الحق، ولا يترك الأمر كما تربّى عليه دون تمحيص وتقليب.

رابعاً: أن صاحبه لا تعوزه الرغبة في خدمة الحق، إلاّ فأي فائدة دنيوية يحصل عليها من يتشيّع؟! ولا يتشيع أحد إلاّ ويكون قد اقتنع من خلال قراءاته وتنقيباته في بطون التاريخ، لأن الدنيا لم تزل مدبرة على الشيعة منذ القرن الأول الهجري، وأن الشيعة لا يزالون مرامي للنبال ومطاعن للرماح واجساداً للسجن والصلب والقتل والدفن أحياء والتشريد والتنكيل.

ويقول الدكتور سعيد حول اعتناقه لمذهب أهل البيت عليهم السلام: أني لم اتشيّع في لندن أو باريس أو نيويورك والشيعي في مأمن، بل تشيّعت وأنا في بغداد معقل العفالقة وطاغوتهم صدام حيث لا يجد الشيعي غير السجن والتشريد والتهجير والقتل والملاحقة.

وأضيف أيضاً، بأني تشيعت في قمة الاضطهاد الصدامي للشيعة، وذلك في

شعور الشيعي بأنّ السني لا يحب أئمته وأنه يحب الظالمين وأنه عون للظالمين عليه، بلا تحقيق ولا تدقيق ولا تفريق بين من يقف مع الظالم ممن ثار عليه.

ويضيف الدكتور سعيد: الطائفي إذن، هو الشخص الذي يحمل بين جنباته تلك المشاعر المرّة المبنيّة على أسس واهية مبنية على جهل الأهل والمربين أو التوجيه الخبيث للحكام المتسلّطين أو كليهما. وبعده، فالطائفي هو الذي يقف مواقف غير صحيحة، إما بوعي أو بدون وعي بناءً على هذه المشاعر.

أهم اسباب اقتناعه بالتشيع:

توجه الدكتور سعيد من هذا المنطق الموضوعي والبنّاء إلى قراءة تراث الشيعة، فيقول في هذا الصدد: لم اعجب بقلم كإعجابي بقلم السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي رحمه الله، وعلى الرغم من أن كتبه كانت من أوائل الكتب التي قرأت في طريق التعرّف على مذهب أهل البيت عليهم السلام، لم تترك بعدها أية بحوث أخرى فيّ ذلك التأثير الذي تركته بحوث السيد شرف الدين، ولئن كان قلمه الساحر يمثل جزءاً كبيراً من ذلك التأثير فإنّ التأثير الأكبر كان لمنهجه في البحث الذي يأخذ بالألباب ويشدّها أكثر فاكثر كلما تدرجت في القراءة التي لابد وأن تكون متصلة بلا توقف مهما كانت المشاغل!

ويضيف الدكتور سعيد: وقد عُرف عن السيد شرف الدين جهاده المتواصل من أجل التقريب بين اتباع الدين الواحد والمذاهب المتعددة، وكان منهجه في ذلك إثارة المشكلة وطرحها للبحث العلمي للوصول إلى الجواب الذي لا مفرّ منه ولا اشكال فيه، مما يزيل الأدران من القلوب ويحطّم ما يشاع هنا وهناك من مفتريات الغاية منها توسيع الفجوة بين المسلمين، وهذا المنهج، برأي خير ألف مرة من ذاك المنهج الذي يدعو إلى تناسي المشكلة وكأنها غير موجودة.

مع نفس الشخص مختلفاً، وما تغيرت كفاءته وما تبدل إخلاصه لوطنه وعمله، وما تغيرت أخلاقه وسلوكياته ومزاجه. هذا، في حين يجب أن يكون التغيير حاصلا في علاقتي شخصياً بالممارسات الدينية مثلا.

وأخيراً، فإن الدولة الطائفية تجعل النسيج الاجتماعي يتهرأ وخيوطه تنقطع، وكلما زاد التمييز والاضطهاد الطائفي كلما ضعف النسيج الاجتماعي، وهو ما حصل في فترات معينة من تاريخ العراق الحديث.

هل الطائفية نتاج الاستعمار الغربي، أم سببها صراع المسلمين السياسي في الماضي؟:

يبسّط البعض أسباب المشاكل الاجتماعية والسياسية وغيرها بسبب قلة المعرفة، أو ضيق الأفق أو حتى الرغبة في قلب الحقائق، فبعضنا يشتم الغير كثيراً ويتهمه في مصائبنا أكثر من اللازم، في حين يتهم البعض الآخر أنفسهم ولا يحمل الغير أي مسؤولية تذكر.

وفيما يخص مصائب العرب والمسلمين ترى كثيراً من الناس يتهم الغرب والشرق وأعداء الأمة في كل المصائب والمشاكل، في حين يتهم البعض الآخر الأمة نفسها وخلافات زعاماتها في ذلك.

خطأ التسبيب الأحادي:

وهذه الأحادية في التسبيب غير صحيحة، لأن الخلافات بين الدول العربية والإسلامية ليست كلها من صميم واقع الأمة، وإنما ساهم الاستعمار في قسم كبير منها، ولعل المشاكل الحدودية خير مثال على ذلك. أفما كان في مقدور الإنجليز والفرنسيين، وهم المنتصرون في الحرب الأولى أن يرتبوا حدود العراق بحيث لا تعود هناك مشكلة مع إيران والكويت والسعودية؟

أما كان بمقدورهم أن يمنحوا الأكراد دولة في المثلث العراقي ـ التركي ـ الإيراني ويجنبوا هذه الشعوب ما جرى؟

أما كان بمقدور الإنجليز أن يجمعوا إمارات الخليج في دولة واحدة؟

لماذا جمعت الجزيرة العربية لآل سعود في دولة واحدة وفرقت أطرافها في خمس دول؟

وحتى لو فعلوا ذلك، فماذا عن إسرائيل؟

نعم، كان بمقدورهم ولكن لم يكن في مصلحتهم. فإنه لمنطقي جداً أن يعمد من يريد أن يمتص دماء الشعوب إلى تفريقها ليسهل عليه قيادها عن طريق خلافاتها ومواطن ضعفها.

ولكن، أما كانت الأمة تستطيع أن تواجه هذا المخطط التخريبي التقسيمي؟

كان يمكن للأمة أن تواجه هذا المخطط وتهزمه لو أنها اجتمعت على ذلك، ولو أن جماهيرها اختارت، وأصرت على اختيار قادتها الحقيقيين.

نخلص من هذا إلى أن الإنجليز لم يخترعوا الطائفية، بل وجدوها موجودة في المجتمع العراقي العشائري والمدني فاستخدموها لتأسيس الواقع المثالي لمصالحهم.

ولما كانت الطائفة الشيعية هي التي ثارت عليهم فإنه من المنطقي أن يتم إقصاؤهم عن الحكم وتسليمه للطائفة التي لم تثر، وترتيب الحكم لكي تستمر هذه المعادلة كيلا يعود الشيعة فيطردوا بريطانيا من الشباك أيضاً بعد أن اضطرت إلى أن تخرج من الباب بثورة الشيعة وتضحياتهم.

بداية الخلاف ونشأة الطائفية:

بدأ الخلاف بين المسلمين أول ما بدأ عقيب وفاة رسول الله ﷺ مباشرة

حيث تنازع المهاجرون والأنصار من جهة وقريش وبنو هاشم من جهة في موضوع الخلافة. إلاّ أن الافتراق الحقيقي لم يتم إلاّ بعد مقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام في أول عام ٦١هـ، إذ أن بعدها أصبح إهراق الدماء المقدسة أمراً طبيعياً عند الحكام وأزلامهم وكما أخبرهم الإمام الحسين عليه السلام نفسه بأنهم لن يتورعوا بعده عن قتل أي إنسان، كيف لا وقد قتلوه مع معرفتهم بأنه سيد شباب أهل الجنة وأنه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله مع غيرها من الصفات الكثيرة التي يفترض أن يمتنع عن قتله لأجلها أعتى المجرمين، وكما قال الشريف الرضي:

قتلوهُ بعدَ عِلم منهمُ أنّهُ خامس أصحابِ الكِسَا

فكان أن تفرعن الأمويون وولاتهم كالحجاج الثقفي، وكان على الشيعة أن يلجأوا إلى السرّ حتى في اتصالهم بأئمتهم عليهم السلام، ثم يثوروا على الظلم والواقع غير الإسلامي للأمة بين حين وآخر. في نفس الوقت أخذ الفقهاء الذين تصدوا للمناصب الشرعية بعد الغياب القسري لأئمة أهل البيت عليهم السلام عن هذه المناصب في إفتاء المسلمين ليس فقط بجواز طاعة الإمام الظالم بل بوجوب طاعته وحرمة الخروج عليه.

وهكذا صار المسلمين فرقتين كبيرتين: الشيعة والسّنّة، لأن الخوارج اضمحل تأثيرهم وضعفوا بعد الفترة التي زعزعوا فيها أركان الدولة الأموية بثوراتهم العديدة. وحدث أن كانت الخلافة الأساسية هي للسّنّة بما في ذلك الدولة العباسية التي قامت بحجة الانتصار لأهل البيت عليهم السلام.

تجهيل السنة وإثارتهم ضد الشيعة:

في حملتهم المستمرة لمحاصرة الشيعة والتشيع، فإن الحكام المختلفين على مختلف العصور لجأوا إلى سياسة التعليم الخاطىء لأهل السنّة، أو تجهيلهم في الواقع في كل ما يخص الشيعة وعقائدهم كي تبدو وكأنّها ليس فقط إحدى الانحرافات عن الإسلام والتي حدثت طوال التاريخ، وإنما الانحراف الأخطر والذي أريد به هدم الإسلام. إن الطريقة الوحيدة لرد الانبهار الذي لابدّ وأن يحصل عند البعض من جهاد الشيعة وتضحياتهم وثباتهم على المبادىء، بغض النظر عن الاختلاف معهم، هذا الانبهار الذي قد يؤدي إلى الانفتاح على الشيعة وعقائدهم وبالتالي التحول إلى صفوفهم أو على الأقل للتعاون معهم ضد الظالمين، هي أن تُهاجَم عقائد الشيعة ويخلص إلى أنها ضد الإسلام ويُهاجَم الشيعة أنفسهم ويُنبَزوا بمختلف الأوصاف التي يكرهها الآخرون، لكي تجعل الناس تشمئز منها ومنهم فتتوقف عن الانفتاح عليهم.

وعلى العكس مما يعتقد البعض[1] من أن الفقهاء الأقدمين لم يكونوا طرفاً في المشكلة الطائفية وإثارة السنّيين على الشيعة. فلقد نقل التاريخ أقوال وأفعال العديد من الفقهاء السنّيين التي كانت تصم الشيعة بالكفر أو الفسق أو الانحراف إما كجزء من المخطط السلطوي لمحاصرة التشيع كون بعض هؤلاء الفقهاء كانوا من فقهاء البلاد ـ وعاظ السلاطين ـ أو كواجب ديني يعتقد الفقيه أنه يجب أن يقوم به لكشف الانحراف وتحذير الناس منه.

لقد كتب بعض هؤلاء الفقهاء والمحدثين عن الشيعة ووصفوهم بما لم يصفوا به اليهود والنصارى والمجوس. بل صرّح البعض بعدائه لأئمة أهل البيت

---

(١) كحسن العلوي في كتابه «الشيعة والدولة القومية»: ٢٤٠.

عليه السلام أنفسهم فكيف إذاً بالشيعة. وها هو ابن خلدون يقول في مقدمته الشهيرة: وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وَفِقْه انفردوا به، بنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح[1]، وعلى قولهم بعصمة الأئمة... وكلها أصول واهية ثم قال: وشذ بمثل ذلك الخوارج، ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم!!

فكيف لا ينشأ السني على عداوة الشيعة وكرههم وعلماؤه الكبار يعلمونه أنهم يتبعون أهل البيت عليهم السلام الذين هم مارقون كالخوارج، وانهم مبتدعة، وأنهم يكرهون الصحابة ويقدحون فيهم؟

[وإليك مثالا آخر من تجربة العراق]:

في عام ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ثارت ضجة حول كتاب«الدولة الأموية في الشام» وضعه شخص سوري كان يعمل مدرساً في العراق اسمه أنيس زكريا النصولي بسبب كون الكتاب الذي وضعه ليكون مادة دراسة للمدارس الثانوية، كان في بني أمية وتاريخهم الأسود الذي صيّره النصولي شيئاً آخر، وخصوصاً بسبب ما ذكره بخصوص الثوار الشيعة ضد العهد الأموي، وكذلك قضية الإمام الحسين عليه السلام وصراعه مع الأمويين.

قال في كلمة الإهداء: «من أحق بتاريخ بني أمية من أبناء أميّة، ومن أحق بتاريخ معاوية والوليد من أبناء معاوية والوليد، فاقبلوا يا أبناء سورية الباسلة المتحدة والمستقلة هذه الثمرة الصغيرة».

---

(١) وهو المهم عند علماء السنّة، بل الأهم والسبب في عدائهم للشيعة. وأحب أن أنقل تعليق السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي في ص٣٤٠ من كتابه «النص والاجتهاد» على قول ابن خلدون هذا، قال: ما أدري كيف تبني المذاهب الفقهية على تناول بعض الصحابة بالقدح، وما عرفت كيف تستنبط الأحكام الشرعية من تناول أحد من الناس، وإبن خلدون يعد من الفلاسفة، فما هذا الهذيان منه يا أولي الألباب!

قال: «إن هذا الضعف في زعماء آل البيت كان من أكبر المصائب على الإسلام، إذ جعل لأحزابهم وأصحاب النفوذ والمطامع من رجالاتهم الفرص الكافية لادعاء مبادىء باسمهم لم يفكروا بها ولم تخطر لهم على بال!!».

وعلى هذا فزعماء أهل البيت عليهم السلام كانوا مصائب أصيبت بها الأمة ـ والعياذ بالله من هذا القول ـ وأن التشيع الذي تعتنقه الشيعة مخترع من عندياتهم.

وقال: «.. وإنّ الذين يسعون في الخلاف عليها هم الكفرة الفجرة، ولا غرابة في ذلك، فالعاهل الأموي كان خليفة رسول الله، ومن يخرج على الخليفة فإنما يخرج على رسول الله، ومن يخرج على رسول الله فإنما يخرج على الله، ومقره جهنم وساءت مصيراً!!».

وعلى هذا، فالإمام الحسين عليه السلام من الكفرة الفجرة ومقره جهنم وساءت مصيراً، نعوذ بالله من هذا القول.

وقال: «تلك هي إصلاحات بني أمية وكلها ترمي إلى العدل وإعلاء كلمة الحق!!».

وعلى هذا، فقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وسبي بنات الوحي، ورمي الكعبة بالمنجنيق، واستباحة المدينة المنورة وهتك أعراض بناتها، مع غيرها من الموبقات، كانت إصلاحات ترمي إلى العدل وإعلاء كلمة الحق.

وقال: «كان زعماء آل البيت ضعافاً فظلوا تحت تأثير المورفين الفارسي والأفكار الفارسية!!».

وقال: «.. ارتياب الحسين في حقه بالخلافة واعترافه اعترافاً صريحاً ليزيد بإمارة المؤمنين!!».

وقال: «قضت الدولة على حركة التوابين في عين الوردة ولكنها لم تقض على الأحقاد المتأصلة في نفوس الشيعة!!».

إن أي إنسان، وإن كان جاهلا أو لا يشعر بالمسؤولية، يعرف أن مثل هذا الكلام إنما هو إساءة إلى الشيعة، بل إلى الإسلام، وأنه في العراق يعتبر بمثابة إعلان ثورة على مشاعر وعقائد أغلبية الشعب العراقي الشيعية والكثير غيرهم من السنّيين. ولكن كان لساطع الحصري المسؤول عن وضع المناهج التعليمية لأولاد العراقيين رأي آخر هو:

«استطيع أن أقول أن أغلاط الكتاب العلمية ـ ومحاذيره السياسية ـ تنحصر في عبارات الإهداء التي تصدرت الملزمة المضافة إلى الكتاب أخيراً، ولذلك رأيت أن أحسن الطرق لمعالجة القضية هي أن يطلب إلى المؤلف أن يعيد طبع الملزمة المذكورة على أساس تجريدها من كلمات الإهداء!!».

وقال عن متون الكتاب: «عندما قرأتها بكل اهتمام لم أجد فيها ما يمس عواطف طائفة من الطوائف الدينية!!»[1].

عقدة الصحابة:

تشكل قضية الصحابة الحجر الأساس في جدار البغضاء الطائفي حيث لا يرى السنّيّ أيّ مبرر لهذا الموقف السلبي للشيعة من الصحابة المقدسين عنده، ولست ألوم السنّيّ الذي لم يطلع على التاريخ وشيء من التحليل الموضوعي الواعي، لأن شعوره شعور طبيعي يتولد عند كل إنسان، كائناً ما كانت عقيدته، تجاه من يقف موقفاً سلبياً ممن يقدّس.

وأنت ترى هذه الحقيقة عند قراءة أي كتاب من الكتب التي دفعها البترودولار لشتم عقائد الشيعة. فقضية الصحابة تقف ليس فقط في أوّل الإشكالات، ولكنها هي المشكلة الحقيقة لمن دقق في هذه الكتب، ولمن استمع

(١) راجع «مشكلة الحكم في العراق»: ٢١٥ وما بعدها.

إلى شكاوى السنّة من عقائد الشيعة.

ولقد استعملت هذه القضية لإثبات أعجمية الشيعة، وأنهم جمعية سرية أسسها الفرس لتدمير الإسلام، وذلك لأن انتقاد الصحابة وتجريح بعضهم يعني - كما يقولون - تهديد قدسية السنّة النبوية المنقولة عن طريقهم، وبذا تنجح مؤامرة الفرس بإلباس الحق بالباطل وضياع السنن المنقولة عن الصحابة. وهذا الكلام يقال - بالطبع - لإقناع العوام من السنّة ليس فقط بفساد عقيدة الشيعة، بل بتآمرهم بشكل مماثل للجمعيات الماسونية والهيئات التبشيريّة، ضد الإسلام.

ولكن المؤسف هو أن هذا الكلام يردد من قبل بعض حملة العلم وأدعيائه، فهؤلاء يعرفون أن الشيعة ليسوا جماعة تريد أن تهدم دين المسلمين، بل هي جماعة لديها خزين كبير من الأحاديث الشريفة المنقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وذلك عن طريق بعض صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعض صحابة الأئمة عليهم السلام. وليست أحاديث الأئمة عليهم السلام اجتهاداً من عندهم، بل هي نصوص تلقاها كل إمام عن الإمام الذي قبله وصولا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك كانوا عليهم السلام كثيراً ما يبدأون رواياتهم بكلمة: «حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..» وذلك تأكيداً لهذا المعنى.

من الناحية الأخرى فإن الشيعة يفخرون بأنهم لا يوالون أي أحد إلاّ بعد التثبت من حسن سيرته وحسن خاتمته، فلا يمكن عندهم أن يوضع عبدالله بن مسعود الذي كان ممدوح السيرة دائماً ولم يغير أو يبدل أو يفعل ما يؤذي المسلمين، حتى قضى على الحال التي فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في منزلة بعض الصحابة الذين لم يتركوا هذه الدنيا إلاّ وقد أثاروها فتنة عمياء وخرجوا على علي بن أبي طالب الإمام المبايع من قبل المسلمين - دع عنك النص الذي يتحدث عنه الشيعة - وسلّوا سيوفهم ضد المسلمين فأشعلوا أوار أول الحروب

فيما بين المسلمين أنفسهم، والتي أدت إلى مقتل الألوف منهم على أرض العراق بلا سبب سوى التنازع على الملك، كما لا يمكن أن يثقوا بروايات رواها أشخاص غشوا المسلمين وقتلوهم دون حق وسلبوهم وساروا فيهم بسيرة فرعون وهامان وقارون.

إلاّ أن الدول التي تسلطت على المسلمين لما رأت المقاومة من الشيعة لحكمهم غير الشرعي كان لابد لها أن تزيف التاريخ وتفتعل الروايات المضادة لعقائد الشيعة في الأشخاص والأحداث، والتي تصبح حقّاً بعد غسيل الدماغ بها لقرون من الزمان، خصوصاً وأن المعارضة الشيعية بقيادة أئمة الهدى عليهم السلام كانت محرومة من وسائل الإعلام، وفي ذلك الزمن المتخلف بالنسبة لزمننا الحاضر في وسائل الاتصال والإعلام.

وإننا نعاصر، ونحن في هذا الزمن الذي يفترض أن ينقل فيه كل شيء كما هو بسبب وجود التلفزيون والفيديو والقمر الصناعي والتلفون والتلكس والفاكس والكمبيوتر، نعاصر تشويه الأحداث بشكل يومي، وتعتيم على أحداث مهمة، وتضخيم واهتمام بأحداث تافهة، فكيف في ذلك الزمان الذي لم تكن وسائل الإعلام والاتصالات كما هي في عصرنا الحاضر، بل ولا واحد من الألف منها.

والمشكلة جداً عويصة، وذلك لأنّ من يقف الشيعة منهم موقفاً سلبياً واضحاً، أبا بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين، هم أكثر الناس تقديساً عند أهل السنّة، ولقد كان الشيعة غير متساهلين مطلقاً في المواقف التي اتخذها هؤلاء الصحابة الثلاثة لأنهم عدّوها خروجاً أساسياً على نصوص مقدسة لا مجال لتجاوزها كما في تجاوز أبي بكر وعمر لحق عليّ في الحكم نصّاً عليه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنع فاطمة عليها السلام حقها في ميراث أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وخروج عائشة من بيتها الذي أمرت أن تقرّ فيه بنص القرآن، وقيادتها الجيوش التي حاربت بها

المسلمين الذين يقاتلون تحت راية الخليفة الشرعي المبايع، فالمسألة فيها إراقة دماء حرام وخلافة المسلمين وهي أخطر مركز في الإسلام.

وبما أن الشيعي يعتقد بأن أخاه السنّيّ لا يعرف الكثير من الحقائق بسبب عمل الحكام في الماضي على تشويه الحقائق بصرف الأموال لوضع الأحاديث الكاذبة التي تبرر كثيراً من الأفعال التي لا يقرّها الشرع أو التي تجاوز أصحابها على نصوص قرآنية أو حديثية لا يمكن تجاوزها بإجماع المسلمين أو برفع شأن أناس وخفض آخرين، إذاً فعليه أن يعذر أخاه السنّيّ حتى يبين له الحق لأن ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1]، وفي نفس الوقت على السنّي أن يسمع له ويناقشه إذا لم يعتقد بما يرى.

عقدة عدم الفهم للعقائد والشعائر الخاصة بالشيعة:

يعترض السّنّي العراقي (وغيره في هذا المجال) على بعض العقائد والشعائر الشيعية.

وكما قلنا سابقاً فإن التعليم والإعلام المسيطر عليه من قبل الدولة الطائفية لا يتيح لعقائد الشيعة أن تعرض على الملأ، دع عنك توضيحها وشرحها وشرح أبعادها وتبيان عدم مخالفتها للإسلام، لذلك فإن الفرد السنّيّ لا يفكر بأنه قد يكون مخطئاً في اعتقاده وقد يكون الشيعي هو صاحب الحق، لأن الفرد العادي لم يأته الوحي من السماء ليكون واثقاً تماماً من معتقداته وأنها في صلب العقيدة الإسلامية أو لا تتصادم معها.

ومن هذه العقائد عقيدة المهدي المنتظر الذي يعتقد الشيعة أنه موجود حي

---

(١) الروم: ٣٢.

غائب عن أعين الحكام وينتظر الأمر الإلهي بتحقق الشروط لظهوره لتأسيس الدولة العالمية الإسلامية محقّقاً وعد جده رسول الله ﷺ: «يملأ الأرض قسطاً وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً».

ومنها صلاتهم على تربة مأخوذة من طين من منطقة قبر الحسين عليه السلام في كربلاء، فالسنّة يرون أن هذا نشاز لمجرد أنهم لا يصلون على مثلها[1].

ومنها الشهادة لعلي بن أبي طالب بالولاية في الأذان والتي يعترض عليها السنّة بل ويشمئز بعضهم من سماعها. هذا، مع أن السنّة يضيفون كلمة«الصلاة خير من النوم» في أذان صلاة الفجر ويعترفون أن هذه لم تكن وقت النبي ﷺ وإنما أضيفت بعده.

ومنها الالتزام بصفة العدالة فيما يخص الأمور الشرعية مما يؤدي إلى سوء فهم لدى السنّيين. وصفة العدالة تأتي في مقدمات صفات إمامة المسلمين وإمامة الحج وإمامة الصلاة وغيرها. إن إمامة المسلمين هي التي من شأنها رفض الشيعة الحكام الزمنيين، ورُفِضَ الشيعة رداً على ذلك.

فالشيعي يرى في مرجع التقليد إماماً له (كونه نائباً للإمام وحسب أمر الإمام المعصوم) في جميع أموره. من هذه الأمور تعيين رؤية الأهلة والتي تصبح قضية خلاف في بداية شهر رمضان المبارك وشهر شوال وشهر ذي الحجة، حيث يحرم الإفطار في أول رمضان وآخره، ويحرم الصوم في يوم العيد، وحيث مناسك الحج والتضحية في عيد الأضحى.

ويعتقد غالبية أهل السنّة بأن الشيعة تصوم وتفطر بعدهم بيوم واحد عادة

---

(١) والحقيقة هي أن هذه التربة قد حملت أكثر مما تحتمل، ولكن لابد لكاتبي الكتب أن يملؤوها مقابل المال السحت الذي يدفع أجراً لهذه الكتب السامة.

لأنهم يريدون أن يخالفوهم فحسب! هذا، في حين أن الشيعة ينتظرون الأخبار من المراجع والعلماء في العراق والكويت والمدينة المنورة وإيران ولبنان عادة، والذين يستندون إلى شهادة العدول في رؤية الهلال[1].

ومنها الزيارات الشيعية للأئمة والصالحين وما يقرأ فيها، حيث لا يعتقد علماء السنّة ولا الكثير من السنّة العوام إمكانية أن يزار الميت ويتكلم معه وكأنّه حيّ وما الفائدة من ذلك. إلاّ أن هذا الأمر ليس بقضية ذات شأن لأن الكثير من السنّيين في العراق وغيره يقومون بمراسيم الزيارة وطلب شفاعة الميّت في الحاجات عند الله تعالى، على الرغم من الحرب التي تشنها الوهابية السعودية ضد هذه الشعائر في كافة أرجاء العالم الإسلامي ومنها مصر بتأثيرها على بعض الجماعات الإسلامية وبعض «العلماء».

وأخيراً، كنت أتصور أن ما يتهم به السنّة الشيعة من أنهم يفضلون علياً،

---

(١) والحقيقة هي أن الواجب على جميع المسلمين أن يصوموا ويفطروا بناءً على رؤية الهلال من قبل العدول. إلاّ أن اتباع كثير من البلدان الإسلامية للسعودية في ذلك، وكون السعودية تصوم وتفطر مبكراً دائماً، حتى قبل ولادة الهلال أحياناً كما أكد ذلك الباحثون والفلكيون وبمقارنة جداول ولادة القمر التي لا شك في صحتها، جعل السنّة في الكثير من البلدان الإسلامية ومنها العراق الذي يتبع السعودية أحياناً كثيرة، يصومون ويفطرون قبل الشيعة.

ولا أرى شخصياً أي حاجة لتوحيد الصيام والإفطار كما يطلب البعض مخلصاً، لأن المسلمين موزعون في أصقاع الأرض مما تصبح الرؤية الموحدة مستحيلة. كما أرى شخصياً أن هناك تفريطاً من جانب علماء السنة في عدم التثبت من الهلال ومتابعة السعودية، وتفريطاً من الناس عموماً في متابعة إعلانات الدولة بالرؤية وهي التي تستند إما على علماء غير ثقات من وعاظ السلاطين وإما على قرارات سياسية (كما حدث في الستينات في العراق حيث أعلنت الدولة أنه لم تثبت رؤية هلال شوال، ثم لما أعلنت النجف ثبوت الرؤية أعلن تلفزيون بغداد في ساعة متأخرة جداً من الليل ثبوت الرؤية).

ويعتقدون بأن النبوة كان يجب أن تكون لعليّ قد أصبح شيئاً من مخلفات الماضي، إلاّ أنني وجدت أنّ البعض لا يزال يحمل هذه الأفكار السخيفة عن الشيعة، وعندما كنت أعدد هذه الافتراءات على الشيعة لأحد أقربائي قاطعني بأنه لا يشك في أن بعض الشيعة يعتقد أن علياً هو الذي كان من المفروض أن يكون النبي وليس محمداً ﷺ !! وعندما أوضحت أنه لا يوجد مثل هذا الشيء في الطائفة الشيعية الإمامية الاثنا عشرية لا في عالمهم ولا في جاهلهم أصرّ على رأيه بشكل ملفت للنظر وبقي على اعتقاده!!

أكثر من ذلك يصل الحد الى اتهام الشيعة بأنهم لا يحبون النبي ﷺ كما أقسمت إحداهن!!!

ولا نريد هنا أن نرد على هذه الترهات والافتراءات كأن نسأل عن السبب الذي من أجله لا يحب الشيعة محمداً ﷺ، أو عن السبب الذي حدا بجبرئيل عليه السلام أن يخطىء فلا ينزل بالوحي إلى علي عليه السلام ابن العشر سنين وينزل به إلى محمد ﷺ ابن الأربعين سنة!! ولا عن إمكانية حدوث ذلك من الملائكة المعصومين المرسلين من رب العالمين، أو عن السبب الذي يجعل جبرئيل يخون الأمانة كما يفتري البعض، أن هذا من اعتقادات الشيعة أو بعضهم، وكيف يخون روح القدس الموصوف من قبل الله تعالى في القرآن بالأمين (إنّها لمهزلة حقّاً أن يضيع الوقت والجهد والورق في مثل هذه السخافات)، ولكن أريد أن أستغل هذه الفرصة لأقول لمن يريد أن يسمع بأنّ الشيعة تضع رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ في منزلة أعلى بكثير من المنزلة التي يضعه ﷺ فيها السنّيون، فهم يعتقدون بعصمته ليس فقط بالتبليغ عن الله، بل بعصمته في كل حال ومقال، وفي طول عمره الشريف أي منذ اليوم الذي ولدته أمه وحتى يوم قبضه الله إليه.

كما وينزهونه ليس فقط عن الخطأ والسهو في التبليغ، بل وفي كل قول

وفعل وفي كل عمره. وفي حين أن غيرهم يعتقد فيه أنه كان يأخذ آراء الصحابة ويقرّر على أساسها، فإن الشيعة تعتقد أنه ﷺ لم يكن يحتاج إلى أحد وإنّما كان يشاورهم لتطييب قلوبهم أولا، وليعلم الناس أنّ الحاكم يشاور الرعية ثانياً.

ولا يعتقدون كما يعتقد غيرهم أنّه ينسى الآيات القرآنية فيتذكرها بعد أن يسمعها من أعمى يقرأها، أو أنه سُحِر وأثّر فيه السحر بحيث لم يعد يدري فيما إذا أتى النساء أو لا (كما ورد في صحيح البخاري[1] الذي يعتقد السنّيون بصحة كل ما جاء فيه)، وأنّه نام حتى سمعوا غطيطه ثم استيقظ فصلّى بدون وضوء[2]، لأن الشيعة تعتقد أن ذلك من شأنه أن يعرضه للخطأ في التبليغ والنسيان مما سيضل الأمة لأنها لن تعلم في أي حال قال أو فعل ﷺ ما وصلها عنه، أفي حال العصمة والصحو والانتباه أم في حال النسيان والخطأ والسحر نعوذ بالله وبه نستجير من هذا الاعتقاد.

ونقول لمن يريد أن يسمع بأنّ الشيعة ترى أن الرسول ﷺ خير خلق الله أجمعين، ومن حباه بعلوم الأولين والآخرين، وجعله على خلق عظيم، وآتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين من الفضائل والمزايا، فلا يدانيه أحد في مرتبة أو يصل إلى مقامه المقدس.

أما اعتقادهم بعليّ عليه السلام فإنه عبدالله وأخو رسوله ﷺ آخاه معه في الدنيا والآخرة بأمر الله، وزوّجه ابنته الزهراء عليها السلام بأمر الله، وجعله منه بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، وهي تعني منازل الخلافة في قومه والتبليغ وغيرها فيما عدا النبوة التي ختمت بمحمد ﷺ، بعد أن علمه ما شاء الله وذلك بأمر الله، ونصبه

(١) صحيح البخاري: ٧ / ٢٩.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ٣٧، ٤٤، ١٧١.

للإمامة والخلافة بعده ﷺ مباشرة في مناسبات عديدة آخرها بعد حجة الوداع في غدير خم الواقع بين مكة والمدينة وذلك بأمر الله، ونصب أولاده الأحد عشر بدءاً بالأخوين الطاهرين الحسن والحسين عليهما السلام وانتهاءاً بالمهدي عليه السلام أئمة على الناس أجمعين سواءً رضي الناس أم لم يرضوا (كما في قوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» أي بالخلافة المبسوطة اليد على الناس) وذلك بأمر الله تعالى، وقوله ﷺ: «يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش»[١]، والتي لا تنطبق مطلقاً إلاّ على معتقد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية في أئمتهم الاثنى عشر بدءاً من الإمام عليّ وانتهاءً بالمهدي.

فالأمر هو اختيار إلهي لهؤلاء الصفوة أن يخلفوا رسول الله ﷺ وليس رغبة من الرسول أن يرفع أهله على الناس أو رغبة منهم عليهم السلام أن يصعدوا على كراسي الحكم، فلقد كان ﷺ وكانوا عليهم السلام أزهد الناس بالدنيا وما فيها. قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّه وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٢]، وقال: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾[٣]، ولا أدري ما هو أعظم من اختيار أمناء للإسلام الذي لا يزال غضاً بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولا يزال المشركون في الجزيرة والمنافقون في مكة والمدينة وعقائد الجاهلية لا تزال قلوبهم مشربة بها، ولا تزال عقائد العنصرية والطبقية وغيرها متمكنة من قلوب الكثيرين إلى اليوم، فكيف يومئذ والأكاسرة والقياصرة متأهبون بعد أن عرفوا بهذا الدين من رسائل الرسول ﷺ التي دعاهم فيها للإسلام ومن غارات

---

(١) صحيح البخاري، باب الاستخلاف: ٨ / ١٢٧.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

المسلمين على أطراف الجزيرة.

وليس ذنب الشيعة أن الأمور لم تسر وفق ما أراده الله تعالى من خير للبشرية، وإنما هي المسؤولية على من رفض ذلك وأقبل على ما يرضاه هواه. إلاّ أن الذي حدث هو أن الناس لما رأوا أنهم هم الأكثرية ظنوا أن الشيعة هم على باطل كونهم هم الأقلية، والحق لا يعرف أكثرية أو أقلية، فإنّ من يتخذ غير الإسلام ديناً هم الأكثرية، وقد ذم الله الأكثرية في مواضع كثيرة من التنزيل ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، ﴿وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[2]، ﴿وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلاَّ وَ هُم مُّشْرِكُونَ﴾[3]، ومدح الأقلية ﴿وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[4].

ولكن الذي حدث هو أن السنّيين رأوا أنّ الشيعة يرفعون من مقام علي وأولاده عليهم السلام أكثر مما ينبغي حسب رأيهم، بل أن أكثرهم لا يعرف هؤلاء الرجال الذين تقدسهم الشيعة بهذا الشكل، كما أنهم لا يعرفون في عقائدهم شيئاً اسمه الإمام أو الوصاية مما جعلهم يظنون أن الشيعة إنما هي جماعة منحرفة عن الدين الصحيح.

وقد ساهم في هذا التعقيد ما يكتبه الشيعة دفاعاً عن أئمتهم وينشرون عقائدهم فيها، فظن الآخرون أن الشيعة إنما تقدس هؤلاء أكثر من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالتأكيد لم يكن هناك خلاف حول رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان تركيز

---

(١) الأنعام: ٣٧.

(٢) المؤمنون: ٧٠.

(٣) يوسف: ١٠٦.

(٤) سبأ: ١٣.

الشيعة في الدفاع عن عقائدهم ضد الهجمات الظالمة قديماً وحديثاً هو على الأئمة عليهم السلام فظن الناس أنّهم يبالغون أو يغالون في تقديسهم عليهم السلام.

إحياء أمرهم عليهم السلام والطائفية:

أمرنا الأئمة عليهم السلام بدعوة الناس إلى منهجم وطريقتهم، ودعوا الله تعالى أن ينشر رحمته على من يقوم بذلك، وذلك بقولهم: «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا». ولكن كيف يمكن إحياء أمرهم، أي دعوة الناس إلى اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام والذي عليه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، بدون الدخول بادىء ذي بدء في إثبات حق الأئمة عليهم السلام في الولاية العامة على المسلمين، ثم تحليل ما جرى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أمور تناقض ما تدعيه الشيعة (وتثبت صحته بوضوح من كتب السنّة أنفسهم) من تخطيط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للأمة بناءً على أوامر الله تعالى؟

كيف يمكن تجنب التعرف للصحابة الذين منعوا أهل البيت عليهم السلام من أن يتبوؤا مناصبهم حسبما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والذين ساهموا في ذلك، والذين قعدوا عن نصرتهم عليهم السلام حينما ادّعوا ذلك لأنفسهم؟

وإذا كان بالإمكان عمل ذلك بأن يشرح الداعية حقيقة أهل البيت عليهم السلام ووصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهم وإليهم، ويلقي الضوء على شخصياتهم المقدسة من خلال حياتهم الشريفة، ثم لا يتعرض إلى أسباب عدم صعودهم إلى سدّة الحكم، فبماذا سيجب من سيسأل متعجباً من هذا التناقض العجيب بين أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وواقع الحال؟

وإذا تمسك الداعية بعدم الجواب ملتجئاً إلى الآية الكريمة ١٤١ من سورة البقرة: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ**

﴿يَعْمَلُونَ﴾[1]، فبماذا سيجيب السائل الذي يدعوه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام عن الافتراءات التي في الكتب التي تطبعها الوهابية كل ساعة لتكرّه الناس هذا المذهب وتبعدهم عنه؟

لابد وأن يأتي الظرف الذي لابد من التعرض فيه إلى هذه الإشكالات الناشئة مما وقع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وهنا، سيتهم من يتعرض لها بالطائفية لأنه يتعرض للأشخاص الذين يقدسهم أهل السنّة، وتبدأ موجة جديدة من الاتهامات.

في البدء الهجوم على الشيعة بسبب عقائدهم المنحرفة، كما يفترون، وعندما يدافعون عن أنفسهم ضد هذا الهجوم يبدأ الهجوم عليهم بسبب طائفيتهم لأنّهم دافعوا عن أنفسهم!!!

إن دعوة الناس إلى أهل البيت عليهم السلام ليست دعوة طائفية وذلك:

١ ـ لأن الدعوة إلى فكر وعقيدة ليست كذلك، إنما هي محاولة اقناع آخرين بوجهة النظر لنيل مكسب دنيوي أو أخروي أو الاثنين معاً.

وفي حالة التشيع بالذات فإن الكسب الدنيوي يكاد ينعدم، لأن الدنيا لم تزل مدبرة على الشيعة منذ أن رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم الناس هذا. أما الأخروي فمضمون بدعاء الإمام«رحم الله من أحيا أمرنا». فهل يزهد عاقل في نيل الرحمة الإلهية لأجل شبهات يثيرها الطائفيون أو الجاهلون؟ وما قيمة كل هذه الأمور الدنيوية في قبالة هذه الرحمة التي قد ترفع صاحبها إلى جنان الخلد؟

٢ ـ ليست هذه الدعوة طائفية لأن الذين يُحيي أمرهم هم أصحاب منهج أبعد ما يكون عن الطائفية، وأقرب ما يكون إلى التقريب بين المسلمين، خذ مثلا نهج علي عليه السلام مع الصحابة الذين منعوه من تسليم مقاليد الحكم بعد وفاة

---

(١) البقرة: ١٣٤.

الرسول ﷺ، وما زالوا يمنعونه منه وهو يقيم عليهم الحجة كي لا يضيع الحق من جانب، ويقف منهم موقف الناصح والأخ المخلص الذي لا يتأخر عن نصيحة أو يتلكأ عن مبادرة لإحقاق حق أو إزهاق باطل من جانب آخر. ولقد كان عليه السلام كذلك في مواقف كثيرة نذكر منها:

أ ـ يوم السقيفة حين بويع أبو بكر ورسول الله ﷺ لما يزل مسجى بين أهله وبعض أصحابه، فما كان من علي عليه السلام، وبعد أن أقام الحجة على المسلمين، سواء مباشرة حينما طاف عليهم ليلا يذكّرهم ببيعته قبل أقل من ثلاثة أشهر في يوم الغدير، وبممانعته للبيعة في أول الأمر، أو بشكل غير مباشر وذلك عن طريق الزهراء عليها السلام في خطبتيها المشهورتين اللتين خاطبت بأولاهما أبا بكر خاصة ومن معه عامة[1]، وثانيتهما التي خاطبت بها الأنصار[2].

بعدها، وبعد وفاة الزهراء عليها السلام بايع علي عليه السلام أبا بكر بعد أن مضت مدة تكفي لأن توصل للمسلمين على مر الأجيال أن علياً عليه السلام كان يرى أنه صاحب الأمر بعد الرسول ﷺ مباشرة. كذلك فقد كان يصعب على أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) والتي اعترضت فيها على قرار الخليفة منعها من التصرف بإرث أبيها رسول الله ﷺ استناداً إلى حديث رواه الخليفة أبو بكر يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»، في حين كانت ترى أنها ترث أباها ﷺ كما ترث أي بنت أباها استناداً على نصوص القرآن الذي لم يخصص آيات المواريث بسائر الناس دون الرسل عليهم السلام، واستناداً إلى كونها لم تسمع حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو بكر، وأنه من المستحيل أن يتركها أبوها ﷺ جاهلة بهذا الحكم الشرعي فيعرضها للمطالبة بإرث ليس من حقها كما زعموا.

ويبدو أن بعض حكام المسلمين كانوا يوافقون الزهراء عليها السلام في طلبها لأنهم أعادوا الميراث، ومنه قرية «فدك» إلى ذريتها، كما فعل عمر عبدالعزيز الأموي والمهدي والمأمون العباسيان.

(٢) وهي تحثّهم على نصرتها في طلب حقوقها التي منعت منها لأن الرسول ﷺ كان قد قال: «المرء يحفظ في ولده» وأوصى الناس بأهل بيته كثيراً كقوله: «أذكركم الله في أهل بيتي».

أن يبايع أبا بكر في حياة الزهراء عليها السلام بعد أن جرى لها ما جرى وبعد أن قاطعت أبا بكر ولم ترض أن تكلمه إلى غير ذلك من أحداث مؤلمة ليس ههنا مكان ذكرها.

ب - يوم جاء أبو سفيان، عدو الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم يحث علياً والعباس أن يتمردا على الخليفة المبايع وهو يعدهم النصرة بما يستطيع - وقد كان بإمكان مدّعي الإسلام هذا أن يجمع الكثرة الكاثرة من المنافقين - فما كان من علي عليه السلام وقد عرف مقصده أن رده وجبهه بدخيلة نفسه، وأنه لا يريد سوى الوقيعة بين المسلمين وشق صفوفهم بعيد الهزة العظمى التي حصلت لهم بوفاة قائدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان علي عليه السلام، لو كان ذا دعوة طائفية، سيرضى بأبي سفيان ومن معه كي يعيد الأمر إلى نصابه بغض النظر عما يحل في المسلمين، أو على الأقل في تحليل الاعتماد على المنافقين وضعيفي الإيمان.

ج - يوم نص أبو بكر على عمر فقال عمار بن ياسر لعمر: «يا عمر: أمّرته عام أول وقد أمّرك اليوم»، وهذه لم تكن سوى زفرة من عمار، وإلاّ فإن علياً عليه السلام كان قد أمر أصحابه بالصبر، وصبر هو وماشى عمراً في خلافته التي امتدت عشر سنوات لم يبخل عليه بالنصيحة، بل وبإنقاذ في أحيان كثيرة لم يُعرف فيها الحكم الصحيح، فكان علي عليه السلام المرجع فيها، مما جعل الخليفة يقول في مناسبات عديدة قولته المشهورة: «لولا عليّ لهلك عُمر».

أكثر من ذلك، عندما أراد عمر أن يذهب بنفسه لفتح العراق وفارس أشار عليه علي عليه السلام بألا يذهب بل يبقى في المدينة، ولو كان غير علي عليه السلام لفرح بخلو الجو له في المدينة حيث يستطيع أن يتمرد، أو يأمل بالبيعة بعد وفاة عمر المحتملة إذا ما ذهب للحرب.

د - يوم الشورى التي أمر بها عمر قبيل وفاته، وجعل فيها الأمر لعبد الرحمن بن عوف إن كان أصحاب الشورى ثلاثة وثلاثة، فكان ذلك وبويع عثمان بن

عفان لأنه وافق على شرط عبدالرحمن بأن يحكم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وسيرة أبي بكر عمر، في حين رفض الإمام علي عليه السلام أن يسير بغير الكتاب والسنة واجتهاد رأيه لأنه يعتقد أنه أعلم من أبي بكر وعمر، ولأنه يعتقد بعدم حجية سيرة أبي بكر وعمر وعدم إلزامها له.

هنا أيضاً، لو كان ذا منهج فئوي ضيق وينظر إلى مصلحته الذاتية ومصلحة الأمة الآنية دون مراعاة القيم التي يعدّها خطأ والتي ستتأسس على موافقته على شروط لا يقرها ثم لا يفي بها، كان يمكنه أن يوافق على الشرط ثم يسير حسبما يريد بعد أن يُبايَع.

هـ ـ موقفه من عثمان يوم أن حاصره المسلمون يطلبون النَصَف من وُلاته، ومن ثم أرادوه أن يخلع نفسه من الخلافة. حيث كان عليه السلام نِعم الناصح والسفير بينهم وبين عثمان حتى خاف سلام الله عليه من الإثم كما قال عليه السلام. هذا مع أنه كان نفسه ينقم على عثمان الكثير من الأحداث، ومنها ما تعرض له أكابر شيعته كعمار وابن مسعود وأبي ذر.

٣ ـ هذه الدعوة ليست طائفية وذلك لأنها من قبل أناس أثبتوا على مرور الأزمان أنهم أبعد ما يكونون عن الطائفية، أو أن طائفية البعض منهم أقل بكثير من طائفية غيرهم من المسلمين، ولئن كان الماضي بحاجة إلى دليل فإن الحاضر المعاش يثبت بما لا يقبل الشك ما أقول. ولنضرب أمثلة على ذلك:

أ ـ تحتوي الدراسات الشيعية على أطروحات ومقارنات وإشارات إلى الفقه السنّيّ والفكر السنّي والآراء السنّيّة، في حين تخلو الدراسات السنّيّة خلواً تاماً من أيّة إشارة إلى الفكر أو الفقه الشيعي. وهذا يعم المجلات والصحف والكتب الدينية والإطروحات الجامعية وغيرها.

ب ـ تحتوي المكتبات الشيعية على كتب السنّة في حين لا تحتوي مكتبات

السنّة على كتب الشيعة، وهذا يعمّ المكتبات الخاصة والعامة، وفي جميع بلاد المسلمين، ويعمّ جميع المواضيع من حديث وفقه وتاريخ وأدب وغيرها.

ج ـ تبيع محلات بيع الكتب الشيعية كتباً دينية وأشرطة كاسيت لوعاظ من السنّة في حين لا تبيع محلات الكتب السنّيّة الكتب الدينية الشيعية، وهذا يعمّ جميع المواضيع الدينية، وجميع بلاد المسلمين أكثر من ذلك، يتوقف أصحاب المكتبات الطائفيون عن التعامل مع الموزعين الذين يوزعون كتباً دينية شيعية، فلا يشترون منهم حتى الكتب الأخرى عقاباً لهم على نشر«الانحراف» الشيعي!!

ويصل الأمر إلى حدّ إحجام هؤلاء عن توزيع المصاحف الكريمة إن كانت مطبوعة في إيران في حين توزع المصاحف المطبوعة في أي مكان دون مراجعة!

د ـ تضم رفوف مكتبات الجوامع والمساجد والحسينيات والجمعيات الإسلامية الشيعية الكتب الدينية السنّيّة في حين لا تضم مكتبات الجوامع والمساجد والجمعيات الإسلامية السنّيّة كتب الشيعة.

هـ ـ تمد الجمعيات والجماعات الدينية الشيعية يدها بإخلاص دائماً للجماعات والجمعيات الدينية السنّيّة من أجل التعاون في شتى المجالات، في حين يحجم الآخرون عن فعل المثل، بل يعاملون الشيعة وكأنهم غير موجودين.

و ـ ينظر الشيعة إلى السنّيين على أنهم إخوان لهم يجهلون الحقيقة، وأن ذمتهم مبرأة باتباعهم مذاهبهم، وهم لذلك يطلقون عليهم لفظة«إخواننا» أو«الإخوة» كما سمعته بأذني مراراً من جلسات لا يحضرها غير شيعة. هذا على الرغم من أن الشيعة يعرفون أن الكثير من«إخوانهم» السنّيّن لا يبادلونهم نفس المشاعر، بل يعتبرونهم منحرفين عن الدين باختبارهم ولذا فهم من الخاسرين، كما ويعرفون الأضغان والأحقاد التي في قلوب البعض، والرمي بالأعجمية كما

في حال شيعة العراق والخليج[1] ولكن يحملوها على الجهل والتجهيل أيضاً.

أيها الإسلاميون: إجلسوا معا

ضرورة مناقشة الخلافات من الآن وجها لوجه:

إن الجلوس سوية لمناقشة الخلافات ضروري ولا غنى عنه وذلك على صعيد الأحزاب والعلماء والباحثين، لأن أفراد الناس الاعتياديين من الشيعة والسّنّة لم يجدوا أن المشاكل التاريخية والعقائدية تحول دون دخولهم في علاقات صداقة وتجارة وسفر، بل مصاهرة، وسائر الأنشطة الاجتماعية، إن الجلوس سوية يمكّن من معرفة حقيقة ما يعتقده الآخرون أولا، ومعرفة ما يظن الآخرون أنك تعتقده ثانياً، ومعرفة مدى استعداد الآخرين للوصول إلى حل لأي إشكال ثالثاً، ورابعاً، ولعله الأهم، يتيح الجلوس وجهاً لوجه للحواجز أن تتلاشى، وفي مقدمة ذلك الحواجز النفسية الناشئة من التعليم الخاطىء والتربية الناقصة وعمليات غسيل الدماغ.

جفاء بعض الإسلاميين السنيين:

يقول الكاتب:

ولقد أثبت لي الواقع المشاهد بما لا يدع مجالا للشك بأن أغلبية الإخوة الإسلاميين السّنّيين لا يبدون متحمسين لفكرة التقارب، ويغلب عليهم الجفاء والجفاف في التعامل مع الإسلاميين الشيعة.

وعندي أمثلة على هذا تدل على أن الكثير من الإسلاميين السنّة غير راغبين في التقارب من الشيعة على الرغم من محاولات التقريب عن طريق الأشخاص،

---

(١) وإن كان المقصود بالرمي بالأعجمية هو الطرد من حق القرار السياسي العراقي إلاّ أنه صار يحمل صفة الشتم فأضحت الأعجمية بحد ذاتها سبّة.

أو عن طريق المنهج الوحدوي الذي سلكته الحركة الإسلامية منذ اليوم الأول وحتى الآن.

وأني أعزو هذا الجفاء والجفاف عند الإخوة الإسلاميين السنّة إلى سببين رئيسيين، هما:

أولا ـ اعتبار الشيعة منحرفين عن الدين، وبالتالي فإن التفاهم معهم مرفوض شرعاً.

ثانياً ـ ضغط الجهات الدينية المرتبطة بالنظام السعودي الوهابي على هؤلاء الإسلاميين بشكل أو بآخر وذلك ضمن الحملة العالمية التي شنّتها الوهابية ضد الشيعة منذ تفجر الثورة الإسلامية في إيران والتي يعرفها الجميع، والناس عبيد الدنيا، وضغوط الحياة كثيرة خصوصاً لمن يقيم في المهجر، لذا يصبح تحقيق النجاح عن طريق الضغط المستمر أمراً ميسوراً.

والمشاهد من حال معظم أئمة المساجد والخطباء وبعض قادة الحركات الإسلامية السنّية يدل على أن الكثير منهم قد باع نفسه لقاء ريالات آل سعود التي يدفعونها عن طريق مؤسساتهم في الخارج، وبالخصوص رابطة العالم الإسلامي التي تنتشر فروعها في مختلف أنحاء العالم، وأيضاً مساجد الضرار التي يبنيها الوهابيون في أصقاع مختلفة من الأرض.

الأمور الواجب طرحها للمناقشة

وأذكر الآن بعض الأمور التي لابد وأن تتم مناقشتها للوصول إلى صيغ للتعامل معها. أقول صيغاً وليس حلولا وذلك لأن معظم هذه الأمور لا يمكن حلّها إلاّ بالخروج عن المعتقد أو الخروج من المكابرة والعناد اللذين يصعب

التغلب عليهما عند أكثر الناس، وستلاحظ أنني لم أذكر الحوار حول القضايا السياسية - التي ليست لها علاقة واضحة بالقضية الطائفية - لأنه قد بدأ فعلا بين الطرفين أولا، ولأن ليس عليه اعتراض، معلن على الأقل، ثانياً.

١ . الخلاف العقائدي

يجب هنا طرح الخلافات العقائدية لا لأجل إقناع الخصم بوجهة النظر الأخرى، وإنما لكي يعرف الخصم الأساس الذي بنيت عليه هذه الاعتقادات، فلا يقع بعدها فريسة الدعايات المغرضة والإشاعات التي هدفها تفريق المسلمين بتنفير بعضهم من البعض الآخر من قبيل أن التشيّع قد أسسه اليهود أو الفرس لضرب الإسلام كما يشيعه أعداء الشيعة، أو من قبيل أن السنّة لا يحبّون أهل البيت عليهم السلام كما يظن بعض الشيعة.

٢ . الخلاف الفقهي

وفي هذا يجب الوصول إلى اتفاق بعدم تسخيف الأحكام الفقهية للطرف الآخر، وكما هو حاصل في الهجمة الشرسة ضد الشيعة، ويجب الاتفاق على ضرورة احترام كل طرف لفقه الطرف الآخر، كي لا يصعب التوصّل إلى اتفاق بشأنها مستقبلا إذا أذن الله تعالى أن يكون للإسلاميين صوت في حكم العراق.

يجب أن يتوقف تفكير البعض عن طريقة «ما عندي هو الصحيح وما عند غيري هو الخطأ، حتى وإن لم أفكر بالموضوع، ويجب على غيري أن يتبعني». قال لي أحد الإخوة أن أصدقاءه (وهم إسلاميون سنّة كانوا في سفرة شبابية في بريطانيا) قالوا: «العجيب في أمر الشيعة أنهم يدققون كثيراً في مسألة اللحوم ويحرّمون أكل اللحوم التي تباع في محلات اللحوم التابعة لغير المسلمين، ولا يأكلون اللحوم ما لم تكن مذبوحة على الطريقة الإسلامية، في حين أنهم

يأخذون قروض العقار التي تقدمها البنوك والتي هي حرام لأن أقساطها ربوية».

أجبته: «وأنتم عجيب أمركم، تتحرجون في مسألة قروض العقار التي تقدمها البنوك وتحرّمون أخذها مع وجود التخريج الفقهي لها، في حين لا يهمّكم أن تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه من اللحوم التي يذبحها غير المسلمين وإنه لفسق!!»[1].

نعم، في كل مسألة تحرمها وتعجب لأني أحللها، أنا أحللها وأعجب لأنك تحرمها.

هكذا يفكّر البعض: رأيه هو الصحيح والآخر على خطأ على الرغم من أنه لا يعرف من الفقه شيئاً، فلا هو من المتخصصين ولا من الذين يعرفون من أين جاءت الأحكام الفقهية.

يجب الاتفاق على أن المسلم بريء الذمة في عباداته ومعاملاته طالما هو يتبع مذهباً يدري لماذا اتبعه، وليس تقليداً للآباء والأجداد. والإسلام دين يسر، فيجب عدم إلزام الخصم بما لا يعترف الخصم به من فقه.

---

(١) ومن الأمور التي تثار كل عام ويعترض لأجلها كالتالي: لماذا لا تصومون وتفطرون معنا ولماذا تفطرون بعدنا بيوم واحد وما ذاك إلاّ حباً بمخالفتنا.

وأجيب: ولماذا لا تصومون أنتم وتفطرون معنا ولماذا تفطرون قبلنا بيوم واحد وكأنكم ترغبون بمخالفتنا فلا تتيقنوا من الهلال بل تتبعون إعلان الحكومات الظالمة والله يقول: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا» هود: ١١٣؟!

وبالمناسبة فإنه في هذا العام (١٤١٣هـ) أعلنت السعودية عن ثبوت رؤية هلال عيد الفطر المبارك ليلة الثلاثاء (مساء الإثنين) المصادف ٢٣ آذار ١٩٩٣ في حين أن الهلال وُلِد يوم الثلاثاء، أي أن من شهد برؤية الهلال فعل ذلك قبل ولادة الهلال بعدة ساعات!! حدث الشيء ذاته عدة مرات في أهلة شهر رمضان وشوال.

٣. الشعائر الدينية

يعترض بعض السنّيين، من إسلاميين وغيرهم، على الشعائر الدينية للشيعة كإقامة مجالس العزاء في محرّم من كل عام، وكزيارة مراقد الأئمة عليهم السلام وغيرها، ويعترض الإسلاميون المتأثرون بالدعوة الوهابية التي ترفع شعار التوحيد على المسلمين جميعاً، سنة وشيعة، وفي مسألة إخراج النذور في مقامات الأولياء وفي زيارة المراقد للأئمة والأولياء والصالحين.

ولما كانت هذه الأمور لا يمكن الامتناع عن القيام بها لأنها بالنسبة لمن يقوم بها من شعائر الله القائل: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب**﴾[1]، وبالتالي فسيثاب عليها من الله عزّوجلّ، فأصبح لازماً على من لا يرضى بهذه الشعائر أن يعرف الأساس الفقهي والتاريخي التي تقوم عليه، أو أن يوطّن نفسه على قبول القيام بها من قبل الآخرين الذين هم غالبية الشعب العراقي من شيعة وسنّة.

الشيعة أكثر انفتاحا للنقاش والبحث:

يتابع الكاتب ملاحظاته ويقول:

ومن مشاهداتي الشخصية في العراق والكويت وبريطانيا، أجزم بأن الشيعة أكثر انفتاحاً للنقاش والبحث من إخوتهم السنّة بما لا يقاس، وهذا ليس بسبب عيب موجود في الشخصية السنّية، وإنما لأن السنّي ينشأ وهو ينتمي إلى أغلبية المسلمين مما يؤسس قناعة لديه بأنه على الحق لأن الأغلبية، وحسب الاعتقاد الخطأ السائد، لا يمكن أن تكون على الباطل، هذا أولا، أما ثانياً فلأن الشيوخ وأئمة المساجد والباحثين السنّيين لا يقيمون وزناً للشيعة ولا لأئمتهم عليهم السلام مما

---

(١) الحج: ٣٢.

يؤدي إلى عدم اهتمام السنّي بهم، واعتبارهم، حتى وإن لم يعي ذلك، منحرفين أو شاذين لا يؤبه لهم ولعقائدهم.

وقد يكون هناك سبب ثالث وهو معرفة علماء السنّة بأن عند الشيعة أدلة قوية وحججاً يصعب ردّها من كتب أهل السنّة، وهذا يؤدي إلى إحجامهم عن المباحثة، وعدم فتح عيون أتباعهم على وجود رأي آخر له حججه وأدلته من كتبهم لئلا يؤدي ذلك إلى تشيع بعض السنّيين، وكما يحصل دائماً، خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وخروج العقيدة الشيعية من كونها عقيدة بعض المسلمين الذين لا يؤبه بهم، أو حتى أنهم من غير المسلمين إلى عقيدة نجحت في إسقاط نظام عميل كافر، وتحت راية الإسلام وشعاراته المتفق عليها (الله أكبر ولا إله إلاّ الله)، فتساءل الكثير من السنّيين عن العقيدة الشيعية التي يحملها قادة إيران وشعبها فأدى ذلك إلى تشيع بعضهم، بل أن بعضهم رووا بأنّهم قد تشيّعوا بعد قراءتهم لكتب الشيعة عقيب قراءتهم للكتب التي تهاجمهم وتكفرهم، فانقلب السحر على الساحر.

في المقابل، ينشأ الشيعي وهو يحمل هموم الإسلام الذي لم يسر مسيرته التي أرادها الله تعالى، حسب اعتقاده، وهموم وأحزان أهل البيت عليهم السلام، فيصبح عنده أن يأخذ سنّي واحد بمذهب أهل البيت عليهم السلام غاية ما يتمنى، أو خير من الدنيا وما فيها كما في الخبر. كما أن وجوده في دول تحكمها الأنظمة السنّية سواء كان الشيعة هم الأكثرية كما في العراق والبحرين أو هم الأقلية، يجبره على الاطلاع على ما عند الآخرين لأنه في متناول يده في التلفزيون أو الكتب أو الصحف والمجلات وغير ذلك، فهو ينفتح على السنّي وما يكتبه علماؤه وباحثوه بشكل أو بآخر.

ولقد كنت أرى الكتب السنّية من حديث وفقه وتفسير إلى جانب الكتب

الشيعية في مساجد الشيعة ومكتباتهم العامة والخاصة، في حين لا يوجد شيء من كتب الشيعة في مساجد السنة ومكتباتهم. وهذا ينطبق على أشرطة التسجيل لأحاديث الوعظ وما شابه.

وهكذا يكون الكاتب قد عرض المشكلة الطائفية عند المسلمين من خلال تجربة خاصة، وقدم بعض الحلول الناجحة لها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

❖ الشيخ علي محمد فتح الدين.

❖ ولد في القرن التاسع عشر، البنجاب (قرية جنك).

❖ ينتمي للمذهب الحنفي سابقاً.

❖ تشيع عام ١٩٢٠م.

❖ له كتاب بعد التشيع (فلك النجاة في الإمامة والصلاة)

❖ توفي عام ١٩٥٢م في مدينة جانك (الباكستان).

الشيخ علي محمد فتح الدين الحنفي

ولد الشيخ علي محمد في أحد العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الميلادي في مدينة «جنك» بالبنجاب، وهي المدينة التي تقع حالياً في دولة باكستان، وترعرع في أسرة تنتمي إلى المذهب الحنفي، ثم التحق - في ضوء عرف أهل زمانه - باحدى حلقات تدريس القرآن الكريم، فساعده ذلك على حفظ القرآن وهو في سن مبكّر.

سبب تسميته بالحافظ:

كان الشيخ علي محمد اضافة إلى حفظه للقرآن، متولّعاً منذ صغره بدراسة الحديث النبوي الشريف، وكان متميزاً بين اقرانه بذهنية رفيعة وذاكرة قوية، حتى أصبح من كبار حفّاظ عصره المشتهرين بحفظ الأحاديث الشريفة وأسانيدها، ورواياتها، وقد بلغت ثقته بنفسه في هذا المجال حداً أنه قال عن نفسه في مواقف عديدة: «إذا فقدت جميع كتب الروايات فأنا استطيع أن أمليها من حافظتي».

تفوقه في المجال العلمي:

ارتقى مستوى الشيخ على محمد في الصعيد العلمي بمرور الزمان حتى تصدّى لمهمة التدريس، ثم اصبح استاذاً بارعاً يشار له بالبنان، وكان يحضر درسه العديد من الطلاب الأفاضل، منهم الحكيم أمير الدين بن محمد مستقيم الحنفي الذي كان من ألمع وأبرز طلابه.

وكان الحكيم أمير الدين مهتماً بقضية البحث المقارن بين مذهبي أهل السنة والشيعة، وحيث كانت صلته باستاذه الشيخ على محمد قوية، فكان كثيراً ما يطرح عليه بعض الأسئلة في هذا المجال.

وكان الشيخ أمير الدين ملماً بالثقافة الدينية، ومتبحراً بقراءة كتب التاريخ والرجال وعلم الحديث والتفسير، فلهذا كانت اسئلته المذهبية التي يوجّهها إلى الشيخ علي محمد متّسمة بالعمق والدقة الموضوعية.

فلهذا اضطر الشيخ علي محمد بأن يخصّص لنفسه وقتاً للبحث عن الأسئلة التي كان يوجّهها إليه تلميذه الحكيم أمير الدين.

وفي إحدى الأيام حلّ أحد علماء (هرات) الأفغانيين الشيعة وهو الشيخ عبدالعلي الهروي المُتوفى سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٢م ضيفاً للسكنى في مدينة (سركوتها) بالبنجاب، فأحدثتْ هذه الزيارة صلة بين الحكيم أمير الدين والعلامة الهروي. ونظراً للثقافة الواسعة التي تميَّز بها الحكيم أمير الدين فقد كان مؤهلا بالدخول مع الهروي في مناقشات مذهبيّة صريحة للوصول إلى نتائج الاختلاف بين الفرق الاسلامية في مسائل اعتقادية بعد غربلة كتب التفسير والحديث والرجال والتاريخ، وانتهى المطاف في نهاية العقد الأول من القرن العشرين الميلادي. بتبنّي الحكيم أمير الدين للمذهب الإمامي، والانتقال إليه من المذهب (الحنفي).

دراسته للتشيع وفق الأسس العلمية

بفعل الصلة الوطيدة بين الحكيم أمير الدين والشيخ علي محمد فتح الدّين جرت بعد استبصار الحكيم حوارات بينهما إنتهت بالحافظ علي محمد أن يقوم بدراسة التشيع بجدّ والبحث عنه وفق أسس علميّة بحتة غير خاضعة للمؤثرات

المتوارثة، وقد شرع بذلك عام ١٣٣٠م / ١٩١١م.

ولم تمض فترة إلاّ وتوصّل الشيخ علي محمد إلى نفس النتائج التي توصّل إليها الحكيم أمير الدين.

استبصاره وتأليفه في مجال الامامة:

استصعب الشيخ علي محمد في البداية ترك ما كان عليه والانتقال إلى مذهب آخر، ولكن وضوح الرؤية وتكامل منهج أهل البيتعليهم السلام منحه القوة اللازمة للقيام بهذا التغيير.

ثم شرع الشيخ علي محمد عام ١٣٣٠م / ١٩٢٠م بتسجيل قناعاته الجديدة في كتاب سمّاه«فلك النجاة في الامامة والصلاة» وقام الحكيم أمير الدين بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ولم تكن ترجمته مقتصرة على نقل نصاً من لغة إلى أخرى فحسب، وإنّما أضاف إلى الكتاب إضافات كثيرة من خلال تتبع المصادر المختلفة، وإلحاق بحوث مُفصَّلة بين ثنايا الكتاب حقق فيها بعض المطالب بتفصيل وأناة ممّا أضفى على الكتاب جهداً مضاعفاً جعله في مصاف الكتب الموسوعيّة النادرة في تاريخ الصراع المذهبي في الإسلام.

وقد اشتهر كتاب (فُلك النجاة) عند الفريقين السُنَّة والشيعة ـ على حدٍّ سواء ـ وأصبحَ مصدراً لطلاب الحقيقة من الباحثين. وقد أُطلقت عليه تسمية (كتاب البركة)، نتيجةً لما اشتُهر على الألسنة أنّه ما قرأه مخالفٌ إلاّ وأحدث تساؤلا لديه!

وفاته:

تُوفيَ الحافظ علي محمد فتح الدين في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٣٧١هـ /١٩٥٢م، ودُفِنَ في مدينة (**چاند**) التابعة لمدينة (جنك) الباكستانية.

وعلى قبره صخرةٌ كبيرة تُحيط بجانبيها أشجارُ السرو الخضراء، قد كُتبَ على واجهتها إسم صاحبها الحافظ المولوي علي محمد فتح الدين، وسنة وفاته، وإسم مؤلفه الخالد (فُلك النجاة).

مؤلفاته:

١ـ«فلك النجاة في الإمامة والصلاة»

صدرت طبعته المحققة سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م عن مؤسسة دار الاسلام، لندن بتحقيق العلامة الشيخ ملا أصغر علي محمد جعفر رئيس جماعة الخوجة العالمية، وكانت طبعته الأولى سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥ في البنجاب.

جاء في مقدمة المحقق: «يتألّف الكتاب من جزئين:

الأول: يختص بدراسة مسألة (الإمامة) والاختلاف الذي وقع فيها مع تفاصيلها الاُخر وقد اطلق على هذا الجزء اسم (غاية المرام في معيار الإمام).

الثاني: يختص بدراسة موضوع (الصلاة)، وترتيبها، وما نشأ من اختلاف في مقدمات مسائلها الفرعية وغير ذلك. وقد اطلق عليه اسم«ترتيب الصلاة بتطبيق الروايات».

يتألف الجزء الأول من مقدمة: في لفظ الشيعة ومصداقه وخمسة أبواب.

الباب الأول: اختلاف المذاهب ومعيار أهل الحق.

الباب الثاني: في بيان عدم عمل الامة بوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للتمسك بالثقلين والمودة في القربى.

الباب الثالث: الخلافة والإمامة.

الباب الرابع: موازنة اوصاف الخلفاء الثلاثة من الايمان والعلم والشجاعة بأمير المؤمنين عليه السلام.

الباب الخامس: في اصول الحديث.

وأما الجزء الثاني ففيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في بيان تغير الصلاة.

الباب الثاني: في الطهارة.

الباب الثالث: في أحكام الصلاة.

وقفة مع كتابه: «فُلك النجاة في الامامة والصلاة»

يتكلم الكاتب في كتابه هذا في موضوعي الامامة والصلاة، وقد أجاد فيهما، واستعرض نصوصاً كثيرة، ونقل أقوال العلماء من كتب القوم حتى لم يترك لغيره من المطالب إلاّ القليل، وقد ارتئينا هنا الاستفادة مما أورده في موضوع الصلاة لجامعيته، ولكثرة ما أوردناه حول موضوع الإمامة في هذه الوقفات مع كتب المستبصرين.

تغير الصلاة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يبين الكاتب هذا الموضوع بالقول:

روى البخاري في صحيحه، مع الفتح (باب تضييع الصلاة عن وقتها) عن أنس قال: ما أَعْرِفُ شيء كما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! قيل: الصلاة. قال: الصلاة، قال أليس صنعتم ما صنعتم فيها. وفي رواية: سمعتُ الزهري يقول: دخلتُ على أنس بن مالك بدمشق، وهو يبكي فقلت وما يُبكيك، فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلاّ هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيّعت[1].

وعن عمران بن حصين قال: صلّى مع علي بالبصرة، فقال ذكّرنا هذا الرجل

---

(١) صحيح البخاري: ٣ / ٣٠٢.

صلاة كُنّا نصليها مع رسول الله ﷺ، فذكر أنّهُ كان يُكبّر كُلّما رفع، وكلما وضع[1].

وعن مطرف قال: قلنا (يعني لعمران بن حصين) يا أبا نجيد (كنية عمران بن حصين): مَنْ أول مَنْ ترك التكبير، قال عثمان بن عفان حين كَبُرَ، وضعف صوته، (وهذا يحتمل ارادة ترك الجهر).

وروى الطبراني عن أبي هريرة أنَّ أول مَن ترك التكبير معاوية، وروى أبو عبيد: أنَّ أول من تركه زياد. وهذا لا ينافي الذي قبله لأنَّ زياداً تركه بترك معاوية، وكان معاوية تركه بترك عثمان.

وفي صحيح البخاري عن مطرف بن عبدالله قال صلَّيتُ خلف علي بن أبي طالب (أنا، وعمران بن حصين) كان إذا سجد كبّر، وإذا رفع رأسه كبّر، وإذا نهض من الركعتين كبّر فلمَّا قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال قد ذكّرني هذا (أي علي) صلاة مُحمَّد ﷺ. أو قال لقد صلّى بنا (أيّ علي عليه السلام) صلاة مُحمَّد ﷺ[2].

وهكذا في صحيح مسلم، وفي سنن ابن ماجة عن أبي موسى قال: صلَّى بنا علي عليه السلام يوم الجمل صلاة ذكَّرنا صلاة رسول الله ﷺ، فأمَّا أن نكون نسيناها وأمّا أن نكون تركناها[3].

وفي كنز العمال عن الشعبي قال: رأيتُ علي بن أبي طالب، وصلّيتُ وراءه فسمعته يجهر ببسم الله، (رواه البيهقي)[4].

---

(١) البخاري: ٣ / ٤٢٨.

(٢) البخاري: ٣ / ٤٢٩.

(٣) صحيح مسلم: ١ / ١٦٩؛ وسُنن ابن ماجة: ١ / ٣١٩.

(٤) كنز العمال: ٤ / ٢٠٩.

وفيه: عن عبدالله بن أبي بكر بن حفص بن عمر ابن سعد: أنَّ معاوية صلَّى بالمدينة للناس العتمة فلم يقرأ (بسم الله)، ولم يُكبِّر بعض هذا التكبير الذي يكبر لنا فلمَّا إنصرف ناداه مَنْ سمع ذلك من المهاجرين والأنصار فقالوا يا معاوية أسرقت الصلاة، أم نسيت أين (بسم الله)، و(الله أكبر) حين تهوي ساجداً (رواه عبدالرزاق)[1].

وفي صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخُدري أنّ رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الاضحى، ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة (أي قبل الخطبة)، (ثم قال): فلم يزل كذلك حتى كان مروان بن الحكم فخرجت مخاطراً حتى أتينا المُصلّى فإذا (كثير بن الصَلت) قد بنى منبراً من طين ولَبَن، فإذا مروان ينازعني يده كأنَّه يجرني نحو المنبر، وأنا أجرّه نحو الصلاة فلمَّا رأيتُ ذلك منه قلت أين الابتداء بالصلاة؟! فقال لا يا أبا سعيد قد تُرِك ما تعلم. قلت: كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم (ثلاث مرات)، ثم انصرف[2].

وفي صحيح مسلم: عن كعب بن عجرة أنَّهُ دخل المسجد، وعبدالرحمن ابن أُمّ الحكم يخطب قاعداً، فقال: إنظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقد قال الله﴿وَ إِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائماً﴾[3][4].

وفي أشعة اللمعات: لا يخفى أنَّ عمر جمع الناس على قارىء واحد في رمضان، وقد عدّوا صلاة التراويح من محدثات عمر، بل أنَّهُ قال: نعْمَت البُدعة

---

(١) أيضاً: ٢١٠.

(٢) صحيح مسلم: ١ / ٢٩٠.

(٣) الجمعة: ١١.

(٤) صحيح مسلم: ١ / ٢٨٤.

هذه، وأيضاً جمعهم عمر على أربع تكبيرات في الجنازة[1]، وروى البخاري عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ اكتبوا لي مَنْ يلفظ بالاسلام من الناس. فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة، فلقد رأيتنا ابتُلينا حتى أنَّ الرجل ليُصلّي وحده، وهو خائف.

مسح الأرجل في الوضوء:

الأصل فيه قوله سبحانه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[2]. قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: اختلف الناس في مسح الرجلين، وفي غسلهما، فنقل القفّال في تفسيره عن ابن عباس، وأنس بن مالك، وعكرمة، والشعبي، وأبي جعفر مُحمَّد بن علي الباقر عليه السلام: إنَّ الواجب فيها المسح، (وهو مذهب الإمامية من الشيعة).

وقال جمهور الفقهاء والمفسرين: فرضهما الغُسل. وقال داود الأصفهاني: يجب الجمع بينهما، وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية.

وقال الحسن البصري، ومحمد بن جرير الطبري: المُكلَّف مُخيَّر بين المسح والغسل.

حجَّة مَنْ قال بوجوب المسح مبنيٌّ على القراءتين المشهورتين في قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فقرأ ابن كثير، وحمزة، وأبو عمر، وعاصم (في رواية أبي بكر عنه) بالجرّ، وقرأ نافع، وابن عامر، وعامر (في رواية حفص عنه) بالنصب.

فنقول: أمَّا القراءة (بالجرّ) فهي تقتضي كون (الأرجل) معطوفة على

---

(١) أشعة اللمعات: ١ / ٦٣١.

(٢) المائدة: ٦.

(الرؤوس)، فكما وجب المسح في (الرأس)، فكذلك في (الأرجل). فأنْ قيل: لِمَ يجوز أن يُقال هذا كسر على الجوار قلنا هذا باطل من وجوه، (إنتهى من التفسير الكبير)[1].

وفي تفسير جامع البيان: «أرجلكم» نصبه نافع، والكسائي، وابن عامر، وحفص، ويعقوب عطفاً على«وجوهكم»، وجرَّهُ الباقون. وعلى الإنصاف: ظاهرُ قراءة النصب على وجوب الغسل وظاهر الثانية على وجوب المسح، فأنْ جرَّ الجوار، وإن كان باباً واسعاً فهو خلاف الظاهر[2].

وعن عكرمة: قال ليس في الرجْلين غُسل، إنَّما المسح على الرجْلين. وعن الشعبي وعامر، أنَّهُ قال: إنّما نزل جبرئيل بالمسح على الرجْلين ألاترى أنَّ ما كان عليه الغُسل جعل عليه التيمم، وما كان عليه المسح أُهمل (إلى أنْ قال): وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما، وقال الحسن البصري، ومحمد بن جرير الطبري، المُكلَّف مخيَّر بين الغسل والمسح[3].

وفي الدر المنثور: أخرج عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وابن ماجه عن ابن عباس: أبى الناس إلاّ الغُسل، ولا أجد في كتاب الله إلاّ المسح[4].

وفي الاتقان للسيوطي: وحينئذ إنْ تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فانْ أمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قدم ابن عباس لأنَّ النبي ﷺ بشّره وهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ: اللّهم فَقِّههُ في الدين، وعلِّمْهُ التأويل. وقال:

---

(١) التفسير الكبير: ٣ / ٥٤٥.

(٢) جامع البيان: ٩٥.

(٣) تفسير الخازن: ١ / ١٤٤١، وتفسير ترجمان القرآن: ٨٤٢، وتفسير فتح البيان: ١ / ٤٩٤، وتفسير ابن كثير: ١ / ٢٩٩.

(٤) الدر المنثور: ٢ / ٢٦٣.

اللّهم إعْطه الحكمة. اللّهم علِّمْه الحكمة، اللّهم بارك فيه (إنتهى ملخّصاً)[١].

وفي كنز العمال: عن عباد بن تميم عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ، ومسح بالماء على لحيته ورجليه (رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري في تاريخه، والعدني، والبغوي، والباروي، والطبراني، وأبو نعيم. قال في الإصابة: (رجاله ثقات)[٢].

وفي نيل الأوطار: (وكذا رواه البيهقي في سننه. وكذا رواه الدارقطني عن رفاعة بن رافع مرفوعاً كذلك)[٣].

وعن البزّال بن صبرة أنّه رأى عليّاً عليه السلام دعا بماء فتوضأ، ومسح على نعليه وقدميه، ثم دخل المسجد فخلع نعليه ثم صلّى (رواه سعيد بن منصور).

وعن مسند عبدالله بن زيد المازني أنّ النبيّ ﷺ توضأ فغسل وجهه ويديه مرتين، ومسح رأسه ورجليه مرتين (رواه ابن أبي شيبة). وعن علي عليه السلام قال: لو كان الدين بالرأي لكان باطن القدمين أحقّ بالمسح من ظاهرهما، ولكن رأيت رسول الله ﷺ مسح ظاهرهما، (رواه عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وأبو داود).

وعن حمران قال دعا عثمان بماء فتوضأ، ثم قال: ومسح برأسه، وظاهر قدميه، (رواه ابن أبي شيبة)[٤].

وقال العيني في شرح البخاري (باب الوضوء): عن رفاعة بن رافع عن النبيّ ﷺ قال: لا تتمُّ صلاة لأحَد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين (حسَّنه أبو

---

(١) السيوطي: ٢ / ١٨٧.

(٢) كنز العمال: ٥ / ١٠٢.

(٣) نيل الأوطار: ١ / ١٦٤.

(٤) المصدر السابق: ١٠٤، ١٠٨.

علي الحافظ، وأبو عيسى الترمذي، وأبو بكر البزّار، وصححه الحافظ ابن حبان، وابـن خزيمـة)، وأخرجـه ابـن أبـي شيبة في مسـنده عـن عبـدالله بـن زيـد: أنَّ النبيّ ﷺ توضأ، ومسح بالماء على رجليه، (ورواه ابن خزيمة في صحيحه عن زهير عن المقري) ومنها حديث جابر بن عبدالله أخرجه الطبراني في (الأوسط)[1].

وفي (الكبريت الأحمر) للشعراني على هامش (اليواقيت والجواهر)، قال الشيخ محيي الدين ابن العربي في (الفتوحات): ومذهبنا أنَّ الفتح في لام «أرجلكم» لا يُخرجها عن الممسوح فأنَّ هذه (الواو) قد تكون (واو) المعيّة (تنصب) تقول: قامَ زيدٌ وعمراً[2].

وفي رحمة الأمة في اختلاف الأئمة (على هامش الميزان هكذا بعينه)، وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر قال: تخلَّف عنّا النبي ﷺ في سفرة سافرناها فأدْركَنا، وقد أرهقتنا الصلاة، (وفي رواية: أرهقنا العصر)[3] ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: ويلٌ للأعقاب من النار (مرتين أو ثلاثاً)[4].

تنبيه:

هذا الحديث ينادي بأعلى صوته على (المسح) لأنَّ أصحاب النبي ﷺ كانوا مستمرين على المسح؛ لأنَّ الصلاة لم تجز بدون الوضوء، ففي هذا الوقت لم يسبغوا المسح إلى الكعبين، فناداهم النبي ﷺ بالإسباغ. واحتمال الغُسل اختراع لا يدل عليه لفظ الحديث (كما في الفتح) وهو هذا، فتمسَّك بهذا من يقول

(١) شرح العيني على البخاري: ١ / ٦٥٩.

(٢) الشعراني، الكبريت الأحمر: ٣٦.

(٣) الارهاق بمعنى الادراك.

(٤) صحيح البخاري: ١ / ٧٥ ـ ١٠٠.

بإجزاء المَسح، ويحمل الإنكار على ترك التعميم. (ثم قال)، قال الطحاوي: لمَّا أمرهم بتعميم غُسل الرجلين حتى لا يبقى منهما لمعة دلَّ على أنَّ فرضهم الغسل، وتعقَّبه ابن المنير بأنَّ التعميم لا يستلزم الغسل، فالرأس تَعمُّ بالمسح، وليس فرضها الغسل.

وفي (مجمع البحرين ومطلع النيرين) في لغة القرآن والحديث للشيعة قوله عليه السلام: ويلٌ للأعقاب من النار، وهو إنْ صحَّ فالمراد به التحرّز من رشاش البول.

وروى أنَّ قوماً من أجلاف الأعراب كانوا يبولون، وهم قيام فيُنْشَر نشرُ البول على أعقابهم، وأرجلهم فلا يغسلونها، ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً للوعيد.

وفي السيف الماسح (بعد ذكر حديث ويل للأعقاب من النار): فبعد تسليمه لا يدلُّ إلاّ على أمره صلى الله عليه وسلم بغسل الأعقاب فلعلّه لنجاستها، فأنّ أعراب (الحجاز) ليبس هوائهم ولمشيهم حُفاة في الأغلب كانت أعقابهم تنشقُّ كثيراً، وقلَّ ما تخلو عن نجاسة الدم، وغيره. وقد اشتهر أنَّهم كانوا يبولون عليها ويزعمون أنَّ البول علاج لها فأنْ صدر عنه صلى الله عليه وسلم أمرٌ بغسل الأعقاب فلعله كان لذلك، ثم اشْتُبِهَ فظُنَّ أنَّه من الوضوء[1].

في مسح (الرجلين) عند الإمامية:

في الاستبصار: عن سالم، وغالب بن هذيل، قال: سألتُ أبا جعفر عن المسح على (الرِجْلَين)، فقال: هو الذي نزل به جبرئيل[2].

---

(١) السيف الماسح: ١٨.

(٢) الطوسي، الاستبصار: ١ / ٦٩.

وعن محمد بن سهل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام يأتي على الرجل ستون، وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة. قلت: وكيف ذلك؟! قال: لأنّه يغسل ما أمر الله بمسحهِ. (وهكذا في الكافي عن محمد بن مروان)[1].

وفي تهذيب الأحكام: عن أبي جعفر قال: يجزي من مسح الرأس موضع ثلاث أصابع، وكذلك الرجل[2].

الجمع بين الصلاتين:

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْءَانَ الْفَجْرِ**﴾[3]، ﴿**وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَ زُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ**﴾[4]. قال الفخرالرازي في تفسيره الكبير، تحت قوله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾: هذه الآية توهم أنَّ للظهر والعصر وقتاً واحداً، وللمغرب والعشاء وقتاً واحداً[5]، وإنَّ الظهر والعصر يُجمعان بعرفة بالاتفاق، وفي السفر عند الشافعي، وكذا المغرب والعشاء. وأمّا صلاة الفجر فهي منفردة في وقت واحد فكان وقت الظهر والعصر وقتاً واحداً، ووقت المغرب والعشاء وقتاً واحداً، ووقت الفجر متوسطاً بينهما[6].

وفي حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي الحنفي: فكانت أوقات الصلوات في الأصل ثلاثة؛ الفجر، والعشاء، وغسق الليل، وهو قوله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ**

---

(١) الكليني، الكافي: ٣ / ٣١.

(٢) الطوسي: ١ / ١٢.

(٣) الاسراء: ٧٨.

(٤) هود: ١١٤.

(٥) الفخر الرازي: ٣ / ٤٥٢.

(٦) الفخر الرازي: ٥ / ٦١٦.

لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾. وإنَّما قال إلى غسق الليل لأنَّ صلاة العشاء ممتدة إليه حكماً لعدم وجود الفصل، ولذلك جاز عند الضرورة الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء فهذا أصل[1].

وفيه (صحيح مسلم): عن معاذ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة (تبوك) فجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء. قال: فقلتُ: ما حمله على ذلك؟! قال، فقال: أراد أن لا يُحرج أُمّته. عن ابن عباس قال جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف، ولا مطر.

وفي حديث (وكيع) قال، قلتُ: لابن عباس لِمَ فعل ذلك؟ قال: كيلا يُحرِج أمّتَه.

وعنه؛ قال: صلّيتُ مع النبي ﷺ ثمانياً جميعاً، وسبعاً جميعاً. عن عبدالله بن شقيق، قال: خَطَبَنا ابن عباس يوماً بعدالعصر حين غربت الشمس، وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال: فجاءه رجلٌ من بني تميم لا يفترّ ولا ينثني، فقال ابن عباس: أتعلّمني بالسُّنَّة لا أُمَّ لك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، قال عبدالله ابن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيئاً، فأتيتُ أبا هريرة فسألته فصدَّق مقالته.

وعنه قال، قال رجل لابن عباس: الصلاة، فسكت، ثم قال: الصلاة، فسكت، ثم قال: الصلاة، فسكت، ثم قال: لا أُمَّ لك أَتُعَلِّمُنا بالصلاة كُنّا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله ﷺ[2].

وفي حاشية نصب الراية: في التلخيص لابن حجر: وفي حديث ابن عباس

---

(١) الدهلوي: ١٩٣.

(٢) صحيح مسلم: ١ / ٢٤٥.

أنَّ النبي ﷺ جمع بالمدينة من غير خوف ولا سفر (متفقٌ عليه)، وله ألفاظ منها لمسلم: جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء من غير خوف، ولا مطر. قيل لابن عباس ما أراد إلى ذلك؟ فقال: أراد أنْ لا تُحرج أُمّته[1].

وفي رواية الطبراني: جَمعَ بالمدينة من غير علّة، قيل له: ما أراد بذلك؟ قال: التوسع على أُمّته.

وفي المُوطَأ لمالك عن أبي الزبير المكي عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس أنَّهُ قال: صلّى لنا رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر[2].

قال في (النيل): وقد أخرج الطبراني في الأوسط، والكبير عن ابن مسعود بلفظ: جمع رسول الله... الخ.

وفيه: قال ﷺ صنعتُ ذلك لئلا تُحرج أُمَّتي، (الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد).

قلتُ: ومن ضعّفه فلم يصبْ. وبما ذكرناه يظهر أنَّ الأحاديث لا هي متعارضة، ولا واردة في معنى واحد بل قد ورد فعله عليه السلام للجمع الصوري، والجمع الحقيقي في الحضر للحاجة، ولدفع المشقّة، فظهر أنَّ الجمع في الحضر للحاجة، ودفع المشقّة جائز مطلقاً ولا يلزم من ذلك مخالفة لحديث (جبرئيل) الوارد في تعيين المواقيت ولا مخالفة للآية الكريمة: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**﴾[3] ومَن استدلَّ من (الأحناف) على منع الجمع في الحضر

---

(١) حاشية نصب الراية: ١٣٠.

(٢) المُوطأ: ٥١.

(٣) النساء: ١٠٣.

بالآية، والحديث المذكورتين، فقد ضلَّ وأضلَّ إذْ لا يخرج الصلاة عن كونه موقوتاً بالجمع، وحديث جبرئيل فيه إظهار الأوقات الأصلية المتفردة لكل صلاة وهو ساكت عن مسألة الجمع، وإذا جازت الزيادة بالحديث الصحيح على الكتاب فجوازها على الحديث بحديث آخر من باب أولى.

الأذان:

في (الاستبصار) للإمامية: الله أكبر (أربع مرَّات)، أشهد أن لا إله إلاّ الله (اثنتان)، أشهد أنّ محمداً رسول الله ﷺ (اثنتان)، حيّ على الصلاة (اثنتان)، حي على الفلاح (اثنتان)، حيَّ على خير العمل (اثنتان)، الله أكبر (اثنتان)، لا إله إلاّ الله (اثنتان). وفي الإقامة قد قامت الصلاة (مرتان)، لا إله إلاّ الله (مرة)[1].

وفي (نيل الأوطار) لأهل الجماعة: (الصلاة خير من النوم)، قال في البحر: أحدثه عمر فقال ابنه: هذه بدعة. وعن علي عليه السلام حين سمعه: لا تزيدوا في الأذان ما ليس منه، (ثم قال)، بعد أنْ ذكر حديث أبي محذورة، وبلال. قلنا: لو كان لما أنكره علي عليه السلام، وابن عمر، وطاووس سلَّمنا فأمر به (إشعاراً في حال لا شرعاً) جمعاً بين الآثار[2].

وقال المولوي عبدالحي اللكنوي في التحقيق العجيب في التثويب عن الليث ابن سعد عن نافع أنَّ ابن عمر كان إذا قال (حيَّ على الفلاح)، قال على إثرها (حي على خير العمل) أحياناً، وروى مثله مُحمَّد في المُوطَّأ عن مالك عن نافع (ثم قال): على أنَّا لا نقول بحرمتها بل بكراهتها[3].

---

(١) الاستبصار: ١ / ١٥٦.

(٢) نيل الأوطار: ١ / ٢٣٨.

(٣) التحقيق: ٥.

وفي تفسير (تنوير البيان) للإمامية عن شرح التجريد للعلامة القوشجي، وشرح المقاصد للعلامة التفتازاني، قال عمر: ثلاث كُنَّ على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهن وأُحرمهُنَّ، وأُعاقبُ عليهنَّ، وهي متعة النساء، ومتعة الحج، و(حي على خير العمل)[1].

وفي (كنز العمال) عن ابن جريج قال: أخبرني عمر بن حفص أنَّ سعداً أول مَنْ قال (الصلاة خير من النوم) في خلافة عمر، فقال: بدعة لو تركوه، وإنَّ بلالا لم يُؤذنْ لعمر (رواه عبدالرزاق)[2].

وفيه: عن ابن عمر أنَّ عمر قال لمؤذنه إذا بلغتَ (حيَّ على الفلاح) في الفجر فقُلْ (الصلاة خير من النوم) رواه الدارقطني، وابن ماجة، والبيهقي. وفيه: في المُوطَّأ لمالك، عن مالك بلغه أنَّ المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: (الصلاة خير من النوم)، فأمره أن يجعلها في نداء الصبح[3].

وفيه أنبأنا يونس عن الحسن، وابن سيرين قالا: كان التثويب في الفجر (الصلاة خير من النوم)[4].

وعن مجاهد قال: كنتُ مع ابن عمر فسمع رجلا يثوب في المسجد فقال أخرج بنا من عند هذا المبتدع، (رواه عبدالرزاق، والضياء)[5].

فائدة:

قال في (البحار): لا يبعد كون الشهادة بالولاية من الأجزاء المستحبة للأذان

(١) تنوير البيان: ٦٣.

(٢) كنز العمال: ٤ / ٢٧٠.

(٣) أيضاً: ٢٧٠.

(٤) أيضاً: ٢٧٩.

(٥) أيضاً: ٢٧٠.

بشهادة الشيخ، والعلامة، والشهيد الأول، وغيرهم. وأمَّا إنكار صاحب (مَن لا يحضره الفقيه) فليس بمُعْتَمد لأنَّه قول مردود، كما رُدَّ قوله في سهو النبي ﷺ بقول الثقات.

أقول وبالله أستمد: الواجب على إخوان الإسلام أنْ لا يسخروا على أذان الشيعة، وإنْ شهدوا بولاية أمير المؤمنين في الأذان لأنَّه تعالى حدد من تمسخر على الأذان بقوله ﴿**وإذا ناديتم إلى الصلاة إتخذوها هزواً ولعباً**﴾ ولنا في إثبات هذه (الشهادة) إثباتات كافية من القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾، (سورة المعارج). ومن مسلمات أهل الفن أنَّ أدنى الجمع يُطلقُ على الثلاث، ففي الأذان ثلاث شهادات؛ شهادة التوحيد، وشهادة الرسالة، وشهادة الإمامة، والسلام.

السجود على الأرض أو على ما أنبتت:

وفي (سنن الترمذي) عن أُمّ سلمة: يا أفلح، ترِّبْ وجهك. وروى (النسائي، وأبو داود، والحاكم) عنها: يا رباح تَرِّبِ وجهكَ. وروى أحمد عنها زيادة: لله تعالى، ورواه أبو نعيم، وابن عساكر عن أبي صالح: تمسَّحوا بالأرض فأنَّها بكم برة.

عن سلمان: ونعم المذكر السبحة. وأنَّ أفضل ما تسجد عليه الأرض، وما أنبتته الأرض، (رواه الديلمي عن علي كذا في كنز العمال)[1].

وفي سنن الترمذي: إنَّ قوماً من أهل العمل اختاروا الصلاة على الأرض

---

(١) كنز العمال: ١ / ٣٢٥.

استحباباً[1].

وفي (الكبيري): وكره مالك السجود على ما يكون من غير جنس الأرض كالجلد والمسح، وكذا خرقة القطن، والكتّان متمسكاً بحديث الخمرة، وإنْ كان هو (أي السجود على الأرض) الأفضل اتفاقاً. ورُويَ عن مالك كراهة الصلاة على غير الأرض أو جنسهما[2].

وفي البخاري عن أبي سعيد قال: رأيت رسول الله ﷺ سجد على الماء، والطين، رأيت أثر الطين على جبهته[3].

وفي (الاستبصار) قال: لا بأس بالقيام على المُصلى (من الشعر والصوف)، إذا كان يسجد على الأرض، فأنْ كان من نبات الأرض، فلا بأس بالقيام عليه، والسجود عليه[4].

وفي الكافي، والتهذيب قال أبو عبدالله عليه السلام: السجود على الأرض فريضة، قال: لا تسجد على الذهب، ولا على الفضة[5].

وفي (شرائع الإسلام)، و(تهذيب الأحكام): لا يجوز السجود على ما ليس بأرض كالجلود، والصوف، والشعر، ولا على ما هو من الأرض إذا كان معدناً كالملح، والعقيق، والذهب، والفضة، والقير إلاّ عند الضرورة، ولا على ما أنبتت الأرض إذا كان مأكولا بالعادة كالخبز والفواكه، ويجوز على القرطاس، ويكره

(١) الترمذي: ١ / ٤٤.

(٢) الكبيري: ٢٨٣.

(٣) البخاري: ١ / ١٠٤.

(٤) الاستبصار: ١ / ١٧٠.

(٥) التهذيب: ١ / ٣٢٢.

إذا كان فيه كتابة[١].

وفي تهذيب الأحكام: السجود على ما أنبتت الأرض إلاّ ما أُكل أو لبس[٢].

الصلاة على النبي والآل في التشهد:

في (كنز العمال): إذا جلست في صلاتك فلا تتركنَّ الصلاة عليّ فأنَّها زكاة الصلاة، (رواه الدارقطني)[٣]. وعن عبدالله بن بريدة قال عليه السلام: يا بريدة إذا جلستَ في صلاتك فلا تتركنَّ التشهد، والصلاة عليّ (رواه الخطيب)[٤].

وقال النووي في شرح مسلم: ذهب الشافعي، وأحمد إلى أنَّها (أي الصلاة على النبي ﷺ) واجبة لو تُركتْ لم تصح الصلاة. وهو مروي عن عمر، وابنه عبدالله، وهو قول الشعبي. وقد نسب جماعة الشافعي في هذا إلى مخالفة الإجماع، ولا يصح قولهم فأنَّه مذهب الشعبي ـ كما ذكرنا ـ (وقد رواه عنه البيهقي)[٥].

وفي الروضة الندية: وذهب الشافعي وحده إلى وجوبها في التشهد الأخير فأنْ لم يُصلِّ لم تَصُحَّ صلاته[٦].

وفي (الصواعق المحرقة): صحَّ عن ابن مسعود تعيين محلها (أي الصلاة)، وهو بين التشهد والدعاء، فكان القول بوجوبها، لذلك الذي ذهب إليه الشافعي هو الحق الموافق لصريح السُنَّة، ولقواعد الأصوليين. وتدلُّ عليه أيضاً أحاديث

---

(١) شرائع الاسلام: ١ / ٣٠، التهذيب: ١ / ٣٢٣.

(٢) التهذيب: ١ / ٣٢٥.

(٣) كنز العمال: ٤ / ١٠٤.

(٤) أيضاً: ٩٨.

(٥) النووي: ١ / ١٧٥.

(٦) الروضة الندية: ٦٠.

صحيحة كثيرة استوعبتُها في شرحي (الإرشاد) و(العُباب) مع بيان الرد الواضح على مَنْ تَشَنَّعَ على الشافعي، وبيان أنَّ الشافعي لم يشذَّ، بل قال به قبله جماعة من الصحابة كابن عمر، وابن مسعود، وجابر، وأبي مسعود البدري، وغيرهم والتابعين: كالشعبي، والباقر عليه السلام، وغيرهم كإسحاق بن راهويه، وأحمد. بل لمالك قول موافق للشافعي رجَّحه جماعة من أصحابه بل قال شيخ الإسلام، خاتمة الحُفّاظ ابن حجر: لم أرَ عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلاّ ما نُقِلَ عن إبراهيم النخعي مع إشعاره بأنَّ غيره كان قائلا بالوجوب[1]، فزعم أنَّ الشافعي شذَّ، وأنَّه خالف في ذلك فقهاء الأمصار مجرد دعوى باطلة لا يُلْتَفتُ إليها، ولا يعول عليها.

وللشافعي:

يا أهلَ بيتِ رسول الله حُبكُمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ

كفاكُمُ من عظيم القدر أنَّكُمُ مَنْ لم يُصلِّ عليكم لا صلاةَ لهُ[2]

أقول: قوله: (لا صلاة له) أي صحيحة ليكون موافقاً لمذهبه بوجوب الصلاة على الآل.

في (مختلف الشيعة): قال (الشيخ) في النهاية: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فريضة. فمَنْ تركها متعمداً وجب عليه إعادة الصلاة، ومَنْ تركها ناسياً قضاها بعد التسليم[3]، وكذا في (مسالك الأفهام).

(١) الصواعق المحرقة: ٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة: ٨٨.

(٣) مختلف الشيعة للعلامة الحلي: ١ / ١٣٩.

وفي شرائع الاسلام: والواجب الصلاة على النبي وآله عليه السلام[1].

وفي مدارك الأحكام: ونقل المصنف في المعتبر الاجماع على وجوبها (أي الصلاة) على النبي وآله عليه السلام[2].

إرسال اليدين:

تفحّصت كثيراً من كتب أهل السُنَّة فلم أجد حديثاً مرفوعاً قولياً ضعيفاً ولا قوياً في قبض اليدين، لا تحت السرة ولا فوقها، لا متصلا ولا منفصلا، فإذا لم يثبت (القبض) ثبت (الإرسال) ضرورةً، وفطرةً (فطرة الله التي فطر الناس عليها). لأنَّ الإنسان إذا تولد تكون يداه مرسلتين، وإذا مشى مشى هكذا، وإذا نام نام هكذا، وإذا مات مات هكذا، وإذا غُسِّل وكفّن وضع هكذا، وإذا دُفِن دفن هكذا، وإذا حُشر واعطى كتابه بيمينه أو شماله كان هكذا، مع أنَّ أحاديث القبض مستلزمة للتعارض للوضع المكاني، ففي بعضها تحت (السرة)، وفي بعضها فوقها وفي بعضها فوق الصدر.

ومن أصولهم المُسلَّمة أنَّه إذا تعارضا تساقطا فبقى الأصل، وهو (الإرسال) كما قال عبدالحي في (فتاواه) عن معاذ: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان في الصلاة رفع يديه قبال أُذنيه، فإذا كبّر أرسلهما (رواه الطبراني)، وعن عمرو بن دينار قال: كان ابن الزبير إذا صلّى أرسل يديه (رواه ابن أبي شيبة)[3].

قال الشيخ الدهلوي في (فتح المنّان في تأييد مذهب النعمان): مذهب مالك إرسال اليدين، وهو عزيمة عنده، والوضع رخصة.

---

(١) شرائع الإسلام: ١ / ٣٧.

(٢) المدارك: ١٧٥.

(٣) الفتاوى: ١ / ٣٤٦.

قال العيني في (شرح كنز الدقائق) قال مالك: العزيمة في الإرسال، والرخصة في الوضع والأخذ لأنَّ النبي ﷺ كان يفعل كذلك، وكذا أصحابه حتى ينزل الدم من رؤوس أصابعهم[1].

وقال النووي في شرح مسلم: عن مالك روايتان، أحدهما: يضعهما تحت صدره، والثانية: يُرسلهما ولا يضع أحدهما على الأخرى. وهذه رواية جمهور أصحابه وهي الأشهر عندهم، وهي مذهب الليث بن سعد. وعن مالك أيضاً استحباب الوضع في(النفل)، والإرسال في(الفرض)، وهوالذي رجَّحه البصريون من أصحابه[2].

وفي (تنوير العينين): يحكى أنَّ الإمام مالك حكم بالارسال مع أنَّهُ كان مشهوراً في القرن الأول، واتفق عليه أكثر العلماء في القرن الأول، واتفق عليه أكثر العلماء في القرون الآخر، وقالوا أيضاً: إنَّ هذا الفعل في هذه البلاد تشبيه بالروافض، حيث تُرِكَ سوى مذهب الحنفية فلم يبق فاعلوه غير الشيعة، وقد قال النبي ﷺ: «إتّقوا مواضع التهم».

قلنا: هذا من قصوركم حيث تركتموه فصار شعاراً لهم، فعليكم بالاتفاق على فعله لئلا يبقى مختصاً بهم. وترك السُنَّة للتحرّز عن التشبيه بالفرق الضالة غير مشروع، (انتهى ما في تنوير العينين)[3].

وفي الكافي للإمامية قال حمّاد فقلتُ: جُعلتَ فداك تعلّمني الصلاة فقام أبو عبدالله عليه السلام مستقبل القبلة منتصباً فارسل يديه جميعاً على فخديه قد ضم

(١) شرح العيني: ٢٥.

(٢) صحيح مسلم: ١ / ٧٣.

(٣) تنوير العينين: ٣٠.

أصابعه[1].

وفي شرائع الإسلام: قواطع الصلاة قسمان، الثاني لا يبطلها إلاّ عمداً، وهو وضع اليمين على الشمال[2].

وفي (مدارك الأحكام شرح شرائع الإسلام): القول بالبطلان هو المشهور بين الأصحاب. ونقل الشيخ، والمرتضى فيه الإجماع، واحتجوا عليه بصحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما قال: قلتُ الرجل يضع يده في الصلاة اليمنى على اليسرى، قال: ذلك التكفير فلا تفعل[3]، ولا تكفر فأنَّما يصنع ذلك المجوس[4].

وفي فروع الكافي، عن أبي جعفر عليه السلام: وأرسلْ يديك، ولا تشبك أصابعك، وليكونا على فخذيك قبالة ركبتيك[5].

وفي (دعائم الإسلام): هكذا عن علي عليه السلام.

أقول: قد ثبت مما قلنا أنَّ (الإرسال) أصل ينبغي العمل عليه بالرواية والدراية، وأنَّ (القبض) قبيح لمخالفته فطرة الله تعالى (كما مرَّ)، ولأنه من شعائر المنافقين كما قال عزَّ إسمه «يقبضون أيديهم»، ولأنَّ المجرمين غُلّت أيديهم في الدنيا والآخرة كما لا يخفى فالعاقل تكفيه الاشارة، والمجادل لا تشفيه ألف رسالة.

إمامة صلاة الجماعة:

في كنز الدقائق: الجماعة سُنَّة مؤكدة، والأعلم أحقُّ بالإمامة، ثم الأقرأ،

---

(١) الكافي: ١ / ١٨١.

(٢) شرائع الإسلام: ٣٨.

(٣) تهذيب الأحكام: ١ / ١٥٨.

(٤) الصدوق، مَنْ لا يحضره الفقيه: ١ / ١٩٩، والكليني، الكافي: ١ / ١٩٩.

(٥) الكليني، الكافي: ١ / ١٩٨.

ثم الأورع، ثم الأسنّ، وكره إمامة العبد، والأعرابي، والفاسق، والمبتدع، والأعمى، وولد الزنا[1].

في (مستخلص الحقائق شرح كنز الدقائق): قوله الأعلم أحقُّ بالإمامة، أي أولى الناس بالإمامة أعلمهم بالسُنَّة إذا لم يطعن في دينه، وكره إمامة الفاسق لأنَّه لا يهتم بأمر دينه، ولأنَّ في تقديمه تقليل الجماعة لمكان الأنفة من اقتدائه.

وفي (جامع الرموز): والأولى بالإمامة الأعلم بالنسبة وانَّما قُدَّم الأعلم إذا قدر على ما يجوز به الصلاة من القراءة، واجتنب عن الفواحش الظاهرة كما في (المحيط)، وغيره، ثم الأقرأ، ثم الأورع، ثم الأسنّ فإنْ أمَّ عبدٌ أو اعرابي، أو فاسق (من الفسوق وهو لغةً الخروج عن الاستقامة، وشريعة الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب كبيرة)، ويكره إمامة النمَّام كما في (الروضة)، وإمامة المُرائي والمتصنع. ومَن أَمَ بأجرة - كما في (الجلالي) - يكره[2].

وفي (الكبيري) شرح المنية: في فتاوى الحُجَّة: وفيه إشارة إلى أنَّهم لو قدموا فاسقاً يأثمون بناءً على أنّ كراهة تقديمه كراهة تحريم لعدم اعتنائه لأمر دينه وتساهله في الإتيان بلوازمه فلا يبعد منه الإخلال ببعض شروط الصلاة، وفعل ما ينافيها بل هو الغالب بالنظر إلى فسقه، ولذا لم تَجُزْ الصلاة خلفه أصلا عند مالك، ورواية عن أحمد إلاّ أنا جوزناها مع الكراهة لقوله ﷺ: صلّوا خلف كلّ برٍّ وفاجر، وصلّوا على كل برٍّ وفاجر، وجاهدوا مع كل برّ وفاجر (رواه الدارقطني)، واعله بأنَّ مكحولا لم يسمع من أبي هريرة، ومن دونه ثقات. وحاصله أنَّه مرسل وهو حجّة عندنا، وعند مالك، وجمهور الفقهاء فيكون حجة

---

(١) كنز الدقائق: ٢٩.

(٢) جامع الرموز: ١ / ٧٦.

عليه.

قال في شرح ردّ المختار (المشهور بالشامي): إعلم أنَّ المكروه إذا أُطلق في كلامهم فالمراد منه التحريم إلاّ أنّ يُنَصَّ عليه التنزيه فقد قال المُصنِّف في (المُصفّى): لفظ الكراهة عند الاطلاق هو التحريم. قال أبو يوسف: قلت لأبي حنيفة إذا قلت في شيء أكرهه فما رأيك فيه، قال: التحريم.

قال ابن الهمام في(فتح القدير شرح الهداية): ترك المكروه مقدم على فعل السنة.

أقول: قد ثبت من كتب أهل (الجماعة) أنَّ الفاسق لا يصلح للإمامة، وأنَّ الكراهة كراهة تحريم، وأنَّ الحديث الجاري على ألسنتهم (أي صلّوا خلف كل برّ وفاجر) ليس مما يُستَنَد إليه (كما ذكرنا)، وأنَّ الإمام ضامن، والضامن ينبغي أنْ يكون أصلح القوم وأفضلهم وأتقاهم لأنَّه تعالى قال في كتابه المجيد، «إنّما يتقبل الله من المتقين»، ومفهومه المخالف يدل على أنَّه مَن ليس بمتق فلا يُتَقَبَّلُ منه لأنَّه مقرون بالحصر وأنَّ العلماء المتوارثين نسلا بعد نسل هم أئمة المساجد، ولو كانوا أجهل أو أفحش، وأسوأ أعمالا (كما في زماننا)، وإنَّ الذين إتخذوا الإمامة حرفةً وأُجرةً فقد ضلّوا وأضلّوا. والحال أنَّ كتبهم مشحونة بأنَّ (الاستيجار) على الإمامة، وتعليم القران حرام.

والذي نفسي بيده إني فررتُ من مذهب (الحنفية) ورجعتُ إلى (الحنيفيّة)، وآثرت مذهب (الإمامية) من صنيعتهم هذه لأنَّ (معاصري) كان إمام مسجد البلدة، ومعلم صبيان القرية، فقد شهد شهادة الزور مرةً بعد مرة لا سيَّما في معاملة النكاح، وحلف بالكتاب الكريم على الإعلان فتركت اقتداءه في الصلاة ثم إتُهمتُ بالتشيّع، فرأيتُ كتب القوم كرَّات، وقلتُ لهم هذا ما في كتبكم فلم يقبلوا للمعاندة، فطالعتُ كتب (الإمامية) فوجدتُ فيها ما كان حقّاً، والحقُّ أحقَ

أنْ يُتَّبَع، واستمسكت بالثقلين ما إستطعتُ فاتخذني القوم عدواً كما هي عادتهم، وتوكلتُ على الله، وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً.

وأمَّا (الإمامية) فقد إتفق كلهم أجمعون على أنَّ إمامة الفاسق لا تجوز كما قال في (شرائع الإسلام): يُعتبر في الإمام الإيمان والعدالة والعقل وطهارة المولد والبلوغ على الأظهر[1].

وفي شرحه (مدارك الأحكام): إعتبار هذه الأمور الأربعة في إمام الجماعة مقطوع به في كلام الأصحاب مدعي عليه الإجماع. نعم ذهب ابن الجُنّيد إلى أنَّ كلَّ المسلمين على العدالة إلى أن يظهر منه ما يزيلها، وذهب آخرون إلى جواز التعويل على حسن الظاهر لعسر الاطلاع على البواطن، (وقد تقدَّم الكلام في ذلك مفصَّلا في صلاة الجمعة فلا نعيده)[2].

وقد قال في (باب الجمعة): الرابع (العدالة) وقد نقل جمع من الأصحاب الإجماع على أنَّها شرط في الامام، وإنْ اكتفى بعضهم في تحققها بحسن الظاهر، أو عدم معلومية الفسق[3].

وفي (مَن لا يحضره الفقيه) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إمام القوم، وافدهم فقدموا أفضلكم، وقال عليه السلام: انَّ سَرّكم أن تُزكّوا صلاتكم فقدموا خياركم، وقال أبو ذر: إنَّ إمامك شفيعك سفيهاً ولا فاسقاً[4].

وفيه: لا تُصلِّ خلفَ مَنْ يشهد عليك بالكفر، ولا خلف مَن شهدتَ عليه

(١) شرائع الإسلام: ١ / ٥١.

(٢) مدارك الأحكام: ٢٣٢.

(٣) أيضاً: ١٩٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ١ / ١٢٥.

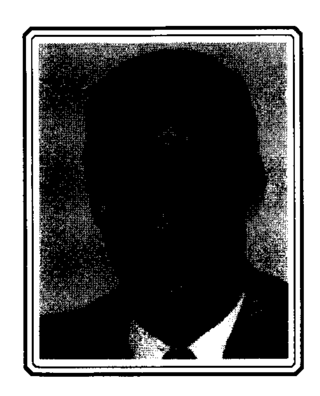
بالكفر، (قاله أبو عبدالله عليه السلام)[1].

وعن الرضا عليه السلام أنَّهُ سُئِل عن الرجل يقارف الذنب أيُصلّى خلفه أم لا، قال: لا.

وقال إسماعيل الجعفي لأبي جعفر عليه السلام: رجل يُحبُّ أمير المؤمنين، ولا يتبرأ من عدوه، ويقول هو أحبُّ إليّ ممن خالفه، قال: هذا مخلط عدو فلا تُصلِّ وراءه. وقال الصادق عليه السلام: ثلاثة لا تصلِّ خلفهم؛ المجهول، والغالي وإنْ كان يقول بقولك، والمُجاهر بالفسق وإنْ كان مقتصداً.

وهكذا نرى ان الكاتب تعرض لمواضيع عديدة ضمن الصلاة اثبت فيها الحق الذي عليه الشيعة، من النصوص والأقوال التي وردت في كتب أهل السنة.

(١) المصدر السابق: ١٢٦.



- المحامي صبري موسى.
- ولد عام ١٩٤٤م، المنصورة (مصر).
- إجازة في الحقوق جامعة القاهرة ١٩٦٩م.
- عضو في رابطة الجامعات الإسلامية.
- عين محامياً لإستئناف العالي ، مجلس الدولة عام ١٩٩٩٥م.
- توفي في عام ١٤٢٤هـ عن عمر ناهز ٥٦سنة، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.
- من مؤلفاته (علامات القيامة ونهاية العالم في الديانات السماوية.
- إحذروا خروج المسيح وله عشرات المؤلفات رحمه الله.



الأستاذ المحامي صبري موسىٰ

ولد عام ١٩٤٤م في المنصورة بجمهورية مصر العربية، نال شهادة ليسانس الحقوق في جامعة القاهرة عام ١٩٦٩م، ثم أصبح عضواً في رابطة الجامعات الاسلامية، درس الدراسات العليا في النظم السياسية والاقتصادية والقانونية لمدة عامين بمعهد البحوث والدراسات الاسيوية، جامعة الزقازيق، وعيّن عام ١٩٩٥م محامياً بالاستئناف العالي ومجلس الدولة.

اهتمامه بالبحث:

كان دأب المحامي صبري الاهتمام بالبحث حول الأديان والمذاهب، فلهذا كرّس لفترة طويلة جهده في البحث حول العقائدة الإلهية في الديانات السماوية والمذاهب الكبرى الاسلامية، وحاول المحامي صبري خلال بحثه عن الحقيقة أن تنبض في شرايينه دماء التجرّد والنزاهة، وأن لا تكون مطالعاته مجرّد ترف فكري أو عمل لا جدوى منه، فلهذا حاول أن يوصله البحث إلى قناعات يشيد عليها مرتكزاته الفكرية ويبني عليها دعائمه العقائدية، فتحرّر من كل فكرة سابقة قبل الشروع بالبحث والتقصي عن أية حقيقة، وحكّم عقله حين المقارنة بين الرؤى التي يواجهها خلال البحث.

البحث في الامامة:

واصل المحامي صبري بحثه في الأمور العقائدية حتى بلغ مبحث الامامة،

فسلّط الأضواء على مسألة الخلافة الاسلامية في الشريعة والفقه والقانون، وتأمل في الأقوال التي ذهبت إليها شتى المذاهب الاسلامية في هذا الجال، وطالع أدلة الذين يقولون أنّ الإمامة تكون بالاختيار، وتأمل في أدلة الذين يقولون أنّها بالنص والتعيين، ثم صفّح النظريات الكلامية لدى المذاهب عموماً، وراجع المراجع الاساسية والمصادر المعتمد عليها، ثمّ درس بعمق فقه الخلافة الاسلامية والنظريات الفلسفية في شأن الإمامة بين المذاهب الكبرى الدينية، ثم عرض جميع الآراء التي حصل عليها على كتاب الله عزوجل وسنة نبيه ﷺ، فرأى أن النتائج تفرض عليه التخلي عن معتقداته السابقة، لأنه وجد نفسه امام براهين تخالف ما كان عليه.

نتائج غير متوقعة:

أعادَ المحامي صبري النظر فيما قام به من دراسة حول مسألة الإمامة، ليصل إلى مرحلة الاطمئنان من صحة ما توصل إليه فيما سبق، وتأمل مرة اخرى في التاريخ الاسلامي، ولا سيما بعد وفاة الرسول ﷺ، وتثبّت من صحة الأحاديث المروية عن رسول الله في شأن الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، فوجد مرة أُخرى أنّ ما توصل إليه يخالف ما عليه جمهور أهل السنة، ووجد أن ما ذهب إليه الشيعة في الامامة مستوحاة من الكتاب والسنة.

ثم درس المحامي صبري هذه المسألة من الناحية العقلية، فتوصّل إلى أن وجود الامام المنصوص عليه بعد النبي الأعظم والمسدّد من قبل الله سبحانه وتعالى، مسألة لابد منها من أجل حماية الشريعة من التحريف واتمام الحجة وصيانة المجتمع من التيه والضياع.

ثم راجع المحامي صبري الأحاديث النبوية مرة اخرى، فوجد حديث الغدير

والثقلين والمنزلة ويوم الدار والسفينة كلها تمنح آل البيت النبوي منزلة عليا ومقام رفيع، بحيث لا يستطيع أي مسلم ملتزم أن يتخلّى عنهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

اتخاذ القرار النهائي:

التفت المحامي صبري بعد فترة طويلة من انشغاله بالبحوث العقائدية والفكرية أن الأدلة والبراهين تملي وتضغط عليه من جميع الأطراف أن يتخلّى عن معتقداته السابقة التي استقاها من أهل السنة، فاندفع للالتحاق بركب مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وبما أن المحامي صبري كان ذو نفس موضوعية، فلم يجد بُداً سوى اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، ففعل ذلك ثم بدأ حياته من جديد وفق تعاليم عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشرع ينهل من ينبوع علومهم ومعارفهم العذبة.

وفاته:

استمر المحامي صبري على ولائه لأهل البيت عليهم السلام واجتهد بعد الاستبصار أن تكون له مشاركة فاعلة في نشر مفاهيم وقيم ومبادىء أهل البيت عليهم السلام، كما أنه كان يدافع عن مصالح وحقوق المستضعفين) وبقي المحامي صبري على حماسه ومثابرته في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام حتى اعتراه مرض شديد سلب منه القدرة على العمل، ولم تمض مدة حتى انتقل إلى رحمة الله في شهر صفر عام ١٤٢٢هـ عن عمر يناهز ٥٦ عاماً، فتغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته.

مؤلفاته:

١ ــ «علامات القيامة ونهاية العالم في الديانات السماوية والمذاهب الاسلامية»:

وهو يتكون من جزءين :

الأول : العلامات الصغرى لنهاية العالم.

الثاني : العلامات الكبرى لنهاية العالم.

٢ـ «ترقبوا ظهور منقذ البشرية الامام المهدي عليه السلام قريباً جداً!!» :

بحث ديني علمي مقارن بين اليهودية والمسيحية والعقيدة الاسلامية والمذاهب الكبرى الدينية (لا سيما أهل السنة والشيعة الامامية)، والواقع العالمي المعاصر.

٣ـ «احذروا خروج المسيح الدجال الزعيم المنتظر للصهيونية العالمية في القريب العاجل!!» :

وهو بحث ديني ودراسة علمية مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام والمذاهب الدينية على ضوء الوقائع والأدلة العصرية والارهاصات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والكونية.

٤ـ «ترقبوا نزول السيد المسيح عليه السلام في عصر الإمام المهدي عليه السلام واقامة الدولة الاسلامية العالمية» :

وهو أيضاً دراسة دينية علمية تحليلة مقارنة.

٥ـ «موسوعة العقائد الإلهية بين الأديان السماوية والمذاهب الاسلامية الكبرى» : مخطوط.

تحتوي هذه الموسوعة على عدة كتب وهي :

الكتاب الأول : عن عقيدة التوحيد والايمان بالله.

الكتاب الثاني : عن عقيدة الايمان بالملائكة وعالم الجن والشياطين.

الكتاب الثالث : عن عقيدة الايمان بالكتب السماوية.

الكتاب الرابع : عن عقيدة الايمان بالنبوة والأنبياء.

الكتاب الخامس: عن عقيدة الايمان بالمعاد واليوم الآخر.

الكتاب السادس: عن عقيدة الايمان بالقضاء والقدر والعدل.

الكتاب السابع: عن عقيدة الايمان بوجوب الامامة والخلافة وولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وهذه الكتب بدورها مقسّمة لأجزاء عديدة (تربو على تسعة عشر جزءاً).

وقفة تعريفية لـ:(موسوعة العقائد الإلهية بين الأديان السماوية والمذاهب الإسلامية الكبرى)

تتضمن هذه الموسوعة الحديث باسهاب واستفاضة عن دراسة مقارنة في الديانات السماوية والمذاهب الكبرى الاسلامية في مجال العقائد الالهية السماوية.

وتنقسم هذه البحوث المقارنة إلى سبعة كتب، ويتضمّن كل كتاب عدة أبواب ومباحث.

ويرتبط الكتاب الأول بعقيدة التوحيد والايمان بالله عزوجل، ويتطرّق فيه المؤلف إلى عدة أبواب منها عقيدة الايمان بالله، وحاجة البشرية إلى العقيدة السماوية وضرورتها الحتمية، وأهمية علم العقائد الاسلامية، وضرورات الايمان وصلته بالعلم والفكر الانساني المعاصر، وعلم الكلام ومناهج الدراسة العقائدية لدى أهل السنة والمعتزلة والشيعة الامامية.

ويتطرّق المؤلف في هذا الكتاب أيضاً إلى حقيقة الايمان والاسلام ومزايا العقيدة الاسلامية وآثارها الايجابية في حياة الافراد والمجتمعات الانسانية، وعقيدة التوحيد الايمانية بين الحقائق الثابتة والتاريخية، وتصورات الأمم الضالة الوهمية والطبيعة الانسانية.

ويشير المؤلف في نهاية هذا الكتاب إلى مفاهيم الايمان ودعائم العقيدة الدينية في المذاهب الكبرى الإسلامية، وحقيقة الايمان ودعائمه الاساسية لدى أهل السنة والشيعة الامامية.

ويرتبط الكتاب الثاني بالملائكة البررة الكرام وعالم الجن والشياطين، ويتضمن هذا الكتاب عدة أبواب منها: الايمان بالملائكة الكرام عليهم السلام من أركان عقيدة المسلم ودلائل وجودهم في عالم الموجودات الغيبية.

وأيضاً حول العلاقة الوثيقة بين الملائكة والانسان والمفاضلة بينهم وبين البشر وما جاء في ذلك من أقوال وتحقيق بيان.

ويتعرّض المؤلف خلال ابحاثه إلى التعريف باحوال الملائكة الكرام وتنوع وظائفهم وخصائصهم كما جاء في الكتاب وبيان خير الانام، ثم يتطرق إلى عالم الجن والشياطين ويتحدّث حول عالم الجن والشياطين في الكتب السماوية وفي ضوء القرآن والسنة النبوية، واسباب العداء بين الانسان والشيطان، واسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان، والأمراض النفسية كمدخل لاغوائه للبشر.

ثم يتطرّق المؤلف إلى التنظيم الاداري للدولة الابليسية وجذور الشر والفتنة في عالم الجن والشياطين. وفي نهاية هذا الكتاب يبيّن المؤلف أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام وتفسيرات علماء الشيعة الامامية حول عالم الجن والشياطين.

ويرتبط الكتاب الثالث بالكتب السماوية والالهية، ويحتوي هذا الكتاب عقيدة المؤمن وأدلة ايمانه بالكتب السماوية والكتب الإلهية المعروفة والمجهولة، ويتضمن أيضاً محاضرات في النصرانية والأدوار التي مرّت عليها عقائد النصارى وعن كتبهم ومجامعهم المقدّسة والمسيحية كما جاء بها المسيح عليه السلام ، والفرق المسيحية التي ظهرت في عصر التوحيد وضياع معالم التوحيد الاساسية.

الدين عند موسى وعيسى ومحمد ﷺ، والغفران بين الاسلام والمسيحية، ثم يبيّن المؤلف الاسلام والديانات السماوية وضوابط التقريب ومحاذيره بين اتباع العقائد الايمانية، ثم يشير إلى عالمية الدعوة الاسلامية والرسالة المحمدية إلى شعوب الأرض قاطبة، ثم يشير إلى مدارس التفسير القرآني والاتجاه التكاملي والموضوعي على ضوء القواعد والمناهج العلمية والكلية المستوحاة من القرآن، والأحاديث الصحيحة النبوية من طريق الصحابة الأبرار وأئمة أهل البيت الأطهار. ثم يجيب المؤلف على هذا التساؤل: كيف نفهم القرآن ونفسّره على ضوء الآيات القرآنية ذاتها والسنة الصحيحة، أو كيف نفهم القرآن ونفسّره من خلال التفسير القرآني والبيان النبوي؟

وفي نهاية هذا الكتاب يقدّم المؤلف بحثاً حول بيان معالم الاعجاز الالهي في القرآن الكريم لدى المذاهب الكبرى الاسلامية، ثم يلحقه ببحث حول المرجعية العليا الاسلامية للقرآن الكريم والسنة النبوية، ويرتبط الكتاب الرابع بالنبوة والأنبياء عليهم السلام، ويحتوي هذا الكتاب على عدّة أبواب، منها: النبوة والأنبياء في ضوء الكتاب والسنة وحاجة البشرية للأنبياء، وعصمة الأنبياء والرسل بين أهل السنة والشيعة الامامية، والفلسفة والنبوة ومعجزات وصفات الأنبياء بين أهل السنة والشيعة، ومعجزات الأنبياء وخوارقهم لدى الشيعة، ومن انباء المرسلين والدعاة إلى الله رب العالمين.

ثم يطرح المؤلف بحثاً حول المسيح في مصادر العقائد النصرانية والاسلامية، وإثبات بشريته من خلال نصوص التوراة وفي أناجيل العهد الجديد، وبطلان عقيدة النصارى في حقيقة السيد المسيح والخلاص العظيم بالأدلة القطعية من خلال نصوص الأناجيل الأربعة، والمسيح بين نصوص الانجيل والقرآن والسنة النبوية من طريق أهل السنة والشيعة الامامية.

ويرتبط الكتاب الخامس حول المعاد واليوم الآخر، ويحتوي هذا الكتاب على عدّة أبواب منها: بديع صنع الله في جسم الإنسان، وأسرار الروح والجسد والموت والحياة، ومشاهد الناس المختلفة، وأهل التحقيق من الأنبياء والأئمة والعلماء ووصاياهم عند الممات، وأسرار الموت وشدائده ومقدماته الضرورية بين الحقائق العلمية والطبية والحقائق الدينية في العقيدة الاسلامية، وحقيقة الموت بين العقائد اليهودية والمسيحية والاسلامية وبين المفاهيم المادية والعلمية والدينية. ثم يعرض المؤلف في نهاية هذا الكتاب باباً حول القيامة الصغرى، وبداية الحياة البرزخية، وحضور ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

ويرتبط الكتاب السادس بالقضاء والقدر والعدل الالهي، ويحتوي هذا الكتاب على عدّة أبواب، منها أنّ الايمان بالقضاء والقدر من أصول العقائد الاسلامية اليقينية، وأنه عقيدة ايمانية تربوية خالصة.

ثم يطرح المؤلف بحثاً حول حيثيات الدفاع عن قضية العدل الالهية، وحرية الارادة والاختيار الانسانية، ومشكلة الجبروحرية الاختيار بين الشرائع السماوية والمذاهب الاسلامية، وفي نهاية هذا الكتاب يطرح المؤلف قضية الجبر والعدل والالهي والحرية الانسانية في الفكر الاسلامي المعاصر بين علماء أهل السنة والصوفية والشيعة الامامية.

ويرتبط الكتاب السابع بوجوب الامامة والخلافة الاسلامية، ويتضمن هذا الكتاب عدّة أبواب منها: قضية الامامة والخلافة وتطوراتها التاريخية، ومدى وجوبها شرعاً في المذاهب الاسلامية الكبرى، ثم يعقبه بمبحث نظام الخلافة واسس اختيار الامام أو الخليفة لدى المذاهب الاسلامية الاعتقادية، ومبحث فقه الخلافة الاسلامية، والنظريات الفلسفية في شأن الامامة بين المذاهب الكبرى الدينية والاعتقادية، ومبحث الحكومة الاسلامية وصلاحيات ولاية الخليفة،

والمبادىء الاساسية لنظام الحكم في الدولة الاسلامية من المنظور العقائدي والفقه السياسي والدستوري الاسلامي، ثم يتطرّق حول قضية الامامة والخلافة الاسلامية لدى الاسماعيلية والشيعة الامامية، ثم يبحث المؤلف حول وحدة الأمة الاسلامية ويبين جملة من المفاهيم الدينية المشتركة بين أهل السنة والشيعة

الامامية، ثم يبحث أزمة الفكر السياسي الاسلامي في العصر الحديث ومفهوم وحدة الامة الاسلامية وآفاق المستقبل المنشود للأمة، وفي نهاية هذا الكتاب يقوم المؤلف بدراسة موجزة عن الأئمة الاثني عشر من آل البيت النبوي، وذلك عن شخصيتهم وحياتهم ومعالم عقيدتهم وعرفانهم، ثم يسلّط المؤلف الأضواء على الامام المهدي المصلح العالمي المنتظر ومنقذ البشرية في نهاية مراحلها الزمنية.



❖ الشيخ ذاكر حسين طاهري.

❖ ولد الشيخ بمدينة فيصل آباد عام ١٩٧٥م في باكستان وقد كان يعتنق المذهب الحنفي سابقاً.

الشيخ ذاكر حسين طاهري

المولد والنشأة

ولد الشيخ ذاكر حسين طاهري بمدينة فيصل آباد عام(١٩٧٥م) في باكستان. وقد كان يعتنق المذهب الحنفي، وهو مذهب الاكثرية.

البداية كانت مناظرة

كانت المدينة التي يقطن فيها الشيخ ذاكر حسين طاهري ذات غالبية سنية، لكنها غير متعصبة وتحترم عقائد الاخرين، كما كان في نفس المدينة رجل دين واستاذ شيعي يدعى محمد يوسف جعفري معروف في اواساط السكان بالعلم وحسن السيرة، وقد كانت آونة واخرى تحدث بينه وبينهم مناقشات حول الاختلاف بين السنة والشيعة بين آونه وأخرى، إلا ان الكثيرين يجتنبون الدخول معه في النقاش لإسلوبه الجذاب المدعوم بالأدلة.

وحدث ذات يوم ان دعى الاستاذ جعفري الى اجراء مناظرة محورها الخلاف الاساسي بين الفريقين، وما كان من الشيخ ذاكر حسين طاهري إلا ان تصدى له بأمرٍ من والده الذي كلفه بأن يكون هو الطرف الاخر الذي يناظرالاستاذ جعفري.

وكان الشيخ طاهري يردد ماورثه من اسلافه من:

١ ـ ان النبي ﷺ لم ينص على احد.

٢ ـ ان الخلافة لا تكون إلا بالشورى.

٣ ـ ان خلافة ابي بكر أجمعت عليها الامة.

حقائق مضيعة

وجاء الرد من الاستاذ جعفري مبلوراً وموضوعياً ومدعوماً بالأدلة من المصادرالسنية، في ان النبي ﷺ ما كان يترك شاردة ولا واردة إلا وبينها وبين حكمها للأمة لئلا يقع الاختلاف والدس والانحراف، فكيف بمسألة الخلافة؟! فهو ﷺ نص على خلافة اميرالمؤمنين علي عليه السلام في غديرخم، وهذا ماتؤكده المصادر التالية:

(صحيح مسلم: ج٧ ص ١٢٢. مسند احمد: ج٤ص٣٧٢. النسائي في كتاب الخصائص: ص ٢١. اسباب النزول: ص ١٥٠. شواهد التنزيل: ج١ ص١٨٧. الدرالمنثور: ج٣ ص١١٧.

التفسيرالكبير: ج١٢ ص ٥٠. تاريخ دمشق: ج٢ ص ٨٦. فتح القدير: ج٢ ص٦٠. الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص ١٣٦. روح المعاني: ج٢ ص ٣٨٤)

واما مسألة ان الخلافة لا تكون إلا بالشورى، فلماذا لم يعمل ابوبكر بهذا القانون عندما نص على خلافة عمر!!!

وهذا يعني مخالفته لرسول الله ﷺ في تنصيبه، لأن النبي ﷺ لم ينصب خليفة كما يدعى!!!

واما كون الامة اجمعت على خلافة ابي بكر فهذا غيرتام، لأن مجتمع المدينة لا يمثل الامة الاسلامية التي توزعت امتداداتها لتشمل الجزيرة العربية هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى حتى لو افترضنا ان اهل المدينة يمثلون الامة الاسلامية انذاك فإن قسماً منهم لم يؤيد في البداية وقسماً امتنع وموقف الانصار

والامام علي عليه السلام وسائر بني هاشم وبعض الصحابة يثبت ذلك، فأين الاجماع ؟

والمصادر التالية تؤيد ذلك: (صحيح البخاري: ج٨ ص ٢٦. مسند احمد بن حنبل: ج١ ص٥٥. تاريخ الامم والملوك: ج٢ ص٤٦٦. الكامل في التاريخ: ج٢ص ١٢٤. سيرة ابن هشام: ج٢ ص ٣٢٨. تاريخ الخلفاء: ص ١٤٥. تاريخ الخميس: ج١ ص ١٨٨. أنساب الاشراف: ج١ ص ٥٨٧)

كما دارت حوارات اخرى حول بعض الآيات التي تثبت إمامة أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كـ(آية المباهلة، اية الولاية، آية التطهير،..) وكذلك بعض الاحاديث كـ(حديث المنزلة، حديث الطائرالمشوي، حديث الثقلين، حديث السفينة،...)

نقطة التحول

فوجئ الشيخ ذاكر حسين طاهري بهذه الحقائق، وقرر الاستقصاء والمتابعة، وكان كما قال الاستاذ جعفري، حقائق حرصت الايدي الخبيثة على طمسها والتلاعب بها، عندها قرر الشيخ اعتناق مذهب الحق مهما كلف الامر، لأن المعاندة والتنصل لا يجديان يوم يقوم العباد بين يدي الله تعالى.

وبدأت المتاعب

عند ما عرف اهله واقرباءه باقتدائه بالائمة الطاهرين عليهم السلام، ثارت ثائرتهم، وضغطوا عليه كي يترك مذهب الحق، وقاطعوه مقاطعه تامة، مما اضطره الى ترك مدينته والانتقال الى مدينة (شبيروالا).

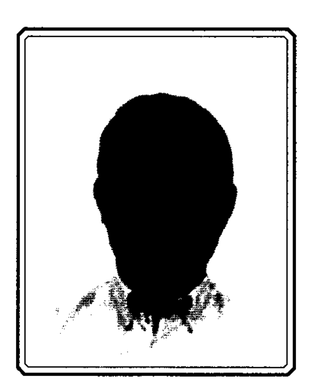
دراسة علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

باشر الشيخ ذاكر في هذه المدينة بدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام، فأخذ يقرأ

بعض الدروس في (العقائد، الرسالة العمليّة،..) مما حدى بأساتذته الى تحفيزه للالتحاق بحوزة (جامعة المعصومين عليهم السلام) في مدينة(فيصل آباد) لتكون دراسته معمقة اكثر.

وتوالت الايام وإذا به يقطع مراحل متقدمة، ويصبح مبلغاً ومؤثراً في اوساط المجتمع حتى تمكن بعون الله تعالى من هداية اثنين من اشقائه مع أحد اخواله.

هذا وما زال يتابع دروسه الدينية ودوره لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام.



❖ المنصف الحامدي.

❖ ولد عام ١٩٦٦م بمدينة (سيدي خليف) في دولة تونس في أسرة تعتنق المذهب الماركسي.

❖ ديبلوم في الهندسة الميكانيكية.

❖ شغل منصب رئيس قسم الدراسات لهذا الفرع.

❖ تحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٤م في مدينة سيدي بوزيد التونسية.

المنصف الحامدي

ولد عام ١٩٦٦م بمدينة «سيدي خليف» في دولة تونس[1]، من أسرة تعتنق المذهب المالكي، واصل دراسته الأكاديمية حتى نال شهادة الديبلوم في الهندسة الميكانيكية، ثم شغل منصب رئيس قسم الدراسات لهذا الفرع.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٤م في مدينة «سيدي بو زيد» التونسية.

البحث الجاد والمعمق:

كان دأب الأخ منصف التساؤل والبحث والاستفهام لاسيما في الأمور العقائدية والفكرية، ومن هذا أندفع للبحث الجاد والمعمق حتى آل به الأمر في نهاية المطاف إلى الاستبصار.

فيقول الأخ منصف: «قد لا تحمل قصة استبصاري شيئاً مثيراً ولا تضم في طياتها ما يلفت النظر، ولا سيما أنّها تحمل أموراً شخصية لا أحبذ الخوض فيها، ولكن أكتفي بالاشارة إلى الحركة الفكرية التي دفعتني إلى تغيير ركائزي العقائدية وصياغة مبادئها من جديد وفق الأسس التي توصلت إليها عبر البحث والتحقيق.

كان منشأ هذه الحركة هو مجموعة تأملات ونقاط استفهام طرحت نفسها لتكون دافعاً نحو البحث، وعندها طوّعت نفسي لرحلة استمرت سنوات، قرأت

---

(١) تونس: أنظر الترجمة رقم (٣٩).

فيها جملة من كتب أبناء العامة المعتبرة عندهم، لأرفع بذلك الاستفهامات العالقة في ذهني، فاكتشفت عبر ذلك الكثير من الحقائق التي لم أكن مطلعاً عليها من قبل».

البحث عن الفرقة الناجية:

ويقول الأخ منصف: «في الحقيقة كان لاستقامتي في البحث أثر في استبصاري، فكنت كثير التساؤل والاستفسار، وكان من جملة التساؤلات التي كان البحث عنها ذا تأثير كبير في صياغة مرتكزاتي العقائدية الجديدة هو الحديث المشهور المروي عن رسول الله ﷺ : إنّ أمته تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّهم في النار إلاّ فرقة واحدة[1].

ومن هذا الحديث أنطلقت نحو البحث والتتبع، لعليّ أصل إلى معرفة هذه الفرقة الناجية، وقد كنت مهتمّاً لإيماني أنّ عدم معرفة هذه الفرقة يعني الهلاك في النار، لذلك انطلقت في البحث بعزيمة قويّة وأصرار لكي أصل إلى النتيجة بعون الله سبحانه وتعالى.

وكان لابد لي من معرفة أسباب وتاريخ حدوث الفرقة بعد رسول الله ﷺ ،

---

(١) هذا الحديث كثر نقله في المجاميع الحديثية، وكثر تصحيحه فيها، بل ادعى غير واحد من الأعلام تواتره وقد أخرج بعبارات مختلفة كما في: سنن الترمذي: ٤ / ٣٨١ (٢٦٤١) كتاب الايمان، سنن أبي داود: ٤ / ٢٠٢ (٤٥٩٧) كتاب السنة، سنن ابن ماجه: ٢ / ٩٣٢ (٣٩٩٢) كتاب الفتن، مسند أحمد بن حنبل: ٢ / ٣٣٢، ٣ / ١٢٠، ١٤٥، مستدرك الحاكم: ١ / ٤٧ (١٠)، الجامع الصغير للسيوطي: ١ / ١٨٤ (١٢٢٣، ١٠٨٣) و ١ / ٥١٦ (٢٦٤١)، مجمع الزوائد للهيثمي: ١ / ١٨٩، وقد صحح هذا الحديث الترمذي في سننه، والبغوي في شرح السنة، والسخاوي في المقاصد الحسنة، والشاطبي في الاعتصام، وادعى السيوطي تواتره على ما ذكره المناوى في فيض القدير، وكذا الكتاني في نظم المتناثر.

لأنّها تمثّل لي معرفة جذور الانحراف التي منها تتبين معالم الفرق الضالة بعد معرفة أسباب نشأتها ودوافع ظهورها في الساحة الإسلامية».

أثر رزية الخميس في نشوء الفرق الإسلامية:

يتجلى لكل متصفح في أحداث الصدر الأوّل للإسلام أنّ أهم الأسباب والدوافع التي كان لها الأثر الكبير في إحداث الفرق ونشوء المذاهب هي رزيّة يوم الخميس، وهي الحادثة التي وقعت في أواخر حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كان لها بالغ الأثر في نشوء الاختلاف والفرقة بين المسلمين.

وقد ذكر هذه الحادثة كل من كتب التاريخ ودون الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد وغيرهم بأحاديث صحيحة:

فأخرج البخاري عن ابن عباس، قال: «لما اشتدّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، قال عمر: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عباس يقول: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه»[1].

وعنه أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: «يوم الخميس، وما يوم الخميس!! اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه، فقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» ـ فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع ـ فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يردون عليه، فقال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»، وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب،

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ٥٤ (١١٤) كتاب العلم، باب كتابة العلم.

وأجيزوا الوفد بنحوما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال: نسيتها»[١].

وعنه أيضاً عن ابن عباس قال: «لما حُضِرَ رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال ـ النبيّ ﷺ ـ: «هلّم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده». فقال عمر: إنّ النبيّ ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ، قال رسول الله ﷺ: قوموا...» الحديث[٢].

وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الاعتصام[٣]، وكتاب الجزية[٤] وكتاب الجهاد[٥] بألفاظ متقاربة.

وأخرج مسلم في الصحيح عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنّه قال: «يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خدّيه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ يهجر»[٦].

---

(١) المصدر نفسه: ٤ / ١٦١٢ (٤١٦٨) كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) المصدر نفسه: ٥ / ٢١٤٦ (٥٣٤٥)، كتاب الطب، باب قول المريض قوموا عني.

(٣) المصدر نفسه: ٦ / ٢٦٨٠ (٦٩٣٢)، كتاب الاعتصام، باب كراهية الخلاف.

(٤) المصدر نفسه: ٣ / ١١٥٥ (٢٩٩٧)، كتاب الجزية، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب.

(٥) المصدر نفسه: ٣ / ١١١١ (٢٨٨٨)، كتاب الجهاد، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم.

(٦) صحيح مسلم: ٣ / ١٢٥٩ (١٦٣٧)، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شي يوصي فيه.

وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند في مواضع متعددة[1].

دلالات رزية الخميس:

مما يلاحظ في هذا الحديث من قوله ﷺ «أئتوني بكتاب» لم يكن الأمر للإرشاد وإنّما هو دال على الوجوب، وذلك:

أوّلاً: إنّ قول «لا تضلوا» يشير إلى أنّ الكتاب الذي كان يريد رسول الله ﷺ كتابته إنّما هو يوجب العصمة من الضلال، وهو أمر يجب الحصول عليه امتثالاً لأمر النبيّ ﷺ ولأهمّية مضمونه.

ثانياً: إنّ استياء النبيّ ﷺ من فعلهم، وأمره لهم بالقيام، مع سعة ذرعه وشدّة تحمله وعظيم خلقه، دليل على أنّهم ارتكبوا أمراً عظيماً ما كان لهم أن يقترفوه.

ثالثاً: إنّ النبيّ ﷺ كان في حالة الاحتضار، فهو مشغول بنفسه ويصعب عليه كتابة الكتاب، وهذا يوحي أنّ المقام لم يكن مقام الأوامر الإرشادية، بل أنّه يستوجب الأوامر الالزامية المهمّة.

رابعاً: موقف ابن عباس وتوصيفه للحادثة بالرزية وبكاؤه بعد أنقضاء الحادثة دليل عن أنّ مخالفة أمر النبيّ ﷺ كان فعلاً محرّماً قد فقدت الأمّة خلاله أمراً كان يستهدف عصمتها من الضلال.

ومن هنا فإنّ استصغار البعض للحادثة، إنّما هو محاولة لتبرير موقف عمر ومعارضته لرسول الله ﷺ!، وهذا التبرير لا يصلح أن يكون قرينة لما يبتغوه، لأنّ عمر كان كثيراً ما يعترض على رسول الله ﷺ في مواقف كثيرة ومشهورة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١ / ٢٢٢، ٢٩٣، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥٥.

مخالفات عمر للسنة:

ذكر البخاري فيما أخرجه عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل ساق فيه خبر صلح الحديبية، قال: «فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبيّ الله ﷺ، فقلت: ألست نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية[1] في ديننا إذاً؟ قال: إنّي رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى فأخبرتك أنّا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنّك آتيه ومطوّف به، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر...» الحديث[2].

وفي رواية أخرى أخرجها البخاري أيضاً أنه قال: «فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر...»[3].

وفي رواية مسلم: «فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا، فأتى أبا بكر...»[4].

وهذا الموقف لعمر دلالة واضحة على مجادلته ومناقشته للنبيّ ﷺ وأنّه رجع متغيظاً من قول الرسول وغير راض بما سمعه منه ﷺ.

كما لا يحق لعمر الاجتهاد في أمر قد قضى الله ورسوله فيه بالصلح، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ

---

(١) الدنية: أي الخصلة المذمومة.

(٢) صحيح البخاري: ٢ / ٩٦٨ (٢٥٨١)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

(٣) صحيح البخاري: ٤ / ١٨٣٢ (٤٥٦٣)، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الفتح.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير: ٣ / ١٤١١ (١٧٨٥)، وأنظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣ / ٤٨٦، ٤ / ٣٣٠.

يَكُونَ لهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾[1].

ومن معارضات عمر أيضاً جرأته على رسول الله ﷺ في حياته عندما أراد الصلاة على عبد الله بن أبي رأس المنافقين فجاء عمر فجذبه من خلفه، وقال: ألم ينهك الله أن تصلي على المنافقين! فقال: إني خيّرت، فاخترت فقيل لي: **﴿اسْتَغْفِرْ لهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لهُمْ﴾**[2]، ولو أعلم أني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت. ثم صلى عليه، ومشى معه، وقام في قبره، فعجب الناس من جرأة عمر على رسول الله[3]!.

وبهذا يتضح لنا أنّ موقف عمر ازاء رسول الله ﷺ في رزيّة الخميس لم يكن مما يبعثنا على الاستغراب أو استبعاد ما صدر منه.

وهذا الأمر لم يتعلق بشخص عمر وحده، إذ لو كان كذلك لأسكته رسول الله ﷺ، بل استفحل الأمر واستشرى ووجد له أنصاراً قد اتفقت كلمتهم على منع رسول الله ﷺ عن كتابة ذلك الكتاب، وكأنهم نسوا أو تناسوا قول الله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾**[4].

لماذا لم يكتب الرسول الكتاب:

إنّ سبب عدم كتابة الرسول ﷺ الكتاب، لأنه وجدهم قد طعنوا به وهو

---

(١) سورة الاحزاب: ٣٦.

(٢) التوبة: ٨٠.

(٣)

(٤) سورة الحجرات: ٢.

لايزال على قيد الحياة، فإذا كان كذلك فكيف يكون الأمر بعد وفاته!.

والحقيقة أنّ الذين منعوا الرسول ﷺ من كتابة ذلك الكتاب لم يفعلوا ذلك إلاّ لأنّهم علموا أنّ الرسول يريد أن يؤكد استخلاف عليّ بن أبي طالب من بعده. ولأنّه سبق لرسول الله ﷺ أن قال: «إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا»، وقال ﷺ في مرضه: «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، ففهم الحاضرون أنّ الرسول يريد أن يؤكد ماذكره فيما سبق وهو التمسك بالكتاب وعترته، وسيد العترة هو عليّ عليه السلام، وأغلبية قريش لا يرضون بعليّ عليه السلام، فتقدمهم عمر ليصرح برفضه للعترة قائلاً: «حسبنا كتاب الله».

أثر رزية الخميس بعد وفاة الرسول ﷺ:

تعتبر رزية الخميس أوّل بروز رفض خلافة عليّ عليه السلام! حتى ظهر بصورة عملية بعد وفاة الرسول ﷺ واتفقت آراء رؤساء القوم على عدم الائتمار بقول الرسول ﷺ في هذا المجال.

ومن هنا بدأت الفرقة في أوساط الأمة الإسلامية بدأت واتسعت يوماً بعد يوم حتى ظهرت البدع نتيجة الأهواء لفقدان الساحة للخلافة الرشيدة الموجهة للمسلمين، حيث مهّدت الأرضية لوقوع الخلافة بيد بني أميّة أئمة الضلال، ووقع التحريف في شريعة سيد المرسلين، ونشأت الفرق وابتلت الأمة الإسلامية بأئمة الجور والضلال.

وكان سبب وقوع كل هذا الكم الهائل من التشتت والتمزق في الساحة الإسلامية هو عدم تلبية أولئك الصحابة في قبول من يعصم الأمة من الوقوع في الضلال.

البحث لمعرفة الإمام:

يقول الأخ منصف: «وهكذا بدأت تتجلى لي بوضوح أسباب نشأة الفرق في الإسلام، كما عرفت أنّ الخلافة التي أرادها الرسول ﷺ لم تكن كما ذهب إليه أبناء العامة، بأنّها مسؤولية إجتماعية ترتبط بحفظ شؤون النظام، بل هي شكلا من الولاية الإلهية وعهد إلهي كالنبوّة لمن يصطفيه الله من عباده، مع التأكيد على فارق هام هو أنّ النبوّة تأسيس للرسالة والإمامة حراسة لها».

ويضيف الأخ منصف: «خلال مطالعتي للأحاديث النبوية الشريفة قرأت قوله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فدفعني ذلك لمعرفة إمام زماني، فطالعت جملة من كتب الفريقين حتى تجلّت لي حقيقة وجود الإمام المهدي عليه السلام بوضوح، وكنت أنذاك في المرحلة الأولى في معهد الهندسة الميكانيكيّة.

وبمرور الزمان اكتملت صورة مذهب أهل البيت عليهم السلام في ذهني، فعرفت أنّ الإمام الذي جعله الله بلطفه حجّة على العباد، كما عرفت أنّ السبب الذي حجبنا عن رؤيته والاتصال به هو الظروف المتردية الحاكمة على المجتمع، وأنّه تعالى قد تمت حجّته على العباد، وأنّه عزّوجلّ حذّر الناس من الوقوع في الفتن التي تمنع وصول ألطافه تعالى إلى العباد، وذلك بقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾[1].

اجتياز بعض العقبات المانعة من الاستبصار:

يقول الأخ منصف: «إنّ من أهم الأسباب الموجبة للاهتداء ومعرفة الحقّ

---

(١) الأنفال: ٢٥.

التقوى، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾[1]، والفرقان هو النور الذي يقذفه الله في قلب الأتقياء فيتمكنوا به أن يميّزوا بين الحقّ والباطل، وبه يكشف الله الحجب عن فطرتهم لتميل قلوبهم وتندفع إلى الحقّ.

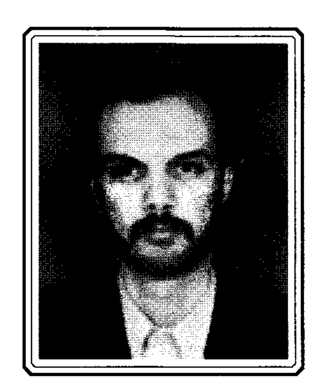
والعامل الوحيد الذي يدفع الإنسان للبحث عن الحقيقة بإخلاص ومن دون نيل أغراض أخرى الشعور بالحاجة إلى الهداية، وهو شعور ينطلق من الفطرة السليمة ومن النفس التي هذبها صاحبها لتكون مستعدة لتلقي الحقائق.

ولهذا بذلت غاية جهدي لأعيش حالة الاتصال الدائم بالله، وأظن أن هذا الرصيد المعنوي هو الذي مكنني للاهتداء والاستبصار، والذي جعلني متمكناً من التغلب على جميع الموانع التي اعترتني في هذا الطريق».

وحيث كان الأخ منصف مجيداً للغة الإنجليزية والفرنسية أتاح له ذلك أن يوسع دائرة عمله التوجيهي في التبليغ والحوار مع الجاليات المختلفة، وهذا الأمر دفعه لمواصلة تتبعه في البحث والتوسع في معارف أهل البيت عليهم السلام ومنحه الرؤية الشمولية التي تمكّن بها من مواصلة طريق السمو والكمال في عبودية الله تعالى.

---

(١) الأنفال: ٢٩.



❖ الأسعد بن علي.

❖ ولد عام ١٩٦٤م في مدينة صفاقس (تونس).

❖ مالكي المذهب سابقاً.

❖ إجازة في العلوم الطبيعية.

❖ تحول لمذهب أهل البيت عام ١٩٨٤م.

❖ من مؤلفاته التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر قدس سره ط. مركز الأبحاث العقائدية (قم /إيران).

❖ درس في حوزات السيدة زينب عليها السلام .



الأسعد بن علي

ولد عام ١٩٦٤م في صفاقس بدولة تونس، ترعرع في أسرة مالكية المذهب، واصل دراسته الأكاديمية حتى أتم الثانوية ثم دخل الجامعة في فرع العلوم الطبيعية.

تبلور اهتمام الأخ الأسعد بعد بلوغه سن الرشد في مجال مطالعة الكتب والمقالات المختصة بالعلوم الحديثة والأفكار المعاصرة المهتمة بشأن طرح الايديولوجية من المنظور الاسلامي، وجعل يتصفّح ما يُقال في هذا المجال، وجعل يبحث حول التاريخ ونواميسه وقوانين حركته ليصل إلى رؤية شمولية حول التاريخ الذي يندمج فيه الانسان من جديد في الكون مع الله وبالله جل جلاله.

البحث عن الوعي الاسلامي:

حاول الأخ الأسعد أن يصل إلى الوعي الاسلامي الذي يقود الحياة إلى آفاق مستقبلية رحبة وأن يُرقي مستوى معرفته من أجل الإحاطة بالنظم الفكرية والثقافية والحضارية الشاملة للاسلام، والتي تخلّص الانسان والمجتمع وتبشّر بحياة سعيدة عادلة.

واجتهد الأخ الأسعد في رحلة بحثه هذه أن يتعرّف على الشخصيات المتبحرة في هذا المجال، فتعرّف خلال بحثه على كتب السيد محمد باقر الصدر

(قدس سرّه الشريف)، فوجد انتاجه يشكل نسيجاً متماسكاً لمدرسة إسلامية متكاملة الأبعاد. فانبهر بشخصيته وذاب في عطائه الفكري.

وكانت من جملة المواضيع التي نالت اعجاب الأخ الأسعد من كتب السيد محمد باقر الصدر هي مسألة التجديد الكلامي والمضامين والأفكار الاعتقادية التي خاضها في ضوء منهجه الجديد.

ومن هذا المنطلق انفتح الأخ الأسعد على التراث الشيعي، وبدأ يتعرّف بالتدريج على اصول ومبادىء هذا المذهب، والمرتكزات الفكرية التي يعتمد عليها اتباع هذا المذهب.

معرفة الامامة:

تعرّف الأخ الأسعد خلال مطالعته لكتب السيد محمد باقر ومراجعته لباقي الكتب الشيعية على مسألة الإمامة ومكانتها في الدين، وتبيّن له أن الإمامة كالنبوة حاجة حضارية متأصلة في حركة المجتمع والتاريخ، وأن الإمام كالنبي شهيد وخليفة لله في الأرض من أجل أن يواصل الحفاظ على الثورة ضد الجاهلية والانحراف بكل محتواه الفكري والنفسي وبكل جذوره ومظاهره المختلفة من استبداد واستغلال، غير أن جزء من دور الرسول يكون قد اكتمل وهو إعطاء الرسالة والتبشير بها والبدء بالثورة الاجتماعية على أساسها، فالوصي ليس صاحب رسالة ولا يأتي بدين جديد بل هو المؤتمن على الرسالة والثورة التي جاء بها الرسول.

دارسته لموقف الرسول ازاء الخلافة من بعده:

واصل الأخ الأسعد بحثه حول الإمامة، ثم احبّ أن يتعرّف على موقف النبي ﷺ من الخلافة، فرأى أن الأمر لا يخرج من ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: الطريق السلبي وإهمال أمر الخلافة، وهذا لا يمكن قبوله في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّه ناشىء من أحد أمرين: الأمر الأوّل: أن يعتقد الرسول أنّ ذلك غير مؤثر في مستقبل الرسالة، الأمر الثاني: نظرته للدعوة نظرة مصلحية ولا يهمه إلاّ أن يحافظ على الرسالة ما دام حياً ولا يعنيه مستقبلها وحمايتها من بعده.

الاحتمال الثاني: الموقف الإيجابي المتمثل في نظام الشورى، ولكن الأخ الأسعد خلال استقراء جملة من الشواهد من تاريخ الرعيل الأول ومواقفه لم يجد أن الرسول قد طرح هذا الأمر أو بيّن له الطريقة الخاصة للاتباع، ولم يجد سوى النصوص المصرّحة على خلافة الإمام علي عليه السلام من بعده.

الاحتمال الثالث: الايجابية المتمثّلة في اعداد من يقود الأمة، ويقول الأخ الأسعد: وجدت أن هذا الطريق هو الطريق الوحيد الذي ينسجم مع طبيعة الأشياء، ويعقل في ضوء ظروف الدعوة والدعاة وسلوك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أن يقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً ايجابياً، فيختار بأمر الله سبحانه وتعالى شخصاً يعدّه اعداداً رسالياً وقيادياً خاصاً لتمثّل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية.

وكانت من جملة الشواهد التاريخية والنصوص المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي دفعت الأخ الأسعد للتثبت من صحة هذا المسلك هي حديث «الدار» وحديث «الثقلين» و«المنزلة» و«الغدير» وغيرها.

صعوبة التحول الفكري:

لم يكن من السهل للأخ الأسعد بعد اكتسابه القناعات الجديدة أن يتحرّر من الجانب العاطفي الذي كان يشدّه بمعتقداته السابقة، ولكنه وقف بكل صمود

وتحدي ازاء كل التيارات التي حاولت أن تسلب منه القناعات التي توصّل إليها عبر الأدلة والبراهين الساطعة.

واستعان الأخ الأسعد بالله تعالى، فشعر بعدها أنه يمتلك القدرة على تخطي كافة الحواجز والعقبات التي وقفت بوجهه لتصرفه عن السير باتجاه الحقيقة.

اعلان الاستبصار:

ورغم الموانع النفسية التي واجهها الأخ الأسعد خلال اتخاذه القرار النهائي بشأن الانتماء المذهبي، لكنه واصل سيره نحو الحق هادىء النفس، قوي الحجة، ثابت الجنان، واعلن عام ١٩٨٤م في تونس اعتناقه لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ثم سافر إلى سوريا وأقام في دمشق بجوار مرقد العقيلة زينب بنت الإمام علي عليه السلام والتحق بالحوزة العلمية الموجودة هناك من أجل تلقي علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام والالمام بسيرتهم ومنهجهم وتراثهم الذي جاؤوا به ليخرجوهم من الظلمات إلى النور.

مؤلفاته:

١ـ «التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر(قدس سره)» :

صدر عن مركز الأبحاث العقائدية ضمن سلسلة الرحلة إلى الثقلين.

وهو دراسة تحليلية تستهدف الكشف عن أوجه التجديد والإبداع منهجياً ومفاهيمياً في دراسة اصول الدين عند الشهيد الصدر.

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة فصول وخاتمه :

الفصل الأول : مراحل علم الكلام.

الفصل الثاني : معالم التجديد المنهجي.

الفصل الثالث : المضامين الجديدة في ضوء المنهج الجديد.

الخاتمة: على طريق التجديد الكلامي.

٢ـ «المنهج الجديد في تدريس العقائد»: مخطوط.

٣ـ «فصول في ثقافة الانتظار»: مخطوط.

وله أيضاً العديد من المقالات في مجلة الثقافة الاسلامية الصادرة في دمشق ومجلة المنهاج الصادرة في بيروت، ومجلة النور الصادرة في لندن.

وقفة مع كتابه: «التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر(قدس سره)»

يقدّم الكاتب لكتابه هذا، فيقول:

بدأ التاريخ في المشرق... وأذن التاريخ بنهايته في الغرب نهاية تمخضت في تحولات سياسية خطيرة عرفها المعسكر الاشتراكي... ولا نزال نترقب تمثلاتها في المعسكر الرأسمالي... بدأ التاريخ في المشرق بعودة الوعي وعودة الإسلام يقود الحياة إلى آفاق مستقبلية رحبة... ويؤسس لنظم فكرية وثقافية وحضارية شاملة... تخلص الإنسان والمجتمع.. وتبشر بحياة سعيدة عادلة.

لقد ساهم في صنع هذه اللحظة التاريخية العظيمة من فجر هذه الأمة رجالات كثر.. يشمخ على رأس قائمتهم... (محمد باقر الصدر(قدس سره)) الذي استشهد ليمْنَحَ كيان الأمة الإسلامية نفحة من روحه الطاهرة.. فيشارك إلى جانب آخرين في بعث الحياة في هذا الكيان.

لقد مثل باقر الصدر نموذجاً متميزاً من منظري الساحة وعلماً بارزاً في سماء نهضتها الفكرية وانبعاثها الحضاري.

وبعد عقدين من رحيله لا يزال انتاج باقر الصدر يشكل نسيجاً متماسكاً لمدرسة إسلامية متكاملة الابعاد.. وبالرغم من التطورات الثقافية والفكرية التي عرفها العالم منذ استشهاده إلاّ أن مشروعه الفكري لا يزال يمثل من عناصر القوة

والجدية ما يبقيه حاجة مستمرة إلى قراءة جديدة...

ثم يتحدّث عن الجانب الفكري والكلامي بالخصوص عند الشهيد الصدر(قدس سره)، فيقول:

يمتاز بأنه أسس لنقلات منهجية خطيرة خاصة على مستوى نظرية المعرفة، حيث أنّه بنى لنفسه نظرية خاصة في المعرفة (المذهب الذاتي) طبقها على العديد من المسائل في علم الكلام في بحوثه المتفرقة وهي ميزة يفتقدها غيره من المجددين.

إن باقر الصدر رغم عدم امتلاكه أثراً متكاملا لتجديد المنهج الكلامي وطرق مسائله وفق منظوره الجديد لكن ما تركه من نتاج عقائدي متناثر في مؤلفاته المختلفة ومحاضراته العديدة يشكل أرضية صلبة لنقد المنهج القديم، وصياغة النهج الجديد، وقراءة لأصول الدين من وجهة نظر مبتكرة بلحاظ ثقافة العصر وحاجاته وأسئلته واستفساراته.

لقد تحولت لوحة أصول الدين في منهج الصدر إلى نظريات متكاملة في الثورة، والتغيير الاجتماعي والقيادة والخلافة والحياة..

وفي هذا السياق وفي مجال البحث العقائدي يتجلى إبداع (محمد باقر الصدر) في القدرة على الانتقال بعلم الكلام نقلات منهجية كبرى من شأنها أن تسهم في أرساء أسس جديدة لعلم عقائدي جديد.

وباستقراء الانتاج الكلام والعقائدي للسيد محمد باقر الصدر المبثوث هنا وهناك في أكثر كتبه يمكن أن نستكشف: خمس نقلات منهجية أساسية:

أولا: من المنطق الأرسطي إلى المذهب الذاتي ثانياً: من الاتجاه التجزيئي إلى المنهج الترابطي الموضوعي ثالثاً: من النزعة الثبوتية إلى المنهج التكاملي رابعاً: من عقيدة الفرد إلى عقيدة المجتمع خامساً: من المذهبية الجدلية إلى

الإنسانية اليقينية.

ونقف هنا بعض الشيء عند النقلة المنهجية الأولى.

من منطق أرسطو إلى المذهب الذاتي:

يقول الكاتب في هذا المجال:

في كتاب فلسفتنا تبنّى باقر الصدر النظرية الأرسطية في المعرفة حيث سلّم بالبديهيات الست، وضرورة مبدأ العلية، ومسألة: بداهة الواقع الخارجي، لكنه لم يكن ليقف في حدود منطق أرسطو الذي حكم إلى حد ما تراثنا الفكري وخاصة الكلامي الذي تأثر بالمباحث المنطقية والفلسفية إثر ترجمة التراث اليوناني. واتخذ طابعاً جدلياً وتطرف أحياناً كثيرة في ملاحقة إشكالات الفلسفة والمنطق الارسطي حتى سقط في التجريد المطلق، والبحث عن شبهات افتراضية أكثر منها واقعية لا ثمرة عملية من ورائها.

«لكن باقر الصدر لم يستسلم للهيبة التاريخية للمنطق الأرسطي رغم كل التعديلات التي أدخلها عليه المفكرون الإسلاميون، وقطع مع هذا التراث الطويل بأطروحته المتميزة: الأسس المنطقية للاستقراء، والذي قال عنها باقر الصدر نفسه.. أنها استطاعت أن تملأ فراغاً كبيراً في نظرية المعرفة البشرية لم يستطع الفكر الفلسفي أن يملأه خلال الفي سنة»[1].

ليس كتاب الأسس المنطقية للاستقراء، كما قد يوحي عنوانه دراسة لمشكلة الاستقراء فحسب، وحل لقضية التعميم الاستقرائي، وانما هو أطروحة لنظرية معرفية جديدة أسماها باقر الصدر: المذهب الذاتي في المعرفة: إنه مذهب ثالث مقابل المذهب التجريبي والمذهب العقلي.

---

(١) محمود الهاشمي، بحوث في علم الأصول، المجمع العلمي للشهيد الصدر، مج٤، ص١٤٠.

مقارنة بين المذهب الذاتي والمذهب العقلي:

سنحرّر هذه المقارنة في النقاط التالية:

أولا: تحديد مصدر المعرفة: فالمذهب الذاتي يتفق مع المذهب العقلي حول وجود قضايا وإدراكات قبلية التي تمثّل أساساً يقوم عليه البناء الفوقي للمعرفة.

ثانياً: يختلف مع المذهب العقلي في الأساس المنطقي للتعميم الاستقرائي، فالمذهب العقلي يستند في هذا التعميم إلى مبادىء ثلاثة: مبدأ السببية ومبدأ عدم تكرر الصدفة باستمرار، ومبدأ: ان الحالات المتشابهة من الطبيعة تؤدي إلى نتائج متماثلة، ويعتقد هؤلاء أن هذا المبدأ مستقل عن التجربة، ومستقبل برهانيا عن مبدأ السببية، ومن نقطة الخلاف هذه حول رجوع الاستقراء إلى القياس حسب المنطق العقلي ينطلق باقر الصدر ليشيد نظريته في المعرفة.

ثالثاً: إن المذهب العقلي يؤمن اساساً بالتوالد الموضوعي في المعرفة، والقياس هو العمدة في الاستدلال، وحتى الاستقراء يرجع في الأخير إلى قياس صغراه الملازمة بين ظاهرتين كما تعكسها ملاحظاتنا، وكبراه ان الصدفة لا تتكرر باستمرار.

والتلازم الموضوعي يعني أنه اعتماداً على التلازم بين قضية وأُخرى، أو بين قضية ومجموعة قضايا أخرى يمكن أن تحصل معرفتنا بتلك القضية من معرفتنا بالقضية أو القضايا التي تستلزمها. مثال ذلك من قولنا: (سقراط انسان) و(كل إنسان فان) نستنتج ان (سقراط فان)، فهذا توالد موضوعي لأنه ناشىء عن التلازم بين الجانب الموضوعي للمقدمات والجانب الموضوعي للنتيجة. (فالتوالد الموضوعي هو الأساس في كل استنتاج يقوم على القياس الأرسطي، لأن النتيجة دائماً ملازمة للمقدمات على أساس التوالد الموضوعي والتلازم بين القضايا

المستدل بعضها على البعض الآخر بصورة قياسية[1].

أما التوالد الذاتي الذي يعتقد المذهب الذاتي أنها الطريقة التي تحصل بها أكثر معارفنا فهي تؤمن بأنه يمكن أن تنشأ معرفة جديدة انطلاقاً من التلازم بين الجانبين الذاتيين للمقدمات والنتائج دون تلازم في الجانبين الموضوعيين والمقصود من الجانب الذاتي الادراك. في حين ان المنطق الأرسطي يعتبر أن هذا التلازم الذاتي دون تلازم في الجانب الموضوعي غير كاف للانتقال إلى النتيجة وهكذا حاول المنطق الارسطي أن يفسّر كل معارفنا بأنها إمّا أن تكون أولية أو أنها مستنتجة على أساس التوالد الموضوعي. أما المذهب الذاتي فيؤمن: بوجود معارف أولية تمثل الجزء العقلي القبلي من المعرفة (مبدأ عدم التناقض)، وأن هناك معارف ثانوية مستنتجة على طريقة التوالد الموضوعي (مثال ذلك نظريات الهندسة الاقليدية والمستنتجة من بديهيات تلك الهندسة)، وهناك معارف ثانوية مستنتجة من معارفنا السابقة بطريقة التوالد الذاتي (التعميمات الاستقرائية) وهي تهم أكثر معارفنا.

رابعاً: إن المذهب الذاتي لا يشترط أن تكون المعرفة الأولية يقينية: فهو يُرجع بداية المعرفة إلى قسمين: أحدهما: المعرفة التي تفرضها بديهيات نظرية الاحتمال. والآخر: نفس الخبرة الحسية بالموضوعات، فنحن حين نشاهد سحاباً في السماء تعتبر مشاهدتنا خبرة حسيّة والسحاب في السماء هو موضوع هذهِ المشاهدة، ومعرفتنا بالمشاهدة نفسها معرفة ابتدائية أولية وليست مستدلة، وأما معرفتنا بوجود سحاب في السماء فهي معرفة مستدلة بطريقة استقرائية، ومع

---

(١) محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، ١٩٨١، ص١٣٥.

تمسك المذهب الذاتي بوجود بداية للمعرفة حتى لا يلزم التراجع إلى ما لا نهاية، لا يقر بأن تكون هذه البدايات ضرورية ويتصور المذهب الذاتي المعرفة الأولية احتمالية في مجالين: المجال الأول: مجال الخبرة الحسيّة والثاني مجال القضايا العقلية الأولية التي يكون ثبوت المحمول فيها للموضوع ثبوتاً مباشراً دون حدّ أوسط. هذه القضايا التي لا يمكن اثباتها باستنباط عقلي قد تكون متقدمة بدرجة عالية من التصور، وكذلك بدرجات أقل (وما دامت بعض المعارف الأوليّة بالامكان أن تحصل بقيم احتمالية في البداية فمن الممكن تنمية هذه القيم الاحتمالية وفقاً لنظرية الاحتمال، فكلما وجدت احتمالات تتضمن تلك المعرفة الأولية المحتملة ازدادت قيمتها الاحتمالية[1].

ومن المهم ونحن نتحدث عن نظرية المذهب الذاتي كنقلة منهجية في المبحث الكلامي أن نلخص طريقة التوالد الذاتي للمعرفة.

ذكرنا سابقاً أن المذهب الذاتي يرى أن أكثر معارفنا تتوالد بطريقة ذاتية لا موضوعية، وهذا التوالد يمر بمرحلتين مرحلة موضوعية ومرحلة ذاتية: (إن كل معرفة ثانوية يحصل عليها العقل على أساس التوالد الذاتي تمر بمرحلتين إذ تبدأ أولا مرحلة التوالد الموضوعي، وفي هذه المرحلة تبدأ المعرفة احتمالية وينمو الاحتمال باستمرار، ويسير نمو الاحتمال في هذه المرحلة بطريقة التوالد الموضوعي حتى تحظى المعرفة بدرجة كبيرة جداً من الاحتمال غير ان طريقة التوالد الموضوعي تعجز عن تصعيد المعرفة إلى درجة اليقين، وحينئذ تبدأ مرحلة التوالد الذاتي لكي تنجز ذلك وترتفع بالمعرفة إلى مستوى اليقين)[2].

---

(١) م. ن، ص٥٠٤.

(٢) م. ن، ص١٤١.

مضامين جديدة في ضوء المنهج الجديد:

يبين الكاتب ذلك بالقول:

مع تحقق النقلات المنهجية الهامة كان لابد لعلم الكلام أن يتجدد لا في آليات البحث فقط وانما في المضامين والمفاهيم، حتى انه يمكن القول أن (العقيدة) اضحت في تعريفها كنظرية للانسان والحياة والثورة أقرب ما تكون من قاعدة للنهضة والتقدم والتغيير.

ولكن كيف يمكن أن ندرس المضامين الجدية والمفاهيم الناتجة عن المنهج المبتكر؟ خاصة وأن العقيدة في ضوء هذا المنظور الجديد تتقاطع مع الرؤية الكونية وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ والنظام الاجتماعي.

إن دراسة هذه المضامين خارج الاطار الكلاسيكي (التقسيم الخماسي) يجعلنا نواجه صعوبات ما.. أدناها انه لن تتضح العلاقات بين المطالب العقائدية والمجالات الأخرى.

خاصة في ظل العقليّة القديمة التي تشكلت عبر قرون عديدة ورؤيتها المسبقة لأصول الدين في تعيناتها الثابتة، في حين أن المشروع الفكري العام لباقر الصدر يستند إلى حلقات متلاحمة ومتراصة تحتل فيها العقيدة (الرؤية الكونية) إلى جانب نظرية المعرفة الأسس الجذرية للبناء الفكري العام في شتى ميادين الحياة (اجتماع، سياسة، اقتصاد... الخ).

لأجل ذلك حافظنا على الاطار القديم للتصنيف المعروف في أصول الدين (اللوحة الخماسية) وهذا سيساعد على تلمس معالم التجديد العميق الذي أحدثه باقر الصدر في مستوى المفاهيم والمضامين، والتي لا تقل أهمية التجديد في مجالها عن التجديد من المناهج والآليات. لأن السيد باقر الصدر يولي دائماً المفاهيم أهمية خاصة.. ويعتبرها قاعدة السلوك والخط الذي يختاره ويشقه

الانسان في الحياة.

وسوف نقف مع بعض ما أورده في الأصل الأول.

التوحيد:

أدرك القدماء أهمية التوحيد ومحوريته لكل الأصول الاخرى فسمّوه: أصل الأصول. واطلق على العقائد اسم (علم التوحيد)، لأن الأصول الاخرى متوقفة عليه. وعرّف بعضهم علم الكلام بأنّه العلم الذي يبحث عن ذات الله وصفاته وأفعاله. ويندرج تحت أفعاله: النبوة والامامة والمعاد، لانها تمثل تجليات الفعل الإلهي في الكون والحياة وما بعد الحياة.

يلتقي باقر الصدر مع رؤية القدماء حول مركزية التوحيد، ويفجر في كتاباته مفاهيم عديدة وتصورات مستجدة تواكب المعركة التي يعيشها الإسلام في عصره الحالي ولحظته التاريخية.

ويختار القضية التالية كعنوان للتجديد في مستوى هذا الأصل:

التوحيد والمثل الأعلى المطلق:

نظرة جديدة تلك التي يطرحها باقر الصدر عبر مفهوم (المثل الأعلى المطلق)، فالمجتمع والفرد سواء بسواء يتشخص سيرهما، ومعالم هذا السير من خلال اختيار المثل الأعلى (فبقدر ما يكون المثل للجماعة البشرية صالحاً وعالياً وممتداً تكون الغايات صالحة وممتدة، وبقدر ما يكون هذا المثل الأعلى محدوداً أو منخفضاً تكون الغايات المنبثقة عنه محدودة ومنخفضة أيضاً)[1]. فالمثل الأعلى هو محور أي حركة تاريخية لأنه يحدد غاياتها وأهدافها، وبدورها هذه الأهداف هي التي ترسم حدود الانشطة والحركات ضمن مسار ذلك المثل

(١) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، م. س، ص١٤٥.

الأعلى.

لقد صنف المثل العليا إلى ثلاثة أقسام:

ـ القسم الأول: المثل الأعلى المنتزع من الواقع المعيش بكل ما يحويه من ظروف وملابسات.

ـ القسم الثاني: المثل الأعلى المحدود هذا النوع ليس تعبيراً تكرارياً عن الواقع كما هو القسم الأول بل هو تطلع للمستقبل، لكنه منتزع عن جزء من هذا الطريق المستقبلي الطويل.

ـ القسم الثالث: المثل الأعلى المطلق: الذي تؤمن به عقيدة التوحيد وهو الله جل جلاله.

النوع الأول يمثل محاولة لتجميد الواقع، ويكون المستقبل تكراراً للواقع و(هذا النوع من الآلهة يعتمد على تجميد الواقع، وتحويل ظروفه النسبية إلى مطلقة لكي لا تستطيع الجماعة البشرية أن تتجاوز الواقع، وأن ترتفع بطموحاتها عن هذا الواقع)[1].

إن تبني هذا النوع من المثل العليا يرجع إلى أحد سببين:

أولا: سبب نفسي: وهي حالة الخمول والالفة التي تجعل المجتمع يعيش حالة ضياع فينغلق على آلهة ينتزعها من واقعه يحوّلها إلى حقيقة مطلقة، وقد عبّر القرآن الكريم عن ظاهرة تقديس الواقع الموروث وتحويل رموزه النسبية إلى حقائق مطلقة في آيات عديدة[2].

---

(١) م. ن، ص١٤٩.

(٢) من نماذج هذه الآيات: (المائدة ١٠٤)، (يوسف ٧٨)، (ابراهيم ١٠)، (الزخرف ٢٢)، (هود ٦٢)..).

﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

السبب الثاني: اجتماعي ويتمثّل في التسلط الفرعوني: فالفراعنة يرون في التوحيد تجاوزاً للواقع الذي يسيطرون عليه، وبالتالي خطراً يهدد سلطانهم ويزلزل كيانهم، فيكون من مصلحتهم أن يغمضوا عيون الناس عن أي أفق وراء الواقع.. ولن يحصل ذلك إلاّ بتحويل هذا الواقع إلى مطلق إلى مثل أعلى لا يمكن تجاوزه.. ففرعون يحاول دائماً أن يعبىء الجماهير ويؤطرها في ظل وجوده ورؤيته هو ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرَى وَ مَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[2]، ﴿وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَـأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي﴾[3].. إنه خط الطاغوت في التاريخ الذي يسعى لتجميد حركة المجتمع البشري، وتحويل الواقع إلى مطلق، وسجن الجماعة البشرية في ضيق الماضي وحُدُودِ رموزه.. هكذا تتحول معركة التوحيد والكفر إلى معركة بين قوى التقدم وقوى التآمر والجمود، وتكون (الفرعونية) بكل مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والسياسة.. المؤسسة وتحررها الرسالي.. إن مصير الأمم التي تخضع لهذه المثل العليا المنخفضة إنها تتحول إلى ما أسماه(قدس سره).. (شبح أمة) تعيش الفرقة والتمزق، لأنه بغياب عقيدة التوحيد.. ينتفي الإطار الذي يوحد صفوف الأمة، و(يبقى كل إنسان مشدود إلى حاجاته المحدودة إلى مصالحه الشخصية إلى تفكيره في أموره الخاصة، كيف يصبح؟ كيف يمسي؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف يوفر

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) القصص: ٣٨.

الراحة والاستقرار لأولاده ولعائلته أي راحة؟ أي استقرار؟ الراحة بالمعنى الرخيص للراحة والاستقرار بالمعنى الرخيص من الاستقرار.. يبقى كل انسان سجين حاجاته الخاصة سجين رغباته الخاصة..)[1]، ويحدد باقر الصدر هذه الأمة النهائي بأحد الإجراءات الثلاثة التالية:

الاجراء الأول: ان تتداعى الأمة لغزو عسكري من الخارج، لأن الأمة أفرغت من محتواها وصار كل فرد يفكّر في ذاته.

الاجراء الثاني: الذوبان والانصهار في مثال أعلى أجنبي مستورد.

الاجراء الثالث: أن ينشأ في اعماق هذه الأمة بذور إعادة المثل الأعلى من جديد بمستوى العصر الذي تعيشه تلك الأمة.

أما النوع الثاني (المثل الأعلى المحدود) فقد نجد لتبني المجتمعات والأفراد لهذا النوع عذراً، لأنّهم لا يستطيعون أن يستوعبوا المطلق بحكم محدودية الأذهان، ويكمن الخطر هنا أيضاً في أن يضفي على هذا المستقبل القريب الاطلاق من جميع الجهات، لا شك أن هذا النوع يعطي للجميع طاقة نحو المستقبل ودفعاً، ولكن في حدود آفاق هذا المثل الأعلى، لأنه سرعان ما يبلغ مداه الاقصى فيتحول إذا لم نتجاوزه إلى عائق يعطل المسيرة ويشدها إلى عهود تكرارية.

بهذه الموازنة بين هذه الأنواع المختلفة للمثل العليا يبرز الصدر الأهمية الحضارية لعقيدة التوحيد، وللمثل الأعلى المطلق الذي يجعل من الله غاية للمسيرة ﴿يَـأَيُّهَا الأنْسَـانُ إِنَّـكَ كَـادِحٌ إِلَى رَبِّـكَ كَـدْحاً فَمُلَاقِيـهِ﴾[2] بكل ما يعنيه

---

(١) م. ن، ص١٦١.

(٢) الانشقاق: ٦.

ذلك من تألق المسيرة وديمومتها وتكاملها اللامحدود.

إن عقيدة التوحيد تصنع التوافق بين الوعي البشري والواقع الكوني الذي يفرض هذا المثل الأعلى حقيقة قائمة ثابتة.. ولذلك عبرت الآية عن الكدح بصيغة خبرية لا بصيغة إنشائية. فالبشرية تكدح نحو الله شاءت أم أبت حتى الذين يتمردون على الله هم يسيرون نحو الله ولكن من حيث لا يشعرون.. لأن كونه سبحانه مثلا أعلى حقيقة كونية على الانسان أن يعيها ويرتبط بها.. ﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَـالُهُمْ كَسَرَاب بِقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْـآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللهَّ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَ اللهُّ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[1].

وعقيدة التوحيد عندما توحد بين الوعي والواقع وبين الاعتقاد والحقيقة.. يحدث تغيراً كمياً وكيفياً على مسيرة الإنسان، فالمثل الأعلى المطلق يحفز الانسان والمجتمع نحو التقدم ويضفي على المسيرة اندفاعاً وتجدداً لا ينضب، فعلى المستوى الكمي يفتح آفاقاً لا نهاية لها، لأنه كلما قطعت المسيرة شوطاً نحو الله انفتحت أمامها أشواطاً جديدة.. وتسقط حينئذ وتتهاوى كل الاشكال من الالوهيات المزيفة على هذا الطريق الزاحف نحو المطلق (من هنا كان دين التوحيد صراعاً مستمراً مع كل اشكال الآلهة، والمثل المنخفضة والتكرارية التي حاولت أن تحدد من كمية الحركة من أن توصل الحركة إلى نقطة ثم تقول قف أيها الإنسان)[2].

(أما التغير الكيفي تتجلى في حل الجدل الداخلي للإنسان بإعطاء الشعور الداخلي بالمسؤولية الموضوعية، لأن الانسان من خلال إيمانه بهذا المثل الأعلى

---

(١) النور: ٣٩.

(٢) م. ن، ص١٨٥.

ووعيه على طريقه بحدوده الكونية الواقعية من هذا الوعي ينشأ بصورة موضوعية شعور معمق لديه بالمسؤولية تجاه هذا المثل الأعلى لأول مرة في تاريخ المثل البشرية التي حركت البشر على مر التاريخ)[1].

وسبب ذلك أن المثل الأعلى المطلق حقيقة وواقع عيني منفصل عن الإنسان، وبذلك يتفق الشرط المنطقي للمسؤولية وجود جهة عليا يؤمن هذا الإنسان بأنه مسؤول أمامها.

على طريق التجديد الكلامي:

إن أطروحة الصدر الكلامية لا تزال تختزن داخلها مشاريع عدة تستوجب جهوداً كبيرة لتفجيرها، والرقي بالطرح العقائدي إلى مستويات أعلى قادرة على مقارعة كل التيارات المستحدثة، واقتحام كل الساحات الفكرية والفضاءات الثقافية وتحدي كل المشاريع المضادة..

نعم انه من الطبيعي أن المجددين الكبار يرحلون قبل أن يتموا مشاريعهم الكبرى، لأن مشاريعهم الفكرية والحضارية هي دوماً أكبر من أعمارهم وتحتاج إلى أجيال عديدة تستوفي اغراضها على أيديهم..، ولكن مع ذلك.. لابد من توجه صادق وقوي نحو هذه المهمة حتى نحقق بعد سنين نتائج مثمرة على هذا الطريق.

---

(١) م. ن. ص١٨٥.



❖ إسماعيل الحسني الشامي.

❖ ولد عام ١٩٧٥م في صنعاء (عاصمة اليمن).

❖ زيدي المذهب سابقاً.

❖ أستاذ في المدرسة العلمية الزيدية.

❖ تحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٤ في سوريا عن طريق الصدفة بحيث تم اللقاء مع العلماء الحجازيين المقيمين في السيدة زينب عليها السلام منارة التشيع لأهل البيت عليهم السلام.

اسماعيل الحسني الشامي

ولد عام ١٩٧٥م في «صنعاء» عاصمة جمهورية اليمن[١]، من أسرة تعتنق المذهب الزيدي[٢]، ودرس في المدارس الدينية الزيدية حتى أصبح أستاذاً في المدرسة العلمية الزيدية الرئيسية بصنعاء والتي تقام جلسات دروسها في الجامع الكبير، له مؤلفات مخطوطة في المذهب الزيدي، اضافة إلى نظمه الشعر وتمتعه بصوت حسن وظفه في قراءة التواشيح التي كانت تبث من التلفزيون اليمني.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٤م في سوريا.

---

(١) اليمن: تقع في الركن الجنوبي الغربي لشبه جزيرة العرب، يبلغ عدد سكانها قرابة (١٨) مليون نسمة، يدين أغلبهم بالإسلام، تقدر نسبة الشيعة (٨) ملايين أكثرهم من الزيدية.

(٢) الزيدية: «هم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وزيد ابن علي عليهم السلام، وبإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد» اوائل المقالات (للمفيد): ٤.

وقال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال الزيدي في مقدمة كتابه (مطالع البدور ومجمع البحور): «والتحقيق: إن الزيدية منسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب وسبطيه وأمهما لاجماعهم إن الحق معهم وإن انتسبوا إلى زيد بن علي فما ذاك إلاّ أنها وقعت فترة بعد قتل الحسين بن علي عليه السلام كادت تنسي أشهر صفات أهل البيت وهي الجهاد في سبيل الله لاظهار الحق ومحو الظالم، فقام زيد بن علي بسنة آبائه في إنكاره لأعمال هشام بن عبد الملك وخروجه عليه فانتسب من ورائه إليه لهذه الخصيصة، فلولا هذا لكان انتساب هذه الفرقة إلى الإمام علي أنسب». أنظر: الفروق الواضحة البهية: ١٠.

التعرف على التشيع:

يقول الأخ إسماعيل: «سافرت إلى سوريا والتقيت هناك ـ عن طريق الصدفة ـ ببعض علماء الشيعة الإمامية الحجازيين، فانعقدت بيّننا صداقة حميمة، وكان يجمعنا حبّ أهل البيت عليهم السلام والولاء لهم، فكان معظم كلامنا يدور حول مكانة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، حتى بلغ الحديث بنا حول عصمتهم.

وكان لابد لنا من أن نحددّ تعريف المصطلحات التي يدور البحث حولها، ليسعنا بعد ذلك أن ننطلق في البحث من المشتركات الموجودة بيّننا».

تعريف العصمة:

قال الشيخ المفيد: «العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللطف، والإعتصام من الحجج بها عن الذنوب والغلط في دين الله، والعصمة تفضّل من الله تعالى على من علم أنّه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة له إليه...»[1].

وقال السيد المرتضى: «العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح»[2].

وقال الشيخ الطوسي: «العصمة: المنع من الآفة، والمعصوم في الدين الممنوع باللطف من فعل القبيح، لا على وجه الحيلولة»[3].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: «وقال الأكثرون من أهل النظر: بل المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة... إلى أن قال: وقال أصحابنا ـ

---

(١) أنظر: تصحيح الاعتقاد للمفيد: ١٢٨.

(٢) أنظر: رسائل الشريف المرتضى (مسألة في العصمة): ٣ / ٣٢٥.

(٣) أنظر: التبيان للطوسي: ٥ / ٤٩٠.

يعني المعتزلة ـ: العصمة لطف يمتنع المكلّف ـ عند فعله ـ من القبيح اختياراً»[1].

وذهب أحد علماء الزيدية المعاصرين إلى أنّ العصمة هي: «اللطف الذي تترك لاجله المعصية بلا محالة، ولهذا لا يوصف بها إلاّ الأنبياء أو من يجري مجراهم.

وقال أيضاً: وكل رسول يوحى إليه بشريعة جديدة أو مجدّدة لما قبلها من الشرائع، لابد أن يكون معصوماً بتوفيق الله ولطفه عن ارتكاب الكبائر والفواحش من المعاصي قبل البعثة وبعدها، ومعصوماً كذلك من الصغائر التي تسيء إلى مقام النبوة وتثير الشُبَه حولها، وهذا هو رأي الزيدية ومن وافقهم»[2].

أسباب العصمة:

إنّ المدارس الكلامية عموماً تؤكد أنّ العصمة لا تنافي الاختيار، والشخص المعصوم يمتنع عن القبيح بكامل إرادته واختياره، لكن يبقى معنى العصمة ملفوفاً بنوع من الغموض لم يوضحه المتكلمون السابقون، فهم لم يذكروا أسباب ومنشأ هذا اللطف، ولم يفصحوا عن معنى اللطف الإلهي الموجب للعصمة.

وقد حاول العلامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان» أن يسلّط الأضواء على هذه المسألة قائلا: «ونعني بالعصمة وجود أمر في الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ والمعصية»[3].

والظاهر أنّ قوله «وجود أمر في الإنسان...» هو تعبير آخر عن (اللطف) الذي

---

(١) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ٧ / ٨ ـ ٧.

(٢) أنظر: الزيدية نظرية وتطبيق لعلي الفضيل: ١٠٢.

(٣) تفسير الميزان: ٢ / ١٣٤.

كانت تعبّر به المدرسة الكلامية القديمة.

وقد أوضح كلامه هذا بقوله: «الأمر الذي تتحقق به العصمة، نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلّبس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى: علم مانع عن الضلال»[١].

وقال أيضاً: «إنّ قوّة العصمة لا توجب بطلان الاختيار، وسقوط التكاليف المبنية عليه، فإنّها من سنخ الملكات العلمية»[٢].

وهكذ نرى العلامة الطباطبائي ضمن تأكيده على عدم منافاة العصمة للاختيار يرى أنّ العلم سبباً للعصمة، ذلك العلم الذي قال الله تعالى عنه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٣]، فمثل هذا العلم يخلق من صاحبه إنساناً مثاليّاً، لا يخالف قول ربّه قيد أنملة ولا يتعدى الحدود التي رسمها له في حياته قدر شعرة، ولن تزول عنه المعصية فحسب، بل لن يجد مجرد التفكير بالمعصية إليه سبيلاً.

أدلة لزوم عصمة الإمام:

قالت الإمامية بوجوب عصمة الإمام من الذنب والخطأ، لأنّ الإمامة منصب لا يليق إلاّ للمعصوم، واستدلوا على ذلك بأدلّة عقلية ونقلية:

الأدلة العقلية:

قال الشيخ المفيد:

«فإن قيل: هل يشترط في الإمام أن يكون معصوماً أم لا؟

(١) المصدر نفسه: ٥ / ٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٥ / ٣٥٤.

(٣) التكاثر: ٥ ـ ٦.

فالجواب: يشترط العصمة في الإمام كما تشترط في النبيّ عليه السلام.

فإن قيل: ما الدليل على أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً؟

فالجواب: الدليل على ذلك من وجوه:

الأوّل: أنّه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدّده، وننقل الكلام إليه ويتسلسل، أو يثبت المطلوب.

الثاني: إنّه لو فعل الخطيئة فأمّا أن يجب الإنكار عليه أو لا، فإن وجب الإنكار عليه سقط محله من القلوب ولم يتّبع، والغرض من نصبه إتّباعه، وإن لم يجب الإنكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل.

الثالث: إنّه حافظ للشرع، فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه الزيادة فيه والنقصان منه»[1].

ويوضح السيد المرتضى بعض ما أجمله الشيخ المفيد قائلاً:

«فأمّا الذي يدلّ على وجوب العصمة له من طريق العقل، فهو أنّا قد بيّنا وجوب حاجة الأمة إلى الإمام، ووجدنا هذه الحاجة تثبت عند جواز الغلط عليهم ـ أي الأئمة ـ وانتفاء العصمة عنهم، لما بيّناه من لزومها لكل من كان بهذه الصفة، وينتفي جواز الغلط بدلالة أنّهم لو كانوا بأجمعهم معصومين لايجوز الخطأ عليهم لما احتاجوا إلى إمام يكون لطفاً لهم في ارتفاع الخطأ، وكذلك لمّا كان الأنبياء معصومين لم يحتاجوا إلى الرؤساء والأئمة، فثبت أنّ جهة الحاجة هي جواز الخطأ.

فإن كان الإمام مشاركاً لهم في جواز الخطأ عليه، فيجب أن يكون مشاركاً لهم في الحاجة إلى إمام يكون ورائه، لأنّ الاشتراك في العلّة يقتضي الاشتراك في

---

(١) أنظر: النكت الاعتقادية للمفيد: ٣٩ ـ ٤٠.

المعلـول، والقـول في الإمـام الثـاني كـالقول في الأوّل، وهـذا يـؤدي إلى اثبـات مالايتناهى من الأئمة، أو الوقوف إلى إمام معصوم، وهو المطلوب»[1].

وفي الحقيقـة أنّ مفهـوم الإمامـة الـذي تتبنـاه الشـيعة الإماميـة، هـو القيـام بوظائف الرسول من بعده، وقد تعرفت على وظائفه الرسالية والفراغات الحاصلة بموته والتحاقه بالرفيق الأعلى.

ومن المعلوم أنّ سَدّ هذه الفراغات لا يتحقق إلاّ بأن يكون الإمام متمتعاً بما يتمتع به النبيّ من الكفاءات والمؤهلات، فيكون عارفاً بالكتاب والسنة على وفق الواقع، وعالماً بحكم الموضوعات المستجدة عرفاناً واقعياً، وذابّاً عن الدين شبهات المشككين، وهذه الوظيفة تستدعي كون الإمام مصوناً من الخطأ.

فمادلّ على أنّ النبيّ يجب أن يكون مصوناً في مقام إبلاغ الرسالة، قائم في المقام نفسه، فإنّ الإمام يقوم بنفس تلك الوظيفة، وإن لم يكن رسولا ولا طرفاً للوحي، ولكنه يكون عيبة لعلمه، وحاملا لشرعه وأحكامه، فإذا لم نجوّز الخطأ على النبيّ في مقام الابلاغ، فليكن الأمر كذلك في مقام القيام بتلك الوظيفة بلا منصب الرسالة والنبوّة[2].

الأدلة النقلية:

أوّلاً: قوله تعالى: **﴿وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمات فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالمِينَ﴾**[3].

والاستدلال بهذه الآية الشريفة على عصمة الإمام يتوقف على تحديد

---

(١) أنظر: الذخيرة للشريف المرتضى: ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) راجع: كتاب الالهيات للسبحاني: ٤ / ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) البقرة: ١٢٤.

مفهوم الإمامة ومفهوم الظالم الذي ليس له من الإمامة نصيب.

والمقصود بالإمامة الواردة في الآية غير النبوّة وغير الرسالة، فالنبوّة هي منصب تحمّل الوحي، والرسالة منصب إبلاغ الوحي إلى الناس.

أمّا الإمامة المعطاة للخليل عليه السلام في أواخر عمره، فهي عبارة عن منصب القيادة الإلهية وتنفيذ الشريعة في المجتمع بقوّة وقدرة مع توفر الشروط والظروف.

وأمّا الظالم، فهو كل من ارتكب ظلماً أو تجاوز حدّاً في يوم من أيام عمره، أو عبد صنماً، أو لاذ إلى وثن أو ارتكب أمراً محرماً، فضلا عن الشرك والكفر، وهؤلاء بأجمعهم مصداق لنداء رب العالمين: ﴿**لا يَنالُ عَهْدِي الظّالمِينَ**﴾ من غير فرق أنّه تاب بعد ذلك أو بقي على ما كان عليه.

ولهذا ينبغي أن يكون الإمام طاهراً من الذنوب طيلة حياته، وهذا هو ما يسمى بالعصمة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[1]، والآية الشريفة فيها دلالتان:

١ ـ إنّ طاعة أولي الأمر مطلقة وغير مخصصه بزمان أو مكان أو حالة أو غير ذلك.

٢ ـ حرمة طاعة أولي الأمر إذا أمروا بالعصيان والكفر لقوله: ﴿**وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ**﴾[2].

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الزمر: ٧.

وعليه فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين أنّ يتصف ولاة الأمر بصفة ذاتية وعناية إلهية تصدّهم عن الأمر بالمعصية، وليس هذا إلاّ عبارة أخرى عن كونهم معصومين.

وهذه الآية والتي سبقتها تدلان على عصمة الإمام مطلقاً.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[1].

والمراد من الرجس هو القذارة المعنوية، وهي كل عمل قبيح عرفاً أو شرعاً تنفر منه الطباع السليمة، والتطهير هو التطهير من الرجس المعنوي الذي تعد المعاصي والذنوب من أظهر مصاديقه.

وتعلّق الإرادة التكوينية على إذهاب كل رجس وقذارة، يجعل من تعلقت به هذه الإرادة إنساناً مثالياً معصوماً، وقد تعلقت هذه الإرادة كما تشير الآية بالأئمة المعصومين عليهم السلام، فدل هذا على عصمتهم بالخصوص.

أما الأدلة من السنة:

أوّلا: حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[2].

ودلالته على عصمة، هو اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ عترته مع القرآن دائماً، وكل من كان مع القرآن دائماً فمعناه أنّه مصيب دائماً، وكل مصيب دائماً فهو معصوم، فأهل البيت عليهم السلام معصومون، لأنّه لو جاز عليهم الخطأ ما كان يجب

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) قد تواتر هذا الحديث، وأخرجته معظم الصحاح وكتب الحديث، راجع: الغدير وعبقات الأنوار وصحيح الترمذي ومسند أحمد وغيرها.

التمسك به، ولمّا وجب التمسك بهم مطلقاً كالقرآن، وجب أن يكونوا معصومين.

ثانياً: قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّما الطاعة لله عزّوجلّ ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أولي الأمر لأنّهم معصومون مطهرون، لا يأمرون بمعصيته»[1].

ثالثاً: قال الإمام الصادق عليه السلام: «الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنّهم معصومون مطهرون»[2].

هذا اضافة إلى الكثير من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

اشتراك الزيدية والإمامية في القول بعصمة الأئمة عليهم السلام:

ذهبت الإمامية إلى أنّ الأئمة إثنا عشر، قد اصطفاهم الله من قبل، فعلم منهم الوفاء بعهده فجعلهم في الأرض ذرية بعضها من بعض ليكونوا حججه على عباده، وقد ورد النصّ في تحديد أسمائهم، وهم معصومون كعصمة الأنبياء، ولا يجوز منهم صغيرة إلاّ ما قدّمت ذكر جوازه على الأنبياء، وأنّه لا يجوز منهم سهو في شي في الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام.

وقبلت الزيدية العصمة للأئمة في الجملة، فقالت بعصمة الإمام عليّ وولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

فقد قال الحسين بن محمّد بن أحمد الهادي: «ولم تقع العصمة فيمن علمنا من ولد إبراهيم عليه السلام إلاّ في محمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام»[3].

---

(١) أنظر: الخصال للصدوق: ١ / ١٣٩، بحار الأنوار للمجلسي: ٢٥ / ٢٠٠.

(٢) أنظر: الخصال للصدوق: ٢ / ٦٠٨، بحار الأنوار للمجلسي: ٢٥ / ١٩٩.

(٣) أنظر: ينابيع النصيحة لمحمد بن أحمد الهادي: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

تساؤل وجواب:

قد يقال: انّ ما ثبت بآية التطهير وحديث الثقلين من العصمة إنّما هو للخمسة الذين ضمهم الكساء، في حين أنّ مدعى الشيعة الإمامية عصمة الأئمة التسعة من أبناء الحسين عليهم السلام أيضاً، فكيف يتسنى لنا اثبات عصمتهم من خلال هذين النصين والنصوص المتشابهة؟

الجواب: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواقفه التي أعلن فيها عن أهل بيته عليهم السلام، هل كان بصدد بيان حصر النصوص بهؤلاء الخمسة، أم أنّه كان يبتغي مجرد تطبيق العصمة عليهم لكونهم أنذاك المصداق الوحيد للمعصومين؟

والصحيح هو التطبيق، وذلك لأننا رأينا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد حدد أهل بيته وبيّن مقامهم من ليلة زفاف فاطمة لعليّ عليهما السلام، حيث صرّح الرسول في تلك الليلة بطهارة أهل البيت عليهم السلام [1]، وأعقب ذلك بوقوفه على بابهما طيلة أربعين يوماً[2]، ولم يكن في البيت يومئذ سوى عليّ وفاطمة عليهما السلام! فتبيّن أنّ المصداق الوحيد لأهل البيت أنذاك هو عليّ وفاطمة عليهما السلام فحسب.

وقد أعاد صلى الله عليه وآله وسلم اعلانه لمقامهم مرّة أخرى بعد ولادة الحسنين عليهما السلام، كما ورد عن أم سلمة في جمعهم تحت الكساء[3]، وبيّن علوّ شأنهم وطهارتهم من الرجس.

فمن هنا يكتشف بوضوح أنّ القضية كانت من باب التطبيق على

---

(١) أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٥٩.

(٢) أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١٦٩، المناقب للخوارزمي: ٦٠ (٢٨)، المعجم الأوسط للطبراني: ٨ / ١١١ (٨١٢٧)، المستدرك للحاكم: ٣ / ١٧٢ (٤٧٤٨).

(٣) أنظر: المستدرك للحاكم: ٢ / ٤٥١ (٣٥٥٨)، ٣ / ١٥٨ (٤٧٠٥)، شواهد التنزيل للحسكاني: ٢ / ٦٧ ـ (٧٣١)، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٣ (٢٤٢٤) وغيره.

الموجودين، وتبيين مصاديق المعصومين فحسب لاحصرها بهم، بمعنى أنّه لو قدّر وجود آخرين من المعصومين يومذاك لأدخلهم الرسول ﷺ تحت الكساء، ولقال فيهم: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي».

ثم إنّنا لا نحتاج في معرفة المعصومين إلى أكثر من معصوم واحد يكون المرجع في تعيين غيره، لأنّ العصمة تمنع صاحبها من الخطأ في التطبيق.

ويكفينا من هذه النصوص عصمة هؤلاء الخمسة الذين ضمهم رسول الله ﷺ وهم المرجع لنا لتعيين المعصومين من بعدهم وهذا ما حدث بالفعل.

إثبات عصمة الأئمة من ذرية الحسين:

قد وردت العشرات من النصوص المعلنة عن عصمة الأئمة من ذرّية الحسين عليهم السلام بأسمائهم وصفاتهم على نحو لا يقبل الترديد والشك، ومن هذه النصوص:

١ ـ أخرج البخاري ـ في الصحيح ـ عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم اسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلّهم من قريش»[١].

وفي رواية أحمد عن بن مسروق، قال: «كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله، فقال: إثني عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل»[٢].

---

(١) صحيح البخاري: ٦ / ٢٦٤٠ (٦٧٩٦).

(٢) أنظر: مسند أحمد: ١ / ٣٩٨ (٣٧٨١).

٣ ـ وأخرج مسلم ـ في الصحيح ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»[١].

٤ ـ عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[٢].

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحسين عليه السلام: «أنت الإمام ابن الإمام وأخو الإمام، تسعة من صلبك أئمة أبرار، والتاسع قائمهم»[٣].

٦ ـ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح (مكتوب) فيه أسماء الأوصياء، فعدّدت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم عليّ عليهم السلام»[٤].

والجدير بالذكر أنّ الكثرة العددية لهذه الروايات ليست هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها، فالبخاري الذي نقل هذا الحديث «يكون اثنا عشر...» كان معاصراً للإمام الجواد عليه السلام، والإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وفي ذلك مغزاً كبير! لأنّه يبرهن على أنّ هذا الحديث قد سجّل عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يتحقق مضمونه، وتكتمل فكرة الأئمة الإثنى عشر فعلا، ويعني هذا أنّه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الإثنى عشري وانعكاساً له[٥].

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٥٢ (١٨٢٢).

(٢) أنظر: كمال الدين لابن بابوية: ١ / ٣١٢، بحار الأنوار للمجلسي: ٣٦ / ٢٤٣.

(٣) أنظر: بحار الأنوار للمجلسي: ٣٦ / ٢٩٠.

(٤) أنظر: كمال الدين وتمام النعمة لابن بابوية: ١ / ٣٤٤.

(٥) أنظر: بحث حول المهدي للسيد محمد باقر الصدر: ١٠٦.

كما يستفاد من هذه الروايات:

١ ـ إنّ عدد الإمراء والخلفاء لا يتجاوز الإثنى عشر، وكلّهم من قريش.

٢ ـ إنّ هؤلاء الأمراء معيّنون بالنصّ، كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾[1].

فان سؤال الصحابة للنبيّ صلى الله عليه وآله إنّما هو عن خلفائه لا بتأمير الناس أو بالتغلّب، إذ لايهم الصحابة السؤال عن ذلك، لأنّ تأمير الناس وتغلّب السلاطين لا يبتني ـ عادة ـ على الدين، حتى يهم الصحابة السؤال عنه، فظهر أنّ السؤال إنّما هو عن الخلفاء بالنصّ، وعنهم أجاب النبيّ صلى الله عليه وآله[2].

٣ ـ إنّ هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقي الدين الإسلامي، أو حتى تقوم الساعة، كما هو مقتضى رواية مسلم، وأصرح منها الرواية الأخرى في مسلم أيضاً: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس إثنان»[3].

وإذا صحّت هذه الاستفادة فهي لا تتلائم إلاّ مع قول الإمامية في عدد الأئمة، وبقائهم، وكونهم من المنصوص عليهم من قبله صلى الله عليه وآله[4].

الإندفاع نحو الاستبصار:

يقول الأخ إسماعيل: «إنّ ممّا جذبني إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، قوّة

---

(١) المائدة: ١٢.

(٢) أنظر: دلائل الصدق للمظفر: ٢ / ٤٨٩.

(٣) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٥٢ (١٨٢٠)، وأنظر: صحيح ابن حبان: ١٤ / ١٦٢ (٦٢٦٦)، مسند أحمد: ٢ / ٢٩ (٤٨٢٢).

(٤) أنظر: الأصول العامة للفقه المقارن للسيد الحكيم: ١٧٨.

منهجيته في أموره العقائدية والفقهية، فدفعني ذلك إلى إعلان انتمائي إليه عام ١٩٩٤م في سوريا، وقرّرت بعدها دراسة العلوم الدينية في إحدى الحوزات العلمية الشيعية لأكون على علم وبصيرة من ديني».

❖ أحمد حسن العنتري.

❖ ولد عام ١٩٧٤م اليمن بقرية المنبى، مديرية الزاهرة ، محافظة الجوف كان معروفاً بالذكاء والنباهة.

❖ مسؤولاً في التربية والتعليم سابقاً ومديراً للمخازن في تلك المنطقة.

❖ من مؤلفاته (الإمامة في الميزان) ، (إختيار الله أم اختيار البشر) مخطوط، سيصدر عن مركز الأبحاث العقائدية ضمن سلسلة إلى الثقلين قريباً إن شاء الله.

❖ وله كتاب آخر (الجواب المبين في الرد على المروجين).

أحمد حسن العنثري

ولد عام ١٩٧٤م في اليمن بقرية المبنى مديرية الزاهر محافظة الجوف، نشأ في أجواء غذته العقيدة الزيدية، درس الابتدائية والاعدادية والثانوية في قريته، وكان معروفاً بالذكاء والنباهة.

وضع الخطى على طريق الايمان:

لم يكن الأخ أحمد في بداية أمره مهتماً بالأمور الدينية، حتّى حظى برعاية السيد يحيى بن أحمد سيف مؤسس وباني مسجد المبنى والخطيب وإمام الجمعة والجماعة فيه، فدعاه ذات يوم ليرشده إلى سواء السبيل وليدعوه إلى الحضور في الأجواء الدينية والاهتمام بأمر الآخرة وعدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا، فتركت نصيحة السيد يحيى اثرها البالغ في قلب الأخ أحمد، فقرر بعدها أن يسلك سبيل الايمان وأن يتوجه إلى تطهير قلبه وتزكية نفسه وتنقية سريرته.

ومن ذلك الحين تعلّق قلب الأخ أحمد بالدين والمتدينين فتوجه بعدها إلى تلقّي العلوم الدينية، فذهب إلى معهد الجوف الديني وتلقى هناك على أيدي الاساتذة الأفاضل دورة في العلوم الدينية والقضايا الشرعية، ثمّ عاد إلى قريته شخصاً فاضلا وعالماً وشرع بعمل التبليغ، فذاع صيته بين الناس واصبح له مؤيدين.

مواجهة التيار الوهابي:

لم يسكت أتباع التيار الوهابي إزاء تحركات الأخ أحمد، وأرادوا في البدء أن يستغلّوا موقعه الاجتماعي في سبيل التمهيد لهيمنتهم على المنطقة، فطلبوا منه تأييد مرشحهم في الانتخابات، ولكنه رفض ذلك، وكان الأخ أحمد آنذاك مسؤولا في التربية والتعليم وكان مدير المخازن فيها في تلك المنطقة، فهدّده الوهابيون بتنحيته عن وظيفته إذا لم يؤيد مرشحهم ولكنه لم يلبّي طلباتهم، فبدأ نشاط الوهابية لسلب وظيفته منه، ولم تمض فتره حتى تمكّنوا من ذلك، ثم حاولوا جهد إمكانهم أن يضيّقوا عليه الأمر، لكنه لم يعبأ بهم وسار صامداً على المنهج الديني الذي كان قد ارتسمه لنفسه، ولم يفتر قط عن موعظة الناس وتوجيههم إلى الجانب الديني السليم من الشوائب.

المفاجأة باستبصار أصدقائه:

كان للأخ أحمد مجموعة أصدقاء لهم مكانة خاصة في قلبه، وكان الأخ أحمد يسأل عنهم بين الحين والآخر، وكان من هؤلاء السيد يحيى طالب والأخ مبخوت كرشان، إذ كانا من أصدقائه القدماء، فصادف أن زاراه ذات يوم وكان ذلك بعد استبصارهما وبعد اعتناقهما عن يقين لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

فقال له السيد يحيى: لقد أتيناك بخير الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى.

فاستغرب الأخ أحمد من قول السيد يحيى وقال له: ما هو هذا الخير ياترى؟!

فقال له السيد يحيى: أوجّه لك في البدء سؤالا، أودّ أن تجيب عنه بصراحة، والسؤال هو: من هو الذي يختار الإمام الله أم البشر؟

يقول الأخ أحمد: عرفت ماذا يقصد السيد يحيى، وتبيّن لي أنه يشير إلى مسألة الإمامة والخلافة التي لم أصل فيها حين مواصلتي للدراسة الدينية إلى

اليقين، ومن هذا المنطلق تحفّزت للبحث مرة أخرى حول هذا الموضوع.

ويضيف الأخ أحمد: كان ظنّي أنّ سؤال السيد يحيى هو مجرّد إثارة بحث علمي، ولكنني حينا ربطت السؤال بقوله في البداية: لقد أتيناك بخير الدنيا والآخرة، عرفت أنّهما قد غيرا انتماءهما المذهبي وقد اعتنقا المذهب الجعفري الامامي الاثني عشري، فاستغربت من ذلك كثيراً، وكان ذلك المحفز الكبير للتوجه الجاد إلى البحث حول هذا الموضوع.

حالة عدم الاستقرار النفسي:

يقول الأخ أحمد: لم يثمر لي البحث سوى سلب استقراري النفسي، لأنني كنت كلّما أتقدّم في البحث، أواجه عشرات الأدلة المخالفة لما أنا عليه، ووجدت نفسي مقلّداً حتى في أصول الدين وبقيت أيام وشهور وأنا أعيش حالة القلق والاضطراب، وكم تألّمت بعدما وجدت نفسي أوالي من اختاره البشر سواء ما حدث بالشورى في السقيفة أو ما حدث من اختيار البشر بشروط محدّدة ما أنزل الله بها من سلطان.

الوصول إلى القناعة التامة:

يضيف الأخ أحمد: واصلت بحثي لكي يطمئن قلبي، حتى وصلت في نهاية مطاف البحث إلى قناعة تامة بأن الاختيار في الخلافة خاص بالله عزوجل وليس بالبشر.

ويقول الأخ أحمد حول المفارقات التي واجهها بعد اعتناقه المذهب الجعفري: من المؤسف أنني وجدت بعض علمائنا الأفاضل ومعلّمينا الكرام كانوا يعلّموننا ويقولون لنا أنّ نهجنا أعظم نهج وليس فيه تعصّب، وابحثوا أينما وجدتم الحق فاتبعوه مع من كان وأين ما كان، فقلت: فعلا هذا الكلام هو

المجدي والمعقول، ولكننا ما إن طالعنا بعض الكتب، فإذا بهم يحذّروننا من قراءتها، وما إن بادرت بمناقشة بعض مبادئهم العقائدية وطلبت الدليل على ما يذهبون إليه، إلاّ وواجهوني بعنف واتهموني بالارتداد!!

ويقول الأخ أحمد مخاطباً لمن يسمع كلامه: أخي العزيز هل تعرف ما هو ذنبي؟ وما هي مخالفتي التي جعلت البعض أن يجعلوها مبرراً لمحاربتي والاطاحة بكياني واتهامي بالارتداد؟!

هي لأنني بحثت وتركت التعصّب، ووجدت الطريق المؤدّي إلى سفينة النجاة التي ذكرها الرسول ﷺ هي الطريق الصحيح وهي الطريق الأولى بالاتباع، فكان ذلك سبباً في اتهامي بالارتداد.

كلمته للقراء الأعزاء:

يقول الأخ أحمد: أدعو كافة إخواننا القرّاء والباحثين وخاصة الشباب ذوي العقول النيرة والقلوب الطاهرة والأرواح الزكية، التوسّع والتعمّق في بحث الولاية وخاصة الامامة، لأنّها محطة النجاة العظمى، حتى لا تزلّ أقدامهم في يوم تزل فيه الأقدام.

ويضيف الأخ أحمد: وأهم ركن من أركان البحث أن لا ينظر الباحث إلى جوانب البحث من خلال مذهبه أو تراث أسلافه أو تراثه الركامي الخليط بغثه وسمينه، لأنّ المذهبية أشبه ما تكون بالحزبية وكل حزب بما لديهم فرحون. فالملاحظ أن الشخص المنتمي ينطلق في أي موقف من موقع مصلحة انتمائه ورؤية انتمائه، سواء كان الموقف مبدئي أو يتعارض مع المبدأ، وسواء كان الموقف صادقاً أو كاذباً، المهم أن تسير الأمور في صالح انتمائه بأي أسلوب من الأساليب الشرعية أو غير الشرعية بغض النظر عن المبادىء السماوية ومصلحة

الشعوب، والشريعة تحكم بأنّ الله سبحانه وتعالى لم يتعبد الناس بالمذهبية أو الحزبية إلاّ بخط واحد هو الخط الإلهي المحمدي«كتاب الله والعترة الطاهرة» وما بعد الحق إلاّ الضلال وأن النظام الأكمل والأفضل هو الاختيار السماوي الإلهي، لأنّ الله سبحانه وتعالى هو العليم الأزلي بمصالح عباده، ومن أخطر المصائب في عالم التعصّب أنّا نلاحظ بعض المثقفين وادعياء العلم حينما تدعوهم إلى بحث مسألة عقائدية، يتمسكون بذرائع أوهن من بيت العنكبوت فيقولون لا يمكن أن نترك تراث السلف، أو لا يمكن أن نترك هويتنا فهؤلاء يعبدون الهوى من حيث لا يشعرون ومن اضل من اتبع هواه، فانا لله وإنا إليه راجعون وإلى الله المصير.

مؤلفاته:

١ـ «الامامة في الميزان، اختيار الله أم اختيار البشر؟» مخطوط.

سيصدر عن مركز الأبحاث العقائدية ضمن سلسلة الرحلة إلى الثقلين.

يجيب المؤلف على هذا السؤال الهام في كتابه هذا بعد التدبّر والدراسة المتأنية والمركّزة من خلال استقراء أحوال الأمم السالفة والبحث عن موضع الابتلاء لكل أمة خلت منذ بداية الخلق وحتى أمة محمّد، حيث تركّزت كافة الابتلاءات في الولاية لله عبر الولي المختار من الله سبحانه وتعالى سواء كان هذا الولي نبياً أو وصياً، ومن خلال البحث في كتب أهل السنة.

ويتضمن هذا الكتاب مجموعة أبحاث منها: كيف يتم تعيين الخليفة؟ الخلافة وآية الشورى، القيادة ضرورة اجتماعية، خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الشرعي، مصادر واقعة الغدير، عدد خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله والأمراء اثنى عشر، ابتلاءات الأمم، أهل البيت ابتلاء واختبار أمة محمد، الائمة الاثنى عشر عليهم السلام من القرآن الكريم، الأحاديث الدالة على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام باسمائهم من كتب

العامة، حول المهدي المنتظر (عج).

٢ـ «الجواب المبين في الردّ على المروجين»، مخطوط.

سيصدر عن مركز الأبحاث العقائدية ضمن سلسلة الرحلة إلى الثقلين.

ذكر المؤلف في المقدمة: تشهد الساحة الاسلامية هذه الأيام محاولات كثيرة لإثارة الفتن وايجاد الشقاق بين الطوائف الاسلامية وتشهد حملة مركّزة على الشيعة بتناول عقائدهم الاسلامية المحمدية والهجوم عليها، وقد اغرقت الساحة الاسلامية بكثير من الكتب التي تطعن في معتقدات هذه الطائفة التي لا يخفى على أحد أن أكثرها تؤلف بايعاز من الوهابية وتمول منهم، متسترين بثياب الدفاع عن أهل السنة والجماعة.

وقد تعرّض المؤلف لدرء بعض هذه الشبهات والاجابة عليها، ومن هذه الشبهات ما يرتبط بمسح الأرجل والجمع بين الصلاتين ومصحف فاطمةعليها السلام، السجود على التربة الحسينية، المتعة، التقية، الرجعة، البداء، تحريف القرآن، زيارة القبور، التوسل و...

وقفة مع كتابه: «الجواب المبين في الردّ على المروجين»

من أهم الدواعي التي دفعت الأخ أحمد حسن العنثري لتأليف هذا الكتاب هو أنه رأى بعد استبصاره أن الساحة الاسلامية تشهد حملة مكثفة على الشيعة تتناول عقائدهم الاسلامية المحمدية، وشاهد أن الساحة قد أغرقت بكثير من الكتب التي تطعن في معتقدات هذه الطائفة وتتناول دراستها بصورة مشوهة ومزيفة ومن منطلق غير علمي ومن دوافع غير نزيهة تحكمها عقد الماضي وأحابيل السياسة المناهضة لآل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم والتي لا تقوم على أساس سليم.

فدفعه هذا الأمر إلى كتابة هذا البحث ليقوم بدرء الشبهات التي يثيرها البعض

ويطرحونها على العوام بمفاهيم خاطئة وأساليب غير موضوعية.

وتناول المؤلّف عدة أبحاث، ثم بادر إلى تبيين معتقد المذهب الشيعي والأدلة التي يعتمدون عليها في إثبات ما ذهبوا إليه، ثم حاول أن يجيب على أهم الشبهات المطروحة في هذا الباب.

وإليك في هذا المجال مقتطفات من الأمور التي بيّنها المؤلّف خلال أبحاثه:

الشيعة والتشيع:

ذكر المؤلّف: أن كثيراً ما نقرأه في كتب المعاندين لأهل البيت عليهم السلام ونسمع منهم بأنهم يعتبرون التشيع ابتداعاً وأنه نشأ في العصور المتأخرة.

أولا: علينا أن نعرف ماذا تعني كلمة شيعة.. ومن الذي أطلقها وعلى من؟ حتى لا تكون هناك مصداقية للمغررين الذين يقولون بأن الشيعة هم أهل البدعة.

فكلمة شيعة: بمعنى الأتباع والأنصار، قال ابن خلدون في مقدمته ص١٣٨ (إعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه).

وقال ابن الأثير في كتابه نهاية اللغة (وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى عليّ رضي الله عنه وأهل بيته).

وقال الفيروزآبادي في القاموس في كلمة (شاع وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره.. إلى أن قال وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصاً، جَمْعَهُ. أشياع وشيع).

فهذا هو معنى كلمة (الشيعة).

وقد نزلت آيات بشأن هذا الموضوع وأحاديث نبوية تؤكّد ذلك.

وروى الحافظ أبو نعيم وهو من علماء السنة يقول ابن خلكان في كتابه

وفيات الأعيان بأن أبي نعيم من أكبر الحفاظ الثقات وأعلام المحدثين فماذا يقول أبو نعيم الحافظ؟

قال: لمّا نزلت الآية الشريفة ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾[1].

خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب وقال: يا علي هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ورواه الموفق بن أحمد الخوارزمي في الفصل ١٧ من كتاب المناقب، ورواه على هذا المعنى الحاكم عبدالله الحسكاني، وجلال الدين السيوطي، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة.

وروى المير سيد علي الهمداني الشافعي في (مودة القربى) عن أم سلمة أم المؤمنين وزوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة، رواه عنها ابن حجر في الصواعق المحرقة أيضاً.

وروى الحافظ ابن المغازلي الشافعي في كتابه (مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام) بسنده عن جابر بن عبدالله قال: لما قدم علي بن أبي طالب بفتح خيبر قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي لولا أن تقول عنك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالا لا تمر بملاء من المسلمين إلاّ أخذوا التراب من تحت رجليك تبركاً، إلى أن قال.. وإن شيعتك على منابر من نور مبيّضة وجوههم حولي أشفع لهم ويكونون في الجنة جيراني وإن حربك حربي وسلمك سلمي).

---

(١) البينة: ٧.

قد روى هذا الحديث الكنجي الشافعي في كفاية الطالب الباب ٦٢.

وفي تاريخ بغداد ج١٢، ص٢٨٩، قال النبي ﷺ لعلي: أنت وشيعتك في الجنة.

والكتب المصرّحة بهذا المعنى كثيرة جداً.

ومما تقدم يتضح: إن اسم الشيعة أول من أطلقه وبدأ به هو نبي الإسلام محمد ﷺ هادي الأنام، وقد صرح به مراراً وتكرار بين أصحابه حتى صار علماً لموالي علي عليه السلام وأنصاره، وقد اشتهر أربعة من الصحابة بهذا الاسم في حياة النبي ﷺ وهم ١ ـ أبو ذر الغفاري. ٢ ـ سلمان الفارسي. ٣ ـ المقداد ابن الأسود. ٤ ـ عمار بن ياسر.

فقد روى الحافظ أبو نعيم في المجلد الأول من حلية الأولياء ص١٧٢، وابن حجر المكي في كتابه الصواعق المحرقة في الحديث الخامس من الأحاديث الأربعين التي نقلها في فضائل الإمام علي عليه السلام قالا عن الترمذي، والحاكم عن بريده أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم فقيل من هم؟ قال ﷺ: (علي وأبو ذر والمقداد وسلمان).

وقد نقل ابن حجر أيضاً في الحديث ٣٩ عن الترمذي والحاكم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (الجنة تشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان).

المذهب الجعفري:

هو نسبة للإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

فالإمام الصادق عندما انتقل الحكم إلى بني العباس اغتنم الفرص التي أُتيحت له بانشغال الدولتين العباسية والأموية بالصراع بينهما ففتح باب بيته على

مصراعيه ليستقبل رواد العلم وطلابه، فوفد نحوه العلماء من كل صوب ومن كل مكان ليرتووا من منهله وليستقوا من منبعه الصافي، وقد عد بعض المحققين والمؤرخين تلاميذه فجاوزوا الأربعة آلاف طالب، فالتف حوله طلاب الحق، فكشف لهم الحقائق العلمية، وأوضح لهم المسائل العقائدية، وبين لهم المسائل الدينية، مستنداً فيها على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي وصلت عن طريق آبائه الطيبين الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، فعمد على ترسيخ منهاج أهل البيت عليهم السلام عقيدةً وسلوكاً، ولذلك اشتهر هذا المذهب باسمه وانتسب إليه.

الجمع بين الصلاتين:

ذكر المؤلف في هذا المجال: إن الأدلة على ذلك كثيرة ومتواترة من القرآن الكريم وعند الفريقين.

قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾[1].

الدلوك: معناه الزوال.

الغسق: فيه قولان: أ ـ أول ظلمة الليل. ب ـ شدة الظلمة في نصف الليل.

قرآن الفجر: صلاة الفجر.

وبناءً على تفسير الغسق بأول الليل يكون النص قد حدد ثلاث أوقات للصلاة.

الوقت الأول: الزوال وهو بداية الوقت للظهر والعصر معاً.

الوقت الثاني: أول الليل وهو بداية الوقت للمغرب والعشاء معاً.

الوقت الثالث: الفجر وهو الوقت الخاص بالصبح.

---

(١) الاسراء: ٧٨.

وبناءً على تفسير الغسق بنصف الليل يكون النص دالا على جواز الجمع، فالظهر والعصر يشتركان في الوقت من الزوال إلى الغروب إلاّ أن الظهر قبل العصر، ويشترك المغرب والعشاء في الوقت من الغروب إلى نصف الليل غير أن المغرب قبل العشاء، أما فريضة الصبح فقد اختصها الله بوقتها المنوّه بها في قوله تعالى: ﴿**وقرآن الفجر**﴾ راجع كتاب التشيع، للسيد عبدالله الغريفي.

يقول الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال ووقت أول المغرب ووقت الفجر، وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين، وأن يكون المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين على الترتيب، فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً. راجع تفسير الفخر الرازي ج٢١، ٢٧.

وهذا مسلم بن الحجاج يروي في صحيحه في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، بسنده عن ابن عباس أنه قال: صلّى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جمعاً، والمغرب والعشاء في غير خوف ولا سفر. وروى أيضاً بسنده عن ابن عباس أنه قال: صلّيت مع النبي ثمانياً جمعاً وسبعاً جمعاً، يقصد بذلك الثمان الظهر والعصر والسبع المغرب والعشاء.

وروى هذا الخبر بعينه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٢، ص٢٢١، وأضاف إليه حديث آخر عن ابن عباس أيضاً: انه صلّى رسول الله ﷺ في المدينة مقيماً غير مسافر سبعاً وثمانياً.

وقد روى مسلم في صحيحه، ومالك في الموطأ، وأحمد بن حنبل في المسند، والترمذي في صحيحه في باب الجمع بين الصلاتين، بإسنادهم عن

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة، في غير خوف ولا مطر فقيل لابن عباس ما أراد بذلك؟ قال أراد أن لا يحرج على أمته. والظاهر أن الأصل في الشريعة هو الجمع بين صلاتي العصرين والعشائين وفقاً لنصوص القرآن الكريم كما سبق ذكره، وليس هناك دلالة نقلية قوية تعارض النص القرآني أو تبينه.

كما أن النووي في شرح صحيح مسلم، والعسقلاني، والقسطلاني، وزكريا الأنصاري، في شروحهم لصحيح البخاري، وكذلك الزرقاني في شرح موطأ مالك، وغير هؤلاء من كبار علماء السنة ذكروا هذه الروايات والأخبار ثم وثقوها وصححوها، وصرحوا بأنّها تدل على الجواز والرخصة في الجمع بين الصلاتين في الحضر من غير عذر ولا مطر، وخاصة بعد رواية ابن عباس وتقرير صحتها فإنهما علقوا عليها بأنها صريحة في جواز الجمع مطلقاً حتى لا يكون أحد من الأمة في حرج ومشقة.

التقية:

ذكر المؤلف: أن التقية هي من القضايا التي يُشَنَّع بها على شيعة أهل بيته عليهم السلام، ولو تَثَبَّت في الأمر كل من شنَّع على شيعة أهل البيت عليهم السلام لعرف أن التقية التي تقول بها الشيعة لا تختص بهم ولم ينفردوا بها إطلاقاً، وكل إنسان مجبول على الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته فطرياً، وهي أعز الأشياء عليه وأحبها إليه، فهم قد لا يهمون بذلها في سبيل الشرف وحفظ الكرامة وصيانة الحق، أما من غير هذه المقاصد الشريفة والغايات المقدسة فالتفريط بها وإلقائها في مواطن الخطر سفه وحماقه لا يرتضيها عقل ولا شرع، وقد أجاز الإسلام للمسلم في مواطن الخوف إخفاء الحق والعمل به سراً وبينما تنتصر دولة

الحق على دولة الباطل مصداقاً لقوله تعالى ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ...﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَ لَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ولقد محى رسول الله ﷺ اسمه عام الحديبية حينما طالبت قريش منه ذلك وكان معه من الشجعان العدد الكثير وفيهم علي عليه السلام على ما مر تسجيله في صحيح البخاري ج٢ ص٩٦٠ ح٢٥٥١ باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان ابن فلان.. الخ ولم يقل هذا ما صالح رسول الله ﷺ بل أن الله تعالى قد شرع التقية في محكم كتابه العزيز بشأن المؤلفة قلوبهم وجعل لهم سهماً من الزكاة ضمن مصارف الزكاة الثمانية في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ...﴾[3].

ومن سيرة الرسول ﷺ في موقفه من عمار بن ياسر عندما جازه أن يقول كلمة الكفر أو الشرك، كيف لا وقد قال رسول الله ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، ومع هذا الوضوح والبيان فإن هذا المصطلح العقائدي قد أسيء فهمه، وحاول بعض المغرضين والمسخرين لتفريق الصف الإسلامي أن يثيره للشبهات ويحاول أن يصوّره نفاقاً فكرياً.

---

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) النحل: ١٠٦.

(٣) التوبة: ٦٠.

الأئمة وعلم الغيب:

وأيضاً من ضمن الإشاعات الكاذبة التي يروّج بها العامة أنهم يقولون أن شيعة أهل البيت عليهم السلام يقولون بأن أئمتهم يعلمون الغيب من ذات أنفسهم، وهذا لا يوافق العقل إطلاقاً، فليس فيهم من يقول بأن الأئمة يعلمون الغيب من عند أنفسهم ومن ينسب ذلك عليهم فهو مفترى عليهم، لأن علم الغيب المحض مخصوص بالله وحده، وإنما يقولون بأنهم ينبئون عن بعض المغيبات بتعليم الله لهم من طريق الإلهام وعلوماً خاصة توارثوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إماماً بعد إمام قال تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ...﴾[1] فعرفنا كيفية الرد في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكيف الرد بعد وفاته؟ فإن قلتم بالرجوع إلى سنته فقد تم إيقاف تدوين الحديث «الرواية» في عصر أبي بكر وأحرقت مدونات السنة التي دونت أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً فأين المرجع في مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هل أن الله عزوجل عدل في الناس الذين وجدوا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعدل في غيرهم، حاشاً وكلا أن يقترف الله سبحانه شيئاً من الظلم، بل عدله أوسع مما تحيطه العقول والنقول.

فمن هنا يتضح للباحث المنصف أنه لابدّ من مَن يقوم بمهام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من بعده وخاصة في المرجعية بعد الله سبحانه وتعالى وإن لم يكن نبياً أو مكلف بالدعوة، فيظهر لنا من ذلك أن الإمامة هي الحل الأجلي لإزالة كافة الإشكالات والمعضلات التي تقع فيها الأمة كالاختلاف والتنازع فيما بينها.

فما بالك أن يكون الاختلاف ما بين أغلب الامة والإمام نفسه وقد عينه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأدلة قطعية جلية ليست خفية بل واضحة في الكتاب والسنة، فما

---

(١) النساء: ٦٠.

بعد الحق إلاّ الضلال.

زيارة القبور:

ومن ضمن الإشاعات التي يروج بها على العامة قول المروجين بأن شيعة أهل البيت عليهم السلام يعبدون الأصنام وذلك من خلال زيارتهم القبور، ويقولوا بأن شيعة أهل البيت عليهم السلام، يعكفوا على القبور كما يعكف المشركين على الأصنام.

فنقول على كلامهم إن العكوف على القبر هو الذي جعل الزيارة شركاً، فعلى هذا المنوال إذا كان المعكوف على القبر شركاً فالمسلمين مشركين، لماذا..؟

لأن المسلمين في وقت الصلاة يحوطون حول الكعبة للصلاة، فالواقف في طرف المغرب يجعل ظهره على المغرب ويتوجه إلى الكعبة، والواقف طرف الجنوب يجعل ظهره على الجنوب ويتوجه إلى الكعبة، وكل في أية جهة كان يجعل ظهره على تلك الجهة ويتوجه إلى الكعبة بالصلاة والركوع والسجود.

إذاً المسلمون على المفهوم الأول مشركون لأنهم يتوجهوا إلى الكعبة حال العبادة، كما يتوجه عبدة الأصنام إلى أصنامهم حال عبادتهم، وهذا خطاء لأن عبدة الأصنام يتوجهون - حال العبادة - إلى أصنامهم التي صنعوها بأيديهم، والمسلمون يتوجهون حال الصلاة إلى بيت مرتفع متخذ من حجر أمر ببنائه الباري جل وعلا.

وتلك نظرة المروجون وهي نظرة خاطئة، وليس زيارة القبور لها صلة بعبادة الأصنام، فالمسلمون عندما يتوجهوا إلى الكعبة في الصلاة لا يعتبرونها إلهاً يعبدونها من دون الله بل يتوجهون إليها لأن الله أمرهم بذلك.

أما عبدة الأصنام فإنهم يتوجهون إلى أصنامهم - في عبادتهم - متخذين من

الأصنام آلهه، يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى فهم يتوجهون حال العبادة بقلوبهم إلى أصنامهم، أما المسلمون فيتوجهوا حال الصلاة بقلوبهم إلى الله عزّوجل.

فالتشبه ليس سبب الشرك، وإلاّ كان عملنا شركاً لتشابهه مع عمل عبدة الأصنام (لكل أمر ما نوى)، والسبب الذي جعل عمل عبدة الأصنام شركاً هو قصدهم عبادة الأصنام، والسبب الذي أخرجنا من الشرك هو أننا عندما نتوجه نحو الكعبة **لا** نقصد بهذا التوجه عبادة الكعبة وإنما نقصد عبادة رب الكعبة.

وزيارة القبور ليست محرّمة وهي جائزة وتأكيد الاستحباب فيها شديد، وقد زار الرسول ﷺ شهداء أحد، راجع صحيح مسلم ج٢، ص٦٣، سنن النسائي ج٣، ص٧٦.

قد حضر ﷺ لزيارة البقيع، راجع كتاب إحياء العلوم للغزالي، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة، راجع سنن ابن ماجة ج١، ص٤٩٤، باب ٣٦، صحيح مسلم ج٢، ص٣٦٥، باب ٣٥.

ثم يقول المؤلف في نهاية كتابه: فهذه بعض الردود الصادعة في مقابل افتراءات المروجين ضد شيعة أهل البيت عليهم السلام إنما أوجهها إلى المنصفين ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾[1]، وإلى العامة من أبناء المذاهب الذين آمل منهم أن يتحرروا فكرياً من المبادىء الهدامة والأفكار الخاطئة فقد خلقتم أحراراً ليس عبيد لفكر من الأفكار والعبودية لله عزّوجلّ إلى المتحريين فكرياً الذين يترقبوا الدليل الواضح: ﴿**اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب أَفَمَنْ**

---

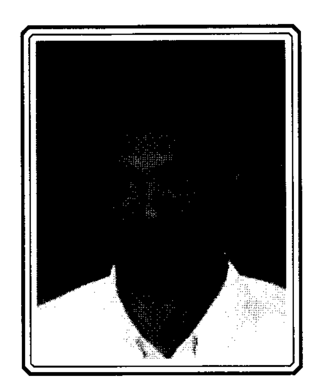
(١) الزمر: ١٨.

﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾[1]، وذلك للرد بها على مزاعم المشككين وشبهات المرجفين، إذاً فالسلف والخلف من شيعة أهل البيت عليهم السلام إنما دانوا بدين الله الصافي عن أهل البيت عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن الله عزّوجل، وأهل البيت عليهم السلام أدرى بما في بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو المصدر الأعظم المعبر عن الله عزّوجلّ، وقد أوصانا بأهل بيته الطّاهرين وليس بغيرهم، فما الذي ياترى يدعونا أن نتّبع غيرهم وهم الحق وأدلتهم مستقاة من كتاب الله عزّوجلّ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوصينا بهم أنهم سفن النجاة من كُلّ هلكة، وأمانها من الاختلاف في الدين، وأعلام هدايتها ما خالفتها قبيلة من العرب إلاّ اختلفوا فصاروا حزب إبليس، وقال (فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تأخروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) فمن هم الذين رزقوا فهم وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفلا شك أنّهم الأئمة الطّاهرين الذين هم سفينة نوح، وباب حطة من تمسك بهم نجى ومن تخلف عنهم غرق بل وفي النار هوى، وهم الذين لم يختلفوا فيما بينهم، وهم قرناء الكتاب، وهم عديلهُ في الحجية، فكما أن القريب إلى المقارن ينسب، فكذلك القرآن لم يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه أي معصوم، فكذا الثقل الثاني للقرآن عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معصومين بقرينة لا يفترقا حتى يردا علي الحوض.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل وارزقنا اجتنابه، وارزقنا حبّ محمد وآله الطاهرين من يومنا إلى يوم الدين، واللعنة الدائمة على أعدائهم من الجِنة والناس والإنس أجمعين من يومنا إلى يوم الدين.

---

(١) الزمر: ١٩.



- ولد عام ١٩٧٠م في بنغلادش.
- ليسانس في العلوم الزراعية.
- ليسانس في العلوم السياسية والثقافية الإسلامية.
- تحول من الوهابية إلى الشيعة عام ١٩٩١م بمدينة دكا (بنغلادش).

أبو القاسم أنور

ولد عام ١٩٧٠م في بنغلادش[1]، نال في مجال الدراسة الأكاديمية شهادة الليسانس في العلوم الزراعية، وشهادة الليسانس في العلوم السياسية والثقافة الإسلامية.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩١م بمدينة «دكا» البنغلادشية، متحولا من الوهابية.

التأمل في التاريخ الإسلامي:

يقول الأخ أبو القاسم: «نشأت في أوساط عائلة متدينة ومحافظة، تعتقد أنّ الالتزام بالتعاليم الدينية والإرشادات الإسلامية أمر أساسي لايمكن غض الطرف عنه، فكانت المعارف الدينية الأولية في الأصول والفروع عندي مستوعبة وواضحة، بحيث تركت الأثر على سيرتي فيما بعد.

ومن جراء تلك التربية تأصّلت عندي هواية قراءة التاريخ الإسلامي، لاسيما المرتبطة بحياة الصحابة والخلفاء، فكنت أتمتع عند قراءة سيرة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء وقصص سائر الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) بنغلادش: تقع فى وسط جنوب آسيا، مطلة على خليج البنغال فى المحيط الهندى، يبلغ عدد سكانها أكثر من (١٥٠) مليون نسمة، يشكل المسلمون نسبة ٨٧٪ من السكان أمّا الباقي فمن الهندوس والبوذيين والمسيحيين، والشيعة فى هذا البلد لهم تواجد يعتد به.

لكن ثمة أمور كانت تكدّر صفو هذه الهواية، وتجعلني أعيش حالة الاستغراب والاشمئزاز من بعض القضايا التي أقرؤها!».

بدء التعرف على الشيعة:

يضيف الأخ: «بعد مضي سنوات عديدة من تخرجي عملت مترجماً في بعض الصحف ودور النشر البنغالية، فاتفق أن اطلعت على ترجمة لكتاب تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، فوجدت منهجه يختلف عن التفاسير التي قرأتها من قبل! فوجدته تفسيراً جديداً في الأسلوب، يجمع بين الحداثة والتقليد.

وكان هذا أوّل كتاب شيعي يقع بيدي، وعند قرأتي لبحوثه التاريخية اندفعت لتجديد النظر في معتقداتي السابقة، كما عثرت من خلاله على أجوبة الأسئلة التي كانت عالقة في ذهني في خصوص عهد عثمان بن عفان».

بنو أمية في مسار التاريخ:

إنّ المدقق في تاريخ الأمويين ومن سار في مسارهم، يجد أنّهم حاولوا إلصاق أنفسهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشتى السبل، فبيّنوا أنّهم من قريش ومن نفس سلالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم! وطرحوا معاوية خالا للمؤمنين! ووصفوا عثمان بذي النورين ـ لتزويجه اثنين من ربائب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[1] ـ وغير ذلك.

ولمّا وجدوا أنّ عثمان بوصفه أحد الخلفاء الراشدين عند أبناء العامة أكثر قبولا عند المسلمين حاولوا الولوج من خلاله، فأغروا الوضاع والمزورين والأفاكين ليضعوا المناقب والفضائل له!

كما في قول أبي هريرة: «دخلت على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة عثمان وبيدها مشط، فقالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندي آنفاً، رجّلت رأسه، فقال

---

(١) راجع كتاب بنات النبيّ أم ربائبه (للسيد جعفر مرتضى العاملي).

لي: كيف تجدين أبا عبد الله ـ عثمان ـ؟ قلت: بخير. قال: أكرميه فإنّه من أشبه أصحابي بي خلقاً».

وكذبه واضح! فقد علق الحاكم على هذا الحديث بقوله: «هذا حديث صحيح الاسناد واهي المتن! فإنّ رقية ماتت سنة ثلاث من الهجرة عند فتح بدر، وأبو هريرة إنّما أسلم بعد فتح خيبر سنة سبع!»[1]، كما علّق الذهبي عليه بالقول: «صحيح منكر المتن، فإنّ رقية ماتت وقت بدر، وأبو هريرة أسلم وقت خيبر!»[2].

وقس على ذلك بقية مناقب عثمان ومن يلوذ به.

حقيقة قرابة بني أمية من النبي ﷺ:

إنّ بني أميّة ضربوا على وتر القربى مع النبيّ ﷺ ليوهموا الناس ـ خصوصاً أهل الشام ـ بأنّهم من سلالة رسول الله ﷺ، فكانوا يدّعون الإلتقاء معه في جدّه عبد مناف، وهذه الوصلة محل ريب!.

فإنّ أميّة كان عبداً رومياً تبناه عبد شمس، وكان من عادة العرب أنّهم ينسبون اللحيق إلى المستلحق، بحيث يترتب على ذلك الاستلحاق آثار البنوّة، ويشهد لذلك قول أبي طالب عليه السلام في بني أمية:

قديماً أبوهم كان عبداً لجدنا　　بني أمة شهلاء جاش بها البحر[3]

وأبو طالب هو من أعرف الناس بأنساب قومه، كما أنّهم لم يعترضوا عليه ولم يردّوا مقالته هذه، إذ ليس لهم سبيل إلى إنكارها.

---

(١) أنظر: المستدرك للحاكم: ٤ / ٥٢ (٦٨٤٥).

(٢) أنظر: تلخيص المستدرك للذهبي في هامش المستدرك: ذكر رقية بنت رسول الله ﷺ.

(٣) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ٢٣٤، الغدير للأميني: ٧ / ٣٦١.

ويدعم هذا الأمر أيضاً ما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام في الكتاب الذي وجهه إلى معاوية، إذ ذكر فيه: «وليس الصريح كاللصيق «إجابة على كتاب معاوية الذي يقول فيه: «أنا وأنتم من بني عبد مناف»[1].

فمسألة الاستلحاق كانت معروفة عند العرب، ومن هذا القبيل نسب ذكوان ـ على قول ـ إلى أمية عندما تبناه وكان عبداً له[2].

ولكن بني أميّة اتخذوا مسألة كونهم من قريش دثاراً لأفعالهم الشنيعة التي ظهرت ملامحها بوضوح أيام عثمان، لأنّهم أصبحوا زمرة محيطة به باعتبارهم عصبته وعشريته، فسيطروا عليه ووجهوه حيثما شاؤوا!.

نقمة المسلمين على عثمان:

عندما أمعن المسلمون النظر في تصرفات عثمان، عرفوا بوضوح أنّه غيّر أحكام الله، وعطّل حدود كتابه، وبدّل سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأهان القرآن ـ بحرقة للمصاحف الشريفة ـ فثارت ثائرتهم ضدّه.

وكان من جملة الأمور التي سببت نقمة المسلمون على عثمان:

١ ـ إيوائه للمرتدين وطرداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: فقد فسح عثمان المجال للمرتدين والملعونين على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أيّام حكومته وأعطاهم المناصب! وكان منهم عمه الحكم بن العاص ـ طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ ردّه إلى المدينة معززاً مكرماً، ومنحه مائة ألف درهم من بيت مال المسلمين![3]، حتى جاء إليه

---

(١) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣ / ١٧، ١٥ / ١١٩، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٢ / ٣٦٢، الغدير للأميني: ٣ / ٢٥٤.

(٢) أنظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة الوليد بن عقبة: ٤ / ١٥٥٢ (٢٧٢١)..

(٣) أنظر: المعارف لابن قتيبة: ١٩٤، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٥ / ٣٥، محاضرات الأدباء للراغب: ٢ / ٤٧٦.

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وجمع من الصحابة، كعمار بن ياسر وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وقالوا له: «إنّك أدخلت الحكم ومن معه، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخرجهم، وإنّا نذكّرك الله والإسلام ومعادك فإنّ لك معاداً ومنقلباً، وقد أبت ذلك الولاة قبلك...»[1].

فهذا الوزغ الذي كان من أشدّ الناس إيذاءً واستهزاءً بالنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عدّة مواقف، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين، فدخل الحكم بن العاص»[2]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم عندما استأذن الحكم بن العاص يوماً في الدخول عليه: «إئذنوا له، لعنة الله عليه وعلى ما يخرج من صلبه إلاّ المؤمنين وقليل ماهم»[3]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم عنه: «لايساكنني في بلد أبداً»[4]، ولكن عثمان لم يعبأ بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآوى أعداءه!.

٢ ـ إتخاذه أحد المرتدين وزيراً له:

فقد إتخذ عثمان المرتد والمفتري على الله الكذب عبد الله بن أبي سرح[5]

---

(١) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد، نقلاً عن الواقدي: ٣ / ٣٠، الشافي في الإمامة للشريف المرتضى: ٤ / ٢٦٨، عن الواقدي أيضاً، الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ٢٦.

(٢) أنظر: مسند البزار: ٦ / ٣٤٤ (٢٣٥٢)، مسند أحمد: ٢ / ١٦٣ (٦٥٢٠).

(٣) أنظر: المستدرك للحاكم: ٤ / ٥٢٨ (٨٤٨٤)، البداية والنهاية لابن كثير: ٦ / ١٧٨، مجمع الزوائد للهيثمي: ٥ / ٢٤٢، السيرة الحلبية للحلبي: ١ / ٥٠٩.

(٤) أنظر: السيرة الحلبية للحلبي: ١ / ٥٠٩.

(٥) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقيل سعيد بن أبي سرح، أحد طلقاء المنافقين، أخو عثمان ابن عفان من الرضاعة، أسلم ثم شك فكفر وارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكّة، أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه بعد الفتح، فجاء به عثمان بن عفان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد، فقال عثمان: يا رسول الله! أعف عنه، فسكت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم أعادها ثانياً فثالثه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: هو لك، فلما ذهبا قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ألم أقل: من رآه

وزيراً له، ثم ولاه مصر لأنّه كان أخ له من الرضاعة!

في حين أنّ رسول الله ﷺ أباح دمه وأمر بقتله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فخالف عثمان ذلك كما خالف قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1].

٣ ـ تولية أحد الفساق على الكوفة:

فقد ولّى عثمان أخاه لأمه الفاسق الوليد بن عقبة الكوفة[2]، وأطعمه هذه الولاية لتلجلج بيتين في صدره!

وكان نتيجة ذلك أن صلى الوليد بالناس صلاة الصبح وهو سكران أربع ركعات، وقرأ فيها رافعاً صوته:

علق القلب الربابا   بعدما شابت وشابا

فنبهه الناس بأنّه صلى الصبح أربع ركعات، فأجاب: هل تريدون أن أزيدكم؟! ثم تقيأ في المحراب على أثر سكره[3].

وكان شغوفاً بساحر يلعب بين يديه فكاد أن يفتن الناس به، حتى جاء إليه جندب فقتله قياماً بأمر الشريعة[4]، ومن أفعاله أيضاً منادمته لأبي زبيد الطائي

فليقتله؟ فأصبح في عداد الطلقاء.

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣ / ٥٨٥، الثقات لابن جبان: ٣ / ٤٢٩ (١٤٠٩).

(٣) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٧ / ٢٣٠، الأغاني لأبي الفرج: ٥ / ١٣٩، مسند أحمد: ١ / ١٤٤ (١٢٢٩)، العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥ / ٥٧.

(٤) أنظر: التاريخ الكبير للبخاري: ٢ / ٢٢٢ (٢٢٦٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ١٧٦،

النصراني، حيث كان يمر الطائي إليه في المسجد الشريف ويسمر عنده ويشرب معه الخمر[1].

ولم يبالي عثمان بكل هذا، بل كان يدافع عنه!، وذلك عندما خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان شاكين إليه أفعال ابن أمه، أراد أن ينكل بهم، وسمعت عائشة بذلك فأنكرت عليه، وكانت من أشدّ الناس عليه!، حتى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها، وجعلت تقول للوافدين عليها: «هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته»[2]، وسخطت عليه حتى بعد مقتله! إذ قالت عندما بلغها مقتله وهي بمكة: «أبعده الله، ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد»[3]، وفي لفظ آخر: «أبعده الله، قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله»[4].

٤ ـ إتخاذه أحد الملعونين وزيراً له في الحكم:

فقد إتخذ عثمان ابن عمه اللعين مروان بن الحكم وزيراً وصهراً، مسلّماً له زمام الأمور حتى أصبح مروان يسوقه حيث يشاء، وقد شهد القريب والبعيد بذلك.

فقال عبد الرحمن بن الأسود: «قبح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر... ودخل بيته، ودخل عليه مروان، فلم يزل

الإستيعاب لابن عبد البر: ١ / ٢٥٩.

(١) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد، عن الأغاني: ١٧ / ٢٣٦، الأغاني لإبي الفرج: ٥ / ١٤٦.

(٢) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦ / ٢١٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦ / ٢١٦.

(٤) المصدر نفسه: ٦ / ٢١٦.

يفتله في الذّروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عمّا كان يريد»[1].

وعاتب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عثمان على إنقياده لمروان قائلاً: «أما رضيت من مروان ولارضي منك إلاّ بتحرّفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وأيم الله، إنّي لأراه سيوردك ثم لايصدرك»[2].

وورد أيضاً عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال لعبد الرحمن بن الأسود حول عثمان: «يلعب به مروان! فصار سيّقة له يسوقه حيث شاء، بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[3].

وقالت له زوجته نائلة: «أطعت مروان يقودك حيث شاء»[4].

ولكن عثمان لم يقف على هذا فقط، بل قرّب مروان ـ صهره ـ وحباه ما لم يخطر بباله، وكتب له خمس مصر، وسلمه خمس غنائم أفريقية، كما أقطعه فدكاً[5] التي غصبت من فاطمة الزهراء عليها السلام التي نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها!.

فكانت مقاليد الأمور بيد مروان، يدير أمور المسلمين على ضوء ما يبتغيه، حتى وصل به الحدّ إلى التمادي على المسلمين أيام الفتنة، حيث قال: «ما شأنكم قد اجتمعتم كأنّكم جئتم لنهب! شاهت الوجوه! كل إنسان آخذ بأذن صاحبه إلاّ من أريدَ! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! أخرجوا عنّا، أما

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤ / ٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ٤ / ٣٦٤.

(٤) المصدر نفسه: ٤ / ٣٦٢.

(٥) أنظر: العقد الفريد لابن عبد ربة: ٥ / ٣٦، الطبقات لابن سعد: ٣ / ٤٧، الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ٢٦.

والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر لايسرّكم، ولاتحمدوا غبّ رأيكم، أرجعوا إلى منازلكم، فإنّا والله مانحن مغلوبين على ما في أيدينا»[1].

٥ ـ تسليط أقربائه على رقاب الناس :

فقد سلط عثمان أقرباءه من بني أمية وآل أبي معيط على رقاب الناس، وفسح لهم المجال ليفعلوا ما يشاؤون! فجسد مقوله عمر بن الخطاب بحذافيرها، حيث قال: «لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه»[2].

وكما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية: «... إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثليه ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن أنتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبّت به بطنته»[3].

فهذه كانت صفة بطانته وولاته، وهم لايصلحون لقيادة أمور المسلمين ولايأتمنون عليها، فلم يكن فيهم إلاّ ملعون أو فاسق أو مرتد أو غرّ لاخبرة له بأمور العباد وسياسة البلاد[4].

٦ ـ نفيه لجملة من كبار الصحابة وانتهاك حرمتهم :

فقد انتهك حرمة الصحابي الجليل عمّار بن ياسر، وذلك عندما وقف عمّار

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٦٢.

(٢) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٢ / ٢٥٩، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ٤٣.

(٣) أنظر: نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

(٤) مثل ابن خاله عبد الله بن عامر، الذي جمع له عثمان كور البصرة وفارس وهو ابن خمس وعشرين سنة، ولم يكن قد تولى أمراً من امور الناس قبل ذلك! أنظر الكامل في التاريخ للذهبي: ٣ / ٩٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٧ / ١١١.

بوجهه ليحدّ من تماديه وامتهانه للمسلمين، فقال له عثمان: «هذا مال الله، أعطيه من أشاء وأمنعه من أشاء! فأرغم الله أنف من رغم أنفه، فقام عمّار بن ياسر فقال: أنا أوّل من رغم أنفه من ذلك، فقال له عثمان: لقد اجترأت عليَّ يابن سمية! فوثبوا بنو أمية على عمّار فضربوه حتى غشي عليه، فقال: ما هذا بأوّل ما أوذيت في الله»[1].

وذكر أنّه حينما ضرب عمار أصيب بفتق في بطنه وانكسرت أحد أضلاعه![2].

ولايخفى أنّ عمّار قال في حقه رسول الله ﷺ: «ملىء عمّار إيماناً إلى مشاشه»[3]، وقال ﷺ أيضاً فيه: «من سبّ عماراً يسبّه الله، ومن ينتقص عماراً ينتقصه الله، ومن يسفه عماراً يسفه الله»[4].

كما انتهك عثمان حرمة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، حينما أمر أن يؤتى به بحالة مزرية إلى المدينة من الشام التي نفاه إليها من قبل، ثم نفاه إلى الربذة فيما بعد، فمات فيها وحيداً غريباً![5] وما ذلك إلاّ لقوله الحقّ وأمره

---

(١) أنظر: البدء والتاريخ للمقدسي: ٥ / ٢٠٣، أنساب الأشراف للبلاذري: ٦ / ١٦١.

(٢) أنظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٣ / ١١٣٦، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ٥١، البداية والنهاية لابن كثير: ٧ / ١٢٢، البدء والتاريخ للمقدسي: ٥ / ٢٠٩، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١ / ٣٣٥، أنساب الأشراف للبلاذري: ٦ / ١٦٣.

(٣) أنظر: المستدرك للحاكم: ٣ / ٤٤٢ (٥٦٨٠)، صحيح ابن حبان: ١٥ / ٥٥٢ (٧٠٧٦).

(٤) أنظر: فضائل الصحابة للنسائي: ١ / ٥٠ (١٦٦)، المستدرك للحاكم: ٣ / ٤٤١ (٥٦٧٥)، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٨٦٠ (١٦٠٤)، المعجم الكبير للطبراني: ٤ / ١١٢ (٣٨٣٢).

(٥) أنظر: الطبقات لابن سعد: ٤ / ١٧٧، الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ٢٦، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١ / ٣٣٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٧٧، الإستيعاب لابن عبد

بالمعروف وإنكاره للباطل.

وقد قال رسول الله ﷺ في حقه: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر»[1].

وكذلك استدعى عبد الله بن مسعود وأحرق مصحفه وحرمه من عطائه، وسيّر عامر بن عبد قيس ونفاه من البصرة إلى الشام لتنزهه عن أعماله، ونفى غير هؤلاء من بلدانهم إلى البلاد الأخرى، كمالك الأشتر النخعي، ومالك بن كعب، وكميل بن زياد، وثابت بن قيس، وصعصعة بن صوحان، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم لإنكارهم سوء تصرّف ولاته[2]، كعامله في الكوفة سعيد بن العاص الذي قال: «إنّما هذا السواد بستان لقريش، فقال له الأشتر: أتزعم أنّ السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟!»[3].

٧ ـ التلاعب بمقدارت المسلمين:

فقد تصرّف عثمان في بيت مال المسلمين على ضوء ما يبتغيه، وآثر أهل بيته وأقرباءه به، فجرّ ذلك عليه الدواهي، وقد تناقل هذا الأمر الركبان لظهوره!.

فمنح عمّه الطريد الحكم بن العاص عشرات الآلاف من الدراهم، ووصل خالد بن أسيد بصلة قدرها أربعمائة ألف درهماً، وأقطع ابن عمّه الحارث بن

البر: ١ / ٢٥٣، تاريخ الطبري: ٢ / ١٠٧.

(١) أنظر: سنن ابن ماجة: ١ / ٦٥، المستدرك للحاكم: ٣ / ٣٨٧ (٥٤٦٧)، سنن الترمذي: / ١٣٤ (٣٨٠١)، مسند أحمد: ٢ / ١٧٥ (٦٦٣٠).

(٢) أنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ١٣٩، تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٦، أنساب الأشراف للبلاذري: ٦ / ١٦٧، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣ / ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) أنظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٣، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ١٤٠، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢ / ١٢٩.

الحكم سوقاً بالمدينة وهو موضع تصدّق به رسول الله ﷺ على المسلمين، كما منح قسماً من إبل الصدقة لآل الحكم، وقسّم حلية من الذهب والفضة بين نسائه وبناته، وأنفق من بيت المال في عمارة دوره وضياعه، وخصص المراعي لنفسه دون إبل الصدقة!(1)، وقد ورد عن الصعب بن جثامة أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا حمى إلاّ لله ورسوله»(2).

مواجهة الواقع بروح بناءة:

يقول الأخ أبو القاسم: «جعلتني هذه الأمور التي قرأتها عن عثمان مذهولا متحيراً!، فقلت في نفسي فأين العدالة في التقسيم، وأين السابقة في الإسلام، وأين الحرص على منافع الأمة؟!

ومما زاد في امتعاضي من هذه التصرفات، التوجيه اللاعقلاني الذي قاله البعض لتبرير أفعال عثمان أو تصرفات ولاته، فقرّرت العكوف على قراءة هذه الفترة الحساسة من تاريخ المسلمين، وإذا بي أكتشف أموراً جديدة لم أتصور أنّ «الخليفة» يغض النظر عنها أو يتساهل فيها، بل تبيّن لي أنّ بعضها كانت بأمره!!».

ويضيف: «لقد إنهارت الهالة القدسية التي كنت أراها لهذا الرجل، ولاسيما بعد إطلاعي على عدم اقتصاصه من عبيد الله بن عمر بن الخطاب، عندما قتل ثلاثة أنفس!، كما قد هزّ مشاعري النصّ الذي وجدته في طبقات ابن سعد الذي يذكر فيه: «انّ عثمان عندما إلتقى بعبيد الله بعد صدور فعلة الشنيع، قال له:

---

(1) أنظر: العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥ / ٣٦، السيرة الحلبية للحلبي: ٢ / ٢٧٢، شرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ١٩٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٧ / ١٢٢، تاريخ أبي الفداء: ١ / ٢٣٥.

(2) أنظر: صحيح البخاري: باب لاحمى إلاّ لله ورسوله: ٢ / ٨٣٥ (٢٢٤١).

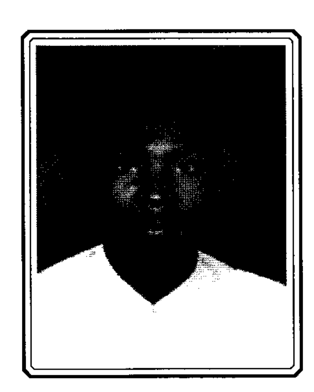
«قاتلك الله قتلت رجلاً يصلي وصبية صغيرة وآخر من ذمة رسول الله ﷺ، ما في الحقّ تركك. ـ يقول الراوي ـ فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه! ولكن عرفت أنّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلفته عن رأيه»[1]، فاستغربت حقاً من هذا الكلام! وعجبت كيف سمح عثمان لنفسه أن يعفو عن قاتل بمجرد تدخل أحد الصحابة!.

ثم قلت في نفسي: وما كان ذنب هذه الصغيرة وكيف سمح عثمان لنفسه أن يذهب دمها هدراً من دون اقتصاص من قاتلها؟!، فثبت عندي أنّ عثمان أعرض عن محكم كتاب الله بتصرفه هذا، وأعرض عن صريح سنة نبيه ﷺ، وخضع لرأي رجل واحد في تركه للقصاص!.

ومن هذه المسألة ومسائل أخرى كحادثة كربلاء الدامية، وظلامة العترة الطاهرة، وتغييب آل البيت عليهم السلام، تبيّن لي أنّ عترة الرسول ﷺ الذين طهرهم الله من الرجس أحقّ بالخلافة من غيرهم، وأنّ التمسك بغيرهم يأخذ بيد الإنسان إلى الضلال، فلهذا تركت معتقداتي الموروثه وأعلنت استبصاري عام ١٩٩١م في العاصمة «دكا»».

---

(١) أنظر: الطبقات لابن سعد: ٣ / ٢٧٢، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٣٩، سنن البيهقي: ٨ / ١٠٨ (١٦٠٨٣)، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٧٠.



❖ إبراهيم مختار سماكي.

❖ ولد عام ١٩٦٧م في مدينة باماكو عاصمة جمهورية مالي.

❖ تحول من المذهب المالكي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩١م في دولة غانا.

إبراهيم مختار سماكي

ولد عام ١٩٦٧م في مدينة «باماكو» عاصمة جمهورية مالي[١].

تحوّل من المذهب المالكي وتشرف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩١م في دولة «غانا».

بداية التعرف على التشيع:

يقول الأخ إبراهيم: «نشأت في أوساط عائلة سنّية تعتنق المذهب المالكي، فتلقيت أفكار ورؤى البيئة التي كانت تحيطني، وقبل اكمالي للمرحلة الثانوية في المدارس الأكاديميّة سافرت إلى غانا لأحمل على عاتقي مهمة تدريس المواد الإسلامية المختلفة هناك، فأمضيت مدّة خمس سنوات في هذا المجال، وخلال تواجدي في غانا طرق سمعي وجود مذهب يسمى بالشيعة، وقد قيل لي: إنّهم يختلفون عن أبناء العامة بأمور كثيرة، وأنّ أذانهم وصلاتهم وقرآنهم و... يختلف عما عندنا!

وبدافع المعرفة والاطلاع على هذه الطائفة بدأت بتتبع مراكزهم وجمع كتبهم والاحتكاك بهم... وكنت أقارن بينهم وبين أبناء العامة لا سيّما المالكية،

---

(١) جمهورية مالي: تقع ضمن دول غرب افريقيا، يبلغ عدد سكانها قرابة (١٢) مليون نسمة، يشكل المسلمون ٩٠٪ منهم أغلبهم على المذهب المالكي، أمّا أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فعددهم بحدود مائة ألف نسمة.

وأوّل ما واجهت من خلال المطالعة والتتبع في كتب الشيعة ومعرفة تراثهم أنّهم قد تعرّضوا للفرية والتشنيع، إمّا بسبب العداء الطائفي، وإمّا بسبب عدم الاطلاع على تراثهم، والحقيقة أنّ كلا الأمرين مخجل!

ولقد كانت لكتبهم ـ لا سيّما كتب المستبصرين ـ دور كبير في فتح آفاقي الفكريّة، وتوسيع إدراكي في فهم الحوادث التاريخيّة، خصوصاً تلك التي تلت وفاة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومع هذا كنت أرجع إلى الصّحاح لأتحقق بنفسي، لأنّ دأب الشيعة كان الاستدلال بكتب أبناء العامة وذكر ماورد فيها.

ولاية الإمام عليّ عليه السلام في القرآن والسنة:

ومن المسائل التي استوقفتني كثيراً وجعلتني أبحث عنها بدقّة، هي ولاية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من خلال القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة، فهنالك آيات كالمباهلة والإنذار والتبليغ و...، وأحاديث كالمنزلة والثقلين والطير والغدير و...، دلّت بشكل قاطع على إمامته ووجوب تقديمه والاقتداء به».

وهذه النصوص القرآنية والنبوية وردت بشكل واضح، وذكرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف متعدّدة، وذلك ليرسخ حقيقة ثبوت الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام، وتتجلى هذه الحقيقة لكلّ مسلم لو أمعن النظر في هذه الآيات والأحاديث التي منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾[1].

وهي نازلة في حقّ الإمام عليّ عليه السلام، كما جاء في كتب الحديث والتفسير

---

(١) المائدة: ٥٥.

والفقه، ونصّ عظماء الجمهور على تواتر هذا الخبر وصحّته والركون إليه، كأصحاب الصحاح وغيرهم[1]، وأجمعوا على أنّها نزلت في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما تصدّق بخاتمه أثناء الصلاة[2].

ووجه دلالتها على الإمامة: هو أنّ الله تعالى أثبت الولاية له ولرسوله ولمن آتى الزكاة في حال ركوعه، وذلك ظاهر من سياق الآية، والذي آتى الزكاة هو أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره، كما ثبت من إجماع أهل النقل، والمراد من الولاية هنا ملك التصرّف، وهذا معنى الإمامة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ**﴾[3].

حيث أمر الله تعالى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن ينصّب عليّاً للناس وتبيان فضله ومكانته يوم الغدير، وقد أخرج ذلك متواتراً أئمة التفسير والحديث والتاريخ، وروى هذه الحادثة مائة صحابي! حيث خطب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمحضر مائة ألف من المسلمين أو يزيدون، وقال فيما قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه...»، وقد احتجّ بذلك

---

(١) إنّ هذا ممّا اتفق عليه المفسّرون وغالب المحدّثين في حقّ الإمام عليّ عليه السلام: كابن الأثير الجزري في جامع الأصول: ٨ / ٤٩٩ (٦٥١٥)، والواحدي في أسباب النزول: ٢٠١ (٣٩٦)، والطبري في الرياض النضرة: ٢ / ١٧٩ (١٦١٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٢ / ٣٥٧، والنسائي في سننه: ٥ / ١٣٥ (٨٤٨١)، وابن أبي حاتم الرازي في التفسير الكبير: ٤ / ٣٨٣، الطبراني في المعجم الأوسط: ٤ / ٣٥٧ (٦٢٣٢).

(٢) من الذين اعترفوا بإجماع المفسّرين على نزول الآية في حقّ الإمام عليّ عليه السلام بخصوص هذا الموقف: القاضي الايجي في كتابه المواقف: ٣ / ٦٠١، والشريف الجرجاني في شرح المواقف: ٨ / ٣٦٠، وسعد الدين التفتازاني في كتابه شرح المقاصد: ٥ / ٢٧٠.

(٣) المائدة: ٦٧.

الكثير من الصحابة وأهل البيت عليهم السلام[1].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[2].

وقد روى الجمهور أنّ هذه الآية نزلت يوم غدير خم بعد أن أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم البيعة لعليّ عليه السلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي والولاية لعليّ بن أبي طالب من بعدي، ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه...»[3].

والمولى في اللغة بمعنى أولى، والأولى هو الأحقّ والأملك، وذلك معنى الإمامة.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[4].

---

(١) أنظر: شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ١٩٢ (٢٤٩)، الدرّ المنثور للسيوطي: ٣ / ١٩، فتح القدير للشوكاني: ٢ / ٦٠، روح المعاني للآلوسي: ٣ / ٣٥٩، التفسير الكبير للفخر الرازي: ٤ / ٤٠١، فرائد السمطين للجويني: ١ / ١٥٨ (١٢٠)، عمدة القاري للعيني: ١٨ / ٢٧٦، ينابيع المودة للقندوزي: ١ / ١٥٩.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) أنظر: الدرّ المنثور للسيوطي: ٣ / ١٩، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ١٥٨ (٢١٣)، تاريخ بغداد للخطيب: ٨ / ٢٨٩ (٤٣٩٢)، البداية والنهاية لابن كثير: ٥ / ١٥٢، مناقب الخوارزمي: ١٣٥ (١٥٢)، تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٢٣٧، وذكرها ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير: ١ / ١٧، وغيرها.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

وقد ذكر المفسّرون[1]، وروى الأئمّة كأحمد وغيره أنّها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [2].

وفيها إخبار من الله تعالى بإرادته إذهاب الرجس عنهم، والرجس هنا هو رجس الذنوب، وأقله طهارتهم وصدقهم.

ولقد أجمعوا ـ أي المخصوصين بالآية ـ على أنّ الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام، وإجماعهم هذا حجّة واجبة الاتباع، إضافة إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام طالب بالخلافة ليقوم بشؤونها، فتكون مطالبته صادقة وصحيحة.

٥ ـ قوله تعالى: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾**[3].

وقد تواترت الأخبار عن عبد الله بن عبّاس وغيره، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يوم المباهلة بيد عليّ والحسن والحسين وجعلوا فاطمة وراءهم[4]، كما أجمع

---

(١) أنظر: ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٨٦، الطحاوي في مشكل الآثار: ١ / ٢٢٢ ـ ٢٣٨، الحسكاني في شواهد التنزيل: ٢ / ١٠ (٦٣٧)، ابن جرير الطبري في تفسيره: ٢٢ / ٥ ـ ٨، السيوطي في الدرّ المنثور: ٦ / ٦٠٤.

(٢) أنظر: مسند أحمد: ٦ / ٢٩٢ (٢٦٥٥١)، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٣ (٢٤٢٤)، المستدرك للحاكم: ٣ / ١٥٨ (٤٧٠٥)، سنن الترمذي: ٥ / ٢٦٢ (٣٢٠٥ ـ ٣٢٠٦)، ٦ / ١٢٥ (٣٧٨٧)، ١٧٤ (٣٨٧١)، الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢ / ٤٢١.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) أنظر: صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧١ (٢٤٠٤)، مسند أحمد: ١ / ١٨٥ (١٦٠٨)، سنن الترمذي: ٦ / ٨٦ (٣٧٢٤)، تحفة الأحوذي: ٨ / ٢٧٨ (٣١٨٦)، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٦٣، سنن البيهقي: ٧ / ١٠١ (١٣٣٩٢).

المفسّرون[1] على أنّ ﴿أَبْناءَنا﴾ إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام ، ﴿وَأَنْفُسَنا﴾ إشارة إلى الإمام عليّ عليه السلام ، فقد جعله الله تعالى نفس النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ، فهو المساوي له في الكمال والتصرّف و...

وهذه الآية أدلّ دليل على علوّ رتبته عليه السلام وأحقيّته بالخلافة، لأنّ الباري حكم بمساواته لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله ، فكيف يسوغ لمسلم أن يقدّم أحداً على نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

ولهذا ترى أمير المؤمنين عليه السلام استدلّ بهذه الآية عندما احتجّ في الشورى على الحاضرين بجملة من فضائله ومناقبه و...، وكانت آية المباهلة من صميم تلك الاحتجاجات.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿... إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْم هاد﴾.

وقد روى الجمهور عن ابن عبّاس قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنا المنذر وعليّ الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون»[2].

ودلالتها ليست مقصورة على أصل الهداية، بل على كمال الهداية.

والملفت هنا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله المنذر فلا منذر معه في وقته، فكذلك الهادي فلا هادي معه في وقته.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً...﴾[3].

---

(١) أنظر: تفسير الطبري: ٣ / ٣٠٠، تفسير ابن كثير: ١ / ٣٧٩، تفسير الدرّ المنثور للسيوطي: ٢ / ٢٣١، الكشّاف للزمخشري: ١ / ٥٦٤، أسباب النزول للواحدي: ٦١ (٢٠٩).

(٢) الرعد: ٧.

(٣) أنظر: المستدرك للحاكم: ٣ / ١٤٠، التفسير الكبير للرازي: ٧ / ١٤، تفسير فتح القدير

فلم يعمل بذلك أحّد من الصحابة إلاّ عليّ عليه السلام إلى أن نسخت[1]، وهي تدلّ على أفضليته بمسارعته إلى قبول أمر الله عزّوجلّ والعمل به، وبالخصوص بعد أن بخل الآخرين.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾[2].

فقد روى علماء الجمهور أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام[3]، لبيان أفضليّته على الجميع، والأفضل هو الأولى بالإمامة.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾[4].

للشوكاني: ٣ / ٧٠، تفسير الطبري: ١٣ / ١٠٨، ينابيع المودّة للقندوزي: ١ / ٢٩٦، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٢٩٣ (٣٩٨)، فرائد السمطين للجويني: ١ / ١٤٨ (١١٢). ٣ ـ المجادلة: ١٢.

(١) أنظر: تفسير الطبري: ٢٨ / ١٩، أحكام القرآن للجصاص: ٣ / ٤٢٨، أسباب النزول للواحدي: ٤٣٢، سنن النسائي: ٥ / ١٥٢ (٨٥٣٧)، الدرّ المنثور للسيوطي: ٨ / ٨٤، التفسير الكبير للرازي: ١٠ / ٤٩٥، ينابيع المودّة للقندوزي: ١ / ٢٩٩، تفسير ابن كثير: ٤ / ٣١٨، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٤٦ (١٤٨٣)، مستدرك الحاكم: ٢ / ٥٢٣ (٣٧٩٤)، وغيرها.

(٢) التوبة: ١٩.

(٣) أنظر: الدرّ المنثور للسيوطي: ٤ / ١٤٦، تفسير ابن كثير: ٢ / ٣٤١، تفسير الطبري: ١٠ / ٩٦، جامع الاصول لابن الأثير: ٨ / ٦٦٣ (٦٥١٤)، التفسير الكبير للرازي: ٦ / ١٢، أسباب النزول للواحدي: ٢٤٨ (٤٩٤)، ينابيع المودّة للقندوزي: ١ / ٢٧٧.

(٤) أنظر: شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٩٦ (١٣٣ ـ ١٣٧)، ينابيع المودّة للقندوزي: ١ /

وقد أجمع المفسّرون أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينة، فخلفه لقضاء دينه وردّ ودائعه[1]، وأصغر دلالاتها فضله واجتهاده في طاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبذل النفس له.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾[2].

فقد ورد في مسند أحمد وغيره: هو عليّ عليه السلام حين أذّن بالآيات من سورة البراءة، حيث أنفذها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي بكر وأتبعه صلى الله عليه وآله وسلم بعليّ عليه السلام، فردّه ومضى علي عليه السلام، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «قد أُمرت أن لا يبلّغها إلاّ أنا أو واحد منّي»[3].

والوجه في فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإنفاذ الأوّل وردّه بعدها، لا يخرج بعد لحاظ التنزيه عن العبث والهوى، إلاّ تنبيهاً لفضل الثاني وتنويهاً بأسمه وتشخيصه للناس.

وأمّا السنّة فالأخبار المتواترة فيها عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والدالّة على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أكثر من أن تحصى، وقد روى جمهور أبناء العامة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام هذه الأحاديث في مصنّفاتهم، وذكروها في

٢٧٣، التفسير الكبير للفخر الرازي: ٢ / ٣٥٠، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٤٠، فرائد السمطين للجويني: ١ / ٣٣٠ (٢٥٦)، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢ / ٦٨.

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) التوبة: ٣.

(٣) أنظر: مسند أحمد: ٣ / ٢٨٣ (١٤٠٥١)، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٢٣٥ (٣١٥)، الدرّ المنثور للسيوطي: ٤ / ١٢٢، مجمع الزوائد للهيثمي: ٧ / ٢٩، تفسير ابن كثير: ٢ / ٣٣٣، التفسير الكبير للرازي: ٥ / ٥٢٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٧ / ٢٥٠، ذخائر العقبى للطبري: ٦٩.

مرويّاتهم، ونقتصر على نزر يسير منها:

الأوّل: عن سلمان قال: «يا رسول الله من وصيّك؟... قال صلى الله عليه وآله وسلم: فإنّ وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي عليّ بن أبي طالب»[1].

الثاني: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[2].

وفي رواية أحمد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى اللهم إجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري...»[3].

فقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام جميع منازل هارون من موسى إلاّ النبوّة، ومن منازله الخلافة والشركة في الأمر وذلك معنى الإمامة.

الثالث: أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بسدّ الأبواب إلاّ باب عليّ عليه السلام، فتكلّم الناس! فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ قال: «فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ

---

(١) أنظر: فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٦١٥ (١٠٥٢)، مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١١٣، كفاية الطالب للكنجي: ٢٩٣، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٧٧ (١١٥)، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٩٩ (٣ـ١٣٧٤)، ذخائر العقبى للطبري: ٧١، المعجم الكبير للطبراني: ٦ / ٢٢١ (٦٠٦٣).

(٢) أنظر: صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧١ (٢٤٠٤)، صحيح البخاري: ٤ / ١٦٠٢ (٤١٥٤)، مسند أحمد: ١ / ١٧٧ (١٥٣٢)، سنن الترمذي: ٦ / ٨٦ (٣٧٢٤)، سنن النسائي: ٥ / ١١٢ (٨٤٠٩)، وغيرهم.

(٣) أنظر: فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٦٧٨ (١١٥٨)، وأنظر: تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٥٢، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٠١ (١٣٠١)، ذخائر العقبى للطبري: ٦٣، الدرّ المنثور للسيوطي: ٥ / ٥٦٦، نور الأبصار للشبلنجي: ١١٨، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٣٦٨ (٥١٠).

فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته! إنّما أُمرت بشيء فاتبعته»[1].

الرابع: ورد عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»[2].

الخامس: قال رسول الله ﷺ: «...إنّ طاعة عليّ من طاعتي، وطاعتي من طاعة الله تعالى»[3].

السادس: عن أم سلمة أنّ رسول الله ﷺ قال: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[4].

السابع: ورد عن النبيّ ﷺ: «أنّه لا يجوز على الصراط إلاّ من كان معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب»[5].

---

(١) أنظر: مسند أحمد: ١ / ١٧٥ (١٥١١)، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣٥ (٤٦٣١)، سنن الترمذي: ٦ / ٩١ (٣٧٣٢)، المعجم الأوسط للطبراني: ٣ / ٨٢ (٣٩٣٠).

(٢) أنظر: مسند أحمد: ٤ / ٤٣٧، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٦٠٥ (١٠٣٥)، حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦ / ٢٩٤، مستدرك الحاكم: ٣ / ١١٩ (٤٥٧٩)، صحيح ابن حبان: ١٥ / ٣٧٣ (٦٩٢٩)، سنن النسائي: ٥ / ٤٥ (٨١٤٦)، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١ / ١٠٩، سنن الترمذي: ٦ / ٧٨ (٣٧١٧).

(٣) أنظر: فرائد السمطين للجويني: ١ / ١٧٨ (١٧٨)، ينابيع المودّة للقندوزي: ٢ / ٢٨٧، ذخائر العقبى للطبري: ٦٥، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ٢ / ١٠٦، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣١ (٤٦٧١)، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٠٦ (١٣٢١)، تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٢٠٦.

(٤) أنظر: تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٢٠ (٧٦٤٣)، مجمع الزوائد للهيثمي: ٧ / ٢٣٥ و ٩ / ١٣٤، تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٤٤٩.

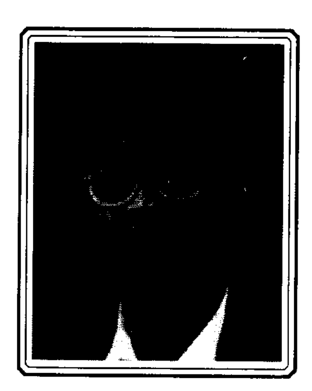
(٥) أنظر: المناقب لابن المغازلي: ٢٤٢ (٢٨٩)، فرائد السمطين للجويني: ١ / ٢٨٩ (٢٢٨)، ينابيع المودّة للقندوزي: ٢ / ١٦٢، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١١٨ (١٣٦٧)، ذخائر العقبى للطبري: ٧١.

إنقاذ النفس من الضلالة:

يقول الأخ إبراهيم: «لم تبق لي هذه الآيات والأحاديث مجالا للشكّ في أحقيّة الإمام عليّ عليه السلام بقيادة الأمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنّ أحداث الخلافة التي جرت في السقيفة، وتجرّي بعض الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه، وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من تعدّي بُعيد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و...، كلّ هذه الأحداث جعلتني أتأمّل في معتقداتي.

فقرّرت إنقاذ نفسي بعد أن اتّضحت لي الأمور، وكشف الغطاء الذي ستره البعض، وتوجهت إلى الله تعالى ليوفقني في سلوك النهج الصحيح والسبيل الموصل إليه، فهداني جلّ وعلا للتمسّك بعدل الكتابة وثقله، عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام، فأعلنت استبصاري في «غانا» عام ١٩٩١م».





- اتوماني.
- ولد عام ١٩٦١ في دولة جزر القمر.
- يحمل الشهادة الثانوية.
- تحول من المذهب الشافعي إلى المذهب الشيعي عام ١٩٩٥م في مدينة مدغشقر.

أتوماني

نشأ في أُسرة تنتمي إلى المذهب الشافعي منذ ولادته عام ١٩٦١م في دولة جزر القمر[1]، ثم تدرج في الدراسة حتى حصل على شهادة الثانوية.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٥م في «مدغشقر».

اللقاء الأول بالشيعة:

كان الأخ آتوماني كثير الاستماع إلى الخطب والمحاضرات التي يلقيها العلماء في المساجد والمحافل، فكان نتيجة ذلك إرتقاء مستواه العلمي وازدياد ثقافته الدينية وانفتاح ذهنيته في القضايا الفكرية، بحيث توفّرت لديه معلومات دينية غزيرة دفعته ليُكثر من صحبة الذين يدور حديثهم حول المسائل الإسلامية، وهذا ما ساعده على تنمية قدرته الفكرية، فتبلورت إتجاهاته وأصبحت هوايته البحث والتتبع والاستقصاء.

كما أنّ هذه الملكة جعلته يتعمق في المسائل الفكرية والاعتقادية التي يواجهها، فكان يتابعها ليصل إلى النتائج المطلوبة ويعيّن موقف أزائها.

يقول الأخ آتوماني: «في أحد الأيام سمعت بمذهب يطلق عليه الإمامية

---

(١) جزر القمر: تقع جنوب شرق أفريقيا داخل المحيط الهندي شرق سواحل موزنبيق وشمال مدغشقر، تضم أربع جزر صغيرة، يبلغ عدد سكانها قرابة المليون نسمة، غالبيتهم من المسلمين ما عدى ٢٪ من المسيحيين، وأغلب المسلمين من الشافعية المحبين للشيعة، وللشيعة تواجد ملحوظ بهذه الجزر.

فدفعني حبّ الاستطلاع لأنّ أتعرف على أتباعه، فقصدت أحد مساجدهم في مدغشقر، وهو مسجد خاصّ بالهنود والباكستانيين الذين يدعون بالخوجة.

فما أن دخلت مسجدهم وإذا أفاجأ ببعض الأمور التي لم أكن آلفها من قبل في مساجدنا!! ككيفية أذانهم، إذ رأيتهم يأتون بعد الشهادة بالرسالة لنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله بشهادة أُخرى وهي الشهادة بالولاية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأستغربت من ذلك! وعزمت على البحث عن حقيقة هذا الأمر، وعن الدافع والمحفّز الذي دعاهم للإتيان بهذه الشهادة».

أهمية الحوار الهادىء في البحث:

ويضيف آتوماني: «كان لي إستاذ يعينني في الشؤون الدينية وكنت أتلقى منه معالم ديني والتجىء إليه حينما يعترضني سؤال أو شبهة، لأنّني كنت أجده متمعّناً وفاضلاً في المسائل الدينية، وكان يتيح لي المجال للبحث والحوار ولايقابلني بشدّة، لأنّه كان يرى أنّ السؤال والاستفسار حالة طبيعية لابد أن يمرّ بها الإنسان الباحث حتى يصل إلى الحقيقة، ومن هذا المنطلق لم يكن متعنتاً في مبادئه أو متعصباً كغيره ممن كانوا لا يسمحون للباحث أن يستشكل عليهم، فإنّ البعض يقابلون السائل بقوّة وعنف ويرمونه بالكفر والضلال وينسبون مقولاته إلى الفرق المنحرفة، بحيث يجعلونه يخشى أن يوجّه اليهم سؤالاً أو إشكالاً خوفاً على سمعته وماء وجهه، وخشية أن يتهموه بالإنحراف!.

ولكن إستاذي لم يكن من هذا القبيل، فقصدته لأسألة عن مسألة الأذان وسبب اختلافنا مع الشيعة، فبدأ الأستاذ يوضّح لي الحقائق المرتبطة بهذا الموضوع».

أهمية الإعلام في ترسيخ المبادىء:

إنّ حقيقة الأذان هو الإعلام والتنبيه، ويأتي به المسلمون إيذاناً منهم بدخول أوقات الصلاة.

ولا يخفى على أحد ما للإعلام الايجابي من دور هام لترسيخ المبادىء في النفوس وتحفيز الحالة المعنوية عند الإنسان، واستنهاض الهمم نحو الصلاح، فهو يترك أثراً بليغاً في نفس الإنسان ويُبلور سلوكه وإتجاهاته، ويلفت إنتباهه إلى الأمر الذي يدعو إليه، فيرسخه في ذهنه بكيفية جذّابة، وهذا الترسيخ يدعو الإنسان ويحفزه لتجسيد ذلك، فمن هنا يتبلور إهتمام الإنسان بإتجاه ذلك الأمر.

ومن هنا نجد كافة الجهات وبالأخص الجهات السياسية تهتم بالإعلام والدعاية والتبليغ، فهم يوظفون هذه الأداة لمحاربة خصومهم وللسيطرة على أذهان الناس ليبعدوهم عما لا يبتغوه، ومن هنا فإنّهم يبذلون قصارى جهدهم عبر القنوات الإعلامية ليهيمنوا على أفكار الناس، لئلا يعتريها التغيير فيفقدوا ثبات حاكميتهم على المجتمع.

أسباب كثافة الإعلام المضاد ضد الشيعة:

إنّ الشيعة هم من جملة المذاهب التي لاقت أشدّ المعاناة على مرّ العصور من الحكومات الجائرة، لاعتقادهم أنّ عترة الرسول عليهم السلام هم الأحقّ بالحكم والخلافة من غيرهم، وهذا المعتقد يشكل خطراً كبيراً على الحكومات الجائرة، لأنّه يسلب منهم الشرعية، كما أنّ الإمامية كانت تغرس الوعي في أذهان المسلمين وتعيد الثقة في نفوسهم ليرفضوا الظلم والطغيان، ولهذا شنّت هذه الحكومات هجماتها المكثفة ضدهم.

مواقف الشيعة أزاء الإعلام المضاد:

والشيعة لم يكن بأيديهم ذلك الإعلام الذي يدافعون به عن أنفسهم ليلفتوا إنتباه الآخرين، ويوضحوا لهم الحقائق ويبيّنوا لهم أنّ الإمام عليّ عليه السلام أحقّ بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ عترة الرسول عليهم السلام هم المرجع للأُمة بعده صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أنّ الشيعة لم يكن ينقصهم الأدلة لإثبات معتقدهم، ولكن كان يعوزهم الإعلام ليلفتوا إنتباه الناس إلى هذا الأمر ويبيّنوا لهم الحقائق، لأنّ المجتمع كان على أثر إعلام الحكومات الجائرة يجهل حقيقة أمر أهل البيت عليهم السلام، وكانت السلطات الحاكمة قد رسّخت في أذهانهم أموراً تخالف الواقع، فكان من الضروري لمثل هكذا مجتمع أن يتحرك دعاته الصالحين ويلفتوا إنتباه الناس إلى الحقائق ومسار الإسلام الصحيح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هذا المنطلق اتخذت الشيعة مواقف عديدة لتبيين أحقيتهم، وإلفات إنتباه الناس إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، ومن هذه المواقف يمكننا ذكر موقفين كان لهما الدور البليغ في توعية الناس، وإبطال الإعلام المضاد للمخالفين، وإزدهار التشيع وانتشاره في أقطار الأرض.

الموقف الأوّل: إحياء نهضة الحسين عليه السلام:

إنّ الشعية بذلوا اهتماماً خاصاً لإحياء نهضة الإمام الحسين عليه السلام فسلطوا الضوء عليها، لأنّها كانت حركة تبناها الإمام الحسين عليه السلام وأعانه على ذلك أنصاره، ليغرسوا الوعي في المجتمع وليلفتوا أنظاره إلى واقع الأمر، وما حلّ بشريعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تحريف وتلاعب من بعده، ومن هنا تصدى الشيعة لإحياء هذه النهضة فجعلوها وسيلة إعلامية لتبيين الحقيقة للناس، وجعلوها

سبيلاً لإحياء المفاهيم الحقة وإضفاء الوعي في المجتمعات، لئلا ينخدعوا بالتيارات المنحرفة التي مثّلت إمتداداً للحركة الأموية ضد الإسلام، الذين تلاعبوا بمادىء الإسلام ليصوغوه وفق مبتغياتهم وعلى ضوء ما يحقق مآربهم، فاجتهد الشيعة ليبيّنوا للناس أنّ السبيل الوحيد لاتباع رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنّما يتحقق بإتباع العترة عليهم السلام، لأنّهم الأُمناء على الشريعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الينبوع الذي اصطفاه الباري عزّوجلّ ليكون مصدراً نقيّاً يتلقى منه المجتمع معالم دينه، ويرجع إليه في الاختلافات بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الموقف الثاني: الشهادة بالولاية لعليّ عليه السلام في الأذان:

وهذا الموقف اتخذه الشيعة لإيضاح أحقية أمر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوظيفه لتبيين الحقيقة، فالأذان عبادة توقيفية يجب الاقتصار فيه على المتيقن ثبوته من الشريعة، ولكن حيث لا يشترط التوالي فيه ويجوز الفصل بين فصوله ولا يحرم التكلّم بينها، فقد ذهب إجماع فطاحل العلماء من الشيعة أن يؤتوا بفقرة الشهادة لعليّ عليه السلام بالولاية بعد الشهادة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، على أن يكون ذلك إعلاماً وشعاراً لهم أمام الملأ، الذين طالما سيطر عليهم الحكام وحاولوا طمس الحقائق والتعتيم على حقيقة الولاية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فأصبحت هذه الشهادة الثالثة كالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عقيب ذكر اسمه الشريف في الأذان.

بطلان التشنيع على أذان الشيعة:

إنّ دعوى لزوم التشريع من ذكر الشهادة بالولاية ليس بصحيح، لأنّ الإتيان بها ليس على قصد الجزئية لايحتاج إلى دليل من الشارع، بل الإتيان بها هو على

قصد عدم الجزئية، فهذه الفقرة ليست جزءاً من الأذان وإنّما هي جزء الإيمان.

وكان استلزام الاتيان بها للحاجة المقتضية لذلك، وذلك لأنّ الشيعة لاقت تياراً معاكساً شديداً استهدف الوقوف بوجه الحقّ، وكانت كافة وسائل الإعلام بيد خصومهم لسيطرتهم على زمام الاُمور، فمن هنا استوجب عليهم أن يستخدموا كافة الوسائل والأدوات الإعلامية التي لا يوجد فيها محذور شرعي، حتى يبيّنوا الحقائق التي شوهها الخصم في أوساط المجتمع، ويلقوا الحجّة على الناس في ذلك.

وقد شنّع أبناء العامة من قبل وإلى يومنا هذا على هذا، ولكن فاتهم بأنّ هذا الأمر لو يستحق التشنيع فعمر بن الخطاب هو أوّل من يشمله ذلك!، لأنّه أوّل من غيّر في فصول الأذان وأضاف اليه فقرة «الصلاة خير من النوم»، في حين كان أذان النبيّ ﷺ خال منها[1].

كما أنّه أسقط فقرة«حي على خير العمل»، فقال وهو على المنبر:

«ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن: متعة النساء ومتعة الحج و حي على خير العمل»[2]، مع أنّ هذه الفقرة كانت في أذان الرسول![3].

وكما ذكرنا أنّ الأذان عبادة توقيفية يجوز إضافة عبارة إليه لا على سبيل الجزئية لعدم شرط التوالي فيه، ولكن لا يجوز أبداً إسقاط فصل منه لأنّ ذلك

---

(١) أنظر: موطأ مالك: ١ / ٤٦، المصنف لعبد الرزاق: ١ / ٣٥٢ (١٨٣١)، المصنف لابن أبي شيبة: ١ / ١٨٩ (٢١٥٩) (٢١٦١)، سنن الدارقطني: ١ / ٢٤٣ (٤٠)، سنن الترمذي: ١ / ٢٤٠ (١٩٨).

(٢) أنظر شرح تجريد العقائد للقوشجي: ٣٧٤.

(٣) أنظر: السنن الكبرى للبيهقي: ١ / ٤٢٥ (١٨٤٤)، كنز العمال: ٨ / ٣٤١ (٢٣١٧٤).

سوف يخل بتشريعه من قِبل الله عزّوجلّ، ولكن عمر بن الخطاب لم يبالي بذلك.

وقد روي عن ابن أبي عمير أنّه سأل أبا الحسن عليه السلام عن «حي على خير العمل» لم تُركت من الأذان؟

فقال: تريد العلّة الظاهرة أو الباطنة؟

قلت: أريدهما جميعاً.

فقال: أمّا العلّة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد إتكالاً على الصلاة، وأمّا الباطنه فإنّ خير العمل الولاية، فأراد من أمر بترك حي على خير العمل من الأذان أن لا يقع حثّ عليها ودعاء إليها[1]!

ومع ذلك سار أبناء العامة على نهج عمر بن الخطاب، فإذا كان الأمر كذلك وأنّهم حذفوا من فصول الأذان وأضافوا عليه، فكيف لهم أن يشكلوا على غيرهم؟! وكيف لهم أن يستحسنوا أمراً لأنفسهم ويستقبحوه لغيرهم؟!.

وأمّا بالنسبة إلى التخلي عن ذكر الشهادة بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام في الأذان، الذي هو أمر مستحب في نفسه، لكن بعد أن أصبح شعاراً للإيمان ورمزاً للتشيع، فمن غير المناسب التخلّي عنه وتركه.

هل الشهادة الثالثة في الأذان بدعة؟

إنّ الذين يعترضون على الشيعة بأنّهم أبتدعوا في الأذان لا يهدفون سوى التهريج والتشنيع، لأنّ البدعة هو إدخال ما ليس من الدين فيه، والشيعة لم تعتبر الشهادة لعليّ عليه السلام بالولاية جزءاً من الأذان وجزءاً من التشريع ليكون ذلك بدعة، بل الشريعة لم تحرّم كلام اللغو بين فصول الأذان، فكيف يكون إتيان

---

(١) أنظر علل الشرائع للصدوق: ٢ / ٣٦٨، بحار الانوار للمجلسي: ٨٤ / ١٤٠.

كلام الحقّ بين فصوله أمراً محرماً!!.

كما أنّ الشهادة لعليّ عليه السلام بالولاية، شهادة كمل لنا الدين بها، ورضى الله لنا بها الإسلام، لقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1]، وذلك في غدير خم إذ نصبَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام وليّاً لهذه الأُمة من بعده، فنزلت هذه الآية، وقام عمر بن الخطاب فقال لعليّ عليه السلام:

بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي والولاية لعليّ عليه السلام[2].

مرحلة تحديد المصير العقائدي:

من هذا المنطلق وبعد البحث والتتبع يقول الأخ آتوماني:

«تبيّنت لي حقائق كثيرة، فوجدت أنّ معظم النشاط المعاكس الذي يقابل التشيع هو تهريج وتشنيع بعيد عن نهج الحوار العلمي، واتضح لي أنّ إتخاذ اسلوب البحث في أجواء علمية بعيدة عن حالة الإنفعال والتشنّج تبيّن للباحث حقائق علمية هائلة، بحيث تجعله يعيش بعقله روحية التشيع من دون أن يشعر، وهذا الأمر يدفعه للاستبصار، ولهذا آل أمري وأمر أستاذي إلى الاستبصار والانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام».

ويضيف الأخ آتوماني:

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) تقدّم ذكر مصادره وسيأتي تخريجه فراجع.

«كان استبصاري عام ١٩٩٥م في مدينة مدغشقر، واتجهت بعدها للعمل التوجيهي، فأصبحت داعية في سبيل العقيدة، ثم تكفلت رئاسة منظمة الشباب الطلابية الإسلامية في مدغشقر، ولازلت أبذل قصارى جهدي لأُبيّن الحقائق للناس، ولاسيما الشباب المثقف الذي يهتم بدينه وعقيدته، وبسبب اجادتي للّغة العربية والفرنسية إضافة إلى لغتي المحلية تمكّنت من توسيع نطاق نشاطي، وأسأل الله أن يوفّقني في سبيل إعلاء كلمة الحق ودحض حجج المبطلين».





❖ الحافظ محمد سعيد.

❖ ولد عام ١٩٧٢م مدينة كانو في نيجيريا.

❖ درس في المدارس الدينية على المذهب المالكي.

❖ اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٠م.

❖ لفت نظره إلى التشيع الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني الراحل قدس سره.

❖ أثر فيه الشيعة اللبنانيين المغتربين في نيجيريا فمن خلالهم عرف التشيع ونوّر الله طريقه بنور أهل البيت عليهم السلام.

الحافظ محمد سعيد

ولـد عـام ١٩٧٢م بمدينـة«كـانو» في نيجيريـا[1]، درس في المدرسـة الدينيّـة لأبناء العامة على المذهب المالكي.

اعتنـق مـذهب أهـل البيـت عليهم السلام عـام ١٩٩٠م في مسـقط رأسـه علـى اثـر مطارحات عقائديّة وتاريخيّة ودراسة متأنية لمذهب الشيعة الإماميّة.

التعرف على الشيعة:

يقـول الأخ حـافظ: «لم نكـن نعـرف الكـثير عـن الشـيعة والتشـيّع في بلـدنا بالرغم من أنّه يعج بالعديد من الطوائف والفرق الإسـلاميّة، والأمـر الـذي جعلنـا نلتفت إلى هذه الطائفة، هو قيام الثورة الإسلامة في«إيران» ـ بجهود وسعي علماء الشيعة ـ فتوجهت الأنظار نحو هذا البلد، وأخذ الناس يتحدّثون عـن الشيعة وعـن تـاريخ نشـأتهم ودورهـم في مسـار الأمـة الإسـلاميّة، ولكـن بشـكل ضـبابي وغـير دقيـق، ومـن ذلـك الحـين بـدأ التشـيّع يتّسـع في السـاحة الافريقيـة عمومـاً وفي«نيجيريا» على وجه الخصوص.

فأخـذتُ أتـردّد علـى بعـض أمـاكن الشـيعة اللبنـانيين، إذ كانـت لهـم مراسـيم إضافة إلى صلاة الجماعة والمحاضرات التوجيهيّة، متمثّلة بالدعاء ـ وهو مانفقده ـ فكنت أحضـر معهـم في ليـالي الجمـع لقـراءة دعـاء كميـل، فوجدتـه دعـاء عـالي

---

(١) نيجيريا: أنظر ترجمة رقم (٧).

المضامين، يتجلّى فيه التوحيد الخالص، ويحصل فيه للمؤمن الانقطاع التام إلى الله، والتوكّل الحقيقي عليه، والتعلّق العجيب به سبحانه، فراق لي الأمر فأكثرت من التردّد عليهم، حتى نشأت علاقة طيبة بيني وبينهم، فأهدوني بعض الكتب الشيعيّة.

مشكلة الفراغ العقائدي:

وبالرغم من انتمائي لإحدى المدارس الدينيّة وجدت نفسي غير قادر على استيعاب محتويات هذه الكتب ـ رغم بساطة طرحها ـ لأنّنا في الحقيقة لم ندرس سوى الفقه، ولم يكن لنا إلمام بالعقائد أو التاريخ أو...

فازدحمت في ذهني الأسئلة والاستفسارات، وقلت في نفسي: أين نحن من هذا التراث الضخم لهذه الطائفة؟! ثمّ لماذا نحن مبعدون عما في بعض كتبنا؟! ولم يكن أمامي سوى الشيعة لأسألهم عمّا في هذه الكتب.

ولحسن الحظّ كانت علاقتي بأحّد الأخوة اللبنانيين وطيدة، وكنت معجباً به لسعة ثقافته وحسن أخلاقه، فطلبت منه العون فيما كان غامضاً عليَّ، وبدأت أبحث معه في الأمور الخلافية بين الفريقين والتي يقرّ بها أبناء العامة أنفسهم.

وقد كانت كتب الفخر الرازي والسيوطي لا سيّما تفسيره الدرّ المنثور، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي، والإمامة والسياسة لابن قتيبة و... فضلا عن الصحاح، المرجع الذي أعود إليه في تأييد أو معارضة كلامه».

أضواء على غدير خم:

يضيف الأخ حافظ: «وبمرور الزمان تجلّت لي الحقائق لا سيما عند خوضنا لقضيّة الغدير، وكيف أنّ الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وكذا نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد هنّؤوا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسلّموا عليه بإمرة

المؤمنين !».

فقضيّة غدير خم من الأمور المسلّمة والمتواترة عند عامة المسلمين، ومفادها: أنّ الرسول الكريم ﷺ عندما قضى مناسك الحجّ في العام العاشر من الهجرة وانصرف راجعاً إلى المدينة تصحبه الجموع ـ المكوّنة من عشرات الألوف ـ وعامة المهاجرين والأنصار ونساء النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وصل إلى غدير ماء في الجحفة يقال له خم، فأمر المسلمين بحطّ رحالهم والإقامة حتى نودي بالصلاة جامعة ـ صلاة الظهر ـ وكان ذلك في الثامن عشر من ذي الحجّة، حيث الحرّ شديد حتّى أنّ الرجل يضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه، وما إن إنتهى ﷺ من صلاة قام خطيباً على منبر صنع من حدوج الإبل، رافعاً صوته... إلى أنّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورفعها ـ فرؤي بياض ابطيهما ـ وقد عرفه الحاضرون بأجمعهم، فقال: «... إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ قال: اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره وأخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب.

ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزل الأمين جبريل بقول الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾[1]، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي».

رواة حديث الغدير:

إنّ هذه الحادثة يرويها جمع من الصحابة: كأبي هريرة الدوسي، وأُبي بن

(١) المائدة: ٣.

كعب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي ذر الغفاري، وحسان بن ثابت، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص وغيرهم كثير[1].

وروته زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عائشة وأمّ سلمة.

ومن التابعين (٨٤) شخصاً، منهم: الزهري المدني، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي، وغيرهم[2].

ومن الرواة العلماء والحفّاظ (٣٦٠) عالماً من علماء القرون المختلفة، كأبي عبد الرحيم خالد بن يزيد الجمحي المصري، وطلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التميمي، والحافظ سفيان بن سعيد الثوري، وإمام الشافعيّة أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي، وإمام الحنابلة أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وعبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري وغيرهم[3].

وفوق هذا وذاك فإنّ من رواة حديث الغدير الشيخان نفسهما[4]!!

فقد أخرج ابن المغازلي في المناقب بطريقين، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[5].

وورد في (مودة القربى) لشهاب الدين الهمداني ـ الذي يقول في حقّة

---

(١) لقد أحصى العلاّمة الأميني في كتابه (١١٠) صحابي رووا هذا الحديث، أنظر: الغدير: ١ / ٤١ ـ ١٤٤.

(٢) أنظر: الغدير للأميني: ١ / ١٤٥ ـ ١٦٥.

(٣) أنظر: الغدير للأميني: ١ / ١٦٧ ـ ٣١١.

(٤) أنظر: كتاب الولاية لابن عقدة: ح ١، رسالة طرق حديث من كنت مولاه فعليّ مولاه للحافظ الذهبي، أسنى المطالب للجزري: ٤٨، مناقب عليّ ابن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ٢٧ (٣٩).

(٥) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٢ (٣١).

القندوزي الحنفي: «... الولي الكامل وصاحب الكشف والكرامات، زبدة السادات، وقدوة العارفين، مولانا ومقتدانا مير سيّد عليّ بن شهاب الهمداني قدّس الله أسراره ووهب لنا بركاته وأنواره»[١] ـ عن عمر بن الخطّاب، قال: «نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً علماً، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وأخذل من خذله وأنصر من نصره، اللهمّ أنت شهيدي عليهم.

قال عمر: يا رسول الله! وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيّب الريح، قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحلّه إلاّ منافق! فأخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر انّه ليس من ولد آدم، لكنّه جبرائيل أراد أن يؤكّد عليكم ما قلته في عليّ»[٢].

هذا بالاضافة إلى مصادر أخرى ذكرت رواية عمر لحديث الغدير[٣].

تهنئة الشيخين للإمام علي عليه السلام في غدير خم:

قد ذكر أئمة الحديث والتفسير والتاريخ من أبناء العامة تهنئة الشيخين للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إضافةً إلى ذكرهم تهنئة عامّة المهاجرين والأنصار وزوجات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبقيّة المسلمين والتسليم عليه عليه السلام بإمرة المؤمنين.

فقد أخرج ابن جرير الطبري في كتاب (الولاية) حديثاً بإسناده عن زيد ابن أرقم، في آخره أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «معاشر النّاس قولوا: أعطيناك على ذلك

---

(١) أنظر: ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ٢ / ٢٥٥.

(٢) مودّة القربى للهمداني: المودّة الخامسة.

(٣) أنظر الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٠٩ (٣٣٩)، مسند أحمد بن حنبل: ٤ / ٢٨١، ذخائر العقبى للطبري: ٦٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٤٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٥ / ١٥٢.

عهداً عن أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لانبغي بذلك بدلا، وأنت شهيد علينا، وكفى بالله شهيداً.

قولوا: ما قلت لكم، وسلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿**الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللهُ**﴾[1]، فانّ الله يعلم كلّ صوت وخائنة كلّ نفس ﴿**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[2]، قولوا ما يرضي الله عنكم فـ ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ**﴾[3].

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا، على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أوّل من صافق النبيّ ﷺ وعليّاً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزّبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي النّاس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً»[4].

وقال المؤرّخ ابن خاوند شاه في (روضة الصفا) ما ترجمته: «ثمّ جلس رسول الله ﷺ في خيمة تختصّ به، وأمر أمير المؤمنين عليّاً [عليه السلام] أن يجلس في خيمة أخرى، وأمر إطباق الناس بأن يهنئوا عليّاً في خيمته.

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الزمر: ٧.

(٤) أنظر: الغدير للأميني: ١ / ٥٠٨، نقلاً عن كتاب الولاية لابن جرير الطبري، وهذا الكتاب ذكره ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب، وكذا ابن كثير في البداية والنهاية، ونقل عنه الذهبي الكثير من الروايات في رسالته (طرق حديث من كنت مولاه).

ولمّا فرغ الناس عن التهنئة له أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهنّئنه ففعلن، وممّن هنّأه من الصحابة عمر بن الخطّاب، فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات»[1].

كما نقل تهنئة الشيخين الرواة من أئمّة الحديث والتفسير والتاريخ من أهل العامة، بين راو ومرسل له إرسال المسلمات، وبين راو إياه بمسانيد صحاح برجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة، ومنهم:

١ ـ الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة.

٢ ـ إمام الحنابلة أحمد بن حنبل.

٣ ـ الحافظ محمّد بن جرير الطبري.

٤ ـ الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي.

٥ ـ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي.

٦ ـ نور الدين بن الصبّاغ المالكي.

٧ ـ جلال الدين السيوطي.

هذا بالاضافة إلى عشرات الأساطين من أصحاب المصنفات[2].

الاهتداء إلى المحجة البيضاء:

ومن هذا المنطلق يقول الأخ حافظ: «كان لإحاطتي بواقعة الغدير دور كبير لمعرفة الحقائق المرتبطة بالتاريخ الإسلامي، والمسار الذي سار عليه المسلمون، ولذلك انتهى بهم الأمر إلى الحالة المأساوية التي تخبّطوا فيها نتيجة وقوع زمام الحكم بيد الأمراء الذين استعبدوهم واستضعفوا الشعوب، فغيّروا ما غيّروا من

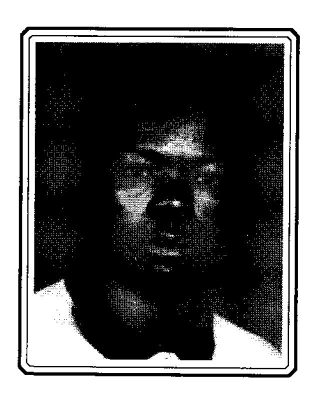
---

(١) تاريخ روضة الصفا: ٢ / ٥٤١، وأنظر: الغدير للأميني: ١ / ٥٠٩.

(٢) أنظر: الغدير للأميني: ١ / ٥١٠ ـ ٥٢٧.

أحكام ومفاهيم الإسلام ليميتوا بذلك روحه، وليجعلوه مجرّد طقوس دينيّة فارغة من روح العزّ والشموخ والإرادة التي يزرعها الإسلام في نفوس منتمية، وليحوّلوا بذلك المسلمين إلى أمّة مستضعفة يسيّروها حيثما شاؤوا وليتركوها إلى من بعدهم لتكون لعبة بيد الجبابرة والظلمة».

ويضيف: «فلم تجعل لي حادثة الغدير ـ التي أقرّ بها أبناء العامة أنفسهم ـ أيّ عذر، بل قطعت عليّ الطريق، وأوجبت عليّ اتّباع نهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونهج الأئمة الهداة من بنيه عليهم السلام، فسلكته وأنا على بيّنة من أمري والحمد لله ربّ العالمين، وكان ذلك في عام ١٩٩٥م في مدينة «كانو» النيجيرية».



❖ بشير سليم.

❖ ولد عام ١٩٧٦م بجزيرة الموزمبيق.

❖ تحول من المذهب الشافعي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٤م.

❖ تعرّف على التشيع في مدينة موبوتو ببلده موزمبيق.

❖ درس القرآن والتفسير.

❖ بدأت رحلته نحو التشيع من خلال زيارته في أحد الأيام للمقابر وهذه الأجواء مليئة بالمواعظ والعبر.

بشير سليم

ولد عام ١٩٧٦م بجزيرة الموزمبيق، ونشأ في بيئة تعتنق المذهب الشافعي، فسار على نهج الآباء منتمياً لهذا المذهب، واصل دراسته إلى حدّ الثانوية، ودرس القرآن والتفسير، ثم بادر بعد ذلك إلى سلك التعليم، فحمل على عاتقه مهمة تدريس الأطفال في منطقته.

شاءت الأقدار الإلهية التي رعته بألطافها منذ صغره أن ينبثق نور المعرفه في قلبه لينتمي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام عن بصيرة وفهم وإدراك في«موبوتو» ببلده موزمبيق[1] عام ١٩٩٤م.

زيارة القبور وآثارها التربوية:

تبدأ رحلة الأخ بشير العقائدية من زيارته في أحد الأيام للقبور، حيث قصدها لما فيها من آثار تربوية وأخلاقية تبعث الإنسان إلى تغيير منهجية سلوكه حين يرى ضيق وظلمة منزله الأخير الذي سوف يسكن فيه، فيرق عندها قلبه ويتذكر الآخرة.

وفي ذلك الموقف وفي مثل تلك الأجواء المليئة بالعبر والموعظة شاءت،

---

(١) موزمبيق: تقع في جنوب شرق افريقية وتطلّ على المحيط الهندي، يحدّها من الغرب مالاوي وزامبيا وزيمبابوي، يبلغ عدد سكانها قرابة (١٩) مليون نسمة، تتجاوز نسبة المسلمين فيها ٣٠٪، أمّا الباقي فمن المسيح والديانات الأخرى، وأكثر المسلمين من المالكية والشوافع، أمّا الشيعة فيشكلون نسبة ١٠٪ من المسلمين.

العناية الربانية بألطافها أن تفتح له نافذة النور.

فيقول الأخ بشير: «عندما كنت في المقبرة أقبل جمعٌ يحملون على أكتافهم جنازة، تحيطهم هالة من اللوعة والأسى والحزن، حتى جاؤوا بها إلى حفيرة قد أُعدّت من قبل، فوقفت عند ذلك القبر منكسراً باكياً، حتى اعترتني حالة من الكآبة لما شاهدت من منظر إنزال الجنازة في القبر وتسوية التراب عليها، فراجعت في تلك اللحظة نفسي وفكرت في أمري فشعرت بالندم على كل لحظة أضعتها فيما سبق من عمري، وتسويلي لنفسي وعدم اهتمامي بآخرتي، فبكيت على نفسي واستغفرت ربّي من سوء فعلي، وعزمت على إصلاح أمري وتطهير سريرتي».

ويواصل بشير حديثه قائلاً: «وبينما أنا في تلك الحالة إذ طلب أحد المرافقين للجنازة من الحضور مراعاة الهدوء ليشرع بتلقين الميّت، فانتبهت إليه وبدأت أُصغي إلى كلامه بوعي وتدبّر، فبدأ الشخص ينادي الميت باسمه وكأنّه يخاطب ضميري: يا فلان بن فلان! يرحمك الله اُذكر ما خرجت من الدنيا شهادة أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّد عبده ورسوله، وأنّك رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبالقرآن إماما[1]....

وما أن طرق سمعي هذا الكلام، عزمت من ذلك الحين أن أسلك طريق الجد والاجتهاد، والاهتمام بشؤون ديني، فشرعت من ذلك اليوم بطلب العلم وتلقي المعارف الدينية، لأرسّخ بذلك معتقدي الذي منه تنبثق فعالي ومنه يتبلور

---

(١) الجدير بالذكر أن جميع أبناء العامة ـ إلاّ الشوافع ـ لم يستنّوا بسنة الرسول ﷺ في مسألة تلقين الميت، وقد ذكر الشوكاني في نيل الأوطار كتاب الجنائز باب الدعاء للميت بعد دفنه: ما ذكره الرسول ﷺ في هذا المجال (٤ / ٩٧ ح ١٤٨٠)، وأنظر في هذا المجال: المعجم الكبير للطبراني: ٨ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩ (٧٩٧٩)، ومجمع الزوائد للهيثمي الجزء الأول والثاني.

سلوكي، فكان خطاب التلقين دائما يرنّ في أذني، وكنت أُردده دوماً لأُذكّر به نفسي لئلا تعود إلى غفلتها مرّة أخرى.

بداية رحلة البحث:

وبدأت أبحث عن المسائل الدينية التي جاءت في التلقين، وهي مسألة التوحيد والنبوّة والإمامة، وذلك للمأخذ الذي أخذه ذلك الموقف من نفسي، فشرعت بالبحث والاستقصاء العلمي، وكان لكل مسألة منها وقفة متأنية، حتى وصلت إلى مسألة القرآن وإتخاذه إماماً لنفسي، فراجعت العديدة من التفاسير، وكانت هذه المرحلة من أصعب المراحل في البحث، وذلك لأنّي واجهت فيها استفسارات وأسئلة كثيرة طفحت في ذهني، وكان من أهمها مسألة التأويلات والتفاسير المتعدّده للآيات.

مسألة تأويل القرآن:

ووجدت معظم الفرق تسعى لتطبيق الآيات وفق آرائها وأفكارها، وكل منها يحاول إخضاع القرآن لما يتلائم مع متبنياته ومعتقداته الخاصة، كما تسعى لتطبيق الآيات ومقاصد القرآن وفقاً لآرائه وميوله.

وهكذا وجدت معظم الفرق تجرّ الآيات إلى مبتغياتها، ثم تجتهد لتحيك بعدها المبرّرات وتصوغ الحجج لإثبات ما ذهبت إليه، من ذلك تجلّى لي أنّ القرآن حمال لوجوه ومعاني متعدّدة، ولايسعه أن يكون لوحده إماماً يصون الأُمة من الانحراف والتفرّق والضياع، بل لابدّ له من مبيّن ومفسّر الكثير من آياته، ويحتاج إلى من يوضّح معانيه ومقاصده».

في الحقيقة أنّ مسألة فهم القرآن وتفسيره وتأويله، قضية أساسية يتوقف عليها سلامة الفكر الإسلامي وصحة العقيدة، وذلك لأنّ أي إنحراف أو قصور أو

تقصير في فهم القرآن وإكتشاف الحقائق التشريعية والعقائدية المختزنة فيه وإستنباط أحكامه ومفاهيمه، يؤدي إلى الإنحراف والتفرّق وضياع الأصالة والنقاء الإسلامي.

مهمة تأويل القرآن بعد الرسول ﷺ:

إنّ تفسير القرآن وتأويله هي من المسائل التي كان الرسول ﷺ يقوم بها في زمانه، لأنّه لم يكن مجرد تال للقرآن، بل كان يبيّن للناس ما أُنزل إليهم كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وكان ﷺ يدرك كنه أهمية هذه المسالة ومدى ضرورتها للمجتمع من بعده، كان يحرص على أن لا يترك أُمته من دون قاعدة ترتكز عليها.

ولذا نجده ﷺ قد أكدّ في مواقف عديدة على مسألة التمسّك بالعترة وملازمتها للقرآن، كما قال ﷺ في حديث الثقلين: «تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2]، فقرن ﷺ العترة بالقرآن وجعل التمسك بهما عصمة من الضلال، ومعنى ذلك أنّ التمسك بالقرآن دون العترة لايعصم من الضلال، بل يؤدي إلى الوقوع في الاختلاف والتفرّق والانحراف.

وهذا الحديث مشهور وصحيح وثابت قد بلغ حدّ التواتر، وأخرجه المحدثون من الفريقين الشيعة والسنّة، ورواه أبناء العامة في صحاحهم

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) أنظر: مسند أحمد: ٣ / ١٧ (١١١٤٧)، سنن الترمذي: ٦ / ١٢٥ (٣٧٨٨)، مشكاة المصابيح للتبريزي: ٣ / ٣٧١ (٦١٥٣)، وقد مرّ سابقاً.

ومسانيدهم عن ما يزيد من ثلاثين صحابياً[1].

ومسألة تلازم القرآن مع العترة من المسائل التي حاول الرسول ﷺ أن يحافظ عليها صيانة للشريعة الإسلامية من الإختلاف والتمزّق، ولكن المنهجية التي إتخذها الحكام الذين استولوا على زمام الحكم من رفع شعار «حسبنا كتاب الله»[2] وعزل العترة عن مواقعهم التي عيّنها الله لهم، جعلت المجتمع عرضة للإختلافات، تتلاعب به أمواج الفتن والضلالة، نتيجة ترك السفينة المنجية التي عينها رسول الله ﷺ: «ألا إنّ مَثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[3].

الطريق الصحيح لسدّ باب الاختلاف:

إذا كان لابد للمسلمين أن يتحرّزوا من الضلال، كان عليهم أنّ يتمسكوا بأهل البيت عليهم السلام والقرآن معاً، فإنّ الأمة الإسلامية لا يمكنها البلوغ إلى العزّ والسؤدد والوصول إلى المنازل الرفيعة التي توخاها الإسلام إلاّ بالتمسك بكلا

---

(١) للمزيد من الاحاطة في هذا البحث راجع: كتاب «مع الصادقين» للدكتور محمّد التيجاني السماوي ص ١١٥، وهو من الكتب التي تأثر بها الأخ بشير في اعتناقه لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

(٢) هذه المقولة أوّل من طرحها هو عمر بن الخطاب في مرض وفاة الرسول ﷺ حينما طلب ممن في حجرته أن يأتوا له بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فرد عليه عمر قائلاً: حسبنا كتاب الله.

(٣) أنظر: المستدرك للحاكم: ٣ / ١٦٣ (٤٧٢٠)، فرائد السمطين: ٢ / ٢٤٦ (٥١٩)، ينابيع المودّة للقندوزي: ١ / ٩٤، أمالي الطوسي: ٦٠ (٨٨)، ٧٣٣ (١٥٣٢)، كمال الدين: ٢٣٩ (٥٩)، الإحتجاج للطبرسي: ١ / ٣٦١، كتاب سليم بن قيس: ٢ / ٩٣٧، المناقب لابن المغازلي: ١٣٢ ـ ١٣٤، حلية الأولياء لأبي نعيم: ٤ / ٣٠٦، المعجم الأوسط للطبراني: ٤ / ١٥٣ (٥٥٣٦).

الثقلين.

ومن هنا كان أهل البيت عليهم السلام يحاولون دوماً إتمام الحجّة على الناس بتذكيرهم بهذا الأمر، ومثال ذلك كلام الإمام الصادق عليه السلام في المناظرة التي جرت عنده بين هشام بن الحكم والرجل الشامي، حيث سأل هشام الرجل الشامي قائلاً:

«أخبرني يا هذا! أربّك أنظر لخلقه، أم خلقه أنظر لأنفسهم؟

فقال الشامي: بل ربّي أنظر لخلقه.

قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟

قال: كلّفهم وأقام لهم حجّة ودليلاً على ما كلّفهم به، وأزاح في ذلك عللهم.

فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟

قال الشامي: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال هشام: فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من؟

قال: الكتاب والسنة.

فقال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما إختلفنا فيه، حتى رفع عنا الاختلاف، ومكّننا من الإتفاق؟

فقال الشامي: نعم.

قال هشام: فلم اختلفنا نحن وأنت، جئتنا من الشام تخالفنا، وتزعم أنّ الرأي طريق الدين، وأنت مقرّ بأنّ الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟

فسكت الشامي كالمفكّر.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: مالك لا تتكلّم؟

قال: إن قلت: إنّا ما إختلفنا كابرت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنة يرفعان

عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه، ولكن لي عليه مثل ذلك.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سله تجده مليّاً!

فقال الشامي لهشام: من أنظر الخلق، ربّهم أم أنفسهم؟

فقال: بل ربّهم أنظر لهم.

فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبيّن لهم حقّهم من باطلهم؟

فقال هشام: نعم.

قال الشامي: من هو؟

قال هشام: أمّا في ابتداء الشريعة فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فعترته.

قال الشامي: من هو عترة النبيّ القائم مقامه في حجته؟

قال هشام: في وقتنا هذا أم قبله؟

قال الشامي: بل في وقتنا هذا.

قال هشام: هذا الجالس - يعني أبا عبد الله عليه السلام - الذي تشدّ إليه الرِّحال، ويخبرنا بأخبار السماء، وراثة عن أبيه عن جدّه.

قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟

فقال هشام: سله عمّا بدا لك.

قال الشامي: قطعت عذري، فعليَّ السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أنا أكفيك المسألة يا شامي، أخبرك عن مسيرك وسفرك، خرجت يوم كذا، وكان الطريق كذا، ومررت على كذا، ومرّ بك كذا، فأقبل الشامي كلّما وصف له شيئاً من أمره يقول: صدقت والله.

ثم قال الشامي: أسلمت لله السّاعة!

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان عليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون.

قال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّد رسول الله، وأنّك وصيّ الأنبياء»[1].

من هذا يتجلّى لنا أنّ التمسك بالعترة هو الحلّ الوحيد لسدّ أبواب الاختلاف، ومنه الاختلاف في تفسير القرآن و تأويله.

ولو أخذ علماء الأمة الإسلامية بمنهج أهل البيت عليهم السلام في التفسير، والتزموا بالأسس والقواعد والضوابط التي جاء بها أهل البيت عليهم السلام في تفسير كتاب الله عزّوجلّ، لقدروا أن يؤدّوا التفسير بدقة وسلامة ولأغنوا بذلك دنيا الإنسانية بالمعاني والأفكار والأحكام، ولم يقعوا في الضياع والتخرّص والقول بالرأي والخضوع لهوى النفس.

حجية ظواهر القرآن:

لايخفى أنّ تفسير الكتاب العزيز وشرح مقاصده وأهدافه، وكشف رموزه وأسراره، لايعني عدم حجّية ظواهر القرآن للناس، لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يتفرد في إفهام مقاصده بطريقة خاصة، ولم ينتهج في بيانه اسلوباً غريباً عن الأذهان، وإنّما كلّم الناس بما يألفون من أساليب التفهيم والكلام، وإنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالقرآن لقومه ليفهموا معانيه وليدبروا آياته.

وقد ذم الله سبحانه من يعطّل تفكيره ومن لا يتدبّر القرآن، بقوله تعالى: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفالُها﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿هذا بَيانٌ لِلنّاسِ**

(١) أنظر: الإحتجاج للطبرسي: ٢ / ٢٧٩ ـ ٢٨٢.

(٢) محمّد: ٢٤.

وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2]، وإلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب العمل بما في القرآن ولزوم الأخذ بما يفهم من ظواهره.

والمهم في هذه المسألة هو معرفة المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وقد خصّ الله عزّوجلّ الإحاطة بها حججه وسفرائه في الأرض، وهم عترة الرسول ﷺ الذين اصطفاهم تعالى ليكونوا ورثة الكتاب وحملة علم الرسول ﷺ، وعناهم بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[3].

فالمشكلة في الأمر هي مسألة المتشابة، التي يتخذها الذين في قلوبهم مرض فرصة لابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال: «إنّما هلك الناس في المتشابه، لأنّهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء»[4].

---

(١) آل عمران: ١٣٨.

(٢) الدخان: ٥٨.

(٣) آل عمران: ٧.

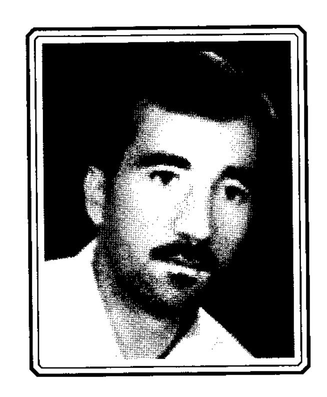
(٤) أنظر: وسائل الشيعة للحر العاملي: ٢٧ / ٢٠١ باب ١٣ (٣٣٥٩٣).

التحرر من الانقياد الأعمى:

يقول الأخ بشير سليم بعد خوضه هذه الأبحاث: «إنّ هذه المسألة وفّرت لي بداية إنطلاقة في البحث الذي منه غيّرت مسير إتجاهي العقائدي، ولذلك سافرت إلى العاصمة«موبوتو»، ودخلت مدرسة أهل البيت عليهم السلام لأتعرّف بصورة كاملة على مذهب الإمامية، فتتلمذت على يد أحد المبلغين العراقيين المقيمين في«موزمبيق» لأجل التبليغ، وبعد مضي سنة واحدة من البحث والتحرّي والتتبع تبلورت صورة الفكر الشيعي في ذهني، بشكل نشأت منها القناعة في نفسي لدقتها ووضوحها وصدقها، ولم تمض مدّة حتى وجدت قلبي ينبض بمحبّة أهل البيت عليهم السلام، ووجدت لساني يلهج بذكرهم وفضائلهم».

ويضيف الأخ بشير: «بدأت حياتي الجديدة بعد ذلك برؤية ومنهجية سلوكية أُخرى تلقيتها من أهل بيت رسول الله عليهم السلام، الذين هم خزنة علم الله، وتراجمة وحيه، وحججه على أرضه.

وهكذا اجتزت عقبات هذه الرحلة الشاقة بعون الله، لأصل في نهاية المطاف إلى العقيدة الراسخة التي لم أرثها من الآباء».



❖ جبار لطيف العزاوي.

❖ ولد الأخ جبار لطيف العزاوي بمدينة بغداد عام ١٩٦٦ في العراق.

❖ ولد من أب حنفي المذهب وأم شيعية المذهب.

❖ خريج المرحلة المتوسطة في المدارس الأكاديمية.

❖ كان لوالدته الأثر كبير في تشييعه بسبب زياراتها للأماكن المقدسة في العراق فتأثر هذا الشاب في تلك الأجواء فاندفع يبحث عن الحقيقة فعرفها ببصيرة.

جبار لطيف العزاوي

المولد والنشأة

ولد الاخ جبار لطيف العزاوي بمدينة بغداد عام (١٩٦٦م) في العراق. وقد ولد من أب حنفي المذهب وأم شيعية المذهب.

خريج المرحلة المتوسطة في المدارس الاكاديمية.

أجواء الأسرة

يقول الاخ جبار (منذ الصغر كانت والدتي تصطحبني معها لزيارة العتبات المقدسة لأهل البيت (سلام الله عليهم)، لكني لم اكن اعرف معناهم أوحقيقتهم عليه السلام، وكنا في شهر محرم الحرام نتوشح بالسواد، ولا أعلم سوى أن الامام الحسين عليه السلام: قتل شهيداً، مظلوماً، عطشاناً، غريباً، وان القتلة هم: شمر، ويزيد ابن معاوية.

كانت والدتي تذكر أحقيّة الإ علي عليه السلام للخلافة بع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعندما يسمع ابي عباراتها يغضب ويحتد بينهما النقاش، وكنا نسمع ما يدور.

كنت اسأل نفسي: ما هي الخلافة؟ ومن هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولماذا يغضب ابي عند سماع كلامها؟!

لكن ابي كان يحدثنا عن الخلفاء الثلاثة، وان امر الخلافة يعود من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليهم لا الى غيرهم!!! واخذت هذه الفكرة تنمو في داخلي).

هذه هي الاجواء التي كانت تعيشها اسرته، ولأن طرفي الجدال لم يكن لهما إلمام تام بحيثيات التاريخ والعقائد الاسلامية، بقي الأمر غامضاً بالنسبة للأولاد، حتى الصلاة! كان الوالدان مختلفان فيها! فمن أين يأخذ الاخ جبار عمود دينه؟!!!

رب ضارة نافعة!

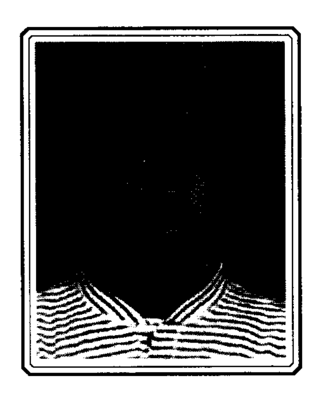
ومضت الايام وكبر الاخ جبار لطيف العزاوي، وشاءت الاقدار الالهية ان يترك بلده العراق ويتغرب ويستقر به المطاف في ايران، وهناك التقى بعدد من الاخوة العراقيين - سنة وشيعة - ودار حوار بينه وبين أحد الشيعة حول الصلاة وكيفيتها، وبعدها مباشرة دار حوار آخر بيئة وبين أحد السنة ولأن الموروث الذي اخذه عن ابيه كان اكثر، تأثر بكلام السني واخذ يصلي مثلما يصلي ابوه.

بعد فترة رآه أحد الشيعة يصلي بتلك الكيفية فحاوره حواراً موضوعياً أثر في نفسه، ثم اخذه الى أحد الاخوة الواعين والمثقفين وكان حوله عدد من الاخوة السنة يستمعون الى حديثه وقد انشدّوا اليه. أخذ الاخ جبار الحضور اليومي عند هذا الشخص.

نقطة التحول

وكان هذا الرجل يستعرض مناقب اهل البيت عليهم السلام وفضلهم وجهادهم والحيف الذي لحق بهم، داعماً كلامه بالروايات من المصادر المختلفة، وكانت جراء ذلك تجري حوارات ومناظرات علمية للخروج بنتيجة. وشيئاً فشيئاً بدأت فكرة الاستبصار تتبلور وتنمو، اذ الحقائق مكشوفة وواضحة كالشمس ولا مجال لإخفائها الا بالعناد والمكابرة - وهذا ليس شأن طلاب الحقيقة - وهنا حدثت

الانعطافة الكبرى في حياته وتبددت غيوم الحيرة التي كانت تغطي اجواء اسرته، وعرف لماذا كانت امه تتصرف هكذا وما الداعي لغضب ابيه، فأمه موالية لعلي ابن ابي طالب عليه السلام، في حين ان اباه يميل الى مناوئيه - وهو وجد اباءه وعلى اثارهم اقتدى! - وهكذا استنار بنور الحق واعتنق مذهب اهل البيت عليهم السلام.



❖ تيرنو بو بكر.

❖ ولد عام ١٩٧٣م بإقليم (كاي) في جمهورية مالي.

❖ تلقى الدروس الدينية للمذهب المالكي على يد والده لمدة عشر سنوات.

❖ تشرف وتحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٠م في مدينته (كاي).

❖ لفتت انتباهه إلى التشيّع جدّه الذي قرأ كتاب المراجعات منذ عشرين سنة فقدمه لابن أخيه هدية فكانت الهداية والبصيرة.

تيرنو بو بكر

ولد عام ١٩٧٣م بإقليم«كاي» في جمهورية مالي[١]، تلقى الدروس الدينيّة للمذهب المالكي على يد والده مدّة عشر سنوات.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٠م في مدينته«كاي».

الخطوة الأولى للهداية:

يقول الأخ تيرنو: «إنّ أوّل من لفت إنتباهي نحو مذهب الشيعة الإماميّة هو جدّي، وذلك عندما أهداني كتاب (المراجعات)، ووجود مثل هذا الكتاب في مكتبة جدّي أمر غير مستبعد، لأنّه كان قد استبصر قبل أكثر من عشرين عاماً على يد أحد السادة العلماء في موسم الحجّ، وقام بعدها بجمع الكتب المحتوية على مثل هذه الأبحاث، ليستفيد منها في مناظراته ومحاوراته مع أبناء المذاهب الأخرى.

فشرعت بعدها بمطالعة الكتاب، وإذا بي أنجذب إليه وأتفاعل مع ما أورده مؤلّفه من أدلّة مستخرجه من أُمّهات كتب أبناء العامة، وبدأت الأسئلة والاستفسارات تتراكم في ذهني لصحّة ما يدّعيه مؤلّف الكتاب، والذي أصبح بالنسبة لي كارثة حقيقيّة، لأنّي كنت لا أرى معتقداً مستقيم الطريقة كمَذهب الإمام مالك.

---

(١) جمهورية مالي: أنظر ترجمة رقم (٢).

وكنت خلال هذه الفترة أيضاً متحمساً للالتحاق بجامعة الأزهر بمصر لأجل مواصلة الدراسة، إلاّ أنّ جدّي حثّني على الانتساب لأحّد المعاهد أو المدارس الشيعيّة لأتعرف على التشيّع، لأميّز بعدها صحّة معتقدهم أو بطلانه، فاستحسنت ذلك خصوصاً بعد مواجهة صعوبات منعتني من السفر إلى«مصر»، فسافرت إلى«غانا» لأواصل دراستي في المعهد العالمي للعلوم الدينيّة.

مواجهة الحقائق المرة:

قضيت في المعهد المذكور ثلاثة أشهر، ثمّ عدت بعدها إلى بلدي لعدم ثبوتي فيه بشكل رسمي، ولكن كانت هذه المدّة القليلة سبباً لإطّلاعي على عدد من المسائل العقائديّة والفقهية والتاريخية الشيعية، مما جعلني أقارن بين الفريقين، إلاّ أنّني لم أصل إلى نتيجة حاسمة، فصمّمت على البحث لأدرك الحقّ فأتبعه.

وبالفعل عكفت على مطالعة الكتب الموجودة في مكتبة والدي، وأخذت أقرؤها بدقّة وإمعان، فتكشّفت لي أموراً لم تخطر على بالي من قبل، إذ لم أكن أتصوّر أنّ هناك من يناقش في خلافة أبي بكر، ولم أتوقّع أنّ هناك عدداً من الصحابة وفي مقدّمتهم بني هاشم - بالخصوص أهل بيت النبوّة عليهم السلام - إمتنعوا عن بيعته، بل أنكروا على أبي بكر تولّيه لهذا المنصب! فجعلتني هذه الأمور أتأمّل في إنتمائي للمذهب المالكي.

الجمع بين الصلاتين:

بعد ذلك قرّرت الشروع بالبحث في القضايا الفقهية، وأوّل مالفت انتباهي في هذا المجال هو اختلافنا مع الشيعة في الجمع بين صلاتي الظهرين والعشائين.

فقلت في نفسي: لعلّي أجد فجوة يمكن من خلالها الحصول على

مستمسك لإبطال أدلّة الشيعة.

فرجعت إلى الصحاح وإذا بي أجد مسلم والبخاري وغيرهما يوردان عدّة أحاديث صحيحة حول جمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة بدون عذر».

ومن هنا يستغرب الباحث حينما يجد أغلبية أبناء العامة يشنّعون على الشيعة في هذه المسألة، وذلك لأنّهم إنفردوا تطبيقيّاً في الجمع بين الصلاتين، وذهبوا إلى جوازه مطلقاً بلا خلاف بينهم، بل الجمع عندهم من البديهيات! فلا تجد لهذه المسألة عنواناً منفرداً في فقههم، وهم يعملون به في جميع الآفاق وفق منهج أئمّتهم عليهم السلام، الذي ساروا عليه إتباعاً لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

في حين جوّز غيرهم الجمع في حالات خاصّة، فنلاحظ أنّ (مالك والشافعي وأحمد) قد جوّزوا الجمع في السفر والمطر و... على تفصيل عندهم[١]، في حين منع أبو حنيفة ذلك.

وممّا اتّفق عليه الفريقان هو الجمع بين الظهر والعصر في عرفة، وبين المغرب والعشاء في المزدلفة.

مواقيت الصلاة في القرآن:

أوّلاً: قوله تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** ﴾[٢].

يقول الفخر الرازي وهو أحد أعلام المفسّرين من أبناء العامة: «... فإن فسّرنا الغسق بظهور أوّل الظلمة كان الغسق عبارة عن أوّل المغرب، وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال، ووقت أوّل المغرب،

---

(١) أنظر: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ٢ / ٤٨٣.

(٢) الإسراء: ٧٨.

ووقت الفجر، وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر، فيكون هذا الوقت مشتركاً بين الصلاتين، وأن يكون أوّل المغرب وقتاً للمغرب والعشاء، فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين، فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً.

إلاّ أنّه دلّ الدليل على أنّ الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز، فوجب أن يكون الجمع جائزاً بعذر السفر وعذر المطر وغيره»[1].

وعلى عادة الفخر الرازي في عدم استثمار النتائج، وتنكره لصحتها، مع كامل اعترافه الصريح بدلالة الآية على جواز الجمع، يفضّل التشبّث ببعض الروايات الملائمة لهواه على النصّ القرآني الصريح!.

أمّا البغوي فيقول: «والحمل ـ أي الدلوك ـ على الزوال أولى القولين، لكثرة القائلين به، ولأنّا إذا حملنا عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلّها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر، وإلى غسق اللّيل يتناول المغرب والعشاء، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح...»[2].

وأخرج أبو بكر أحمد بن عبد الله الكنّدي في موسوعته الفقهيّة عن النبيّ ﷺ قوله في تفسير ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ... ﴾: «﴿دُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: يعني زوالها»، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «صلاة الأولى والعصر، و ﴿غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: يعني ظلمة الليل ـ أي ـ صلاة المغرب والعشاء، و ﴿قُرءَانَ الفَجْرِ﴾ يعني صلاة الغداة» وهي صلاة الصبح[3].

---

(١) أنظر: التفسير الكبير: ٧ / ٣٨٤.

(٢) أنظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي): ٣ / ١٢٨.

(٣) أنظر: المصنّف للكندي: ٥ / ٣٢٥.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[1].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: «لم يختلف أحّد من أهل التأويل في أنّ الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة... قوله تعالى ﴿طَرَفَيِ النَّهَارَ﴾، قال مجاهد: الطرف الأوّل صلاة الصبح، والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر، واختاره ابن عطيّة... وقيل: الطرفان الظهر والعصر، والزلف المغرب والعشاء»[2].

وفي تفسير ابن كثير، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارَ...﴾: «قال: هي الصبح في أوّل النهار، والظهر والعصر مرةً أخرى...» وقال الحسن في رواية ابن المبارك، عن مبارك بن فضاله، عنه: ﴿ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ يعني المغرب والعشاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هما زلفا الليل، المغرب والعشاء»، وكذا قال مجاهد، ومحمد بن كعب، وقتادة، والضحاك: انّها صلاة المغرب والعشاء»[3].

فهذه الآيات وأقوال المفسّرين قد دلّت بصراحة على أنّ أوقات الصلاة ثلاثة، وهذا يعني أنّ جمع الصلاة عند الشيعة الإماميّة موافق لكتاب الله عزّوجلّ!

جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة:

قد جمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء في المدينة ـ أي أنّه كان حاضر وغير مسافر ـ ولم يكن هناك عارض من مطر أو مرض أو

(١) هود: ١١٤.

(٢) أنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩ / ١٠٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٤٥٨.

غيرها، وهو مرويٌّ في المتون لا سيّما الصحيحين، ومنها:

١ ـ أخرج مسلم: عن ابن عباس قال: «صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء في غير خوف ولا سفر»[1].

٢ ـ وعنه، قال: «أنّ رسول الله ﷺ صلّى بالمدينة سبعاً وثمانيا، الظهر والعصر، والمغرب والعشاء»[2].

٣ ـ وعنه، قال: «صلّيت مع النبيّ ﷺ ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً ـ قال عمرو بن دينار ـ قلت: ياأبا الشعثاء أظنّة أخّر الظهر وعجّل العصروأخّر المغرب وعجّل العشاء، قال: وأنا أظنّ ذلك»[3].

٤ ـ وعن عبد الله بن شقيق، قال: «خطبنا ابن عبّاس يوماً بعد العصر حتّى غربت الشمس وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون الصلاة.. الصلاة.. قال: فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني، الصلاة.. الصلاة، قال: فقال ابن عباس أتعلمني بالسنّة لا أمّ لك؟! ثمّ قال: رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، قال عبد الله ابن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شئ، فأتيت أبا هريرة فسألته فصدّق مقالته»[4].

٥ ـ وعنه أيضاً: «قال رجل لابن عبّاس: الصلاة، فسكت. ثمّ قال: الصلاة، فسكت. ثمّ قال: الصلاة، فسكت. فقال ابن عبّاس: لا أُمّ لك، أتعلّمنا

(١) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٨٩ (٧٠٥).

(٢) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩١ (٧٠٥).

(٣) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩١ (٧٠٥)، وأنظر: مسند أحمد: ١ / ٢٢١ (١٩١٨)، المصنّف لابن أبي شيبة: ٢ / ٢٠٩ (٨٢٢٧).

(٤) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩١ (٧٠٥)، وأنظر: مسند أحمد: ١ / ٢٥١ (٣٢٩٣).

بالصلاة؟! كنّا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله ﷺ»[1].

٦ ـ وعن ابن عبّاس، قال: «صلّى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً بالمدينة من غير خوف أو سفر. قال أبو الزبير: فسألت سعيد لم فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس كما سألتني، فقال: أراد أن لا يحرج أحداً من أُمته»[2].

٧ ـ وعن معاذ بن جبل، قال: «جمع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء. قال: فقلت: ما حمله على ذلك؟ فقال: أراد أن لا يحرج أمّته»[3].

٨ ـ وفي حديث أبي معاوية: «قيل لابن عبّاس: ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أُمّته»[4].

٩ ـ وذكر البخاري عن ابن عبّاس: «صلّى النبيّ ﷺ سبعاً جميعاً، وثمانياً جميعاً»[5].

١٠ ـ وأخرج أيضاً بسنده عن أبي أمامة قوله: «صلّينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر، ثمّ خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلّي العصر! فقلت: ياعم ما هذه الصلاة التي صلّيت؟ قال: العصر، وهذه صلاة رسول الله ﷺ التي كنّا نصلّي معه».

---

(١) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩٢ (٧٠٥)، وأنظر: المصنّف لابن أبي شيبة: ٢ / ٢١٠ (٨٢٣١).

(٢) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩٠ (٧٠٥)، وأنظر: المصنّف لابن أبي شيبة: ٢ / ٢١٠ (٨٢٣٠).

(٣) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩٠ (٧٠٦)، وأنظر: المصنّف لابن أبي شيبة: ٢ / ٢٠٩ (٨٢٢٨).

(٤) صحيح مسلم (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر): ١ / ٤٩٠ (٧٠٥).

(٥) صحيح البخاري (باب وقت المغرب): ١ / ٢٠٦ (٥٣٧).

١١ ـ وأخرج مالك في موطئه عن ابن عباس: «صلّى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، في غير خوف ولا سفر»[١].

١٢ ـ وأخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس أنّه قال: «صلّى رسول الله ﷺ في المدينة مقيماً غير مسافر سبعاً وثمانياً»[٢].

١٣ ـ وفي رواية قيس، قال: «حدّثني صالح مولى التوأمة عن ابن عبّاس قال جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في غير مطر ولا سفر، قالوا: يا أبا عباس ما أراد بذلك؟ قال: التوسّع على أمّته»[٣].

وغير ذلك من الروايات التي ذكرت جمع النبيّ ﷺ لصلاتي الظهر والعصر وصلاتي المغرب والعشاء من غير اضطرار[٤].

وبالجملة، إنّ علماء العامة ـ القائلين بجواز الجمع وعدمه ـ متّفقون على صحّة هذه الأحاديث وظهورها، وتعليقاتهم خير دليل على ذلك! وحسبك ما نقله النووي في (شرحه لصحيح مسلم)، والزرقاني في (شرحه لموطأ مالك)، والعسقلاني والقسطلاني وزكريا الأنصاري في شروحهم لصحيح البخاري، وسائر من علّق على أيّ كتاب من كتب السنن المشتمل على أحاديث عبد الله بن عبّاس في الجمع بين الصلاتين.

أسباب الجمع بين الصلاتين:

إنّ الأحاديث التي روتها الصحاح، كحديث ابن عبّاس: «... أراد أن لا يحرج أحداً من أمّته»، وحديث معاذ بن جبل: «... أراد أن لا يحرج أمّته»

---

(١) صحيح البخاري (باب وقت العصر): ١ / ٢٠٢ (٥٢٤).

(٢) موطأ مالك (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر): ١ / ٩٣ (٢).

(٣) مسند أحمد: ١ / ٢٢١ (١٩٢٩).

(٤) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٣ (١٩٥٣).

صريحة في بيان العلّة، فجمع النبيّ ﷺ بين صلاتي الظهرين وصلاتي العشائين، هو للتوسعة على الأُمّة وعدم إحراجها بإلتزام التفريق، رأفة بأهل المشاغل ـ وهم أغلب الناس ـ لأنّ التفريق لا يتيسر لكلّ واحد، وإنّ التزام التفريق بين الصلوات قد يجعل البعض متوجهاً للصلاة على مضض.

ولقد جرت حكمة الله تعالى بتشريع الجمع على لسان نبيّه ﷺ، ومن خلال فعله المبارك، فلماذا ينكر المخالفون أمر الله وسنّة رسوله ﷺ؟! ولماذا يتأوّلون هذا التشريع ويتركون غيره؟!، فالجمع ميسور لكلّ إنسان، ولا يتنافى مع الشرع الصحيح، ويقبله العقل والذوق السليم، فهو يتماشى مع القرآن، ويهتدي بالسنّة.

وقد اتّفقت مرويّات أهل البيت عليهم السلام مع الآيات المباركة التي ذكرت في مورد الاستدلال، والأحاديث الشريفة.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «أنّ رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر بأذان واقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علّة بأذان واحد واقامتين»[1].

وعنه أيضاً عليه السلام، قال: «صلّى رسول الله ﷺ بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علّة، وصلّى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل الشفق في غير علّة في جماعة، وإنّما فعل رسول الله ﷺ ليتّسع الوقت على أمّته»[2].

هذا بالإضافة إلى أحاديث كثيرة مرويّة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا

---

(١) أنظر: وسائل الشيعة للحر العاملي: ٤ / ٢٢٠ (٤٩٧١).

(٢) أنظر: الكافي للكليني: ٣ / ٢٨٦، وسائل الشيعة للحر العاملي: ٥ / ٢٢٢ (٤٩٧٨).

المجال[1].

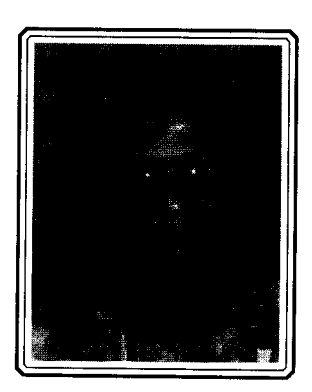
الهداية إلى سبيل الرشاد:

ومن هذا المنطلق يقول الأخ تيرنو: «بدا لي واضحاً أنّ التشنيع الذي كنّا نسمعه حول الشيعة، لا أساس له من الصحّة، فصلاتهم صلاة النبيّ ﷺ، ووضوؤهم وضوؤه و....

وكان للحوادث التاريخيّة والمصاعب التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام أكبر الأثر في تغيير مساري الفكري والديني والاتّجاه نحوهم، فوجدت أنّ حقّهم مسلوب، وحرمتهم منتهكة، ولم تراع فيهم وصيّة رسول الله ﷺ، حتّى سرى الاضطهاد إلى أشياعهم وأتباعهم، وشوّهت صورتهم وصورة نهجهم، لكن الحقّ يعلو ولا يعلى عليه، وعلى هذا الأساس قرّرت اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام والسير في طريقهم، فأعلنت تشيّعي في بلدي عام ١٩٩٠م».

---

(١) أنظر: وسائل الشيعة للحر العاملي: ٤ / ٢١٨ ـ ٢٢٣.



❖ حسين سورابي.

❖ ولد عام ١٩٧٤م في بوركينا فاسو.

❖ درس المذهب المالكي لمدة ثماني سنوات.

❖ مدرساً في مجال العقائد والعلوم القرآنية والفقه.

❖ تحول لمذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٤م في مدينة (باسام) بساحل العاجل على أثر مجموعة من الأبحاث والدراسات أجراها بغية الوصول إلى العقيدة الصحيحة.

حسين سورابي

ولـد عـام ١٩٧٤م في بوركينافاسـو[1]، ترعـرع في أُسـرة تعتنـق المـذهب المالكي، وقضى مدّة ثمان سنوات في الدراسة الدينية لهذا المذهب، ثم أصبح مدرساً في مجال العقائد والعلوم القرآنية والفقه.

تشـرّف باعتنـاق مـذهب أهـل البيـت عليهم السلام عـام ١٩٩٤م في مدينـة«باسـام» بسـاحل العـاج، على اثر مجموعة أبحاث ودراسات أجراها بغية الوصول إلى العقيدة الصحيحة.

اجتياز الحواجر للوصول إلى الحق:

من الواضح أنّ الخطوة الأولى التي ترشد الباحث للحقيقة، هي التخلّي عن التعصّب للأفكار والعقائد التي يقدّسها، والالتجاء إلى البحث بروح موضوعية ونفس مجردة عن الموروثات العقائدية التي تحيط بالمرء منذ ولادته وتترسّخ في نفسه من دون قناعه، ويكون التعصب هو السبب الوحيد للتمسك بها من دون وعي وبصيرة.

وما لم يتجرّد الباحث عن موروثاته العقائدية، لا تتفتح بصيرته ولا تتجلى له

---

(١) بوركينافاسو: تقع غرب افريقيا تحيط بها دولة مالي وغانا وساحل العاج والنيجر وبنين وتوغو، يبلغ عدد سكانها حوالي (١٢) مليون نسمة، يشكّل المسلمون أكثر من ٧٥٪ منهم أمّا الباقي فمن المسيحيين والوثنيين، وأكثرية المسلمين على المذهب المالكي، أمّا الشيعة فيبلغ عددهم قرابة (١٥٠) ألف شخص.

الحقائق بوضوح.

أثر البحث الموضوعي المتماسك:

يقول الأخ حسين: «من هذا المنطلق بدأت أبحث لأشيّد معتقداتي بعيداً عن مناقشة الموضوعات على أساس الأفكار الشائعة والأجواء السطحية التي لاتلامس الأعماق، فتوجهت للبحث بأسلوب عقلاني لأناقش الأفكار على أساس المصادر الأصلية والمبنية على الحجة والبرهان.

ومن هنا أغنيت تجربتي الفكرية في قضايا الصراع، واتّبعت الاسلوب العلمي الرصين لأصل إلى النتائج المطلوبة، وكان أوّل موضوع قد تناولته في بحثي يتعلّق بالخلفاء، فسلكت المنهج العلمي وهو المنهج الذي يعتمد على مجموعة إجراءات يتخذها الباحث بترتيب معيّن ليبلغ هدفه، وكان هدفي من ذلك الوصول إلى حقيقة أمر الخلفاء».

الخلفاء في الميزان:

إنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث عند دراسته لتاريخ صدر الإسلام هو مخالفة الخلفاء ـ لا سيما الأوّل والثاني ـ لكتاب الله وسنة نبيه!.

وأبرز دليل على ذلك هو قول الإمام عليّ عليه السلام في الشورى التي افتعلها عمر ابن الخطاب لتعيين الخليفة من بعده، إذ ورد أنّ عبد الرحمن بن عوف توجّه إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في ذلك الاجتماع قائلاً: «لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر»، فرفض الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يسير بسيرتهما، وقال: «أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت»[1].

---

(١) أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ٣ / ١٣٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٧ / ١٠٦، تاريخ

وهذا إن دلّ على شي فهو يدلّ على مخالفة أبي بكر وعمر لكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، والتاريخ يكشف بوضوح لمن يتتبعه ويمعن النظر فيه برؤية موضوعيّة، أنّ أبابكر وعمر قد إرتكبا الكثير من الاجتهادات في مقابل النصّ وخالفا الكتاب والسنّة.

مخالفات أبي بكر للقرآن والسنة:

١ . منع الزهراء عليها السلام إرثها:

من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني في خصوص الإرث منعه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبيّ ﷺ من الميراث، وقد نسب أبو بكر حديثاً إلى رسول الله ﷺ تفرّد بنقله فزعم أنّ رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»[1].

وقد احتجّت الزهراء عليها السلام عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريا[2] أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ**﴾[3]، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريّا عليهما السلام إذ قال: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾[4]...

الإسلام للذهبي: ٣ / ٣٠٤، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٣٨، السقيفة لأبي بكر البغدادي: ٨٥.

(١) هذا الحديث منقول عن أبي بكر فقط، وقد إدّعى سماعه من الرسول الله ﷺ، ولقد تكلّم به في وقت منازعته لفاطمة عليها السلام.

(٢) أي أمراً منكراً قبيحاً والمقطع اقتباس من سورة مريم آيه ٢٧.

(٣) النمل: ١٦.

(٤) مريم: ٥ ـ ٦.

ثم قالت: أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد ﷺ، والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون...

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة[1] في حقّي، والسنّة عن ظلامتي؟...»[2].

وبذلك خالف أبو بكر سنّة رسول الله ﷺ وأغضبهُ لأنّه ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[3].

٢ . منع تدوين الحديث:

ومن مخالفات أبي بكر وعمر لسنّة رسول الله ﷺ منعهم لتدوين سنّته ﷺ، إذ بها نبذوا سنّة نبيّهم وراء ظهورهم فكانت عندهم نسياً منسيا، أضف إلى إحراق أبو بكر أحاديث رسول الله ﷺ التي جمعت في عهده[4]، لئلا تنتشر عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم ﷺ! وتابعه عمر متوخياً نفس السياسة باسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة،

---

(١) الغمز: أي الضعف.

(٢) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١٠، نقلاً عن أبي بكر أحمد الجوهري، بحار الأنوار للمجلسي: ٢٩ / ٢٢٧، كشف الغمّة للأربلي: ٢ / ١٠٤.

(٣) أنظر: صحيح البخاري كتاب المناقب: ٣ / ١٣٦١ (٣٥١٠) (٣٥٥٦)، المعجم الكبير للطبراني: ٢٢ / ٤٠٥ (١٠١٣)، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٧٥٥ (١٣٢٤).

(٤) أنظر: تذكرة الحفّاظ للذهبي، عن الحاكم: ١ / ٥، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٤٤ (٦١٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٠١ ـ ٦٠٢، وأنظر: حجّية السنّة لعبد الغني عبد الخالق: ٣٩٤.

فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث![1] وأمّا تبرير هذا الفعل لئلاّ تختلط السنة بالقرآن، فإنّها حجّة واهية لا تقوم على أساس علمي، أذ كان بإمكان الخلفاء تخصيص مصحف خاص لكلّ منهما، كما هو الحال عندما دوّنت الأحاديث في عهد عمر بن عبد العزيز.

والحقيقة أنّ أبا بكر وعمر ومن تابعهما إنّما منعوا من انتشار الأحاديث ليوجدوا مجالاً لتأويل ما ترتئيه أهوائهم كما تأوّلوا القرآن، لأنّ كتاب الله حمّال ذو أوجه أمّا السنة النبوية فلا يجد أحد عنها محيصاً.

ومن هنا نرى أبا بكر وعمر خالفا بذلك سنّة الرسول إذ قال ﷺ: «أكتبوا هذا العلم»[2]، وعنه ﷺ أيضاً: «أكتبوا ولا حرج»، وقوله ﷺ: «بلى فاكتبوها»[3].

٣. قتل مانعي الزكاة:

ومن مخالفات أبي بكر للسنّة قتله للمسلمين الذين إمتنعوا عن إعطائه الزكاة، لعدم وثوقهم بخلافته! حتى ورد أنّ عمر قال له: يا أبا بكر، كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله فمن قال لا إله إلاّ الله عَصَمَ مني ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله»؟!، لكنه لم يبالي بما ذكّره عمر بسنة الرسول ﷺ، وأجابه بعنف وشدّه حتّى تقاعد عمر

---

(١) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥ / ١٤٢ ترجمة القاسم بن محمّد (٧٣٧)، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥ / ٥٩، المستدرك للحاكم: ١ / ١٩٣ (٣٧٤)، المعجم الأوسط للطبراني: ٢ / ٣٣٠ (٣٤٤٩).

(٢) أنظر: كنز العمال: ١٠ / ٢٦٢ (٢٩٣٨٩).

(٣) أنظر: تقييد العلم للخطيب البغدادي: ٧٤، مسند أحمد: ٢ / ٢٠٧ (٦٩٣٠)، ٢١٥ (٧٠١٨) (٧٠٢٠).

بقوله ورضي به[1] ليستتب أمر الخلافة لهم ولا يجرأ أحد على الاعتراض عليهم!.

ولكن يا للتعصب من محفز للتبرير! إذ زعم البعض أنّ هؤلاء المسلمين إرتدوا عن الإسلام فوجب قتلهم، وهذه الدعوى أبطلها أبو بكر نفسه! إذ دفع ديّة مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك، والمرتد لايعتذر عن قتله ولاتدفع ديته من بيت المال[2]، لكن أبا بكر خالف السنة وفعل فعلته التي أرادها لتشييد أركان خلافته.

٤ . ترك إقامة الحدود:

ومن مخالفات أبي بكر لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ عدم إقامته الحدّ على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وتزوّجه بحليلته من ليلته، حيث لم يجري أبو بكر عليه القصاص ولم يقم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفتري ولم يعزره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! وإنّما دافع عنه وأمر خالد بطلاق زوجة مالك، بل أنّه غضب على بعض الصحابة الذين أنكروا على خالد[3]!

---

(١) أنظر: صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض: ٦ / ٢٥٣٨ (٦٠٢٣) صحيح مسلم كتاب الايمان، باب الأمر بقتال الناس: ١ / ٥١ (٢٠).

(٢) أنظر: الإصابة للعسقلاني: ٥ / ٧٥٥، سير أعلام النبلاء للذهبي: ١ / ٣٦٦.

(٣) أنظر: الإصابة للعسقلاني: ٥ / ٧٥٥، سير أعلام النبلاء للذهبي: ١ / ٣٦٦، تاريخ الطبري: ٣ / ٢٧٨، تاريخ أبي الفداء: ١ / ٢٢١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢ / ٣٥٨.

٥. الابتداع في إقامة الحدود:

وخالف أبو بكر سنة رسول الله بأمره إحراق فجاءة السلمي بالنار[١]، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يعذّب بالنار إلاّ رب النار»[٢].

٦. مخالفة الشورى:

ومن مخالفاته لسنة الرسول ﷺ على قول أبناء العامة بإنّ الاستخلاف يتم بالشورى، فإنّ أبا بكر ولّى عمراً بعده الخلافة بالتنصيب ولم يستشر أحداً من الصحابة، بل عارض من أنكر عليه استخلاف عمر بن الخطاب! [٣].

مخالفات عمر للقرآن والسنة:

١. منع فرض المؤلفة قلوبهم:

من مخالفات عمر بن الخطاب لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ منعه فرض المؤلفة قلوبهم من الصدقات، فقد قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[٤]، ولكن عمر خالف الكتاب وخالف سنة رسول الله ﷺ في هذا العطاء المفروض، وقال: «... إنّ الله قد أعزّ

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٢٦٤، ٤٣٠، البداية والنهاية لابن كثير: ٦ / ٢٢٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢ / ٣٥٠، الإصابة للعسقلاني: ٣ / ٥١٨ (٤٢٤٨).

(٢) أنظر: سنن أبي داود: ٢ / ٤٠٥ (٢٦٧٣)، مجمع الزوائد للهيثمي: ٦ / ٢٥١، صحيح البخاري: ٣ / ١٠٩٨ (٢٨٥٢).

(٣) أنظر: الصواعق المحرقة لابن حجر: ١ / ٢٥٤، الطبقات لابن سعد: ٣ / ٢٠٧، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٢.

(٤) التوبة: ٦٠.

الإسلام...»[1].

٢ . عدم المساواة في تقسيم الأموال:

وخالف عمر سيرة الرسول ﷺ في مراعاة المساواة بين المسلمين في بيت المال ففرّق في العطاء[2].

٣ . بدعة صلاة التراويح:

ومن مخالفاته جمع الناس على صلاة نافلة التراويح، مع اعترافه بأنّها بدعة! وذلك بقوله: «إنّها بدعة ونعم البدعة»[3]، ولم يستن بسنة رسول الله ﷺ، ولم يعبأ بقوله ﷺ: «إنّ الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة في جماعة بدعة»[4].

٤ . تغيير سنّة الرسول ﷺ في الطلاق:

ومن مخالفاته أيضاً سنه لطلاق الثلاث، فقد ورد عن ابن عباس: «كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم»[5].

---

(١) أنظر: سنن البيهقي: ٧ / ٣٢ (١٣١٨٩)، المجموع للنووي: ٦ / ١٨٥.

(٢) أنظر: الطبقات لابن سعد: ٣ / ٢٢٥.

(٣) أنظر: صحيح البخاري: ٢ / ٧٠٧ (١٩٠٦)، كتاب صلاة التراويح، تحفة الأحوذي: ٣ / ٤٥٠ (٨٠٥)، موطأ مالك: ١ / ٧٣.

(٤) أنظر: وسائل الشيعة للحر العاملي: ٨ / ٤٥ (١٠٠٦٢)، من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٢ / ٨٧ (٣٩٤).

(٥) أنظر: مسند أحمد: ١ / ٣١٤ (٢٨٧٧)، صحيح مسلم: ٢ / ١٠٩٩ (١٤٧٢)، سنن البيهقي:

وبهـذا غيّـر عمـر سـنة رسـول الله ﷺ وخـالف الكتـاب، حيـث يقـول الله تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسان... تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾[1]، وفسّرت هـذه الآيـة بأنّ المرأة لا تحرم على زوجها إلاّ بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطاب تجاوز حدود الله بحكمه أن طلقة واحدة بلفظ الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج!.

وقـد ورد أن رجـلاً طلـق في عهـد رسـول الله ﷺ ثلاثـاً في مجلس واحـد، فقام ﷺ غضبان، وقال: «يلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم»[2].

٥ . الاجتهاد في مقابل النصّ:

ومن مخالفاته الصريحة لسنّة رسول الله ﷺ، قوله: «ثلاث كنّ على عهد رسول الله أنا محرمهن ومعاقب عليهن: متعة الحج، ومتعة النساء، وحيّ على خير العمل في الأذان»[3].

وقال أيضاً في متعة الحج ومتعة النساء: «قد علمت أنّ النبيّ ﷺ قد فعله وأصحابه، ولكني كرهت أن يظلوا معرّسين بهن في الأراك ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم»[4].

---

٧ / ٥٥٠ (١٤٩٧٢)، فتح الباري للعسقلاني: ٩ / ٣٦٣.

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) أنظر: سنن النسائي: ٦ / ١٤٢.

(٣) أنظر: شرح تجريد العقائد للقوشجي: ٣٧٤.

(٤) أنظر: صحيح مسلم: ٢ / ٨٩٦ (١٢٢٢)، سنن ابن ماجه: ٢ / ١١٨، مسند أحمد: ١ / ٥٠ (٣٥١)، سنن النسائي: ٥ / ١٥٣.

٦ . تعطيل حدّ الزنا:

ومن مخالفاته العملية تعطيله حدّ الزنا في المغيرة بن شعبة لما شُهد عليه بالزنا![1]

٧ . تعطيل التيمّم:

وعارض عمر النصّ الصريح للكتاب والسنة واجتهد في مقابل النصّ، فقال: «من لم يجد الماء لا يصلّ»[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿... **فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**... ﴾[3]، وبهذا خالف عمر بن الخطاب صريح الكتاب والسنة.

مخالفات عمر في عهد رسول الله ﷺ:

ليس في هذه المخالفات التي صدرت من عمر لسنّة الرسول ﷺ غرابة، إذ أنّه قد ارتئى لنفسه أن يخالف رسول الله ﷺ بمحضره ولم يعبأ بقوله تعالى: ﴿**وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ**﴾[4]، وكان منها:

١ ـ معارضته لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية[5]!

٢ ـ معارضته له ﷺ عندما صلى صلاة الميت على ابن أبي سلول، فقال

---

(١) أنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢ / ٥٤٠.

(٢) أنظر: صحيح مسلم: ١ / ٢٨٠ (٣٦٨)، صحيح البخاري: ١ / ١٣٨ (٣٣١) (٣٣٨).

(٣) المائدة: ٦.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) أنظر: صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد و المصالحة: ٢ / ٩٧٤ (٢٥٨١).

معترضاً على رسول الله ﷺ : «قد نهاك ربّك»[1] !

٣ ـ موقف عمر في أواخر حياة رسول الله ﷺ حينما طلب منهم كتاباً ودواة ليكتب لهم ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبدا، فقال : «إنّه ليهجر ـ أي يهذي ـ وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله»[2].

٤ ـ أخرج البخاري أنّه قدم ركب من بني تميم على النبيّ ﷺ فعرض أبوبكر شخصاً ليأمّره عليهم، في حين أقترح عمر شخصاً آخر، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلاّ خلافي، فأجابه عمر : ما أردّت مخالفتك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ**... ﴾[3][4].

ويتضح للباحث هنا أنّ أبا بكر وعمر لم يتأدبا بحضرة رسول الله ﷺ ، وسمحا لأنفسهما بأن يقدما بين يديه بغير إذن ولا طلب، فمن هنا لا ضير أنّهما تجرءا بعد رسول الله ﷺ أن يتقدما على سنته.

ومن هذا وغيره وجدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يرى لنفسه مسوّغاً بأن يسير بسيرة الشيخين، وهما قد خالفا الكتاب والسنة، وقد تقدّما عليه في أمر كان هو أحقّ به منهما، حتى قال عن الشورى : «فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر»[5].

---

(١) أنظر : صحيح البخاري، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين : ١ / ٤٥٩ (١٣٠٠).

(٢) أنظر : صحيح البخاري : ٤ / ١٦١١ (٤١٦٨)، صحيح مسلم : ٣ / ١٢٥٩ (١٦٣٧).

(٣) الحجرات : ١.

(٤) أنظر : صحيح البخاري، كتاب المغازي وفد بني تميم : ٤ / ١٨٣٣ (٤٥٦٤).

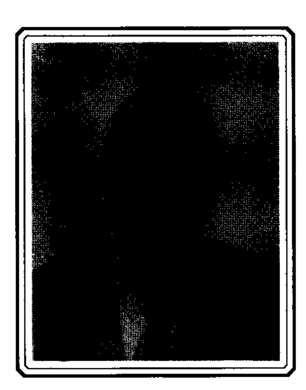
(٥) أنظر : نهج البلاغة : الخطبة ٣.

نتائج قلبت الموازين:

ومن هذا المنطلق أسفر بحث الأخ حسين سورابي عن نتائج لم يكن يتوقعها من قبل، فيقول: «من خلال البحث بانت لي حقائق كثيرة، وعرفت أنّ الخلفاء قد أخطأوا في كثير من المجالات، وظلموا حقّ عترة رسول الله ﷺ.

فمن هنا قرّرت أن أكون مع أهل بيت رسول الله ﷺ فكراً وروحاً وقلباً، وأن أتحرر من العقيدة التي لم أجد طعم الحرية الفكرية في ظلالها، بل كنت مقيداً بالالتزام بها من دون اقتناع.

فبعد أن عرفت الحقيقة قصدّتها بلهفة لا كون في ركب من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واهتدي بهم إلى المنازل الرفيعة التي أرادها الله للإنسان، وأن يكون سيري وفق ما رسمته الشريعة الربانيّة».



- حمادي ناجي.
- ولد حمادي ناجي في مدينة رواندا عام ١٩٦٥م.
- تحول من المذهب الشافعي إلى المذهب الشيعي عام ١٩٩٦م في بلاده بمدينة (تشانكوكاميبي) بعد بحوث ودراسات ومقارنات في الفقه والعقيدة.

حمادي ناجي

ولـد في روانـدا[1] عـام ١٩٦٥م، ونشـأ في أوسـاط أسـرة تعتنـق المـذهب الشافعي، فشبّ معتنقاً لهذا المذهب وفق ما كانت تمليه عليه الأجواء من عادات وتقاليد.

تشرّف بالانتماء لمذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٦م في بلاده بمدينة «تشانكو كاميبي».

اتساع المدّ الوهابي:

يقول حمادي: «أتذكر تلك الفترة الحرجة التي غزا فيها المدّ الوهابي بلادنا بشكل واسع، ولا أنسى التأثيرات السلبية التي خلّفها هذا التيار على مجتمعنا، لأنني ـ وكذلك الآخرون ـ كنا نرى من هذا التيار ظاهرة الأنيق الداعي إلى التوحيد، في حين غاب عنا الباطن الحقيقي! لكنني بالتدريج اكتشفت عبر البحث والدراسة مدى ابتعادهم عن جادة الحقّ».

وقد تصدى لهذا التيار الفكري أعلام العامة ـ فضلا عن الشيعة ـ مثل الشيخ

---

(١) رواندا: تقع في وسط القارة الافريقية، تحيط بها أوغندا وتنزانيا وبروندي وزائير، يقدر عدد السكان فيها حوالي (٨) ملايين نسمة، ٦٨٪ منهم أتباع الديانة المسيحية، أمّا المسلمون فيشكلون نسبة ١٦٪ والباقي من أتباع الديانات المحلية، وأغلب المسلمين في هذا البلد من أهل السنّة، ويشكل الشيعة نسبة ٥٪ منهم.

محمّد عبده، حيث قال أنّهم: «أضيق عطناً وأحرج صدراً من المقلّدين»[1]، فهم يرون وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد، والتقيّد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين.

لابد من التحصن بالمعرفة:

يضيف الأخ حمادي: «بعد مواجهتي لبعض الشبهات رأيت من الضرورة أن التجىء إلى تحصين نفسي بالمطالعة والدراسة المتأنية للآثار و الأخبار الواردة عن النبيّ ﷺ وعن الصحابة، لأنني كنت أعتقد بعدالة جميع الصحابة، فإنّ التاريخ الذي درسناه ركّز هذا المفهوم في أذهاننا بشكل ملفت للنظر.

ومن ذلك الحين بدأت أقضي معظم أوقاتي في القراءة، فتفتّحت آفاق رؤيتي وشعرت أنني بذلك أتحرّر من الأطر التقليدية التي تحد من انطلاقتي، ومن خلال ذلك اصطدمت بحقائق ووقائع مريرة! فوجدت نفسي مضطرّاً لمراجعة الجذور الأولى، لنشؤ الاختلاف في أوساط الأُمة الإسلامية، ودور الصحابة في ذلك، وسبب تضارب الآثار المروية عنهم، فبذلت قصارى جهدي لحل هذا المأزق.

فقلت في نفسي: إنّ معرفة الرابط بيننا وبين النبيّ الأكرم ﷺ، سوف يدلّيني على الشريعة الحقّة التي جاء بها الرسول ﷺ.

وإذا بي أجد أنّ الصحابة هم الذين قد زادوا الطين بلة!، فعند تتبعي لروايات الرسول الكريم ﷺ وجدت أنّ قسماً كبيراً منها مروي عن أبي هريرة!.

فقلت: لابد وأن يكون هذا الصحابي على إطلاع تام بحالة الرسول ﷺ، لأنّه مما لا شك فيه قد قضى شطراً طويلا من حياته معه ولم يفارقه، ولكن بعد التتبع والبحث وجدت الأمر عكس ذلك تماماً!».

---

(١) أنظر: الإسلام والنصرانية لمحمّد عبده، وهامشه لمحمّد رشيد رضا: ٩٧.

أبو هريرة في حجمه الحقيقي:

إنّ المتتبع لتاريخ أبي هريرة يجد أنّه لم يعاصر النبيّ ﷺ إلاّ سنة وبضعة أشهر، وأنّه رجل خامل الذكر كان يسترزق بوضعه للأحاديث!.

فقد نشأ أبو هريرة في «اليمن» وشبّ فيها حتى جاوز الثلاثين من عمره وهو من أهل الجاهلية الذين لم يستضيئوا بنور الإسلام، ثم هاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة بإتفاق أهل الأخبار، ولمّا أسلم لم يكن له مأوى يأوي إليه فسكن الصفّة[1]، وأخلد إلى الخمول و الكسل فكان يعتاش على ما تجود به أيدي المسلمين، كما ذكر البخاري عن أبي هريرة قوله: «كنت استقري الرجل الآية كي ينقلب بي فيطعمني»[2].

وكان من سمات شخصيته أنّه مزّاح وصاحب دعابة[3]، وكان يتملق الناس ويسلّيهم بكثرة مزاحه وكلامه، حتى قالت عائشة عنه: «لقد كان رجلا مهذاراً»[4]، وعن أبي رافع، قال: «كان مروان ربّما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعه وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير فيلقى الرجل فيقول: الطريق الطريق قد جاء الأمير!»، «وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب، فلايشعرون حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان فيفّرون!»[5]، وفي رواية: «كأنّه مجنون! يريد أن يضحكهم فيفزع

---

(١) الصفة موقع مضلل في المسجد النبوي الشريف، وهو مقر مؤقت للمسافرين أو الفقراء حتى يجدوا سبيلا.

(٢) أنظر: صحيح البخاري: ٣ / ١٣٥٩ (٣٥٠٥)، فتح الباري للعسقلاني: ١١ / ٣٤٢ (٦٤٦٠).

(٣) أنظر: شذرات الذهب للعكبري: ١ / ٦٤ (حوادث سنة ٥٧)، تذكرة الحافظ للذهبي: ١ / ٣٣ (١٦).

(٤) أنظر: الأحكام في الاصول للآمدي: ٢ / ١٢١، المسألة التاسعة (الخبر الواحد).

(٥) أنظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٧٧، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦١٤، الطبقات لابن سعد:

الصبيان منه ويفرّون هنا وههنا يتضاحكون»[1].

أبو هريرة في علم الرجال:

ذكرنا ملامح شخصية أبي هريرة وسماتها البارزة، ولقد حاول البعض إحاطة هذا الرجل بهالة من القدسية العجيبة، رغم طعن كبار الصحابة عليه، فالغريب أنّ قسماً من علماء الجرح والتعديل لم يأخذوا ذلك بعين الاعتبار، وكانوا يكيلون بمكيالين !

فقد أعرضوا عن الراوي لطعون أقلّ من تلك التي وردت في حق أبي هريرة، فخالفوا بذلك قواعدهم وخرجوا على ضوابطهم، فلم يمسوه بجرح أو نقد أو تعريض مثل ما كانوا يفعلون بغيره، فاعتبروه عادلاً صادقاً لايستراب فيه ولافي مروياته التي لم يسمعها من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم !!.

والأنكى من ذلك نجدهم يوثقون هذا الرجل رغم أنّ عمر وعثمان وعائشة والإمام عليّ عليه السلام وغيرهم قد كذّبوه[2]!.

فقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد أنّه سمع عمر يقول لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس»، وقد غضب عليه عمر من أجل إكثاره في رواية الحديث، فضربه بالدرّة زجراً له ووبخه قائلاً: «أكثرت يا أبا هريرة، وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله»[3]، وقد جاء مثل هذا النهي من عثمان وإن لم يكن بتلك الشدّة كما قابله عمر.

---

٤ / ٢٥١، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٧٩.

(١) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٧٩.

(٢) أنظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٢٧ وقد نقل عن النظام.

(٣) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٠٠، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٧٥.

وكانت عائشة من أشدّ الناس إنكاراً عليه[1]، وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «إنّ أكذب الناس ـ أو قال ـ أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة الدوسي»[2].

بل أكثر من الكذب حتى سبّب ذلك إلى زوال عدالته وفقدان اعتباره حتى عن ولاية البحرين ـ التي لم تكن من شأنه، لأنّ ديدن عمر في استعمال الولاة كان يقوم على الصحابة غير الكبار، وذلك لابقاء الشخصيات المرموقة التي لها شأن على العموم في المدينة لأغراض كان يرتئيها[3].

وعاد أبو هريرة بعد عزله من منصبه إلى المدينة وأقام بها من جديد، فتلقفه كعب الأحبار اليهودي وأخذ يلقّنه إسرائيلياته ويغذيه من خرافاته[4]!، فكرع أبو هريرة من هذا المنبع إلى الحدّ الذي قال عنه كعب الأحبار: «ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة»[5].

أبو هريرة في عهد بني أمية:

بقى أبو هريرة على منواله حتى اشتهر في عهد بني أميّة الذين امتطوه وجعلوه من وعّاظهم، فإنّ معاوية بن أبي سفيان وجد ضالته فيه، فقرّبه وحقق له

---

(١) أنظر: كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٤١، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٧٥.

(٢) أنظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ٤ / ٦٨.

(٣) أنظر: الطبقات لابن سعد: ٣ / ٢١٤.

(٤) أنظر: الطبقات لابن سعد: ٤ / ٢٤٧، المستدرك للحاكم: ١ / ١٧٠ (٣١٣)، تفسير ابن كثير: ٣ / ١٠٤.

(٥) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٠٠، تذكرة الحفاظ للذهبي: ١ / ٣٦ (١٦)، الإصابة للعسقلاني: ٧ / ٧٧٠ (١٠٦٧٤).

رغباته، واشترى ضميره ليشهد له بالخلافة، وليضع له الأحاديث، ويدلّس له الروايات[1]، وقبل أبو هريرة هذه الصفقة فجعل يروج للأمويين وينشر لهم المناقب المفتعلة، ويطعن على مناوئيهم لاسيما أهل البيت عليهم السلام !، فأكثر أبو هريرة من الإشادة بمن هو ليس أهل لذلك، وشجّع الناس على إتباعهم، فباع آخرته بدنياه!.

فقد ذكر عن أبي هريرة أنّه قال: رسول الله: «أُمناء الله: أنا وجبرئيل ومعاوية!»[2]، وفي رواية: «الأمناء ثلاثة: جبرئيل وأنا ومعاوية!»[3]، فكانت أجرته أن جعله معاوية والياً على المدينة[4].

وقد قدّر الأمويون صنيع أبي هريرة معهم، فأغدقوا عليه من أفضالهم وغمروه برفدهم ومنحوه الكثير من العطايا، فلم يلبث أن تحوّل حاله من الضيق إلى السعة، ومن الشقاء إلى الدعة، وبعد التسكع بين الصفّة و طرقات المدينة أصبح له قصراً بالعقيق، وبعد أن كان يستر جسمه بنمرة بالية أضحى يرتدي الخزّ والديباج و الكتان الممشق و الساج المزرور بالديباج[5]، بل وأكثر من ذلك حيث حاولوا أن يرفعوا من شأنه ومكانته الاجتماعية، فزوجوه بسرة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان، وكان ذلك من قبل معاوية وعلى يد مروان بن الحكم أيام ولايته على المدينة.

ورغم هذه الحقائق فقد عمد بعض المؤرخين ـ الذي يصيغون التاريخ حسب

---

(١) قال شعبة بن الحجّاج: ممن اشتهر بالتدليس أبو هريرة.

(٢) أنظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣ / ٣٩٩ (١٥٢٤).

(٣) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٨٣.

(٤) أنظر: تاريخ الاسلام للذهبي: ٢ / ٣٣٤.

(٥) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤ / ٢٤٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٢٨.

أهوائهم - إلى كتمانها والتغطية عليها، لتبقى مرويات أبي هريرة مصونة من الخدش! لأن الصحاح و كثير من كتب العامة تعج برواياته[1]، ويعني الإعراض عنها هدم لمعظم المباني التي يقوم عليها فقههم وأصولهم وتاريخهم و...، فإن مروياته تمثل حصة الأسد في الروايات عندهم، وقد اعتمدوا على رواياته في الأصول والفروع.

روايات أبي هريرة:

قد روت صحاح العامة كثيراً من أحاديثه الموضوعة المستهجنة التي يستقبحها العقل قبل أن يثبت التتبع كذبها ووضعها.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما - واللفظ للأخير - عنه أنّه قال: «جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربّك! فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنّك ارسلتني إلى عبد لايريد الموت فقأ عيني...»[2].

كما أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة أنّه قال: «كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ أنّه آدر - أي ذوفتق - قال: فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه، قال فجمع موسى بإثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى، فقالوا والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه، فأخذ

---

(١) له في البخاري وحده (٤٤٦) حديثاً، وقد أشار إلى هذا القسطلاني في ارشاد الساري، وقال: انه روى (٥٣٧٤) حديثاً، وكذا في شذرات الذهب للعكبري: ١ / ٦٣ أحداث سنة ٧١ هـ.

(٢) صحيح مسلم: ٤ / ٨٤٣ (٢٣٧٢)، صحيح البخاري: ١٤ / ١١٦ (٦٢٢٤).

موسى ثوبه فطفق بالحجر ضرباً، قال أبو هريرة: فوالله إنّ بالحجر ندب ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر!»[1].

وأخرجا من مرويات أبي هريرة الإسرائيلية أيضاً: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة بمائة امرأة!! تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل، فأطاف بهنّ، ولم تلد منهن إلاّ امرأة نصف إنسان!»[2].

كما أخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهم إنّما محمّد بشر يغضب كما يغضب البشر! وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيّما مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له كفارة و قربة تقربه بها إليك يوم القيامة»[3].

الوصول إلى الحقيقة:

يقول الأخ حمادي ناجي: «لقد اعتراني الذهول عندما تتبّعت تاريخ أبي هريرة، حتى وجدت هذا الرجل الذي كنّا نعدّه من خيار الصحابة هو أحد وعّاظ السلاطين لبني أمية والمدافعين عنهم ولو على حساب رسول الله ﷺ والإسلام».

ويضيف: «بعد بحثي وتتبعي تجلّى لي أنّ السلطات الحاكمة لعبت دوراً مؤثراً في تراث أمتنا الإسلامية، خصوصاً نحن أبناء العامة، فإنّ فقهنا وعقائدنا

---

(١) صحيح مسلم: باب فضائل: ١ / ٢٦٧ (٣٣٩)، صحيح البخاري: ١ / ١٠٧ (٢٧٤)، وأنظر: مسند أحمد بطرق كثيرة عن أبي هريرة: ٢ / ٣١٥، صحيح ابن حبان: ١٤ / ٩٤ (٦٢١١).

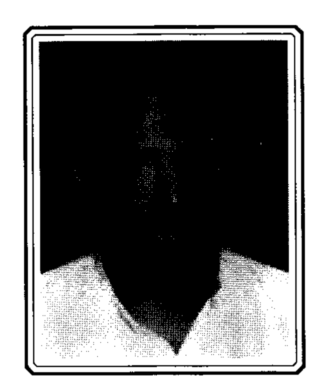
(٢) صحيح البخاري: ٣ / ٢٠٠٧ (٤٩٤٤)، صحيح مسلم: ٣ / ١٢٧٥ (١٦٥٤)، أنظر: مسند أحمد: ٢ / ٢٢٩، ٢٧٠. وروى أبو هريرة في رواية أخرى إنهن تسعون، وأخرى سبعون، واخرى ستون، وهذه كلها في صحيح البخاري ومسلم.

(٣) صحيح مسلم: ٤ / ٢٠٠٨ (٢٦٠١).

وتاريخنا كان خاضعاً لإشراف ووصاية السلاطين، في حين أني وجدت التراث الشيعي قد سلم ونجا من هذا الأمر، لأنه تلقى ميراثه من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام الذين اصطفاهم الله لحفظ شريعته وصيانتها من التحريف.

ومن هذا المنطلق وجدت أنّ السبيل الوحيد للنجاة والفوز بسعادة الدارين، هو سلوك نهجهم والانضواء تحت لوائهم، فأعلنت استبصاري عام ١٩٩٦م بمدينة «تشانكو كاميبي» في رواندا، ووفقني الله تعالى للأخذ بيد زوجتي للمذهب الحقّ، عملا بقوله تعالى: **﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾**[1]».

(١) التحريم: ٦.



❖ سجاد انقلاب.

❖ ولد عام ١٩٦٠م بمدينة ديرغازنجان الباكستانية.

❖ جذوره تنتمي إلى أسرة من الرفقة البريلوية الصوفية.

❖ يحمل شهادة الليسانس في العلوم الإجتماعية.

❖ تحوّل لمذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٥م بعد مناقشات وحوارات طويلة بينه وبين والده الذي استبصر من قبله.

سجاد انقلاب

ولد عام ١٩٦٠م بمدينة «ديره غازنجان» الباكستانية[1]، من أسرة تنتمي إلى الفرقة البريلوية الصوفية[2]، واصل دراسته الأكاديمية حتى حصل على شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٥م في بلاده، على اثر مناقشات ومحاورات جرت بينه وبين والده الذي كان مستبصراً من قبل، ومطالعة عدداً من كتب الشيعية.

إزالة الرواسب الموروثة:

كانت معرفة الأستاذ سجاد للتشيع معرفة سطحية، وتعمقت هذه المعرفة على أثر خلاف نشب بين أبيه الذي اعتنق التشيع وجدّه الذي عارضه بشدة!.

ويروي الأستاذ سجاد ذلك قائلاً: «عندما تشيع والدي كان عمري عشرين

---

(١) باكستان: تقع في وسط آسيا وتطل على المحيط الهندي، تحيط بها الهند وأفغانستان وايران، يبلغ عدد سكانها أكثر من (١٥٦) مليون نسمة، يشكل المسلمون نسبة ٩٨٪، والباقي من الهندوس والمسيح والبوذيين، أغلب المسلمين من أتباع المذهب الحنفي، أمّا الشيعة فيشكلون نسبة الربع تقريباً من السكان.

(٢) البريلوية: فرقة صوفية معاصرة نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية وفي مدينة بريلي الهندية بالذات، ومؤسسها أحمد رضا خان تلميذ الميرزا قادر بيك، وتصنف هذه الفرقة من حيث الأصل ضمن المذهب الحنفي.

عاماً وقد حدث من جرّاء ذلك خلاف بينه وبين جدّي، واشتد بينهما النزاع حتى هجره جديّ رغم الأساليب والمحاورات الهادئة التي اتبعها أبي معه.

والحقيقة أنّ جدّي لم يكن بوسعه مجاراة أبي الذي سدّ عليه الطرق بالأدلّة والبراهين النقلية والعقلية، لكن الموروث الفكري الذي كان يحمله جدّي جعله يقف ذلك الموقف!

ولم يكن موقفي تجاه أبي لضيق آفاق رؤيتي آنذاك أقل من موقف جدّي، فقد قاطعت أبي ولجأت إلى بيت جدّي حتى مضت خمس سنوات، هذا وكان أبي يحاول اختراق جدار الهجران حتى تمكّن من إقناعي وإرجاعي والعيش معه.

بعد عودتي حاولت دراسة الحالة التي يعيشها أبي، فوجدت انتقاله إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام لم يكن مجرد صدفة أو نزوة، بل كان تحوّله وفق منهجية مدروسة قائمة على أسس متينة، فإنّه بحث طيلة خمسة عشر عاماً بصورة متواصلة حتى توصّل إلى هذه النتيجة، فاطلع خلالها على مختلف الكتب وتحاور فيها مع العديد من الشخصيات.

وبعد عودة الصلة بيني وبين أبي، دخلت معه مرّة أخرى في مناظرات عديدة ولكن باسلوب هادىء، فكان أبي يوصيني بالرؤية المجردة عن خلفيات الأهواء والأغراض في البحث عن الحقيقة، وعدم التقليد في مجال أصول الدين، وشجّعني على سلوك النهج الموضوعي في تبنّي المواقف، لأنّ المسؤولية كبيرة أمام الله سبحانه وتعالى، حتى أنّي أتذكّر يوماً أنّه قال لي: نحن عندما نبادر إلى شراء شئ صغير، فإنّنا نستفسر عنه بدّقة، فما بالنا نتساهل في أمر عظيم يتحكّم بعاقبة أمرنا!.

وكان يؤكد لي بقوله: بنيّ سل عن دينك كي تبرء ذمتك!، وكان يرشدني لقراءة بعض الكتب ويوصيني بالتمعن والتأمل في مضامينها، وأن أستفسر عما

كان غامضاً فيها.

وبالفعل أخذت أقرأ وأبحث، حتى اقتنعت ببعض المسائل، وجعلت أناقش في الأخرى، وأتذكر أنّي توقفت في بعض المفاهيم، كالعصمة وآية التطهير وسبب عدم شمولها لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟!»

عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام:

إنّ العصمة في الحقيقة ضابط يؤدّي إلى حفظ شريعة الله تعالى نظرياً، وصيانتها من العبث تطبيقياً، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام في تبيينه لمعنى المعصوم: «هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿...وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراط مُسْتَقِيم﴾[1]»[2].

فهي حالة معنوية توجد بفضل الله سبحانه وتعالى، وطالما كانت هذه الحالة بفضله ومنّه ولطفه، فلابد من وجود دليل - يكشف عن وجودها في المعصوم - من قبله جلّ وعلا، ولذا لاتقبل دعوى العصمة من أي أحد كان.

وليست العصمة فكرة إبتدعتها الشيعة، وإنّما هي حقيقه دلّ عليها - في حق العترة الطاهرة - القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهي عقيدة إسلامية صرفة، مؤكدة في مصادر التشريع.

ولايمكن تصور خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدون العصمة، لأنّ للخلافة دوراً أساسياً في حفظ الشريعة من الضياع، فلو كان المتكفل بهذه المسؤولية لاترعاه الألطاف الإلهية، فإنّه سيفشل حتماً في أداء هذه المهمة ولا يمكنه إيصال الأمانة الإلهية من دون أي نقص للأمة.

---

(١) آل عمران: ١٠١.

(٢) أنظر: معاني الأخبار للصدوق باب معنى العصمة: ١٣٢.

ولهـذا نجـد نصـوص كـثيرة أثبتـت العصـمة التامـة لمـن يقـوم مقـام النبيّ ﷺ ويسدّ الفراغات التي تركها رسول الله ﷺ، من قبيل تفسير الكتاب وشرح مقاصده، وكشف أسراره وتبيين أحكام الموضوعات، وصيانة الدين من التحريف.

موقف أبناء العامة من العصمة:

ذهب بعض كبار أبناء العامة إلى تبني مسألة عصمة أولى الأمر، لكنّهم أنكروا على الشيعة القول بها! ومن هؤلاء:

١ ـ الفخر الرازي، الذي قال في تفسيره: «إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ... فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعته أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً»[1].

ومما يثير الاستغراب أنّ الرازي لم يستثمر أي نتيجة من هذه الحقيقة، بل أخذ يتأول ويحمّل الآية خلاف ما أثبته، بذريعة عجزه عن معرفة الإمام المعصوم والوصول إليه!.

ويا ترى هل أنّ العجز الذي ذهب إليه الرازي يختص بزمانه، أم كان شاملا حتى لزمان نزول الآية!!.

وكان ينبغي له أن يتعرّف على المعصوم في زمن النبيّ ﷺ وعصر نزول الآية، وبالتعرّف عليه يعرف معصوم زمانه والمعصوم الذي يتلوه بعده، إذ ليس

---

(١) التفسير الكبير: ١٠ / ١٤٤.

من المعقول أن يأمر الوحي الإلهي بطاعة معصوم لاتوجد له مصداقية في الواقع الخارجي حين النزول، أو بعد ذلك.

كما لا معنى لتفسير الفخر الرازي لـ (أولي الأمر) بأهل الحلّ والعقد الذين يجوز عليهم الخطأ، لأنّ الخطأ إذا جاز على الأفراد فإنّه سيجوز على المجموع، لأنّ المجموع ليس إلاّ ضم فرد لفرد آخر.

٢ ـ ابن تيمية، وذلك في معرض ردّه على الشيعة عندما قالوا كلاماً مفاده: «إنّ وجود المعصوم لابد منه بعد وفاة رسول الله ﷺ، والدليل هو أنّ الأحكام تتجدد تبعاً للموضوعات، والأحوال تتغير، وأنّ للقضاء على الاختلاف في تفاسير القرآن الكريم وفي فهم الأحاديث وغير ذلك لابد من وجود معصوم في كل زمان لحل الخلاف والنزاع وتبيين معاني القرآن وشرح مقاصده لينوب عن رسول الله ﷺ».

فأجاب ابن تيمية بكلام طويل ملخصة: «لا يسلّم أهل السنة أن يكون الإمام حافظاً للشرع بعد إنقطاع الوحي، لأنّ ذلك حاصل للمجموع، والشرع إذا نقله أهل التواتر كان ذلك خيراً من نقل الواحد، فالقرّاء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدثون معصومون في حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون في الكلام والاستدلال»[1].

فابن تيمية يرى العصمة لجماعة من الأمّة لضمان حفظ الشريعة!، في حين يذهب غيره إلى عصمة جميع الأمّة مستنداً إلى ما قيل أنّه ورد عن النبيّ ﷺ: «لاتجتمع أمتي على خطأ».

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يستكثر ابن تيمية العصمة على عدد معين من

---

(١) أنظر: منهاج السنّة لابن تيمية: ٦ / ٤٠٧ ـ ٤٦١.

الأمّة؟! وهم أربعة عشر خصهم الله تعالى بفضل دون غيرهم لمّا علم منهم الوفاء بعهده.

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام والمأمون حول العصمة:

روي أنّه: «حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا...** ﴾[1]؟

فقالت العلماء: أراد الله تعالى بذلك الأمة كلّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عزّوجلّ بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عني العترة من دون الأمة؟

فقال له الرضا عليه السلام: انّه لو أراد الأمّة لكانت أجمعها في الجنّة، لقول الله تعالى: ﴿... **فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾[2]، ثم جمعهم كلّهم في الجنّة، فقال عزّوجلّ: ﴿**جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ...**﴾[3]، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) فاطر: ٣٣.

فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله تعالى في كتابه فقال عزّوجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1]، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيّها الناس: لا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم»[2].

عصمة الإمام ولزوم الاعتقاد بها:

قد أجمع الشيعة على اعتبار العصمة في الإمام، وأكّدوا على تحقّق هذا الشرط الأساسي في صلاحية من يحرز منصب الخلافة الحقيقية للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، لنصوص دلّت على هذا الأمر وأشارت إلى أنّه تعالى عصم هؤلاء، من أجل أن يكونوا مؤهلين لتولي هذا المقام الخطير والحسّاس للغاية.

والحقيقة أنّ مسألة العصمة ضرورة عقلية لاسبيل لإنكارها، لاسيما إذا كنّا نطمح لارتقاء الأمّة إلى أعلى المستويات، وأنّها من ميزات العقيدة الشيعية التي هي العقيدة الإسلامية الأصيلة المنسجمة مع الفطرة.

وإن دلت هذه العقيدة على شئ فإنّما تدلّ على نضج فكر هذه الطائفة لاستيعاب هذه الحقيقة الإسلامية، لأن الإسلام نظر لأهمّية الإمامة فلم يجعلها في إنسان لا يليق بها، بل جعلها للمعصوم، فإنّ عدم عصمة الإمام يؤدّي إلى ابتلاء الرسالة بعدة ابتلاءات، منها عدم فهم الناس للرسالة بصورة صحيحة وبالتالي الوقوع في التأويلات الخاطئة.

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) أنظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨، تحف العقول للحرّاني: ٣١٢ ـ ٣١٣.

وقد أثبتت الروايات أنّ الإمام يولد معصوماً، وأنّ الله تعالى لعلمه بهذا المولود الذي اصطفاه من قبل يصونه ويطهّره منذ ولادته، لأنّ الناس ـ ولاسيما الخصوم منهم ـ لا يمكن أن ينسوا الأمور السلبية لداعية قد قضى شطراً من حياته في الانحراف.

الأدلة القرآنية للعصمة:

إنّ من جملة الآيات القرآنية الكريمة الدالة على عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الميامين عليهم السلام، ونفي السهو والشك والخطأ عنهم بشكل عام ومطلق، هي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[١].

وهي دالّة على وجوب متابعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أفعاله وأقواله، فلو جاز عليه الخطأ والنسيان، لوجبت متابعته فيه، وهو باطل، لأنّ معنى جواز سهو النبيّ أو خطأهُ، هو أنّه تعالى قد أمر الناس بارتكاب الخطأ المحتمل صدوره من النبيّ، وحاشا لله عزّوجلّ بأن يأمر بمتابعة الخطأ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[٢].

وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب الاقتداء بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق، فيكون فعله حجّة على الجواز، وتركه حجّة على نفي الوجوب.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى**﴾[٣].

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) الاحزاب: ٢١.

(٣) النجم: ٣.

وفي هذه الآية إشارة صريحة ودلالة تامّة على أنّ النبيّ ﷺ ينطق عن الوحي الإلهي، ولزوم ذلك استحالة الخطأ عليه مطلقاً، وبالتالي وجوب إتباعه والأخذ عنه في الأقوال والأفعال، وعلى هذا يكون أمر النبيّ ﷺ بوجوب إتباع أهل البيت عليهم السلام والتمسّك بهم دليلاً على عصمتهم.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(١).

وهي دالّة على وجوب التسليم والانقياد لأقواله وأفعاله ﷺ على وجه العموم والإطلاق، فلو جاز السهو عليه ﷺ لاحتمل ذلك في جميع أفعاله وأقواله، وبالتالي تسقط حجّية أقواله وأفعاله، وهذا الأمر مردودٌ من خلال هذه الآية.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٢).

إنّ دلالة هذه الآية، وموقف النبيّ ﷺ من الذين أنزلت فيهم، تبيّن بشكل واضح عصمة العترة الطاهرة عليهم السلام.

فقد ورد أنّ المراد من أهل البيت عليهم السلام، هم: رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وسيدة النساء فاطمة عليها السلام، وسيدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السلام، والأئمة المنصوص عليهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ووردت من الفريقين روايات صحيحة عن النبيّ ﷺ تصرّح بذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام(٣)، كما جاء في الصحيحين عن النبيّ ﷺ: «أنّ الأئمة إثنا

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

(٣) أنظر: ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٢٨١، فرائد السمطين للجويني: ٢ / ١٣٢ (٤٣٢)، غاية

عشر كلهم من قريش»[1].

ولو يمعن الباحث النظر في مفردات هذه الآية المباركة، يجد أنّ ما ذهبنا إليه هو الصحيح في تفسيرها:

فـ ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر والتوكيد ؛ و ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ فيها اشارة إلى إذهاب القذر المعنوي بكل أشكاله، وتنزيههم عن النقائص، وكل ما هو منفّر ؛ وأمّا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فهم أصحاب الكساء: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ؛ وأمّا ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فالطهارة: هي النزاهة والنظافة، وقد جاءت هنا تأكيداً لمعنى إذهاب الرجس عنهم عليهم السلام، والطهارة هنا استعارة بدل العصمة، كما كان لفظ الرجس بدل الذنوب.

والمتتبع للسنة المطهرة ـ في آثار الفريقين ـ يجد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع مجالا لأي قائل يتقوّل في هذه الآية الشريفة، انطلاقاً من مسؤوليته العظمى في بيان ما كان غامضاً على الصحابة من القرآن الكريم، فبيّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من هم أهل البيت عليهم السلام.

فهم الذين بيّنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الكساء المشهور عند الفريقين[2]. والمعترف به عند المخالف والمؤالف.

المرام للبحراني: ٣ / ١٩٣.

(١) أنظر: صحيح البخاري، باب الاستخلاف: ٦ / ٢٦٤٠ (٦٧٩٦)، صحيح مسلم: ٣ / ١٤٥٢ (١٨٢١).

(٢) أنظر مسند أحمد: ٤ / ١٠٧، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٣ (٢٤٢٤)، مجمع الزوائد للهيثمي: ٧ / ٩١ مستدرك الحاكم: ٢ / ٤٥١ (٣٥٥٨)، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ٢٣، الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢ / ٤٢١ ـ ٤٢٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١ / ٣٧٩، الدر المنثور للسيوطي: ٥ / ١٩٨ ـ ١٩٩، السنن الكبرى للبيهقي: ٢ / ٢١٢ (٢٨٥٨).

والجدير بالذكر أنّ رواة حديث الكساء من الصحابة هم أكثر من خمسين صحابياً، ومن التابعين أضعاف هذا العدد، كما أنّ من رواته إثنتين من نساء النبيّ ﷺ، أم سلمة وعائشة.

وقد ذكر الطبري أربعة عشر طريقاً له في تفسيره (جامع البيان)، كلّها تؤكّد نزول الآية في هؤلاء الخمسة عليهم السلام.

فروى بسنده عن ﷺ أنّه كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج للصلاة، فيقول: «الصلاة أهل البيت **﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**»[1].

وزاد ابن كثير على طرق الطبري ـ بعد نقل عشرة منها في تفسيره ـ تسعة طرق كلّها تؤكد ذلك[2].

الأحاديث الدالة على العصمة:

أمّا النصوص النبوية الدالة على عصمة أهل البيت عليهم السلام فكثيرة، أشهرها حديث الثقلين، وحديث السفينة، وحديث الأمان.

فحديث الثقلين ـ على سبيل المثال ـ متسالم على صحته عند المسلمين، حتى عُدّ من الأحاديث المتواترة المنقولة في كتب التاريخ والتفسير والحديث.

فقول الرسول ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» علت شهرته الآفاق.

ويقول ابن حجر الهيتمي في خصوص العلّة التي من أجلها سمّى رسول

---

(١) أنظر: تفسير الطبري: ٢٢ / ٦.

(٢) أنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣ / ٤٨٧ وما بعدها.

الله ﷺ القرآن والعترة بالثقلين: «لأنّ الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم اللّدنّية والأسرار والحكم العلّية، والأحكام الشرعية، ولذا حث ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم، وقال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت، وقيل: سمّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما»[1].

وقال الزمخشري: «نفي الضلال عن التمسك بهما، دلالة على أنّهما على الحقّ دائماً، وإلاّ لما نُفي: فإنّ (لن) تفيد تأبيد النفي كما هو واضح لمن تتبّع استعمالات هذه الكلمة في كلام العرب، وكما صرّح به أهل الخبرة والتتبع منهم»[2].

وعلى هذا نقول: لو حدث أن ضللنا باتباعهما، ولو بمصداق واحد لما كان كلامه ﷺ صحيحاً وصادقاً، لإطلاق الكلام وهو في مقام الهداية والبيان.

كما أنّ المفهوم من قوله ﷺ: «ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي»، أنّ الضلال يصدق على من لم يتمسك بهما معاً، فلابد لكل مكلّف من الاقتداء بهما، لأنّهما عروة واحدة لايمكن التفكيك بين حلقاتها المتماسكة، خصوصاً وأنّ أهل البيت عليهم السلام هم اللسان الناطق والترجمان الحقيقي لكتاب الله، ومن غير الممكن فهم الكتاب بما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ إلاّ عن طريقهم عليهم السلام.

وهم أناس لا يمسّهم الباطل ككتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه المعصوم بإجماع المسلمين، وهم عدل الكتاب لهم ما للكتاب من

---

(١) أنظر: الصواعق المحرقة: ٢ / ٤٤٢.

(٢) أنظر: الأنموذج للزمخشري.

صفات ومزايا وأبرزها العصمة، ولهذا كانوا مع القرآن والقرآن معهم، ولذلك كانت المخالفة غير متحققة منهم في جميع أدوار حياتهم أبداً، لا عمداً ولا سهواً.

المرحلة العصيبة لتحديد المصير:

يقول الأستاذ سجّاد:

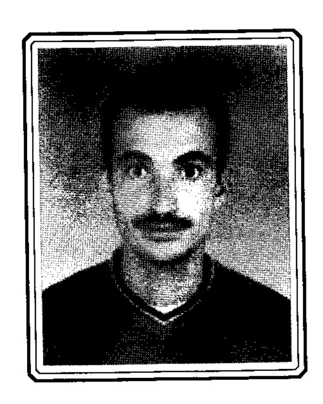
«بعد اطلاعي وإلمامي بهذه الأدلة، وبعد أنّ تجلّت لي حقيقة الأمر، لم أجد مايعيقني عن إعلان استبصاري سوى الصراع النفسي الذين كان يراودني ويدفعني عن الخضوع للحقائق العقائدية التي تجلّت لي بوضوح.

فواجهت مشقة كبيرة في ترك معتقداتي السابقة التي كنت مغرّراً بها طيلة فترة حياتي، واستمرت هذه الحالة خمسة أشهر، واصلت فيها البحث والمطالعة علّني أجد ما أتشبّث به للتخلص من هذه الأزمة النفسية التي سلبت مني الاستقرار، فلم أجد سوى أدلّة جديدة أضافت إلى ما توصّلت إليه قوّة ومتانة!.

وبعد انهيار مرتكزاتي العقائدية السابقة توجّهت إلى الله سبحانه وتعالى ليفتح لي أبواب الهداية ويرشدني لما فيه صلاح أمري.

وفعلاً في يوم من الأيّام حيث كنت متوجهاً إلى ربّي لأشكو إليه ماألمّ بحالي، إذ دمعت عيناي وأصابتني قشعريرة هزّت كياني من الأعماق، فهيمنت عليَّ نفحات قدسيّة منحتني القوّة والعزيمة والرؤيا الواضحة لتحديد المصير، فاخترت طريق الحقّ، وطوّعت نفسي لكل ما أواجه في هذا السبيل من تعيير أو استهزاء أو محاربة، فعندها شعرت باستقرار واطمئنان نفسي أحسست به في أعماقي، وأدركت أنني أمتلك الأسس والركائز المتينة التي أتمكّن بها من الحفاظ على ثبات كياني إزاء التيارات الفكرية المعاكسة».

ومن ذلك الموقف ركب الأستاذ سجاد سفينة النجاة المتمثلة بمذهب أهل البيت عليهم السلام وأعلن استبصاره عام ١٩٨٥م في بلده باكستان.



❖ شكيم علي.

❖ ولد عام ١٩٧٦م بمدينة قسنطينة (الجزائر).

❖ تحول من المذهب المالكي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ٢٠٠١م في سوريا بعد حوارات طويلة دارت بينه وبين أصدقائه.

شكيم علي

ولـد عـام ١٩٧٦م بمدينـة«قسنطينة» في الجزائـر[1]، نشـأ في أوسـاط عائلـة تعتنق المذهب المالكي، فشب مالكياً تبعاً لأسرته.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ٢٠٠١م في سوريا.

بداية التعرف على التشيع:

يقول الأخ شكيم: «لم يكن لي أي إلمام أو معرفة بمذهب التشيّع! وفي يوم من الأيام دار حديث بيني وبين أحد أصدقائي ـ الذي عرفت بعد ذلك أنّه من أتباع مـذهب أهـل البيـت عليهم السلام ـ حـول وضـع المسـلمين وانتمـاءاتهم لشـتى الفـرق والطوائف، واختلافهم في الأحكام الشرعية والأمور العقائديـة ـ لاسيما الفرعيـة ـ ثم استعرضنا بعض معتقـدات كـل طائفـة، حتـى طرق سمعي اسـم الشيعة، وبـدأ صديقي يحدثني عن أسس هذا المذهب وبداية نشوئه والمراحل الـتي مـرّ بهـا منـذ البداية، فذكر في حديثه جملة من القضايا التاريخية التي تعـرّض فيهـا أهـل البيت عليهم السلام لجور من تولى شؤون الخلافة الإسـلامية، وكيفيـة تنحيت هـؤلاء الحكّام لأهـل البيـت عليهم السلام عـن مقـامهم الطبيعـي الـذي أراده الله تعـالى لهـم، ثـم ذكـر لـي

---

(١) الجزائر: تقع في شمال افريقيا، تطلّ على البحر المتوسّط، تحيط بها المغرب وليبيا وموريتانيا ومالي والنيجر وتـونس، يبلـغ عـدد سـكانها (٣٤) مليـون نسـمة، يشـكل المسـلمون نسـبة ٩٩٪ منهم وأغلبيتهم من المالكية، أمّا الشيعة فلهم تواجد جيد في هذا البلد.

معتقدات هذه الطائفة وأحكامها العبادية، والتراث الفكري الضخم الذي كتبه علماء الشيعة في الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والفلسفة والأدب وغير ذلك.

فأدهشني حديثه! فطلبت منه المزيد وجعلت أقارن بين ما عند الشيعة وما عندنا أبناء العامة.

بدعة صلاة التراويح:

واستمر الحديث فيما بيننا حتى ذكر صديقي أمراً لفت انتباهي بشدّة، وذلك حينما قال: إنّ بعض الطقوس التي يمارسها أبناء العامة ما أنزل الله بها من سلطان، وأنّ مصدر تشريعها محض رغبة شخصية لا أكثر، كصلاة التراويح التي يقيمونها في شهر رمضان، فهي بدعة ليست من الدين في شيء، إذ لم ينزل بها قرآن ولم يقمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يصلها أبو بكر طيلة خلافته، ولا عمر في أوّل خلافته، بل سنّها بعد ذلك بفترة بلا دليل ولا مجوز شرعي من الكتاب أو السنة!».

ومن الواضح أنّ الإسلام قد شدّد في أمر البدعة، واعتبرها ضلالة مؤدية إلى النار، لأنّ المبتدع غير قانع بما شرّع الله، فهو بمنزلة المستدرك على ربّه ـ كما أنّه عندما يعطى لنفسه حق التشريع يكون بمثابة من نزل نفسه بمنزلة الند لله جلّ وعلا ـ في حين أنّ الله تعالى حسم أمر الرسالة بقوله الكريم: ﴿ **اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾[1].

وتضافرت الروايات الشريفة بهذا الخصوص:

فورد عن جابر أنّه قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما

---

(١) المائدة: ٣.

هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأنّ أفضل الهدي هدي محمّد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة...»[1].

وعن حذيفة أنّه قال: «يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم... قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي...»[2].

وعن أبي هريرة قال: «إنّ رسول الله خرج إلى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين... وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادنّ رجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم! فيقال: إنّهم قد بدّلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً»[3].

أمّا كلمات الأعلام بهذا الخصوص فكثيرة، نقتصر على قول لإمام المالكية ذكره الشاطبي: «من إبتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أنّ محمداً ﷺ خان الرسالة، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»[4].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: «... الابتداع في الدين إتّهام للنبي ﷺ بالخيانة وعدم تبليغ الرسالة بكمالها»[5].

فالمبتدعون يجعلون الدين ببدعهم عسيراً ويخرجونه عن حدّ السماحة،

---

(١) أنظر: مسند أحمد: ٣ / ٣١٠ (١٤٣٧٣)، سنن ابن ماجة: ١ / ٣٠ (٤٥)، سنن النسائي: ٣ / ١٨٨ كتاب خطبة العيدين، صحيح البخاري: ٦ / ٥٦٥٥ (٦٨٤٩)، صحيح مسلم: ٢ / ٥٩٢ (٨٦٧).

(٢) أنظر: صحيح مسلم: ٣ / ١٤٧٥ (١٨٤٧)، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٣٢٩ (١٦٧٩٠).

(٣) أنظر: صحيح مسلم: ١ / ٢١٨ (٢٤٨)، صحيح ابن حبان: ٣ / ٣٢١ (١٠٤٦).

(٤) أنظر: الاعتصام للشاطبي: ١ / ٣٣.

(٥) أنظر: السنة والبدعة للقرضاوي: ٢٨.

لأنّهم يضيفون تكاليف ما أنّزل الله بها من سلطان على كاهل العباد.

كما أنّ البدعة - وإن منحها البعض عنوان الحسنة! - تفتح الباب على مصراعيه أمام الدجّالين والمتاجرين بالدين، ليبتدعوا أموراً تأتي على دعائم الدين وتمحو معالمه الحقة، وقد قال الإمام عليّ عليه السلام: «ما أحدثت بدعة إلاّ ترك بها سنة، فاتقوا البدع وألزموا المهيع، إنّ عوازم الأمور أفضلها، وإنّ محدثاتها شرارها»[1].

فالبدعة فرقة للأمّة وتمزيق لصفوفها، لأنّ المؤمنين يرفضونها والمبطلين يتبعونها، وهكذا يبدأ الشرخ في جسد الأُمّة الواحدة فيتضعضع كيانها، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾**[2]، ويقول سبحانه أيضاً: **﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[3]، فلماذا يأخذ بعض المسلمين بما لم يأت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كصلاة التراويح - ويتّبعون السبل ويشذون عن صراط الله تعالى؟!.

وخلاصة القول: إنّ تشريع الله شامل وكامل ومستوعب لكل أمور الدين والدنيا، وبنصّ كتاب الله عزّوجلّ: **﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾**[4]، لأنّ الإسلام خاتم لجميع الشرائع السماوية.

يقول الأخ شكيم: «جعلتني هذه الحقائق في حيرة من أمري، ووجدت العقل ينبذ تشريع الإنسان الذي لايملك التخويل الرباني! مع روايات عديدة

---

(١) أنظر: نهج البلاغة: خطبة ١٤٥، بحار الانوار للمجلسي: ٢ / ٢٦٤ / ١٥.

(٢) الانعام: ١٥٣.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) الانعام: ٣٨.

تحث على الصلاة في الشهر المبارك بصورة غير جماعية ـ إلاّ الصلاة المفروضة ـ فقرّرت ترك صلاة التراويح التي كنت أؤديها جماعة، لما عرفت من خلال الحديث مع صديقي أنّ التنفل في شهر رمضان قد شُرّع بشكل فرادي لا جماعةً!.

فلم أجد سبيلاً غير إتباع الشرع لأنني قرّرت من بدء البحث الانسياق وراء الأدلّة والبراهين، وترك التمسك بالموروث الذي لا أعرف له دليل أو مستند».

مسألة زيارة القبور:

ويقول الأخ شكيم: «وتطرّقنا في الحديث لمسألة زيارة القبور، وكان قد طرق سمعي من قبل أنّ هناك فرقة تحسب نفسها على الإسلام ولكنّها تكفّر أهل القبلة لزيارتهم قبر النبيّ ﷺ وقبور الأولياء والصالحين، فتأملت في الأمر فتبيّن لي أنّ هذه الرؤية جامدة ومحدودة، لا يقول بها أحد يعرف معنى التذكرة والاعتبار».

فقد ذكر القرآن الكريم جملة من الآيات الدالّة على جواز القيام على القبور واتخاذ المساجد حول مقامات وقبور الأنبياء والصالحين، فقال تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى﴾**[1]، وقال تعالى بخصوص أصحاب الكهف: **﴿قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾**[2].

كما ذكرت كتب الحديث والسيرة والتفسير روايات عديدة تجوّز هذا الأمر:

فقد جاء في صحيح مسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي، عن بريدة عن أبيه قال: «قال رسول الله ﷺ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»،

وفي آخر الحديث على ما في سنن أبي داود: «فإنّ زيارتها تذكرة»، وفي

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) الكهف: ٢١.

سنن ابن ماجة عن ابن مسعود: «... فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر في الآخرة»[1].

وجاء في صحيح البخاري[2] ما ملخصه: «إنّ إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام لمّا كانا يبنيان البيت، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء إسماعيل بهذا الحجر له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة»، وذلك هو مقام إبراهيم عليه السلام الذي أمرنا الله أن نتخذه مصلى ومحلا للعبادة.

وقد نصّت التواريخ والسير على أن حجر إسماعيل عليه السلام الذي يتمسّح به الحجيج ويقيمون فيه الصلاة يضم قبر إسماعيل وأمّه هاجر عليهما السلام[3]، وكما هو واضح أنّ الصلاة في هذا المكان من الأمور المستحبة، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجتمع هذا المستحب مع الشرك كما يزعم منتحلوا الإسلام؟!

ولو راجعنا التاريخ الإسلامي لوجدنا أنّ الوقوف على القبور وزيارتها، إنّما هو عين التأسي والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم وقف على قبر أُمّه السيدة آمنة بنت وهب (رضي الله عنها) وبكى[4].

وورد أنّه قال في ذلك الموقف: «... استأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي،

---

(١) صحيح مسلم: ٢ / ٦٧٢ (٩٧٥)، سنن النسائي: ٣ / ٦٩ (٤٥١٨)، سنن ابن ماجة: ١ / ٤٩٢ (١٥٧١)، سنن الترمذي: ٢ / ٣٥٧ (١٠٥٤)، سنن أبي داود: ٣ / ١٧٢ (٣٢٣٥)، وأنظر: موطأ مالك (عن أبي سعيد الخدري): ٢ / ٣٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: ٣ / ١٢٢٩ (٣١٨٤).

(٣) أنظر: سيرة ابن هشام: ١ / ٦، تاريخ الطبري: ١ / ٣١٤، البداية والنهاية لابن كثير: ١ / ١٥٣، الطبقات لابن سعد: ١ / ٤٤، وغيرها.

(٤) أنظر: الطبقات لابن سعد: ١ / ٩٤، سنن النسائي: ١ / ٦٥٤ (٢١١٦)، سنن أبي داود: ٣ / ١٧١ (٣٢٣٤)، سنن ابن ماجة: ١ / ٤٩٢ (١٥٧٢)، وغيرها.

فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت»[1]، بل أكثر من ذلك فقد حثّ ﷺ على زيارة قبره الشريف، حيث قال: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، وقال ﷺ أيضاً: «من حج فزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي»[2]، وهنالك روايات كثيرة وردت عنه ﷺ بألفاظ متعددة بهذا الخصوص.

وأخرج مسلم في صحيحه عن عائشة، أنّها قالت: «قال ﷺ: «أتاني جبريل فقال: إنّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[3].

وقد عملت بهذه السنة بضعة المصطفى وسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث أخرج البيهقي في سننه، والحاكم في مستدركه: أنّها كانت تزور قبر عمّها حمزة(رضي الله عنه) كل جمعة فتصلي وتبكي عنده[4].

وقال الحاكم أنّ هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات، ثم قال: «وقد استقصيت في البحث عن زيارة القبور تحرّياً للمشاركة في الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنّها مسنونة، وصلى الله على محمّد وآله أجمعين».

(١) أنظر: سنن الدار قطني: ٢ / ٣٧٨ (١٩٤)، شعب الإيمان للبيهقي: ٣ / ٤٩٠ (٤١٥٩)، المعجم الكبير للطبراني: ١٢ / ٤٠٦ (١٣٤٩٧)، سنن البيهقي: ٥ / ٤٠٣

(٢) (٠٢٧٤)، ومن أراد المزيد فلينظر كتاب الغدير للأميني: ٥ / ١٤٣ ـ ١٥٢، وقد ذكر مصادر هذه الأحاديث من أهل العامة.

(٣) صحيح مسلم: ٢ / ٣٧٠ (٩٧٤) باب الجنائز.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٤ / ١٣١، المستدرك للحاكم: ١ / ١ / ٥٣٣ (١٣٩٦).

وذكر ابن الحاج العبدري المالكي[1]: أنّ البخاري روى عن أنس: أنّ عمر ابن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس، فقال: «اللهم كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وآله وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، فيسقون».

هذا بالاضافة إلى وقوف الصحابة والتابعين وزوجات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام على القبور وزيارتها.

قول الأعلام في زيارة القبور:

قد أفتى الكثير من علماء المذاهب الأربعة بجواز زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واستحبابه، ومنهم:

١ ـ أبو عبد الله الجرجاني الشافعي، فقد ذكر بعد جملة من تعظيمه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «فأمّا اليوم فمن تعظيمه زيارته»[2].

٢ ـ أبو الحسن الماوردي، حيث قال: «فإذا عاد ـ ولي الحاج ـ سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجمع لهم بين حج بيت الله عزّوجلّ وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رعايةً لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، ولئنّ لم يكن ذلك من فروض الحج فهو من ندب الشرع المستحبة وعادات الحجيج المستحسنة»[3].

٣ ـ القاضي عياض المالكي، إذ قال: «وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنة مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها»[4].

٤ ـ أبو الفرج بن الجوزي، قال: «أمّا زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فأحضر

---

(١) المدخل لابن الحاج العبدري: ١ / ٢٥٥.

(٢) أنظر: المنهاج في شعب الايمان: ٢ / ١٣٠.

(٣) أنظر: الأحكام السلطانية للماوردي: ٢ / ١٠٩.

(٤) أنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عيّاض: ٢ / ٨٣.

قلبك لتعظيمه ولهيبته، وأحضر عظيم رتبته في قلبك، وأعلم أنّه عالم بحضورك وتسليمك»[1].

٥ ـ ابن هبيرة في كتاب (اتفاق الأئمّة): «اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل على أنّ زيارة النبيّ ﷺ مستحبة»[2].

٦ ـ أبو زكريّا يحيى بن شرف النووي، قال في زيارة قبره ﷺ: «إنّها من أعظم القربات، وأفضل المساعي والطلبات، وإذا إنتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفّع به إلى ربّه...»[3].

هذا فضلا عن كلمات العشرات منهم[4].

كما ذكر عدد منهم استحباب زيارة البقيع:

فقال الغزالي: «يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع»[5]، وكذا قال النووي والفاخوري، وزاد الأخير: «... يأتي المشاهد والمزارات فيزور العباس ومعه الحسن بن عليّ، وزين العابدين، وابنه محمّد الباقر، وابنه جعفر الصادق، ويزور أميرالمؤمنين سيدنا عثمان وقبر إبراهيم ابن النبيّ ﷺ، وجماعة من أزواج ﷺ وعمته صفية وكثيراً من الصحابة والتابعين...».

بل أكثر من هذا فإنّ المعاصرين من علماء العامة يرون أنّ زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكرة بالآخرة...، وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرّع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت، ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر

---

(١) أنظر: دفع شبه من شبّه وتمرّد للحصني: ٨١.

(٢) أنظر: المدخل لابن الحاج العبدري: ١ / ٢٥٦.

(٣) أنظر: دفع شبه من شبّه وتمرّد للحصني: ٧٥.

(٤) أنظر: الغدير للأميني: ٥ / ١٦٥ ـ ١٨٧.

(٥) احياء علوم الدين: ١ / ٣٨٧.

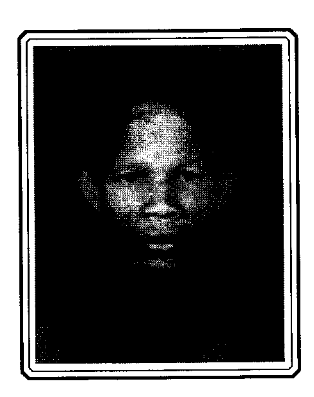
قريبة أو بعيدة، بل يندب السفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصالحين، أمّا زيارة قبر النبيّ ﷺ فهي من أعظم القرب.

ومن هذا كله يتبيّن أنّ زيارة القبور ليست بدعة ـ كما ينعق البعض ـ بل سنة عمل بها الأصحاب والتابعين والمسلمين قاطبةً.

الوصول إلى جادة الأمان:

يقول الأخ شكيم الفردي: «وجدت أنّ كلمات الأعلام وأهل الاختصاص تجوّز زيارة القبور ـ مع التزام الزائر بالأمور الشرعية التي ترضي الله تعالى وتنفع الميت ـ وقد لمست خلال زيارتي لقبر السيدة زينب إبنة الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام في سوريا، الجوّ المعنوي المفعم بالروحانيّة، فوقفت أمام ذلك المشهد مستلهماً منه العطاءات التربوية التي منحتني النفحات الإيمانية، وغرست في نفسي الكثير من الوعي والمعرفة، فإنّ المشهد نقلني إلى عالم ملؤوه الإيمان والورع والتقوى، فأثار فطرتي وأزال عن بصيرتي الحجب التي كانت تمنعني من رؤية الحقّ.

فأثّر ذلك المشهد في نفسي أثراً كبيراً، بحيث دفعني للبحث والمطالعة حول مكانة ومنزلة أهل البيت عليهم السلام عند الله سبحانه وتعالى، حتى عرفت بعد ذلك مكانتهم، وعرفت أنّهم عدل الكتاب، وسفينة نوح، ونجوم الهداية، فقلت: لا أحيد عنهم ولا أختار إلاّ طريقتهم، إذ لا يسع المؤمن الاعتصام من الضلال إلاّ بالتمسّك بهم والانضواء تحت لوائهم، فاعتنقت مذهبهم عام ٢٠٠١م».



❖ عبد الله دوسو.

❖ ولد عام ١٩٧٠م بمدينة طوبا في ساحل العاج.

❖ تحول من الوهابية إلى الشيعة عام ١٩٩٤م في بلاده.

❖ تعرف على التشيع من خلال أساتذته اللبنانيين الشيعة في ساحل العاجل.

عبد الله دوسو

ولد عام ١٩٧٠م بمدينة «طوبا» في ساحل العاج[1]، كان في بداية أمره من أهل العامة، ثم تحول إلى الوهابية.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩٤م في بلاده.

التعرف على التشيع:

يقول الأخ عبد الله: «تعرّفت على الشيعة في المرحلة الابتدائية للدراسة، وذلك عن طريق بعض أساتذتنا الشيعة اللبنانيين.

وحيث كان لهؤلاء المعلمين أخلاق رفيعة وشخصيات متينة وأساليب جذّابة في إلقاء الدروس، أثروا بسلوكهم على التلاميذ وجعلوهم متفاعلين معهم عقلياً ونفسياً، وكان من الملاحظ فيهم أمرين ملفتين للنظر:

الأوّل: انّهم كانوا ذو ثقافة عالية وإطلاع واسع لا سيما في الجوانب التاريخية والعقائدية والفقهية.

الثاني: كانت هوية التشيع ظاهرة وبارزة عليهم، بحيث كان معظم كلامهم وإرشاداتهم مطعمة بروايات أهل البيت عليهم السلام، ولا يمضي يوم ـ من أيام الدراسة ـ إلاّ ويذكرون شيئاً من سيرة أهل البيت عليهم السلام الناصعة، حتى أنني حفظت الكثير من أحاديث العترة، وكنت أستشهد بها في كلامي مع الآخرين.

---

(١) ساحل العاج: أنظر: الترجمة رقم (٣).

غزو التيار الوهابي:

حينما تعرّفت على الشيعة كان قد توغل المدّ الوهابي وتسلل إلى القارة الأفريقية، وكان لهؤلاء أساليب متنوعة مدعومة بأموال طائلة، فسحت لهم المجال للتحرّك في الأوساط بشكل واسع، وقد كان لهم تحرك مكثف في المدارس، لعلمهم بأنّ هذه الأماكن منفذ السهل لزرع أفكارهم في نفوس الجيل اليافع، وبما أنني كنت طالباً في إحدى هذه المدارس التي شملها المدّ الوهابي انجرفت كغيري بهذا التيار، وخصوصاً بعد فقدنا الأساتذة السابقين، حيث كان هذا سبباً لفقداننا الجانب المعنوي وضعف مبتنياتي العقائدية، حتى آل الأمر بي أن أنتمي إلى الوهابية نتيجة أنجرافي مع هذا التيّار الذي غزى أوساطنا.

وبعد إتمامي للمرحلة المتوسطة في عام ١٩٨٨م، شجعني وحثني الوهابيون على السفر إلى السعودية لمواصلة الدراسة في مدارسها الدينية، ولكنني لم أُقبل في أي مدرسة بشكل رسمي فعدت أدراجي إلى ساحل العاج، ولكن الوهابية لم يتركوني وشأني فالحقوني ببعض المشايخ لأتلقّى على أيديهم الدروس والأبحاث الدينية.

أسئلة حائرة تحتاج إلى جواب مقنع:

كنت أطرح في ذلك الحين جملة من الأسئلة والاستفسارات على مشايخنا بعد الانتهاء من الدرس، وكانت أغلب أسئلتي منطلقة من الأحاديث التي سمعتها وحفظتها عن المعلمين اللبنانيين الشيعة، كحديث الغدير والثقلين والطير والسفينة والمنزلة و...، كما كنت أسأل عمّا يتعلّق بالأحداث التاريخية كأضطراب الأوضاع أيّام عثمان، وحرب الجمل، وحرب صفين، والخلاف بين الإمام عليّ عليه السلام ومعاوية، فكانوا يقرّون بذلك ويجيبونني بشكل مبتور أو ينعطفون بالإجابة إلى أمور أخرى كي يصرفوني عن ذلك!.

كما أنني كنت أشاهد في أوساطنا حملة مسعورة من قبل الوهابيين ضدّ الشيعة والتشيّع لاسيما في مجال الإصدارات، حيث أغرقوا المكتبات والمدارس وحلقات المشايخ بالكتب التي تشنّع على الشيعة وتحط من شأنهم، لتتشبع بها أفكارنا وتمتلىء صدورنا بالحقد والغيظ عليهم، ومن هذه الكتب كان كتاب (وجاء دور المجوس) الذي سطّر فيه المؤلف ما شاء من التهم والافتراءات على مذهب أهل البيت عليهم السلام».

ملاحظات على كتاب (وجاء دور المجوس):

في الحقيقة أنّ المطالع لهذا الكتاب يدرك بوضوح أنّ مؤلفه «عبدالله محمد الغريب» قد جانب الموضوعية في بحثه، والإنصاف في حكمه، بل أنّه انطوى على ذهنية طائفية ونفسية منفعلة لمواجهة مذهب أهل البيت عليهم السلام !

كما يلحظ أنّ المؤلف اعتبر في هذا الكتاب، أن خصمه الأوّل والأخير هم الشيعة، بل عبّر بصراحة عما يجيش في صدره بخصوص حلقات دروسهم وحوزاتهم وحسينياتهم ![1].

والجدير بالذكر أنّ المؤلف لم يأت بشيء جديد، بل كرّر نفس التهم والأباطيل التي عزف عليها الماضون، كتحريف القرآن، وجهلهم بعلم الحديث، وعدم استنادهم إلى البخاري وعدم اعترافهم به مع بقيّة الصحاح، وعدم معرفتهم بالقياس و...

من قال بتحريف القرآن؟!:

إنّ من أقدم القائلين بتحريف القرآن ووقوع الزيادة والنقصان فيه، هم أئمة أهل العامة!، فإنّ أمّهات مصادرهم تشير إلى ذلك! وإنّ الذين قالوا بالتحريف كان

(١) أنظر: وجاء دور المجوس: ٥.

مرجعهم ومستندهم الروايات الواردة في كتب أهل العامة عن أئمتهم كعمر، وعبد الله بن عمر، وعبدالرحمن بن عوف، وعائشة و...

فقد روى المتقي الهندي عن ابن مردويه من مسند عمر، عن حذيفة قال: «قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: إثنتين أو ثلاث وسبعين، قال: ان كانت لتقارب سورة البقرة، وان كان فيها لآية الرجم»[1].

وروى البخاري بسنده عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب في أيام خلافته أنّه قال: «إنّ الله بعث محمداًﷺ بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول اللهﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله: والرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان من الحبل أو الإعتراف، ثم إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (أن لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو: كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)»[2].

وروى المتقي الهندي أيضاً، عن عدي بن عدي بن عميرة بن فروة، عن أبيه، عن جدّه: «إنّ عمر بن الخطاب قال لأُبيّ: أوليس كنّا نقرأ من كتاب الله: أنّ انتفاءكم من آبائكم كفر بكم؟ فقال: بلى. ثم قال: أوليست كنّا نقرأ: الولد

---

(١) كنز العمال: ٢ / ٤٨٠ (٤٥٥٠)، ونحوه في مسند أحمد بن حنبل، عن أبي بن كعب: ٥ / ١٣٢ (٢١٢٤٤)، وأنظر: الأحاديث المختارة للمقدسي: ٣ / ٣٧٠ (١١٦٤)، مستدرك الحاكم: ٢ / ٤٥٠ (٣٥٥٤)، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٣٦٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الردة، باب رجم الحبلى إذا احصنت: ٨ / ٢٥٠٤ (٦٤٤٢).

للفراش وللعاهر الحجر؟! فُقد فيما فقدنا من كتاب الله، قال: بلى»[1].

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن عوف، قال: «قال لي عمر: ألسنا كنّا نقرأ فيما نقرأ: وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم أوله؟ قلت: بلى، فمتى هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كانت بنو أميّة الأمراء، وبنو المغيرة الوزراء!!»[2].

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة، أنّها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن»[3].

وروى نافع عن ابن عمر أنّه قال: «لا يقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّه، وما يدريه ما كلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر»[4].

وروت حميدة بنت أبي يونس، قالت: «قرأ عليَّ أُبي - وهو ابن ثمانين سنة - في مصحف عائشة: إنّ الله وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وعلى الذين يصلون في الصفوف الأول، قالت: قبل أن يغيّر عثمان المصاحف»[5].

---

(١) كنز العمال: ٦ / ٢٠٨ (١٠٣٧٢)، وأنظر: التمهيد لابن عبد البر: ٤ / ٢٧٦، الإتقان للسويطي: ٢ / ٦٨ (٤١٢٦).

(٢) أنظر: الدر المنثور للسيوطي: ٤ / ٣٧١، كما أخرجه البيهقي في الدلائل عن المسور بن مخرمة.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب بالتحريم بخمس رضعات: ٢ / ١٠٧٥ (١٤٥٢)، وأنظر: سنن الدارمي، كتاب النكاح: ٢ / ٢٠٩ (٢٢٠٣).

(٤) أنظر: الاتقان للسيوطي: ٢ / ٦٦ (٤١١٧).

(٥) المصدر نفسه: ٢ / ٦٧ (٤١٢١).

هذا فضلاً عن عشرات الروايات التي تذكر جملة من الصحابة الذين قالوا بوقوع الزيادة والنقصان في كتاب الله تعالى، وأنّ من إئتم بهم يعتبره صحيحاً ويروي في صحاحه[1].

والأشد من هذا مازال جمع من علماء أبناء العامة يقولون بالتحريف من حيث لا يشعرون!، فيقول محمّد محمّد عبد اللطيف المعروف بأبن الخطيب صاحب كتاب (الفرقان): «ومن أعجب العجب ادعاؤهم أن بعض الآيات قد نسخت تلاوتها وبقي حكمها، وهو قول لا يقول به عاقل.

وذلك لأنّ نسخ أحكام بعض الآيات مع بقاء تلاوتها ؛ أمر معقول مقبول، حيث أنّ بعض الأحكام لم ينزل دفعة واحدة، بل نزل تدريجياً لتألفه النفوس، وتستسيغه العقول، وهنا كانت الحكمة جلية ظاهرة في نسخ أحكام بعض الآيات مع بقاء تلاوتها.

أمّا ما يدّعونه من نسخ تلاوة بعض الآيات مع بقاء حكمها ؛ فأمر لا يقبله إنسان يحترم نفسه، ويقدّر ما وهبه الله تعالى من نعمة العقل، إذ ما هي الحكمة في نسخ تلاوة آية مع بقاء حكمها؟!»[2].

ولا يخفى أنّ هذا القول ـ نسخ التلاوة وبقاء الحكم ـ هو قول بالنقيصة والإسقاط، وهو قول علماء أبناء العامة، بل أنّ هذا القول من إبداعاتهم في هذا الباب!

الشيعة وعلم الحديث:

مما يلاحظ على أقوال الغريب، قوله: «والرافضة جهلة بعلم الحديث، وما

---

(١) تم ذكر بعض مصادر القوم فيما سبق، فراجع.

(٢) الفرقان: ١٥٦ ـ ١٥٧.

يدرّس في جامعاتهم هزيل جداً، وإذا سألتهم عن سند حديث قالوا: رواه الحسين أو محمّد الباقر أو موسى الكاظم...»[1].

وبهذا نجد أنّه ينكر دور شيعة آل البيت عليهم السلام في تشييد أركان الحضارة الإسلامية برمتها، ومساهمتهم في إغناء علم الحديث، وهو أمر لا يشك به عاقل مطّلع على تراث المسلمين، فقد بادر أئمة الشيعة عليهم السلام وعلماؤهم إلى تدوين سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظها في الوقت الذي منع غيرهم ذلك!.

ولقد أدرك أتباع أهل البيت عليهم السلام شرف السنة النبوية ودورها في تبيين ما أنزل الله في كتابه العزيز، في حين جعل غيرهم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراء ظهورهم ورفع شعار «حسبنا كتاب الله»!.

وقد انبرى الشيعة الإمامية لصيانة السنة النبوية الشريفة من الدسّ والتزوير من خلال تدوينهم وتنقيحهم لها، وقد أنجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في القرون الثلاثة الأولى محدثين كبار لهم ثقلهم في العالم الإسلامي، فكان منهم:

١ ـ يونس بن عبد الرحمن: وهو من تلامذة الإمام موسى الكاظم والإمام عليّ الرضا عليهما السلام، وقد وصفه ابن النديم في فهرسته بعلاّمة زمانه، له جوامع الآثار، والجامع الكبير، وكتاب الشرائع.

٢ ـ صفوان بن يحيى البجلي (ت ٢٢٠ هـ): كان أوثق أهل زمانه، وصنّف ثلاثين كتاباً.

٣ ـ الحسن والحسين إبنا سعيد الأهوازي: صنفا ثلاثين كتاباً.

٤ ـ أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ): صاحب كتاب (المحاسن).

---

(١) وجاء دور المجوس: ١٢٠.

٥ ـ محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمّي (ت ٢٩٣ هـ): صاحب الجامع المعروف.

٦ ـ محمّد بن أبي نصر البزنطي (ت ٢٢١ هـ): صاحب الجامع المعروف.

وقد ألّف رجالات الشيعة جوامع حديثية في القرنين الرابع والخامس، منها:

١ ـ الكافي، لثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩ هـ).

٢ ـ من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ).

٣ ـ كتابي التهذيب والاستبصار، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

كما أضيفت جوامع حديثية أخرى في القرن الحادي عشر، منها:

١ ـ وسائل الشيعة للحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ).

٢ ـ بحار الأنوار، للشيخ المجلسي (ت ١١١٠ هـ).

٣ ـ الوافي، للمحدّث الكاشاني (ت ١٠١٩ هـ).

وهذا أدلّ دليل على إعتناء الشيعة بسنّة النبيّ ﷺ وعدم تضييعهم لها، وكذا على خبرتهم في الآثار المروية عن الرسول الكريم ﷺ عن طريق الائمة الطاهرين عليهم السلام من آله.

ومع هذا كلّه يدّعي الغريب جهل الشيعة بعلم الحديث، ثم يستهزأ بهم لإسنادهم الأحاديث إلى أئمتهم! وكأنّه لم يراجع تراجم هؤلاء الأعاظم في كتب العامة، ليعرف منزلتهم ومكانتهم بين المسلمين، واذ هو يستهزىء بالشيعة للرواية عن أئمتها، ليته كان يمعن النظر في صحاحه التي تروي عن بعض النواصب والخوارج والمارقين والمتهتكين، فيحكم بين منهج أبناء العامة في رواية الحديث ومنهج الشيعة في ذلك.

والأعجب من ذلك!! قوله: «... ونختلف مع الرافضة[1] في الأصل الثاني من أصول الإسلام ـ السنة ـ».

ثم يقول: «لايؤمن الشيعة بالأحاديث التي وردت في صحيحي البخاري ومسلم... ولايؤمنون بمسند الإمام أحمد وموطأ مالك وسنن الترمذي وابن ماجة والنسائي وأبي داود وغيرها من كتب الحديث»[2].

البخاري وصحيحه:

من المستغرب أن يعتبر الغريب عدم قبول الشيعة لما ورد في صحيح البخاري وغيره من الصحاح عندهم، اختلافاً في الأصول!

فيبدو أنّه لم يراجع الأسباب التي اعتمد عليها الشيعة في عدم أخذهم الأحاديث من صحيح البخاري، وكأنّه لا يعلم أنّ أدنى تأمّل في تاريخ وشخصية محمد بن إسماعيل البخاري يكشف لنا حقيقة أمره وماهية (صحيحه)!.

فقد قال محمّد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٨ هـ) ـ والذي إنتهت إليه مشيخة العلم بخراسان ـ عن شخصية محمّد بن إسماعيل البخاري: «من ذهب بعد هذا إلى محمّد بن إسماعيل البخاري فاتهموه»[3].

ومحمد بن يحيى الذهلي هو من قال فيه علماء الرجال وأئمة الجرح والتعديل ما يكفي:

فقال أبو حاتم الرازي: «محمّد بن يحيى الذهلي إمام أهل زمانه»[4].

---

(١) أراد بالرافضة هنا الشيعة.

(٢) وجاء دور المجوس: ١٢٠.

(٣) أنظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢ / ٣١ ـ ٣٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢ / ٤٥٥، تاريخ الإسلام للذهبي: وفيات (٢٥١ ـ ٢٦٠): ٢٦٨.

(٤) أنظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣ / ٤١٨، تاريخ الإسلام للذهبي: وفيات (٢٥١ ـ ٢٦٠) ٣٤٠.

وقال الذهبي: «كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد ومالك بالمدينة»[1].

وقال النسائي: «محمّد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري، مأمون»[2].

ولهذا نجد أبي حاتم وأبي زرعة الرازيين تركا البخاري! علماً أنّهما كانا يُعدّان من أئمة العامة في الجرح والتعديل، وكانت على أقوالهم تدور صحة أوسقم المرويات عن السنة النبوية، كما أنّ سبب ذكر الذهبي للبخاري في الضعفاء والمتروكين هو جرح الذهلي له.

كما اعتبر جماعة من أبناء العامة أنّ البخاري مدلّساً[3]، والتدليس يوجب الجرح في الراوي، ومن ثبت عليه التدليس ولو مرّة صار مجروحاً، والجرح في الراوي يوجب ضعف الحديث ويجعله غير مقبول [4].

وقد ذكر الذهبي طرفاً من تدليساته، حينما قال: «وقال أبو نصر الكلاباذي: روى البخاري عنه ـ الذهلي ـ فقال مرّة: ثنا محمّد، وقال مرّة: ثنا محمّد بن عبدالله نسبة إلى جده، وقال مرّة: ثنا محمّد بن خالد، ولم يصرّح به قط، وقال الحاكم: روى عنه البخاري نيفاً وأربعين حديثاً»[5].

وقال الذهبي أيضاً: «ثم أنّ البخاري قد روى عن محمّد غير منسوب عنه

---

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢ / ٢٧٤.

(٢) أنظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣ / ٤١٨.

(٣) التدليس: هو اخفاء عيب في الاسناد، وهو خداع وخيانة، لأنّ المدلّس يوهم السامع بسماع هذا الحديث من المشايخ مع أنّه لم يسمعه.

(٤) أنظر: أسباب رد الحديث: ٨٧.

(٥) أنظر: تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (٢٥١ ـ ٢٦٠): ٣٤٢، رجال الصحيح للكلاباذي: ٢ / ٦٨٧.

فكان محمداً الذهلي»[1].

وقال ابن حجر في أجوبته عن السؤال عن محمّد الذي يروي عن البخاري من هو؟ قال: «والذي ترجّح لي أنّه الذهلي، والبخاري من عاداته أن لا يفصح به ـ أنّه محمد بن يحيى الذهلي ـ»[2].

فإذا أراد بذلك أن يذكر شيخه الذي سمع منه بما لا يُعرف عند أهل الحديث! فذكره بما ليس مشهوراً، وهذا هو التدليس الذي قرنه بعضهم في الحكم بقذف المحصنات، وبعض آخر بأنّه أشدّ من الزنا[3].

وقال ابن حجر: «محمّد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري: الإمام، وصفه بذلك أبو عبد الله بن مندة في كلام له، فقال فيه: أخرج البخاري قال: فلان، وقال: أخبرنا فلان، وهو تدليس»[4].

وقال سبط ابن العجمي: «محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة شيخ الإسلام البخاري، ذكر ابن مندة أبو عبد الله في جزء له في شروط الأئمة في القراءة، والسماع، والمناولة، والإجازة أخرج البخاري في كتبه الصحيحة وغيرها قال لنا فلان، وهي إجازة، وقال فلان، وهو تدليس»[5].

فهذه وجهات نظر وآراء بعض علماء العامة في الرجل!! وفضلا عن ذلك قد كان البخاري في نظر الذهلي وأكثر علماء نيسابور ـ في ذلك العصر ـ مطروداً

---

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠ / ٣٧٩.

(٢) أنظر: إكمال مبهمات البخاري لابن حجر: ٧٦.

(٣) أنظر: يالكفاية في علم الدراية، باب الكلام في التدليس للخطيب: ٣٥٥، ٣٧١، جامع التحصيل للعلائي: ١ / ١١٦.

(٤) أنظر: طبقات المدلّسين لابن حجر: ٢٤ رقم ٢٣.

(٥) أنظر: التبيين لأسماء المدلّسين لابن العجمي: ١٧٧ رقم (٦٤).

ومضلاً ومنحرفاً عن العقيدة، مما حدا به إلى الرحيل عنها!.

ولمعرفة قيمة ماورد في صحيح البخاري من أخبار، نكتفي بذكر رواية والي بخارى أحيد بن أبي جعفر، التي يقول فيها: «قال محمّد بن إسماعيل يوماً: ربّ حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، وربّ حديث سمعته بالشام كتبته بمصر! فقلت له: يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسكت»[1].

وإنّ أوّل من فتح باب الانتقاد على صحيح البخاري وغيره من الصحاح ومؤلفيها هم علماء العامة أنفسهم!.

فقد قال مسلمة حول البخاري وكتابه الصحيح: «ألّف عليّ بن المديني ـ شيخ البخاري ـ كتاب (العلل)، وكان ضنيناً ـ به ومهتماً به كلّ الاهتمام، لكي لا تناله الأيدي ـ فغاب يوماً في بعض ضياعه ـ خارج المدينة ـ فجاء البخاري إلى بعض بنيه وراغبه بالمال على أن يرى الكتاب يوماً واحداً، فأعطاه له، فدفعه البخاري إلى النسّاخ فكتبوه له، وردّه إليه، فلمّا حضر عليّ بن المديني وجلس بمجلسه ـ تكلم بشيء، فأجابه البخاري بنصّ كلامه مراراً، ففهم القضية، واغتم لذلك! فلم يزل مغموماً حتى مات بعد يسير.

واستغنى البخاري بذلك الكتاب ـ عن البحث والتنقيب في الأحاديث ـ وخرج إلى خراسان ووضع كتابه الصحيح، فعظم شأنه وعلا ذكره»[2].

وأمّا بقية الصحاح فنترك القول فيها لأحد أبناء العامة، حيث يقول:

«وهناك الكثير من أمثال هذا الحديث[3]، مما يناقض العقل والمروءة والآداب، وقد وردت جميعها في أُمهات الكتب الصحيحة المعتمدة... ومن

---

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢ / ٤١١.

(٢) أنظر: تهذيب التهذيب للعسقلاني: ٩ / ٤٧ ـ ٥٤.

(٣) حديث عائشة في ارضاع الكبير.

أعجب العجب!! ألاّ يتعرّض شرّاح الأحاديث لمثل هذا الحديث بتجريح أو تصحيح.

وإنّي أترك المؤمن الذي لا يتقيّد بالتقليد الأعمى، ولا يتّبع الأسماء الرنّانة، التي دسّ الدسّاسون، وأبطل المبطلون تحت ستارها، وهي من كل هذا براء، إنّي أتركه ليفكر في نفسه: هل مثل هذا صحيح؟ وهل نشر مثله على سواد الأمّة جائز؟»[1].

لماذا هذا التمزق في الساحة الإسلامية؟

يقول الأخ عبد الله دوسو: «لقد كانت قراءتي لكتاب (وجاء دور المجوس) قراءة مركزة، وتخللها في الأثناء مراجعة لمصادر الشيعة، فوجدت أنّ المؤلف لم يكن منصفاً في البحث، كما أنني كنت أقارن بين ما سطّره في كتابه وبين سلوك ومنهج الأساتذة الشيعة ـ اللبنانيين ـ الذين تتلمذت على أيديهم، فخرجت بنتيجة ملخّصها: إنّ ساحتنا الإسلامية ـ وللأسف ـ تفتقد الحوار الموضوعي في المجالات التي تختلف فيها وجهات النظر بين علماء المسلمين، كما أنّها أضحت ساحة يهيمن عليها الانفعال والعصبية، لأنّ معظم المؤسسات والمراكز الدينية أصبحت جسراً لوصول البعض إلى مبتغياتهم ومصالحهم الشخصية.

ومن هذا المنطلق غدا الدفاع عن المذهب أو التكتل الفكري للبعض يشكّل حالة دفاع عن موقعية اجتماعية تضمن لهم الاستمرار لنيل مآربهم، وبهذا يكون من الواضح أن لا ينطلق الحوار والبحث من نوايا صادقة ودوافع سليمة».

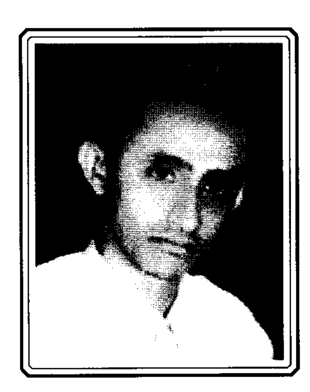
وضع النقاط على الحروف:

ويضيف الأخ عبد الله: «فبدأت بغربلة المعتقد الذي كنت أنتمي إليه،

---

(١) أنظر: الفرقان لابن الخطيب: ١٦١ ـ ١٦٢.





❖ علي أبو بكر.

❖ ولد عام ١٩٧٨م بمدينة (مالانك) في اندونيسيا.

❖ تحول من المذهب الشافعي إلى مذهب أهل البيت عام ١٩٩٠م بمدينة بانجيل الاندونيسية بعد مناقشات ومباحثات عديدة أجراها مع بعض العلماء وأصحاب الإختصاص في المجال الفكري والعقائدي.



علي أبو بكر

ولد عام ١٩٧٨م بمدينة «مالانك» في أندونيسيا[1]، نشأ في أوساط عائلة مسلمة تعتنق المذهب الشافعي.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام في التسعينات بمدينة «بانجيل» الأندونيسية، بعد مباحثات ومناقشات عديدة أجراها مع العلماء وأصحاب الاختصاص في المجال الفكري والعقائدي، ومطالعات كثيرة لكتب الحديث.

السعي لمعرفة الحق:

يقول الأخ علي الحبشي: «بعد بلوغي مرحلة النمو والنضوج الفكري وتفتح الذهنية لاكتساب المعارف، زاد عندي حبّ الاستطلاع حول مباني العقيدة الإسلامية وآراء المذاهب فيها، لاسيما في ما يتعلق بالأُصول وخصوصاً التوحيد والعدل الإلهي، فعكفت على المطالعة في هذا المجال حتى تبيّن لي أنّ آراء الأشاعرة والمعتزلة غير متّسقة ومتناقضة ومتأرجحة بين الجبر وسلب الاختيار، وبين التفويض وحرية الاختيار، فزادت حيرتي لا سيما بعد أن وجدت

---

(١) أندونيسيا: تقع في جنوب شرق آسيا، يبلغ عدد سكانها (٢٢٥) مليون نسمة، وتعتبر من أكبر الدول الإسلامية من حيث النفوس، والشيعة تتواجد في هذا البلد حيث يقدر عددهم بمئات الآلاف، والجدير ذكره أن تاريخ التشيع في هذا البلد بدأ منذ القرن الرابع الهجري على يد أحفاد عليّ بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، لا سيما السيد أحمد بن عيسى بن محمّد ابن عليّ بن الإمام الصادق عليه السلام.

استفساراتي وأسئلتي لم تجد الإجابات المقنعة، بل لم تلق تجاوباً ملحوظاً من قبل علماء مذهبي.

فانعطفت في مسيرة بحثي بإتجاه كتب الحديث لعلّي أجد ضالتي فيها، وأوّل ما بدأت بكتاب صحيح البخاري ـ لأعتقادي بصحّة كل ما فيه، وأنّه كتاب لا يفوقه سوى القرآن ـ باعتباره جامع لمعظم أحاديث النبيّ ﷺ في مختلف المجالات، بصورة لا شائبة فيها.

لكنّني بمجرد أن تأملت وأمعنت النظر في أبوابه وفصوله، تغيّرت رؤيتي له».

صحيح البخاري عند أبناء العامة:

إنّ أبناء العامّة يعتبرون صحيحي البخاري ومسلم من أصحّ الكتب وأكثرها اعتباراً وضبطاً بعد القرآن الكريم! ولذلك اعتمدوا عليهما تمام الاعتماد، واهتموا بهما غاية الاهتمام، حتى غالوا فيهما وبالغوا في اطرائهما، فصححوا كل ما ورد فيهما، وأنزلوهما بمنزلة عجيبة، بحيث لم يجوّزوا نقدهما من حيث المتن أو السند!.

وذلك لأنّهم يعتقدون أنّ ما فيهما هو من نطق رسول الله ﷺ، وأنّ الذين رووا هذه الأحاديث جازوا القنطرة[1]!، حتى قال القاضي الفضل بن روزبهان في هذا الصدد ـ وهو يرد على العلامة الحلّي ـ: «لو أنّ أحداً حلف يميناً بأنّ كل ماورد في الصحاح الستة من الأحاديث فهو صحيح وهو قول رسول الله ﷺ، لكان يمينه صحيحاً ولا عليه حنث»[2]!.

---

(١) أنظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١ / ٥٤٣.

(٢) أنظر: إحقاق الحق للتستري (الطبعة الحجرية): ذيل حديث «عليّ صاحب الحوض واللواء»،

ولقد كان لصحيح البخاري النصيب الأوفر من المدح والإطراء حتى بالغ كثير منهم في هذا المجال:

فقال الجلبي: «إنّ السلف والخلف قد أطبقوا على أنّ أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم»[1].

وقال الذّهبي: «وأمّا جامع البخاري الصحيح فأجّل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله عزّوجلّ»[2].

وقال النووي: «إنّ أصح الكتب بعد القرآ ن الصحيحان: البخاري ومسلم، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد»[3].

وقال ابن حجر المكي: «الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتدّ به»[4].

وقال القاسمي: «صحيح البخاري عدل القرآن»[5].

نظرة في صحيح البخاري:

يقول الأخ علي الحبشي: «كشفت لي دراستي المعمقة لصحيح البخاري وشروحه أموراً لم أكن أتوقّعها من قبل، فإنّها أدّت إلى فقدان اعتبار هذا الكتاب عندي».

والباحث المدقق، يجد في أحاديث البخاري وأسانيده من الخلل والضعف

ودلائل الصدق للمظفر: ١ / ٤٦، ٢ / ٥٩٠.

(١) أنظر: كشف الظنون للملا الچلبي: ١ / ٤٢٧، عمدة القاري: ١ / ٢٤، المقدمة.

(٢) أنظر: ارشاد الساري للقسطلاني: ١ / ٥١.

(٣) أنظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ١ / ١٢٨.

(٤) أنظر: الصواعق المحرقة لابن حجر: ١ / ٣١.

(٥) أنظر: قواعد التحديث للقاسمي: ٢٥٠.

ما يوجب سقوط الكثير من رواياته، وبالخصوص بعد النظر لأقوال علماء الجرح والتعديل من أهل العامة في هذا المجال:

فقد قال ابن الصلاح: «لقد احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الطعن بهم، كعكرمة مولى ابن عباس، وإسماعيل بن أويس، وعاصم بن عليّ، وعمرو ابن مرزوق وغيرهم»[1].

ونقل العراقي في شرح ألفيته: «أنّ النسائي ضعّف جماعة أخرج لهما الشيخان»[2].

وقال أحمد شاكر في شرحه لألفية السيوطي: «قد وقع في الصحيحين كثير من رواية بعض المدلّسين»[3].

وقال شعبة بن الحجاج: «ممن اشتهر بالتدليس أبو هريرة»[4]، وقد اعتمد عليه البخاري أكثر من جميع الصحابة!.

فهذه المؤاخذات على صحيح البخاري لايمكن غضّ الطرف عنها، لأنّ ضعف قسم من رجاله وعدم توثيقهم ـ فضلاً عن روايته واعتماده على ضعاف الإيمان[5] والخوارج[6] والنواصب[1] ـ تجعل المرء غير مطمئن بالركون إليه.

---

(١) أنظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: ٨٦، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ١٣٦.

(٢) أنظر: شرح ألفية العراقي: ٣ / ٢٦٢.

(٣) أنظر: ألفية السيوطي: ٣٣.

(٤) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢ / ٦٠٨، تاريخ ابن عساكر: ٦٧ / ٣٥٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٧٧.

(٥) كعمرو بن العاص المعروف بفسوقه وفجوره، والمشهور بعدائه لأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام والمؤلب عليه الاعداء.

(٦) كعمران بن حطان، أحد زعماء وخطباء الخوارج، والمشهور ببغضه للإمام عليّ عليه‌السلام ، بحيث

كما يدرك أنّ محمّد بن إسماعيل البخاري قد تحكّمت الطائفية والعصبية المقيتة في عقيدته[٢]! حيث لم يرو حديثاً واحداً عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام !، الذي أقرّ المخالف والمؤالف بفضله وسعة علمه ونقاء منهجه.

وتوجد أسباب أخرى تقلّل من قيمة صحيح البخاري العلمية، منها:

الفترة الزمنية الطويلة الممتدة بين صدور الأحاديث النبوية الشريفة وتاريخ تدوينها، وما تخلّل تلك الفترة من الدسّ والوضع والتحريف والحذف وما شابه ذلك!، فلهذا تجد هذا الكتاب يعج بروايات شاذّة ليس لها إلاّ إسناداً واحداً[٣]، كما يعج بالإسرائيليات الكثيرة[٤]، فضلا عن الروايات القادحة بصميم النبوّة، وتمس نفس شخص الرسول صلى الله عليه وآله، كشكه[٥]، وسهوه ونسيانه[١]، وسحره لبعض

أنّه امتدح عبدالرحمن بن ملجم في ابياته المعروفة، عندما اغتال الإمام عليه السلام.

(١) كعبد الله بن الزبير، المناصب للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام العداء والبغض، والمقاتل له يوم الجمل مع جموع الناكثين.

(٢) لاحظ إغماضه لبعض فضائل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وعدم ذكره لأحاديث: الغدير، الطائر المشوي، سد الأبواب، أنا مدينة العلم وعلي بابها وغيرها التي ثبّتها أهل الصحاح والكتب الاخرى.

(٣) قال الحاكم النيسابوري في المستدرك، بعد نقل أحد الأحاديث: «ولعل متوهماً يتوهم أن هذا متن شاذ فلينظر في الكتابين ـ كتابي البخاري ومسلم ـ ليجد من المتون الشاذة التي ليس لها إلاّ إسناد واحد ما يتعجب منه، ثم ليقس هذا عليها»، المستدرك: ١ / ٧٠ (٥٢).

(٤) أنظر: صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الصافات، وكتاب الخصومات، وكتاب الأنبياء: باب قول الله «وكلم الله موسى تكليماً»، وباب «ان يونس لمن المرسلين»، وكتاب الرقاق: باب نفخ في الصور، وباب وفاة موسى.

(٥) أنظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، والرواية عن عائشة تذكر فيها كيفية بدء الوحي وهي لم تولد بعد!! وظاهر الرواية يقول: إن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يطمئن بتعينه وانتخابه رسولا من قبل رب العزة، وأنه كان يخشى على نفسه فذهب لورقة بن نوفل النصراني بعد نصيحة زوجته

الوقت[٢]، وشغفه ـ والعياذ بالله ـ بالغناء والغواني[٣]، وتعرّيه أمام الناس[٤]، وتفرجه ومشاهدته للرقص[٥]!!

ومنها تقطيعه للأحاديث وانتخاب ما يتمشى منها مع ذوقه ورأيه، وحذف عبارات من مقدمة الحديث أو نهايته[٦].

ومنها نقله جملة من الأحاديث بالمعنى وعدم روايتها باللفظ، وكذا تغطيته وتعتيمه على بعض الأسماء وإتيانه لها بشكل مجهول بكلمة«فلان»[٧]!.

ليسأله سؤال التلميذ من الاستاذ!! فعرّفه ورقة ذلك هو الملك، فعرف أنّه بعث رسولا، فكأن ورقة أعلم منه ﷺ بالبعثة!.

(١) أنظر: صحيح البخاري: ١ / ١٥٦ (٣٩٢)، عن النبيّ ﷺ قال: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون...»، ١ / ١٥٧ (٣٩٦)، وعن عبدالله قال: «صلى النبيّ الظهر خمساً...»، ١ / ١٨٢ (٤٦٨)، وعن أبي هريرة: «صلى بنا رسول الله ﷺ أحدى صلاتي العشاء... فصلى بنا بركعتين...»، ٢ / ٩٤٠ (٢٠١٢)، وعن عائشة قالت: «سمع رسول الله ﷺ... لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها من سورة كذا وكذا».

(٢) أنظر: صحيح البخاري: ٥ / ٢١٧٤ (٥٤٣٠)، عن عائشة قالت: «سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق...»، وكذا ٥ / ٢٣٤٧ (٦٠٢٨).

(٣) أنظر: صحيح البخاري، كتاب الفضائل، فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، وكتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، وكتاب المناقب، باب رقصة الحبش، كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها.

(٤) أنظر: صحيح البخاري، باب بنيان الكعبة: ٣ / ١٣٩٢ (٣٦١٧).

(٥) أنظر: صحيح البخاري، كتاب الفضائل في ذيل باب شهود الملائكة بدر، وكتاب النكاح باب ضرب الدف، وكتاب النكاح باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس، وكتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب قول النبيّ ﷺ للأنصار.

(٦) أنظر: صحيح البخاري، وكتاب التيمم، وكتاب الطلاق، وكتاب الحدود.

(٧) أنظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، وكتاب الفتن.

ومنها تكميل كتاب صحيح البخاري وتتميمه من قبل الآخرين!، خصوصاً وأنّ بعض الكتاب كان مبيضّاً والقسم الآخر منه كان غير تام[1] ؛ ونسبة الكتاب كله إلى محمّد بن إسماعيل البخاري فرضية لا أكثر!.

هذا فضلا عن كثير من الأحاديث المخالفة صراحة للأدلّة العقلية والنقلية.

نقد بعض أبناء العامة لصحيح البخاري:

إنّ كتاب البخاري ـ جملة وتفصلا ـ عرضة للنقد، والجدير بالذكر أنّ أوّل من فتح هذا الباب على هذا الكتاب هم أبناء العامة أنفسهم، لا سيما العلماء والمحدثين والحفاظ والشراح الذين يعتمد على أقوالهم، والذي كان منهم:

١ ـ أبو زرعة ـ المعدود من حفاظ الحديث وأعلام الرجال ـ فقد نقل الخطيب البغدادي عن سعيد بن عمرو، قال: «شهدت أبا زرعة الرازي، ذكر كتاب الصحيح الذي ألّفه مسلم بن الحجاج، ثم الصائغ على مثاله ـ صحيح البخاري ـ فقال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدّم قبل أوانه فعملوا شيئاً يتشوفون به»[2].

٢ ـ ابن همام، حيث قال: «وقول من قال: أصح الأحاديث ما في الصحيحين، ثم ما أنفرد به البخاري، ثم ما أنفرد به مسلم، ثم ما أشتمل على شرطهما، ثم ما أشترط على أحدهما، تحكم وباطل لايجوز التقليد فيه»[3].

٣ ـ أحمد أمين ـ الكاتب المصري ـ حيث قال: «وقد ضعّف الحفاظ من رجال البخاري نحو ثمانين، وفي الواقع هذه مشكلة المشاكل... ومن هؤلاء الذين روى

---

(١) أنظر: إرشاد الساري للقسطلاني: ١ / ٤٣، هدي الساري مقدمة فتح الباري للعسقلاني: ٨، فتح الباري للعسقلاني: ١ / ٥، حياة البخاري (للقاسمي): ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) أنظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٤ / ٢٧٢ (٢٠٢٣).

(٣) أنظر: أضواء على السنة المحمّدية لابي رية: ٣١٢.

عنهم البخاري وهم غير معلومي الحال: عكرمة مولى ابن عباس... ومسلم ترجح عنده كذبه»[1].

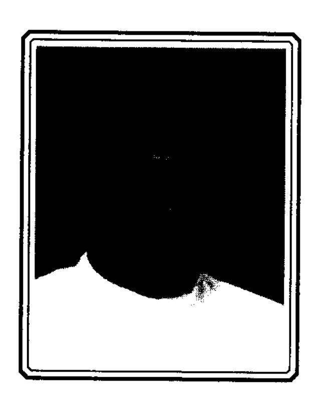
فهذا ـ بشكل موجز ـ ما أبداه بعض علماء العامة حول الصحاح عموماً، وصحيح البخاري خصوصاً.

البصيرة وإزالة الحجب عن النفس:

يختم السيد علي الحبشي حديثه قائلاً: «دفعتني هذه الحقائق لأنّ أعيد النظر تماماً حول كتاب البخاري ومؤلفه، فقد كان هذا الجامع مرجعاً روائياً مهماً بالنسبة لي، وإذا بي أجده مليئاً بالثغرات!.

فتابعت بحثي وكثّفت مطالعاتي، فكانت النتائج باهرة بالنسبة لي، وأخيراً كان لأحاديث الثقلين، والأئمة اثنا عشر، وكلّهم من قريش، والغدير، وآية التطهير، دوراً كبيراً في إزالة الحجب التي كانت تمنع بصيرتي من رؤية الحقّ، فاهتديت بعد ذلك إلى طريق أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ثم أعلنت استبصاري في مدينة«بانجيل».

(١) أنظر: ضحى الإسلام لأحمد أمين: ٢ / ١١٧.



❖ محمد كراووما.

❖ ولد عام ١٩٦١م بقرية (نابيلا) في جمهورية غانا.

❖ كان في أول أمره وثني المعتقد وكان اسمه (نيندو) ثم تحول إلى المسيحية فتسمى باسم (صاموئيل) ثم تحول إلى الإسلام وتسمى بإسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تيمناً بإسم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

❖ تحول إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام في مدينة (أكرا) عاصمة غانا.



محمد كراووما

ولد عام ١٩٦١م بقرية «نابيلا» في جمهورية غانا[1]، كان في أوّل أمره وثني المعتقد واسمه آنذاك «نيندو»، ثمّ تحوّل إلى المسيحيّة فتسمى باسم «صاموئيل»، بعدها اعتنق الإسلام فانتخب اسم «محمّد» تيمناً باسم النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

تشرّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٤م في «أكرا» عاصمة غانا.

البحث عن الضالة المنشودة:

يقول الأخ محمّد: «لقد انتشلني الله سبحانه وتعالى من الضياع عندما أدركت سخافة الديانة الوثنية، وسأطوي الحديث عن هذه الفترة لأنّها كانت من عمري الضائع.

تحولت إلى الديانة المسيحيّة مع أكثر أبناء قريتنا، على أثر حركة التنصير التي تعج بها قارة أفريقيا، وعندما أصبحت مسيحياً عكفت على دراسة الكتاب المقدس وقراءته بإمعان، كي أرسخ أركان المعتقد المسيحي - عقيدة التثليث - في ذهني، وبالتالي أتمكن من إقناع الآخرين للاعتقاد والإيمان بها.

إلاّ أنّني حقيقة لم أخرج بنتيجة من التثليث، وتاهت عليَّ معالم الربّ بين

(١) غانا: أنظر الترجمة رقم (٢٦).

الأبّ والإبن وروح القدس!».

الحقيقة أنّ فكرة تأليه المسيح عليه السلام نكسة قاتلة أصابت النصرانيّة في صميمها، ونقلتها من دين سماوي خالص إلى دين وثني، ولم يكن هذا الأمر مستبعداً من أهل كتاب بعد أنْ عبثت بهم الأهواء والأغراض، فغيّرت الكثير من معالمهم الدينية التي جاء بها المسيح عليه السلام، حتى جعلتهم يتخبطون في معتقدهم وفي حيرة من أمرهم، لا يعرفون السبيل لتأويل المعتقدات المتناقضة التي وضعتها أيدي التحريف.

فاعتقادهم أنّ المسيح هو الله ـ تعالى عمّا يقولون ـ لا يتلاءم مع قولهم بأنّه ابن الله! فإنّه ليس من المعقول أن يكون الأبّ إبناً لنفسه، والإبن أباً لنفسه أيضاً! ثمّ ماهو دور الاقنوم الثالث بين هذين الاثنين؟ وما مدى صلاحية وحدود اختصاص كلّ منهم؟!.

ولذا اضطر رجال الكنيسة بعد مواجهتهم لهذه التناقضات أن يلتجؤوا إلى جملة من التبريرات وطرحها بشكل غامض ومبهم، لتكون إجابتهم لأتباعهم أنّ هذه المعتقدات أمور تعبدية لا سبيل للعقل أن يفهم غور معناها، فحدّوا بذلك الاستفسارات التي كان يوردها عليهم أتباعهم وطوقوها بحدود ليمنعوا المنتمين إلى ملتهم من الخوض فيها.

البشارة وبداية البحث:

يقول الأخ محمّد: «على الرغم من الغموض الذي واجهته في الديانة المسيحيّة وجدت بعض الإشارات في الكتاب المقدّس تستحق أن يتأمّل فيها، كبشارة الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في إبنه إسماعيل عليه السلام، والتي تذكرتها كتب العهد القديم: «أمّا إسماعيل فقد استجبت لطلبتك من أجله سأباركه حقّاً،

وأجعله مثمراً وأكثر ذريته جداً، فيكون أباً لإثني عشر رئيساً ويصبح أمّة كبيرة»[1].

فكنت أتساءل في نفسي: من هم هؤلاء الاثنا عشر؟ وأي مقام لهم عند الله حتى يذكرون وهم في عالم الغيب؟

وتبيّن لي من القرائن المذكورة أنّهم ليسوا من أمّة عيسى المسيح عليه السلام ولا من ذريته، لأنّ عيسى عليه السلام لم يتزوج، فعرفت من هذا ضرورة وجود مبعوث آخر له هذه الذريّة.

فصببت جلّ اهتمامي على هذه البشارة، ولجأت إلى مراجعة الأديان السماوية الأخرى لأعرف مدى تحقق هذه البشارة المهمة عندهم، وأوّل ما بدأت به هو ما أورده بعض علماء المسيحيّة حول هذا الأمر وما يتعلق به».

أقوال علماء غير المسلمين حول البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أورد بعض العلماء العارفين باللغة العبرية معارف هامة حول اسم النبيّ الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، وذكروا أنّ اسم محمّد قد ورد في سياق بركة إسماعيل عليه السلام بحساب الجمل.

فورد في كتاب (أنيس الأعلام في نصرة الإسلام)[2] نصّاً عبرياً ترجمته بالعربية: «لقد سمعت دعاءك بخصوص إسماعيل، ها أنا أباركه وأثمره وأجعله كبيراً (أو عظيماً) بمادماد واثني عشر إماماً يكونون من نسله، وسيكون أمّة عظيمة»، فلفظة (بمادماد) بحساب الجمل تساوي ٩٢، وكذا لفظ (محمّد)

---

(١) أنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٤٦، سفر التكوين: ١٧ : ٢.

(٢) أنيس الأعلام في نصرة الإسلام: ٥ / ٦٩ لمؤلفه محمّد صادق: كان قسيساً مسيحياً من الفرقة النسطورية في مدينة أرومية شمال غرب إيران، اعتنق الإسلام، ولقّب بفخر الإسلام، توفي حوالي سنة ١٣٣٠ هـ.

بحساب الجمل يساوي هذا العدد!.

وقد ذهب إلى هذا التفسير أيضاً العالم الكتابي «السموءل بن يحيى»[1].

البشارات في كتب العهد القديم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

لقد بشّر كليم الله موسى عليه السلام بمجيء النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم!، فقال لبني إسرائيل قبل وفاته بفترة قصيرة: «جاء الربّ من سيناء، وأشرف لهم من سعير، وتألّق في جبل فاران، وجاء محاطاً بعشرات الألوف من الملائكة وعن يمينه يومض برق عليهم، حقاً إنّك أنت الذي أحببت الشعب»[2]، و (سيناء) هو المكان الذي بعث فيه موسى عليه السلام، و (سعير) هي فلسطين وفيها بعث عيسى عليه السلام، و (فاران) هي الحجاز وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

فالمولودين الاثنى عشر من نسل هذا النبيّ لهم أهمية خاصّة ودور هام في هداية الناس إلى صراط الله المستقيم، ولهذا بشّر بهم موسى عليه السلام وأكّد على ذكرهم.

والملاحظ أنّ بشارة نبيّ الله موسى عليه السلام تنطوي على ثلاثة أمور:

١ ـ أنّ هذا النبيّ يولد في الحجاز، وأنّه يقود عشرة آلاف من أصحابه! وهذا ما تحقق في فتح مكة.

٢ ـ أنّ ما نطق به نبيّ الله موسى عليه السلام يثبت أنّ نبوّته ونبوّة عيسى عليه السلام مرحليتان، وهناك نبوّة خاتمة.

---

(١) ولد هذا العالم بمدينة «فاس» المغربية، وقد كان يهودياً واسمه (شموئيل بن يهوذا بن ايوب) فغير اسمه إلى (السموءل بن يحيى) بعد اعتناقه الإسلام، توفي في «مراغة» سنة (٥٧٠ هـ)، له كتاب (بذل المجهود في افحام اليهود).

(٢) أنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٤١٥، سفر التثنية ٣٣: ١ ـ ٣.

(٣) أنظر: قاموس الكتاب المقدس لمستر هاكس.

٣ ـ أنّ رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين، وهو المبعوث من فاران ـ الحجاز ـ وهو المحبّ لجميع الشعوب، إذ هو رحمة أرسلها الله تعالى للعالمين، ولذلك أقرّ عدد من أحبار اليهود ورهبان النصارى بنبوّته ﷺ.

كما بشر نبيّ الله داود عليه السلام أيضاً برسول الله محمّد ﷺ وبإمامة عترته! حينما قال: «فاض قلبي بكلام صالح، إنّي أخاطب الملك بما قد أنشأته، ولساني فصيح كقلم الكاتب الماهر، أنت أبرع جمالا من كل بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، في جلالك وبهائك.

تقلد سيفك على فخذك أيّها المقتدر، وبجلالك اركب ظافراً لأجل الحقّ والوداعة والبرّ، فتقتحم يمينك الأهوال... وتسقط الشعوب صرعى تحت قدميك... يصبح أبناؤك يوماً ملوكاً كآبائهم فيتربعون على عروش في كلّ الأرض، أخلد ذكرى اسمك في كل الأجيال، وتحمدك الشعوب إلى الدّهر والأبد»[1].

فالنبيّ داود عليه السلام يصف هذا النبيّ بهذه الصفات: البارع في الجمال، الرحيم بالعباد، الفاتح العظيم، ذو الجلالة والمهابة، المحقّ للحقّ والمقرّ للعدل، الذي يندثر أعداؤه ويخضع له خصماؤه، ويدخل الناس في دعوته أفواجاً، فآجره الله تعالى بمودّة قرباه، وبجعل ذريته أئمة وحججاً في الأرض، وخلّد اسمه على مرّ العصور والأجيال ـ فهو يرتفع في الأذان يومياً في مختلف أنحاء المعمورة ـ وهذه الصفات لا تنطبق إلاّ على رسول الله ﷺ.

---

(١) أنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ١١٨٣، مزامير داود: ٤٥، (تجاوزنا بعض الفقرات طلباً للاختصار).

التوجه نحو الدين الإسلامي:

يقول الأخ محمّد: «توجهت بعد ذلك إلى دراسة عامّة ومعمقة حول الدين الإسلامي وأتباعه ـ إذ أنّهم يشكلون نسبة لا بأس بها في غانا ـ فقمت ببناء علاقات معهم لأعرفهم عن قرب، وقراءة كتبهم، فقرأت القرآن، فوجدته كتاباً يتضمن رؤية تختلف عمّا قرأته في العهدين القديم والجديد حول الربّ والربوبية، من حيث التنزيه لله تعالى والتوحيد له، كما وجدت تعابيره تحترم وتجلّل الأنبياء عليهم السلام، وتبيّن معاناتهم وجهودهم بأروع ما يكون، على عكس ما قرأت في الكتاب المقدس من هتك لحرمتهم وتضعيف لشخصياتهم وأنّهم المخطؤن!، ووجدته كتاباً حاوياً لشتى المعارف، وأنّه يدعو إلى تسامي الإنسان وتكامله...

وهكذا وبمرور الزمان أخذت المفاهيم الإسلامية تترسّخ في ذهني وتمتزج بروحي، حتى آمنت بها واعتقدت بنقاوة منبعها، فاتخذتها نهجاً يوصلني إلى رضوان الله تعالى، فأسلمت على ضوء مذهب أهل العامة.

وبعد اعتناقي للإسلام بدأت أعيش معاناة جديدة! حيث شنّ عليّ المسيحيون ـ لا سيما المبشرين ـ حرباً شعواء، حتى أنّهم ألّبوا عليّ أهل القبيلة، فضايقوني وقاطعوني، إلاّ أني بالرغم من ذلك صبرت، بل صممت على هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وبعون من الله تعالى تم لي ذلك، إذ أسلم أغلب أهل القرية، وحوّلنا مدرسة القرية المسيحيّة إلى مدرسة إسلاميّة، تدرس فيها مبادىء الدين الإسلامي».

البحث عن مصداق البشارة:

يضيف الأخ محمد: «عكفت من جديد على كتب المسلمين في العقائد والتفسير والحديث والتاريخ، فرأيت فيها تطابقاً مع الكتاب المقدس في بعض

المفاهيم، ومنها مسألة الرؤساء الاثني عشر، ووجدت حديثاً مروياً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في صحيح مسلم جاء فيه: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»(١).

فقرّرت التعمق أكثر والتتبع بجد لمعرفة مصداق هؤلاء الخلفاء، حتى ظفرت برواية في كتاب (حلية الأولياء) يرويها ابن عباس ـ حبر الأمة ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، للقاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»(٢).

فاستغربت من هذا الحديث! وقلت: من هم عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين أمرنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالاقتداء بهم؟

راجعت الكتب الإسلامية التي كانت في متناول يدي لأبحث حول الخلفاء، فوجدت أنّ عددهم يفوق الاثنى عشر بكثير! بل فيهم من غير قريش ـ أمراء آل عثمان الأتراك ـ والأنكى من ذلك أنني وجدت من يحاول تطبيق هذا العدد بما يتلاءم مع هواه».

فقد حمل البعض أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص الخلفاء من بعده على الخلفاء الراشدين، ثمّ ضمّ معاوية وعمر بن عبد العزيز من الأمويين وعدد من خلفاء بني العباس لإتمام العدد، وهذا التلفيق واضح البطلان! لأنّ الراشدين أربعة فقط، وأمّا الأمويين فإنّهم معروفون بتهتكهم وظلمهم، وكذا بني العباس

---

(١) صحيح مسلم، باب الناس تبع قريش والخلافة في قريش: ٣ / ١٤٥٣ (١٨٢٢).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ١ / ١٢٨ (٢٦٨).

فعددهم أكثر من ذلك، وجورهم لا يقل عن أقرانهم السابقين.

ومن هنا كان لابد أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثنا عشر من آل البيت عليهم السلام، لأنّهم من قريش وهم من عترته، وهم أعلم وأتقى وأفضل الناس، ولا يخفى على أحد ما ورد في فضلهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مثل حديث الثقلين والسفينة والنجوم وغيرها.

بشارة داود حول مهدي آخر الزمان عليه السلام:

يقول الأخ محمّد: «وعدّت مرّة أخرى إلى الكتاب المقدّس لأتأكد ممّا جاء فيه بخصوص هذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء الخلفاء عليهم السلام، فوجدت فيه أنّ داود عليه السلام يبشّر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبولد له يكون خليفة من بعده، ويرسم صورة لهذا الخليفة الذي يملك الأرض ويملؤها قسطاً وعدلا!».

فقد جاء في مزامير داود عليه السلام: «اللهم أعط أحكامك العادلة للملك، ولابنه برّك، فيقضي لشعبك بالعدل ومساكينك بالإنصاف، لتحمل الجبال للشعب في سلاماً، والتلال برّاً، ليحكم الملك بالحقّ للمساكين وينقذ بني البائسين، ويحطم الظالم، ليرهبوك مادامت الشمس والقمر من جيل إلى جيل ليكن الملك كالمطر المنهمر على المراعي المجزورة، كالغيوث التي تسقي الأرض، ليزدهر في أيّامه الصدّيق، ويتوافر السلام ما دام القمر يضيء، ولتمتد مملكته من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض.

أمامه يركع أهل البادية، وأعداؤه يلحسون التراب... ينحني أمامه جميع الملوك، وتتعبد له كلّ الأمم، لأنّه ينقذ المسكين المستغيث البائس الذي لا معين له، يعطف على الفقير والمحتاج ويخلص نفوس المساكين، إذ يفتدي نفوسهم من الظلم والعنف، ويخفظ حياتهم لأنّها ثمينة في عينيه.

ليحي الملك! ليعط له ذهب شبا، وليصلوا من أجله دائماً ويطلبوا له بركة الله كلّ النهار، لتتكاثر الغلال في الأرض وعلى رؤوي الجبال، وتتماوج مثل أرز لبنان، ويزهر أهل المدينة كعشب الأرض، يخلد اسمه إلى الدهر، ويدوم أسمه كديمومة الشمس، ويتبارك الناس به، وتطوبه كلّ الأمم...»[1].

ولقد دعا داود عليه السلام كما نرى بإعطاء الشريعة ـ أي النبوّة ـ للملك الذي هو نبيّ من قبل الله تعالى، وحاكم في الأرض، وقد خضعت جزيرة العرب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما دعا عليه السلام بإعطاء الحكومة لإبنه ـ حفيده ـ وقد بيّن أنّه ليس صاحب شريعة، بل حافظ لها ومقيم لناموسها على الأرض، فهو يحكم بين عباد الله بالعدل، وينقذ البؤساء ويسحق الظلمة، وقد شبّهه بالمطر الذي يروي الأرض العطشى، فيعم بمجيئه الخير والسلام والبركة، وتخضع له الجبابرة وتنقاد له الأمم، فيكرمها ولايهدر دماءها.

بل أكثر من ذلك، فقد بيّن داود عليه السلام أنّه ذو خصوصيّة كخصوصيّة جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حينما يصلّى عليه كلّ يوم! ولا ينطبق هذا الوصف، ولا تتلائم هذه العلائم إلاّ على المنقذ الحقيقي للبشريّة الإمام الحجّة ابن الحسن الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولقد حُرم أهل الكتاب من بركات هذا المنقذ، لتأويلهم هذه النصوص وصرفها عن معناها الحقيقي بشتى الصور، فإنّهم أدركوا أنّ هذا الشرف سيفوتهم وينتقل إلى أمة أخرى!.

أمّا المسلمون، فهم جميعاً يقرّون بعقيدة المهدي عليه السلام ـ على اختلاف في

---

(١) أنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ١٢٠٨، مزا مير داود: ٧٢.

التفاصيل ـ، ويؤمنون بأنّه من ذرية رسول الله ﷺ، وقد أوردوا الكثير من النصوص في هذا المجال:

منها ما أورده أبو داود في صحيحه عن أم سلمة (رضي الله عنها)، أنّها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[1].

ومنها قوله ﷺ لفاطمة الزهراء عليها السلام في مرضه الأخير بعد أن ضرب على منكب الحسين عليه السلام: «من هذا مهدي هذه الأمّة... لا تذهب الدنيا حتى يقوم رجل من ولد الحسين يملؤها عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

ويكون يوم الخلاص للمستضعفين من ظلم الظالمين على يديه عليه السلام.

وجدت ضالتي في التشيع:

يقول الأخ محمّد: «عرفت من خلال التتبع والدراسة أنّ هؤلاء الخلفاء هم الأئمة من ذرية النبيّ ﷺ، وهم أحقّ الناس بالأمر من بعده ﷺ، ولكن مالت الأكثرية عن خطهم بسبب السياسات الحاكمة، ولم يثبت معهم إلاّ القليل، فأضطهدوا بعد ذلك وظلموا، ولكن شاء الله أنّ تنمو هذه القلّة لتكون طائفة بارزة لها أنصع الأثر في تاريخ الإسلام».

ويضيف الأخ: «لقد لمست البون الشاسع بين الفريقين في العقائد والتفسير والفقه والحديث و... فاقتنعت تماماً بأحقية مذهب أهل البيت عليهم السلام ووجوب إتباعه، وشملتني العناية الإلهية فوفقت للاقتداء بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام،

---

(١) سنن أبي داود: ٤ / ٨٨ (٤٢٨٤)، وأنظر: سنن ابن ماجة: ٢ / ٥٣١ (٤٠٨٥)، مشكاة المصابيح للتبريزي: ٣ / ١٥٠١ (٥٤٥٣)، المستدرك للحاكم: ٤ / ٦٠١ (٨٦٧٢)، ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٢٦١.

(٢) أنظر: ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٣٩٤، البيان في أخبار صاحب الزمان للكنجي: الباب الأوّل.

بإعتبارهم عدل القرآن، وسفينة نوح، ونجوم الأمان، فأعلنت استبصاري عام ١٩٨٤م في العاصمة «أكرا».

❖ طارق زين العابدين.

❖ تحول من المذهب السنّي إلى المذهب الشيعي.

❖ درس في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية في مدينة مشهد المقدسة في إيران (بجوار مقام الإمام الثامن لائمة أهل البيت عليهم السلام علي الرضا عليه السلام .

❖ من مؤلفاته (دعوة إلى سبيل المؤمنين) صدر عام ١٩٩٨م مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة.



طارق زين العابدين

من مواليد السودان، نشأ في أسرة تعتنق المذهب السني، كان منذ صغره مهتماً بصياغة أفكاره ورؤاه وفق الأسس والمبادىء السليمة واليقينية، فدفعه هذا الأمر إلى البحث والتحقيق في المذاهب الإسلامية حتى لاح بصره نور معارف أهل البيت عليهم السلام فاشتاق لنيل المزيد من هذه المعارف، فلم يجد أرضية مناسبة لتلقي هذه العلوم سوى دولة ايران، فسافر إليها والتحق فيها بكلية الإلهيات والمعارف الإسلامية في مدينة مشهد.

ومن هنا تجلّت الحقائق التاريخية له، وتوصّل إلى قناعات جديدة ترتبط بالاعتقاد والمصير الأبدي، فلهذا لم يجد مجالا للمساومة أو المماطلة، فاعتنق مذهب التشيّع بعد الاعتماد على الأدلة والحجج والبراهين المقنعة.

دوافع توجهه للبحث:

أدرك الأخ طارق بعد وصوله إلى مرتبة النضج الفكري بأنّ الدين الإسلامي هو نظام الحياة الذي به يحدّد الإنسان المؤمن المسار الذي ينبغي أن يسير على ضوءه في هذه الدنيا، فلهذا لابد أن يقوم هذا الاعتقاد على أساس يبعث اليقين والطمأنينة، ولا يصح أن تنال المصائر بالظنون والتوهمات، أو تنال بالتقليد الأعمى الذي لا يعرف صاحبه الدليل والحجة غير ما كان عليه الآباء الأولون، فإذا سئل: لماذا أنت مسلم؟ فإنه لا يجيب إلاّ بالصمت والحيرة، وإذا قيل له:

لماذا أنت شيعي أو سني، لم يجد اجابة مقنعة يقدّمها للسائل. كل ذلك لأنّه لم يفكّر في اعتقاده ومصيره من قبل بحريّة، بل قام كما عنده من اعتقاد على التقليد الأبوي والاجتماعي فصار هذا مسلماً شيعياً وصار غيره مسلماً سنّياً.

يقول الأخ طارق في هذا المجال: «لابد من التحقيق من سلامة العقيدة بالفحص واعادة النظر وتقليب البصر وإعمال الفكر والتدبّر في أحوالها، لأنّ العقيدة لا تورث حتى ندعها للفطرة وحدها، والاتّكاء على اعتقاد الاسلاف والآباء والاجداد ممنوع، وقد قال تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَآ أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾**[1]».

ويضيف الأخ طارق: «إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد صرّح محذّراً أُمّته إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة» إذن فالاختلاف الذي وقع بين المسلمين إلى اليوم يؤيّد ما ذهبنا إليه في وجوب التحقيق والبحث في ما بلَغنا من اعتقاد، وإلاّ فكيف نطمئنّ على حصول السلامة وبلوغ النجاة؟ وكيف نثبت ذلك ونقيم عليه الدليل والحجّة؟ هذا أمر لا أظنٌّ سيستَهْوِنه مسلم ارتبط مصيره بيوم فيه حسابٌ ثمَّ ثواب أو عقاب، ولا أظنُّ إنساناً صدَّق باليوم الآخر ولا يرجو فيه النجاة والسلامة، فالتحقيق والبحث هو السبيل إلى بلوغ هذه الغاية والحصول على النجاة المطلوبة.

وما يجدر الإشارة إليه أنَّ الذين يُفجَعون بالمصير السيّء والنهاية المشؤومة في تلك الحياة الأُخرى هم الذين سكنت نفوسهم للموروث من العقائد؛ ظنّاً

---

(١) المائدة: ١٠٤.

منهم أنَّه الحقّ، وتلذّذت أنفسهم بنشوة الغفلة وهدأة النفس لها، ولِما أصابوه من هذه الحياة.

وهؤلاء إمَّا أنّهم قد أطلقوا للنفس زمامها وحبلها على غاربها بالتهاون والتساهل في أمر الدين ونسيان الحياة الآخرة وعدم مراعاة أمرها بتصحيح اعتقاد أو أداء تكليف، أو أنّهم ركنوا إلى الأوهام في اعتقادهم وغاصوا في بحار التوهّم بحثاً عن اللؤلؤ، دون أن يتفطّنوا إلى أنَّ اعتقاداً كهذا لا وجود له حتّى يأتي باللؤلؤ النفيس، فليس الوهم إلاّ عدم محضٌ لا يوجد إلاّ في الخيال.

أو أنّ هؤلاء قد استلْقَوا في أحضان الظنّ في أمر العقيدة. وذاقوا بهذا يسيراً من مذاق الحقيقة بعد اختلاطها بقدر جمٍّ من الباطل، وهم في غمرة هذا المذاق الحلو الذي يتلمّظونه بين كَمٍّ من المرارة ركنوا لمذاق الباطل الذي خلطوه به ظنّاً منهم أنَّ للحقِّ مذاقاً كهذا إذ أنَّهم خلطوا عملا صالحاً بآخَر سيّئاً ﴿**إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَ إنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْني مِنَ الحُقِّ شَيْئاً**﴾[1].

والذين يمحِّصون اعتقادهم الديني ليبلغ حدّ اليقين أو قدراً من اليقين تَضعُف نسبة الشكّ والظنّ فيه بصورة تجعل مقدار الشكّ لا يؤدّي وجوده إلى زوال الطمأنينة في الاعتقاد، فهؤلاء أقرب من غيرهم إلى النهج الذي رسمه النبيّ الأكرم ﷺ لكي يسير عليه الناس، بل هؤلاء لا يعجزون عن التماس الأدلّة والحجج القويّة على اعتقادهم هذا من حيث موافقته لآيات القرآن وأحاديث النبيّ ﷺ ومسلّمات العقل وفطريّاته، فهم في حقيقة الأمر يأنسون، في اعتقادهم الممحّص هذا، إلى التفسير السليم لنقاط الخلاف بينهم وبين الفرق الأُخرى، تفسيراً يخلو من التكلّف الذي لا يُرتضى أبداً في مثل هذه المواقف، بل

---

(١) النجم: ٢٨.

يقفون على اعتاب التفسير الحكيم لهذه النقاط الخلافيّة دون أن تتلجلج النفوس الحرّة في قبوله ودون أن يخالفه القرآن أو الحديث أو مقتضيات العقل المتوازنة، فهكذا يجب أن يكون الاعتقاد في المسائل الدينيّة الأصليّة، ولا يتأتى ذلك إلاّ ببذل الهِمَم في البحث والتحقيق والتنائي عن العصبية والجاهليّة والتقليد الأعمى».

متطلبات التحقيق في أمر العقيدة:

يقول الأخ طارق حول شروط البحث في الأمور العقائدية:

«إنّ مَن حَزَم الأمر على التحقيق والبحث في اعتقاده فهو لا يستطيع إحراز شيء من تحقيقه إن كان مفعماً بالتعصّب والتقليد اللذين لا يتيحان الفرصة للتحقيق الحرّ، فلابدّ له لكي يكون حرّ الحركة والتفكير أن يفرّغ نفسه من كلّ ما يمكن أن يتسبّب في إفساد التحقيق عليه والحيلولة بينه وبين ما يصبو إليه من بحثه، وأن يهيّىء نفسه جيّداً لتقبّل الحقيقة التي يصل إليها، بعد إنجاز التحقيق والاطمئنان إلى سلامته من حيث المنهج السليم والأدلّة المقنعة بلا شكّ؛ لأنّ الخوف من خوض التحقيق أو الخوف من تقبّل النتيجة عدوّ المحقّق النزيه، فالنتيجة تحتّم عليه رحابة الصدر لتقبّلها باعتبار أنّها الحقّ، بل تحتّم عليه الدفاع عنها وعرضها على الآخرين. ومن لا يهدف إلى هذا من تحقيقه وبحثه فعليه ألاّ يشرع في شيء من التحقيق لأنّه يكون عندئذ مضيعة لوقته، بل يكون عبثاً ولعباً، ولماذا يتحمّل المشاقّ ويقطع الحجّة على نفسه ثمّ لا يقبل نتيجة بحثه وتحقيقه ولا يدافع عنها؟!».

الأسباب الموجبة للتحقيق في أمر العقيدة:

يقول الأخ طارق حول الأسباب التي دفعته للبحث والتحقيق في أمر

العقيدة:

«لا شكّ أنَّ ما ندين به من عقائد يحتوي على قدر جيِّد من الحقيقة، بل بالنظر إلى وجود القرآن بيننا يجعلنا نتسطيع أن نجزم بأنَّ ما بين أيدينا هو كلّ الحقيقة، ولكنَّ وجود الحقيقة بيننا شيء والعمل على أساس هذه الحقيقة شيء آخر؛ فالنبيّ ﷺ لم يأمر باتّباع القرآن أو العمل به فحسب بل قَرَن به ما قرن، وهذا المقرون بالقرآن ليس فيه حقيقة تنفصل عن القرآن وتخالفه، بل يُبيِّن ما اشتمل عليه القرآن من الحقّ. إذن فالمقرون بالقرآن هذا لا نستطيع أن نقف من دونه على ما جاء به القرآن من الحقّ.

وهذا هو السبب الذي لا نستطيع معه أن نقطع بأنَّ ما ندين به يشتمل بلا ريب على اليقين دون الظنّ، وكثير من الأسباب أدّت إلى عدم القطع هذا فكان دافعاً للتحقيق والبحث، ومن هذه الأسباب:

أوّلا: الفتن والاختلافات الحادّة

إن الفتن والاختلافات التي عصفت بالمجتمعات والأفراد المسلمين، منذ نعومة أظافر الإسلام. وقد بدأت هذه الاختلافات والنبيُّ ﷺ لمّا يرتحل من بين الناس آنذاك، فلقد اختلفوا في أهمّ مسألة ترتبط بمصير المسلمين وهم جلوس في حضور نبيّهم ﷺ، وهو الاختلاف الذي عُرِف فيما بعد بـ «رزية يوم الخميس». ولا تخلو من حكايته كتب السِّير والأحاديث. ولا شكّ أنَّ هذا الاختلاف قد ألقى بظلاله على زماننا، وأُحيطت الحقيقة على أثره بقدر من الإبهام أدّى إلى صعوبة التعرّف عليها بعينها، ولا سيّما بعد افتراض عدالة كافة الصحابة الذين كانوا أوّل من أختلف في أُمور الدين، فقد أسدلت هذه العدالة الشاملة ستاراً معتماً على كثير من الأُمور، ومنعت التطرّق إلى البحث والتحقيق

فيما وقع بين الصحابة من اختلاف بهدف إدراك الحقيقة، فتهيّب الناس السؤال عمّا حَدَث لمعرفة الحقّ من الباطل. وبسبب هذه العدالة استوى عند المسلمين في هذا العصر الخطأ والصواب! لأنَّ المتخالفين من الصحابة كلّهم مأجورون ومُثابون! فانتشر الإسلام على هذا، يدين الناس بأُمور كثيرة مختلف عليها فيه.

ثانياً: تعدّد الفرق الإسلاميّة

ذلك أنّ اختلافاً كهذا حَدَث بين الرعيل الأوّل ـ ولا سيّما بعد الركون إلى عدالتهم كافّة ـ قد أدّى إلى بروز فرق لا تحصى ولا تعدّ في المجتمع الإسلاميّ. والعجيب أنَّ أعضاء هذه الفرق ـ وهم لا يجوّزون بحث الخلاف بين الصحابة ـ تراهم يبحثون حول ما حدث بينهم أنفسهم من اختلاف، وقد غفلوا عن أنَّ اختلافهم هذا كثير منه معلول الاختلافات الأُولى؛ فإثبات الحقّ لفرقة وسلبه عن فرقة أُخرى، هو في الواقع نسبة ذلك الحقّ إلى رأي من آراء بعض الصحابة في المسألة المختلف فيها، وسلبه عن الفرقة الأُخرى هو سلب هذا الحقّ عن البعض الآخر منهم في نفس مسألة الاختلاف، وقد طعنوا بذلك في عدالة كافّة الصحابة من مكان بعيد.

ثالثاً: بعد المسافة الزمنيّة بين زماننا وزمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

وهذا من الأسباب القويّة التي تؤدّي بلا شكّ إلى بعث غريزة التحقيق والبحث في أُمور الدين، لأنَّ ما صدر من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لابدَّ له أن يطوي كلّ تلك المسافة متنقّلا بين أنواع أفراد البشر والمجموعات المتخالفة التي لا تعتمد إلاّ ما وافق الرأي منها ولا تحتفظ إلاّ بما تراه صواباً.

وهي في تحديدها الصواب من الخطأ تتنازعها أُمور وتتناوشها أشياء؛ فالنسيان والخطأ والهوى والتقليد والعصبيّة والقبليّة والحقد... كلّ ذلك سيضع

آثاره على ما رُوي عن النبيّ ﷺ من كلام، وجب علينا التعبّد به ونحن في هذا العصر البعيد عن زمن الرسالة. فالذين ينقّون ما يمرّ عبرهم من أقوال وأفعال صدرت عن النبيّ ﷺ.. على أيّ معيار يعتمدون في هذه التنقية؟ ومَن يجرّح غيره ويتّهمه بالنسيان وكثرة الخطأ يجرّحه بأُمور هو نفسه عرضة لها وإن كان ثقة عادلا، هذا فضلا عن الذين شمّروا عن سواعدهم لوضع ما لم يكن عن النبيّ ﷺ صدوره ونسبتِه إليه بعد ذلك، وهم أكثر وأشدّ نشاطاً وفعاليّة. وعملهم أسهل وأهون من عمل الإصلاح.

رابعاً: حصار أهل البيت وتكميم أفواههم

لقد كان الخليفة الأوّل وكذلك الخليفة الثاني يرجعان في كثير من الأُمور إلى أهل البيت؛ فأبو حفص كان مفزعه في أُمور الدين الإمام عليّ عليه السلام، ولهذا صدر منه مراراً قوله: «لولا عليّ لهلك عمر»، وقوله: «اللّهم أعوذ بك من معضلة ليس لها أبو الحسن»، وهكذا كان دأبهما.

وأعلميّة أهل البيت ـ وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام ـ من الحقائق التي لا مراء فيها ولا جدال، وقد اعترف بذلك أبو بكر وخليفته أبو حفص. واستمرّ الحال إلى زمان عثمان حيث استولى بنو أُميَّة على مقاليد الأُمور في الدولة الإسلاميَّة، وتصرَّفوا في كلِّ شيء حتّى هيمنوا على السلطة تماماً، فتغيَّر الحال وحورب أهل البيت، وحوصرت أقوالهم، وسُلب حقّهم في المرجعيّة الدينيّة فضلا عن الخلافة. واستمرَّ الحال هكذا إلى آخر يوم في الدولة العبّاسيّة، فنشأ الناس على ترك أهل البيت. ثمَّ إنَّ الحصار في دولة بني أُميِّة لم يقف على إبعاد أهل البيت النبويّ عن المرجعيّة فحسب، بل تعدّى إلى إبرازهم بنحو يؤدّي إلى نفور الناس منهم، ولهذا الغرض استنّوا سبَّ الإمام عليّ عليه السلام أكثر من خمسين

عاماً.

وضُرِبَ الحصار على من يرجع إليهم في أُمور دينه، وقُتل من لم يطلق لسانه فيهم بالسباب والشتم، وهُيِّئت الفرص لمن يسبّهم ويجافيهم. وأمر معاوية الناس في بقاع الدولة بإبراز محاسن غيرهم في مقابل ما أبرزه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من محاسن لهم، ثمَّ قُتّلوا بعد ذلك شرّ تقتيل، فليس منهم إلاّ مسموم أو مقتول.

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته! فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام [1].

والسؤال الذي يُطرَح ببراءة: لماذا حارب الأمويّون طيلة حكمهم هذا علماءَ أهل البيت؟ ولأيٍّ شيء قتلوهم؟ ولماذا نسج على منوالهم العبّاسيّون؟

وقد يجيب أحد بأنَّهم نافسوهم في الحكم والسلطة.. ولكن، هل كان أهل البيت يعارضون حكم الأمويّين لو كان قائماً على ما جاء به الوحي وقضى به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟! وهل كان من الوحي سبّ الإمام عليّ أو قتل الإمام الحسين بالصورة الوحشيّة التي عرفها التاريخ؟! أو كان من الوحي إطعامهم السمّ الزعاف؟! وهل كان أبناء الرسول يحبّون السلطة من أجل السلطة والحكم؟ وماذا تضرّر العبّاسيّون من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى انتهجوا معهم ما انتهجه الأمويّون؟!

إنّ أهل البيت بعد الضربات الأمويَّة لم تبقَ لهم تلك الخطورة السياسية التي تعتمد على قوّة الجيش والسلاح؛ فقد انفضّ الناس من حولهم إمَّا خوفاً من القتل والسبي، وإمَّا انجذاباً نحو الأصفر والأبيض من أموال السلطة. وصار أهل

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٤، الباب ٢٣.

البيت تحت المراقبة الأمويَّة في منازلهم وبين أهليهم، أو في المحابس وفي سجون الحكومة العبّاسيّة، وهذا يكفي الحكّام لتوطيد حكمهم. إذن.. لماذا القتل؟! وهل كان لأهل البيت كخطر الجيوش والسلاح لا يزول إلاّ بقتلهم؟! وما ذاك الخطر؟! وهل كان السبيل إلى الصلح والتوافق معهم قد أغلق تماماً؟!

لقد كانت المسألة بين الحكّام من الأمويّين والعبّاسيّين، وبين أهل البيت مسألة الدين والشرع، فالحكّام في نظر أهل البيت قد خالفوا الشرع والنهج المحمَّديّ، وأهل البيت في نظر الحكّام خطر دينيّ أساسيّ لا يحتاج إلى جيش وسلاح.

وهذا الإمام الحسين يصوّر حقيقة النزاع بين الحكّام وأهل البيت، يقول الطبريّ: «وقام الحسين في كربلاء مخاطباً أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيّها الناس، إنَّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لِحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يُدخله مُدخله. ألاَ وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري»[1].

فإذا كان النبيّ ﷺ قد ربّى أبناء الناس على الدين خير تربية، أتراه تاركاً أبناءه على غير تربية الدين؟! لا، بل لهم الأولويّة في التربية والنشأة على الوحي، وإلاّ فإنّه يكون كالآمر بالبرِّ والناسي لنفسه.

ولمّا كان هدف أهل البيت إقامة الدين وإجراء الشرع الذي تربّوا عليه وهم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤، حوادث سنة إحدى وستّين.

أولى بذلك، كان الحكّام في زمانهم يهدفون إلى السلطة فحسب، لأنَّ الذي لا يهدف إلى شيء إلاّ أن يرى الدين قائماً، لا يضيره شيء إن قام الدين بغيره من الناس على الوجه المطلوب.

وهكذا حوصر أهل بيت النبوّة من كلّ صوب، ومُنعوا من الكلام في أيّ أمر في مجال الدين سياسيّاً وعباديّاً. فإن كان هذا حال أهل البيت فمَن مِن أتباعهم تكون له جرأة الكلام والتفوّه بما يرضي العترة النبويّة؟! فلو استهان أمر أهل البيت عند الحكّام فلأمرُ أتباعهم أشدّ هواناً. ومع ذلك ظهر على سطح الساحة الدينية علماء صار حقّ الفُتيا لهم، وارتضاهم الحكّام، وقصدوا إلى فرض ما أفتوا به على الناس ونشره بينهم، فقرّبوهم إليهم وأجزلوا لهم العطاء. فلو كان ما أفتى به هؤلاء يرضي سريرة أهل البيت عليهم السلام ويوافق ما هو عليه من أمر، فلماذا لم يترك الحكّام أهل البيت لأن يفتوا أو يقولوا بهذا ما دام لا يضيرهم منه شيء؟! أم أنَّ هؤلاء كانوا أعلم من أهل البيت بأُمور الدين والوحي؟! ولكنَّ أهل البيت لم يكونوا ليقبلوا بالصمت أمام الظلم وجور الحكّام، كما سمعت من كلام الإمام الحسين عليه السلام. وأمّا من قُرِّب من العلماء وارتُضي من قبل الحكّام فلم يكونوا يَرَون ما كان يراه الإمام الحسين وأهل البيت كافّة، ولذا أفتى هؤلاء العلماء بما زعموا أنّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهليّة»! وبعد هذا فكيف لا يقبل الحكّام هذه الفتاوى وأصحابها من العلماء؟! وكيف بعد هذا يسمع لأهل البيت فتوى في الدين؟!

ولهذا أُبعد أهل البيت، وقُرِّب من خالفهم من العلماء والناس. واستمرَّ الحال هكذا وطارت فتواهم كلّ مطير وانتشرت في البلاد وسار الناس على مذاهبهم، ولم يلتفت أحد إلى بيت النبوّة ومهبط الوحي، فأخذ الناس الدين عن غيرهم. وها نحن نرى الخلاف بين أتباع المذهب الجعفري من شيعة أهل البيت

وبين المذاهب السُّنيّة. أفلا يدعو هذا إلى البحث والتحقيق؟!».

ومن منطلق البحث والتحقيق وجد الأخ طارق نفسه أمام حقائق لا سبيل لانكارها فاعلن ولاءه لآل محمد والقول بامامتهم والالتحاق بسفينتهم مطمئن البال، مستقر النفس، مرتاح الضمير، لأنّه شعر بعدها أنّه يمتلك عقيدة راسخة وناتجة عن فهم وبحث ودراية.

موقفه ممن خاصمه بعد الاستبصار:

تعرّض الأخ طارق بعد اعلانه الولاء لأهل البيت لجملة من المضايقات من قبل البعض ممن حوله، لكنه لم يعبأ بها ابداً، بل كان يتعجب من اولئك الذين عارضوه وخاصموه بشدّة، فيقول في هذا المجال:

«إن الذي ليس له الشجاعة لتقبّل الحقائق والأدلة المقنعة، ولا يتذوقها إلاّ مرّه، لا يجوز له أن يضايق مَن رضي بالحق وقبل الدليل وتذوّق فيه الطلاوة والحلاوة.

غير أنني لم أغلق الباب أمام من يرى خلاف ما رأيت، ويملك من الأدلة ما لم أملك، على أنّه سيظلّ الباب مفتوحاً له، ما دام ينتهج في حواره قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] وإلاّ فالباب موصَد».

مؤلفاته:

١ـ «دعوة إلى سبيل المؤمنين»:

صدر سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م عن مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية

---

(١) النحل: ١٢٥.

المقدسة.

جاء في تعريف الكتاب على غلافه الأخير: «لغة الحوار الهادىء مظهر حضاري متقدّم... ومزيّة بينة من مزايا هذا الكتاب؛ إذ مزج فيه مؤلفه بين عمق الفكرة ووضوحها وبين المحاورة الودودة التي تستهدف التعريف والتبصير من خلال المنطق المرضي والبرهان...».

إن هذا الكتاب خطوة عسى أن تكون فاعله في ترصيص كيان الأمة الإسلامية من خلال الكلمة المضئية، للوصول إلى المعنى الاعتقادي والتاريخي المشترك الذي يقف على أرضيته مسلمو العالم.

يتألف الكتاب من تمهيد وخمسة فصول وهي:

التمهيد: التحقيق في أمر العقيدة.

الفصل الأول: عدالة الصحابة.

الفصل الثاني: حديث الاقتداء بأبي بكر وعمر.

الفصل الثالث: خلافة أبي بكر الصديق.

الفصل الرابع: أولو الأمر هم أهل البيت.

الفصل الخامس: الخليفة بعد النبي علي عليه السلام.

وقفة مع كتابه: «دعوة إلى سبيل المؤمنين»

يدعو الكاتب في كتابه هذا المسلمين إلى التوحد على هدى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الانشقاق عنه وسلوك سبيل عترته وأهل بيته عليهم السلام المؤمنين حقاً بهدى ابيهم الذي لا ينطق عن الهوى، وهم أوائل السائرين على الصراط المستقيم الذين اصطفاهم الله واختارهم أئمة للناس.

ويتناول في كتابه مسألة اختلاف المسلمين في ولي الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم،

فيبحث مقدمة في عدالة الصحابة واختلافهم، ثم يتناول خلافة الخليفتين الأول والثاني فيبحث فيها نصوصاً وتاريخاً فيرد ما استدلوا به عليها من اجماع مزعوم وشورى غاب عنها المشيرون، وترشيح أبي بكر للصلاة من قبل ابنته عائشة قرب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم يواصل بحثه مستدلا بالآيات القرآنية وتفسيرها من قبل كبار أئمة التفسير، وكذلك بالأحاديث النبوية الشريفة التي اتفق عليها المسلمون لمعرفة ولي الأمر الذي تجب طاعته على المسلمين فيجد ان النصوص الشريفة قرآناً وحديثاً قد وضحت ولي الأمر بما لا يقبل اللبس والابهام وهم أهل البيت عليهم السلام الذين لم يتلبسوا بظلم أبداً، والذين لا يقاس بهم أحد كما وضحت النصوص المراد بأهل البيت وان حاول البعض التشويش على ذلك عناداً وضلالا.

ثم استعرض النصوص التي تدل ان الخليفة الذي عيّنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام علي عليه السلام الذي اختاره الله ولياً لكل مؤمن والذي اعترف له بذلك من اغتصب حقه في الخلافة في بعض فلتات السنتهم.

ونحن هنا نوضح ـ باختصار ـ ملامح من الفكرة الاساسية للكتاب.

أهمية معرفة ولي الأمر الواجب الطاعة:

يوضّح الكاتب ذلك بالقول:

إنَّ من المسائل التي تفرض علينا التحقيق والبحث حولها باعتبارها من أهم مسائل الدين، هي معرفة وليّ الأمر.

الاعتقاد السائد بين كافّة المسلمين أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل، أي هو نبيّ لا نبيّ من بعده، وأيّ اعتقاد بخلاف ذلك يستوجب الكفر بلا شكّ. وفرض عدم خاتميّة الرسالة يفرض نبيّاً آخر يأتي بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لهداية الناس

بعد انقضاء فترة الإسلام، ولمّا لم يكن كذلك.. فُهِمَ الإسلام على ضوء ختم الرسالة بأنَّه دين كلّ زمان ومكان، وهذا منطق بلا شكّ يتّفق وختم الرسالة، وعلى هذا تصافق وتوحّد اعتقاد المسلمين باعتباره أمراً قرآنياً مسلَّماً ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[1]، وعلى هذا فإنَّنا نستخلص من هذا الاعتقاد المسائل التالية:

١ ـ ليس هناك نبيّ يأتي بعد محمّد ﷺ، فهو خاتم وآخر الأنبياء والرسل.

٢ ـ إنَّ الإسلام خاتم الأديان، وهو قد جاء إذاً لكافة الناس إلى يوم القيامة.

٣ ـ ولكي يفي الإسلام بهذه العموميّة لكلّ البشر، وحتّى يفي بمتطلّبات عموم الناس على اختلافهم وتنوّعهم زماناً ومكاناً، لابدَّ أن يكون على درجة من القوّة والكمال حتّى ينهض بالناس دينيّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً وخلقيّاً واقتصاديّاً، ولهذا يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[2] والله لا يرضى بما هو ناقص غير مكتمل، كما هو واضح.

بكلّ هذه الخصائص لابدَّ لهذا الدين أن يشقّ طريقه نحو المجتمعات، ماضيها وحاضرها والناشئة مستقبلا، لإرشاد الناس إلى سبيل المؤمنين، وإبطال كلّ فكر واعتقاد يباعد بينهم وهذه السبيل. فهذه مهمّة لا تنجز منحصرة في عصر واحد، بل تقتضي الحضور الدائم في كلّ عصر، فكما كان النبيّ ﷺ هو المتصدّي لهذه المهمّة يكون وليّ الأمر من بعده هو المتكفّل بذلك، وهكذا أُولو الأمر إلى آخرهم.

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) المائدة: ٣.

وأهميّة وليّ الأمر تنحصر في أُمور:

أوّلا: فهو من ناحية أنَّه رئيس وقائد ومدير لشؤون الدولة الإسلامية، فله الأهميّة السياسية بكلّ جوانبها.

ثانياً: ومن ناحية أنَّه المرجع الدينيّ للمسلمين في نواحي الدولة الإسلامية كافّة، فله الأهميّة الدينيّة التي لا تنفصل عن حياة الناس.

ثالثاً: ومن ناحية أنَّه واجب الطاعة فهو يمثّل مسألة من أهمّ مسائل أُصول الدين، إذ أنَّ طاعته أمر إلهيّ تعبّديّ لابدَّ من أدائه، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، فهذا أمر مطلق قطعيّ، وواجب يلزم أداؤه لوليّ الأمر.

إذاً، فالأمر الصادر من الله تعالى بإطاعة أُولي الأمر يحتّم علينا التعرّف على وليّ الأمر هذا، لأداء واجب الطاعة له، تنفيذاً لأمر الله تعالى. والطاعة هذه تكون لوليّ الأمر في كلّ ما يقول ويأمر به وينهى عنه، فمخالفته في شيء بعد تعيينه معصيةٌ صريحة، ومخالفته في أمر بسبب الجهل به ليس فيه عذر، لأنَّ تصريح القرآن بالأمر بطاعته هو إشارة إلى وجوده وتعيينه، وإلاّ يكون تكليفاً فوق الطاقة.

فمن هو وليّ الأمر من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟

الاستخلاف واجب على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

إنَّ ما يجعل العقل أسيرة الحيرة والدهشة ما يذكره كثير من علماء المسلمين من عدم تعيين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خليفة له من بعده، وإماماً يتولّى أُمور المسلمين في غيابه.

---

(١) النساء: ٥٩.

وفي الواقع إنَّ هذا الكلام لا يُنتظر من أُولئك الذين وُصِفوا بالعلم والمعرفة. وأنا أجزم بأنَّ الذين يردّدون هذا الكلام لم يكلّفوا أنفسهم ولو قليلا من البحث والتحقيق حول مسألة تنصيب الإمام وتعيينه من جانب النبيّ ﷺ ؛ إذ أنَّهم ركنوا إلى تقليد مَن سبقهم من العلماء، وتعوّدوا على اجترار ما قالوا في هذا الأمر، دون أن يفطنوا إلى أنَّ القول بهذا فيه اتّهام شديد للنبيّ ﷺ بتركه الواجب وعدم تبليغ أمر الله بتعيين وليّ الأمر من بعده!

فإنّه أمرٌ - تالله يبعث إلى الدهشة والذهول العقليّ - إذ كيف يصرف النبيُّ ﷺ النظر عن تعيين خليفته من بعده، وكيف هان عليه هذا الأمر، ولقد ثبت أنَّ النبيّ ﷺ حينما نُعِيت إليه نفسه طفق يورد الوصيّة للمسلمين تلو الوصيّة في أُمور شتّى، مُظهراً اهتماماً عظيماً بأمر الدين، ومُبدياً قلقاً بليغاً بحال المسلمين بعد وفاته؟!

لقد حذّر النبيّ ﷺ المسلمين من الاختلاف والفتن، ووعظهم غداة ومساءً وهجيراً.. كلّ ذلك لكي يبيّن لهم طريق النجاة والسلامة إذا ما أقبلت الاختلافات والفتن كقطع الليل..

فهل كان النبيّ ﷺ لا يرى لوليّ الأمر من بعده أثراً في نجاة الناس من هذه الفتن ولمّ الشمل إذا ما حلّت بدارهم الاختلافات؟! أم كان إدراكه ﷺ قد قصر - وحاشاه - عن إدراك هذا الأمر، فأدركه أبو بكر وفهمه عمر ومعاوية؟! وفطن إليه بنو أُميّة وبنو العبّاس؟! وهل الأمر الذي صدر به الوحي موجباً طاعة أُولي الأمر لم يكن النبيّ ﷺ يرى أنّه يوجب عليه تنصيب خليفة ووليّاً لأمر الناس؟! أم كان يرى أنَّ الله يكلّف الناس فوق طاقتهم، فيوقعهم بعد نبيّهم في الاختلاف والتنازع والفتن؟!

لقد ثبت، بما لا يدع مجالا للريب، أنَّ النبيّ ﷺ ما كان يخرج من المدينة

لغزوة إلاّ ويعيّن عليها شخصاً خليفة له ريثما يعود.. فهل كان يرى أهميّة الوالي على المسلمين في غيابه القصير في حياته، ولم يكن يرى له أهميّة في غيابه الطويل بعد وفاته؟!!

فما هذا القول؟! وأيّ عقل سليم يحكم بذلك؟! وأيّ حكمة يمكن لمسها فيه؟! وأيّ مصلحة تعود للمسلمين من فعل كهذا؟! وهل له نتيجة غير الخلاف والنزاع والخصام، كما حدث في سقيفة بني ساعدة... فاضطرّ ذلك العلماءَ للزجّ بأنفسهم في تبرير لا يُسمن ولا يغني من جوع؟!

عدالة الصحابة واختلافهم:

يتابع الكاتب كلامه ويقول:

إنّ عدالة كلّ الصحابة بقضّهم وقضيضهم لا تصحّ؛ لانحراف البعض عن سواء السبيل، وارتكاب بعضهم ما حرّم الله تعالى، ولهذا لا يمكن أن يوصي النبيّ ﷺ باتّباع أيٍّ كان من الصحابة للنجاة والسلامة من الاختلاف والانحراف؛ ذلك لأنّ أمراً كهذا ينسب إلى النبيّ ﷺ - بل إلى الوحي - فيه تجويز لارتكاب الأخطاء وفتح الطريق إلى النزاع والاختلاف.

إنّ اختلاف الصحابة فيما بينهم أمر معلوم، وقتل بعضهم بعضاً مسألة تعجّ بها صفحات التاريخ، وانحراف الكثير منهم عن الحقّ تثبته كتب السير والأخبار[1].

ثمّ إنّنا علمنا أنّه كان في زمان النبيّ ﷺ بعض المنافقين، عُلِمت أحوالهم وخصالهم ووضح نفاقهم للمسلمين، ولكن كان هناك أيضاً منافقون لم يُعلم عنهم شيء ولم يُعرف نفاقهم، ولم تنكشف أحوالهم وقد أخبر الله تعالى نبيّه

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني: ٥ / ٣٠٢.

الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَ مِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ويمكنك أن تتصوّر خطورة الموقف الذي سيؤول إليه مصير الإسلام وهو بلا راع، عرضة لهؤلاء المنافقين المتمرّسين بالنفاق، المبتعدين عن الأنظار والأفكار.

إذا كان المنافق المعروف نفاقه أخطر على المسلمين من الكافر المعروف كفره، فسيكون أُولئك المنافقون الذين لم يكن المسلمون يعرفون عنهم شيئاً أخطر من أُولئك الذين عِرفوا؛ وذلك لجهل المسلمين بهم، لشدّة خفائهم إذ تمرّسوا بالنفاق ومردوا عليه وأتقنوه.

وعلى هذا الأساس لا يستطيع أحد أن يجرّدهم عن الصحبة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بل كيف يجرّدهم عنها وهو لا يعرفهم؟! بل سيُثني عليهم وسيصفهم بالإخلاص والتوقى بلا ريب، بحكم ما يبدونه من مظهر دينيّ يضمن لهم مقاماً بين الصحابة العدول، وبالتالي سيهبهم بكلّ ارتياح صفة العدالة والوثاقة!!

فكيف نسدّ منافذ الخطر والضلال الصادر من هؤلاء المنافقين في الباطن، المؤمنين العدول في الظاهر؟ ولهذا كلّه فمن المحال الممتنع أن يأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم باتّباع كلّ من هبَّ ودبَّ ممّن كانت له صحبة معه من الناس في زمانه، وهو يعلم أنَّ من بينهم وممّن حولهم منافقين مستورين مَرَدوا على النفاق وصُقِلوا فيه.

إذاً، فالقول بعدالة كافّة الصحابة خطأ فاحش، والأمر باتّباع كافّتهم دون

(١) التوبة: ١٠١.

تمييز لهم عن طريق الوحي أمر ينطوي على خطر بليغ يهدّد الإسلام من أساسه، فلا يأمر به النبيّ ﷺ بحال من الأحوال.

ولهذا تسقط كلّ الأحاديث التي تجعل من اتّباع كافّة الصحابة وسيلة للنجاة من الاختلافات والابتداع والإحداث في دين الله، كما وضح.

عود على بدء، وبعض النتائج الخطيرة للقول بعدم الاستخلاف:

وبعد ذلك كلّه.. فكيف لم يعيِّن النبيّ ﷺ خليفة من بعده ويترك الناس يتناوشهم المنافقون مَن ظَهَر منهم ومَن بَطَن، ويترصّدوهم اليهود والنصارى الحاقد منهم على الإسلام الكامن له؟!!

وكيف يسهل على العقل الساذج القبول بأنَّ النبيّ ﷺ مات بين السَّحْر والنَّحْر ولم يوصِ بشيء؟! وكيف تسكن النفوس إلى القول بأنَّ النبيّ ﷺ لم يستخلف أحداً من بعده، وذهب لا يلوي من حال المسلمين في غيابه على شيء؟!!! إنّ هذا كلام لا يُلتفت إليه؛ إذ أنَّه تهمة لنبيّ الإسلام ﷺ.

اتّهموه بأنّه ترك أُمَّته بلا راع عرضة للاختلاف والنزاع والاقتتال، وهذا فيه اتّهام له ﷺ بترك الواجب! اتّهموه بها، وهو ﷺ الرحيم بأمّته، الرؤوف بالمؤمنين، الذي يأسى لهم ويحرص على هُداهم، كما قال عنه ربّه تبارك وتعالى: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

كلّ ذلك كان منهم في غفلة تصحيح ما نتج من حوادث السقيفة، فقالوا: لم يوص النبيّ ﷺ بشيء، ومن هنا لا يكون عيب في أن يتولّى الخلافة أيٌّ كان من

---

(١) التوبة: ١٢٨.

الناس، حتّى لو كان فاسقاً أو خارجاً عن طاعة الله تعالى.

يقول التفتازاني: «ولا ينعزل الإمام بالفسق، أو بالخروج عن طاعة الله تعالى»![1] ويقول الباقلاّنيّ: «لا ينخلع الإمام بفسقِه، وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرّمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه![2] ثمّ ذكر: «بل يجب وعظُه وتخويفه، وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله».

وهذا إضراب عجيب من الباقلاني، فلو كان الخروج على الإمام الفاسق غير جائز، فكيف جاز ترك طاعته في بعض المعاصي؟! وهل وجوده على كرسيّ الحكم ـ والحالة هذه ـ لا يُعدّ معصية في ذاته؟ ولماذا بعض المعاصي؟! وكيف جاز تخويفه؟ وكيف يكون تخويفه؟ أوَليس تخويفه هذا خروجاً عليه؟!!

ولو كان في استطاعة الناس تخويفه وترك أوامره في بعض الأحوال بهذه السهولة فَلِمَ لا يعزلونه؛ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وهو فاسق؟!

ما هذه إلاّ خطرفة سببها تجويز إمامة الفاسق. وللسياسة في ذلك الوقت دور كبير في ظهور هذه الفتاوى وانتشار تلك العقيدة: عقيدة إمامة الفاسق!

لقد ذكرنا أنَّ القول بأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف أحداً على المسلمين من بعده قول يحمل أخطر الاتّهامات للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؛ ذلك لأنَّ أمر الله تعالى بطاعة أُولي الأمر على سبيل من الجزم والقطع، كما هو واضح في قوله تعالى **﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**[3].. يوضّح أنَّ أُولي الأمر طاعتهم واجبة كطاعة

---

(١) شرح العقائد النسفيّة: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) التمهيد للقاضي الباقلاّنيّ: ١٨١.

(٣) النساء: ٥٩.

النبيّ ﷺ. ووجوب طاعة أُولي الأمر توجب على النبيّ ﷺ تعيينه، فالقول بأنّ النبيّ ﷺ لم يستخلف اتهام له ﷺ بترك الواجب.

إنّ العقل يحكم بأنّ الأمر بطاعة أُولي الأمر وإيجاب طاعتهم إنّما هو على قرار طاعة النبيّ ﷺ، ممّا يستوجب تعيينهم من قِبل الله تعالى بوساطة نبيّه الكريم، ولا يجوز ترك تعيينهم للناس؛ لأنّ ذلك ليس في مقدورهم، فمعرفة الناس لأُولي الأمر ـ بدون أن يعرّفهم الوحي لهم ـ يفرض أنّ الناس قادرون على معرفة من تجب طاعته من البشر، في حين أنّ الناس ليسوا قادرين على ذلك.

ولو كان الناس في استطاعتهم معرفة من وجبت طاعته من البشر ـ نبيّاً كان أم غيره ـ لما احتاج النبيّ ﷺ إلى إبداء المعجزة حتّى يُعجِزَ الناس بأمره ويصدّقوه فيطيعوه.

فالنبيّ ﷺ واجب الطاعة، ولكن اتّهمه الناس بالكذب والسحر والجنون ولم يصدّقوه، إذاً فالناس لا يقدرون على معرفة أُولي الأمر، ولو تُرك لهم تعيين أُولي الأمر فستنتج المفاسد التالية:

إمّا أن يولّي الناسُ الفاسق، والله لم يأمر بطاعته، بل إنّه لا يحب الفاسقين.

وإمّا أن يشتدّ الخلاف عند اختيار وليّ الأمر، وتقع الفتن من الناس؛ لعصبيّاتهم وقبليّاتهم وغيرها من صفات حبّ الذات. والاختلاف ممنوع، والنزاع يجب إرجاعه إلى الكتاب والسنّة لفضّه.

وأيضاً إنّ هذا الواجب إن كان الناس مسؤولين عنه فيستلزم التكليف بما لا يطاق؛ لأنّهم لا يعرفون أُولي الأمر.

وإن لم يكونوا مسؤولين عنه فيستلزم العبث في أفعال الله ـ تنزّه الله عن ذلك ـ حيث أمَرَ أمْرَ وجوب (كوجوب طاعة الله وطاعة الرسول)، ومع ذلك لا يُسأل عنه هل أُنجز هذا الأمر الواجب أم لا؟

ولهذا فلمّا كان عجز الناس عن معرفة وتعيين أُولي الأمر يؤدّي إلى تولية الفاسق أو وقوع الاختلاف والتناحر حول تعيين وليّ الأمر، أو يكون التكليف بما لا يطاق، أو ينسب العبث إلى الله تعالى في فعله.. اتّضح أنَّ تعيين أُولي الأمر لم يتركه الله لاختيار الناس، بل إنّه مُسْنَد إليه تعالى.

من هم أولو الأمر وماذا يجب لهم:

يقول الله تعالى: ﴿**يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـازَعْتُمْ فِي شَيْء فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**﴾[1].

إنَّك تلحظ في هذه الآية أنَّه أمر فيها بأمر واحد إطاعة ثلاثة: الله تعالى ورسوله وأُولي الأمر، بوساطة فعل الأمر: ﴿**أطيعوا**﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾، فماذا يمكن أن نفهم من ذلك؟ وماذا أراد الله تعالى بإشراك النبيّ ﷺ وأُولي الأمر في أمر واحد بطاعتهما؟ على أنَّ الحال لا يختلف لو فُصل الأمر ولم يُجمع في فعل واحد.

إنَّ إصدار الأمر بطاعة الرسول ﷺ وأُولي الأمر بهذه الصورة المشتركة في أمر واحد يؤكّد لنا التساوي بين طاعة الرسول وطاعة أُولي الأمر. فلمّا كانت طاعة الرسول ﷺ واجبة قطعاً فطاعة أُولي الأمر واجبة قطعاً أيضاً. والعموم والإطلاق الواضح في الأمر بالطاعة لا يسمح باستثناء طاعة أُولي الأمر وفصلها عن طاعة الرسول ﷺ بأيّ حال من الأحوال، أو بأيّ شرط من الشروط.. إذاً، طاعة أُولي الأمر هي من الواجبات في الدين على المؤمنين.

ثمَّ إنَّ النبيّ ﷺ معصوم بلا شكّ، ولو على قول من ينسب إليه العصمة في

---

(١) النساء: ٥٩.

تبليغ الوحي، فهو معصوم إذاً. وهنا نسأل: ما هي الحكمة في أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم معصوماً؟

إنَّ الله تعالى لم يَدَعْ لنبيّ من الأنبياء مسؤوليّة التشريع ولم يسند إليهم تأسيس الأحكام والشرع، فالله تعالى هو الذي يعلم ما ينفع الناس وما يصلحهم، ولهذا فهو الذي له أن يقوم بهذا الأمر الذي لا يقدر عليه غيره، وما على الرسول إلاّ بلاغه بلاغاً لا يخالجه الإبهام.

والله تعالى بإسناد الأمر إلى ذاته العليّة يريد أن يَبلُغ تشريعُه الناس دون أيّ تغيير أو نقص، سواء كان عمداً أو سهواً، ولكنَّ الرسول بشر، والبشريّة مجمع الأخطاء والنسيان، فما هو العمل إذا ما أُنزل عليه أمر الله ليبلّغه كما أُنزل عليه دون تغيير يؤدّي إلى التغيير في طريقة وأُسلوب التبليغ، فضلا عن أن يؤدّي إلى تغيير الهدف والغاية؟

ولهذا عصم الله الأنبياء عن الخطأ عمداً أو سهواً، حتّى لا يَحْدُث ذلك التغيير تبعاً للخطأ. وعلى هذا فكلّ ما يصدر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الوحي بعينه، من حيث اللفظ والمعنى تارة، ومن حيث المعنى فقط تارة أُخرى. ولهذا فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

فإذا ثبت ذلك فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لابدّ أن يدركه الموت يوماً، وسيأخذ بزمام الأمر من بعده أُولو الأمر الذين وجبت طاعتهم على الناس مثله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان الوحي لا يتنزّل عليهم لاكتمال نزوله.

إنّ العمل بهذا الوحي ـ طبقاً لعمل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم به ـ لم ينتهِ، بل هو باق ما بقيَ الزمان والمكان. ونحن نعلم أنَّ حفظ كلام كما قيل دون تغيير هو أسهل بكثير من

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

العمل به وتطبيقه على مسرح الواقع الملموس، حيث المشاكل والمعضلات والمنعطفات الحرجة.

إذاً، كيف يتسنّى لأولي الأمر القيام بهذه المهمّة الأصعب بعد النبيّ ﷺ دون التعرّض للخطأ، إن لم تكن لهم تلك العصمة التي كان يتمتّع بها النبيّ ﷺ؟ وكيف يصل ما أراده الله إلى الناس عبر أُولي الأمر دون خطأ وهم بشر؟ ونحن أوضحنا أنَّ العصمة تحفظ الوحي النازل على النبيّ ﷺ دون أن ينحرف عمداً أو سهواً، لفظاً أو عملاً، والله لا يسمح بشيء من ذلك الانحراف.

فإن لم يكن أولو الأمر على عصمة النبيّ ﷺ وقع ما لم يسمح به الله تعالى، وما لم يُرِده في تبليغ الوحي.

إذاً، وجبت عصمة أُولي الأمر كما وجبت عصمة الرسول ﷺ. على أنَّ وجوب الطاعة بالجزم والقطع إشارة إلى العصمة؛ فالعصمة أساس وجوب الطاعة، وبسبب هذه العصمة لا يختلف خطاب الله تعالى للناس - إذا قُدِّر أن يخاطبهم مباشرة بتكاليفه وأوامره - عن مخاطبته إيّاهم عبر النبيّ ﷺ به. والسّرُّ في ذلك هو وصول خطاب الله ذاته إلى الناس بسبب العصمة التي للنبيّ ﷺ.. وهذا يعني - من ثمَّ - أنَّ فقدانها في أُولي الأمر يؤدّي إلى التغيير بلا ريب، وهو ما لا يريده الله تعالى.

نظر الفخر الرازي:

ينقل الكاتب نظر الفخر الرازي في تفسيره ويناقشه فيقول:

يقول الفخر الرازيّ: «إنَّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية. ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدَّ أن يكون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على

الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهيّ عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنّه محال.

فثبت أنَّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنَّ كلّ مَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً. فثبت قطعاً أنَّ أُولي الأمر المذكورين في الآية لابدَّ أن يكونوا معصومين».

ثمَّ يدلف الرازيّ إلى تحديد وتعريف أُولي الأمر المعصومين هؤلاء، حسبما يرى ويظنّ، فيقول: «ثمَّ نقول: ذلك المعصوم إمَّا مجموع الأُمَّة، أو بعض الأُمَّة؛ لأنَّا بيَّنا أنَّ الله تعالى أوجب طاعة أُولي الأمر في هذه الآية قطعاً. وإيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم، قادرين على الوصول إليهم، والاستفادة منهم. وإنَّنا نعلم بالضرورة أنَّنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم...».

ولقد ذهب الرازي إلى أنَّ أُولي الأمر هم بعض الأُمَّة، يتمثّلون في أهل الحلّ والعقد.

وبسبب بُعد إجماعهم عن الخطأ ـ على ما روي عن النبيّ ﷺ: «لا تجتمع أمّتي على الخطأ» ـ تتحقّق بذلك العصمة المطلوبة في أُولي الأمر.

قوله: إنَّ مجموع الأُمَّة ليس هم أُولي الأمر واضح لا يحتاج إلى إثبات. وأمَّا كون أُولي الأمر هم بعض الأُمَّة فأمر نتّفق فيه مع الفخر الرازيّ، غير أنَّ قوله: إنَّ هذا البعض من الأُمَّة ـ أي أُولي الأمر ـ هم أهل الحلّ والعقد قول تكتنفه إشكالات عدّة، تجعل قبوله أمراً مستحيلا.

فأوّلها: إمكانيّة وقوع الإجماع ليست متحقّقة.

ثانيها: مَن يعرّفهم للأُمَّة باعتبارهم أهل الحلّ والعقد؟!

ثالثها: أين نتحصّل على عصمتهم؟! هل في الأفراد منهم أو في هيأتهم الاجتماعيّة؟!

إنَّ إمكانيّة تحقّق وقوع الإجماع من المستحيلات في هذه الأُمَّة، لا سيّما في اختيار القادة والرؤساء، ودونك الواقع يصرّح مؤكّداً ما نقول.

نعم، من المحال أن تجتمع الأُمَّة على الخطأ بأسرها، لكن من المحال أن يتحقّق إجماع الأُمَّة بأسرها، وفرق شاسع بين الحالتين؛ فلو دعا بعض الأُمَّة إلى الحقّ فلابدَّ أن يوجد من يخالفهم من الناس لأيّ سبب من الأسباب التي لا حصر لها؛ فالقوميّة، والعصبيّة، والنعرات القبليّة، واختلاف الإدراك ووجهات النظر، والعناد، واللجاج... كلّها منفردة أو مجتمعة تجعل من وقوع الإجماع أمراً لا يُرجى تحقّقه بين الناس.

وإنَّ مسألة الخلافة لهي من المسائل التي كان للأُمَّة أن تجتمع عليها، لو كان للإجماع إمكانيّة الوقوع، مع قلّة المجتمعين في السقيفة، وما كان لهم من الصحبة التي تجعلهم في مصافّ أهل الحلّ والعقد في زمانهم. وعلى رغم ذلك فقد نشب الخلاف واستحال الإجماع، وسُلّت السيوف، وأُخِذ البعض بالقوّة، وأُغري آخرون بالمال.. فكيف للرازيّ أن يحلم بإجماع استحال أن يقع بين صحابة النبيّ ﷺ وهم الجيل الأوّل الذي عاصر النبيّ ﷺ، ليقع بين الناس في عصره أو ما تلاه من عصور، أو في هذا العصر الذي ازداد فيه تشعّب العقائد وتشتّت الأفكار؟!!

على أنَّ الانقسام المشاهَد في كلّ فرقة من الفرق الإسلاميّة هو تصريح باستحالة تحقّق الإجماع. ولا أرى إمكانيّة وقوع الإجماع بين أهل السنّة فيما بينهم، ولا بين الشيعة بانفرادهم، فضلا أن يقع الإجماع بينهما مجتمعين.

فاجتماع الأُمَّة بأسرها على الخطأ غير ممكن، ولكن لا يمكن أيضاً

اجتماعها على الحقّ بأسرها.

إنَّ واقعة صِفّين كانت بين أُمَّة المسلمين، وقد كان الحقّ عند أحد الطرفين بلا شكّ، ولكن لم يجتمع المسلمون عليه كما لم يجتمعوا على ما يقابله من الباطل؛ فنشبت بينهم الحرب، وقتل بعضهم بعضاً.. فلماذا يتكلّم الفخر الرازيّ بكلام يبعد عن الواقع ويعطي مصداقاً لآية قرآنيّة ليس له وجود؟!

ثمّ كيف يتمّ التعرّف على أنَّ أهل الحلّ والعقد هم هؤلاء؟! فالإشكال الذي أشكل به الفخر الرازي ـ وهو إشكاله بصعوبة التعرّف على الأئمَّة المعصومين، واستحالة الوصول إليهم ـ هو إشكال يرد عليه، إذ كيف يتمّ التعرّف على أهل الحلّ والعقد والوصول إليهم؟! ومن الذي يقدّمهم إلى الأُمَّة بهذه الصفة؟! ونحن ليس لدينا في مجال التعيين إلاّ الإجماع أو الانتخاب والترشيح أو النصّ.

فأمَّا القول بضرورة الإجماع عليهم فنحن به محتاجون إذاً إلى إجماعَيْن: إجماع من الأُمَّة يعرّفنا بأهل الحلّ والعقد، وإجماع آخر يعرّفنا بصواب ما يُصدره أهل الحلّ والعقد من أحكام وأوامر ونواه، بحيث تلتزم الأمّة بما يصدر عنهم. وبهذا تتضاعف المشكلة؛ لأنَّ العبور من الإجماع الأوّل إلى الإجماع الثاني محال؛ لعدم إمكانيّة وقوع الإجماع الأوّل.

فالجهد الذي قام به الفخر الرازيّ لإبعاد نفسه عن الاعتراف بالأئمَّة المعصومين على قول الشيعة ـ لا سيّما بعد الاعتراف الموفّق منه بعصمة أُولي الأمر ـ فهو جهد مقدّر ومشكور علميّاً، لكنَّه ناقص ولا يحلّ المشكلة؛ فقد كان عليه أن يبيِّن لنا معيار وملاك الاتّصاف بأهليّة الحلّ والعقد، وكيفيّة تعريف الأُمَّة بهم، وعلى رغم أنَّ ذلك تترتّب عليه مشكلاته، غير أنَّه يتيح فرصة أطول لمن أراد السفسطة.

أولو الأمر هم أهل البيت عليهم السلام:

يقول الكاتب هنا على ذلك بالقول:

إنَّ أولويّة أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في تولّي أُمور المسلمين، والانفراد بلقب «أُولي الأمر» بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم من الناس.. لهي أولويّة تأخذ شكلها الطبيعيّ من عبارات الوحي بشقّيه؛ فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يرى مَن هو أولى منهم بهذا المقام، بل لم يكن يراه لغيرهم أبداً، إذ أنَّنا نلمس ذلك في المقام الذي حفظه النبيّ الكريم لهم. وليس ذلك من حيث الإحساس الأبويّ الخاضع لقوانين النفس البشريّة، وإنَّما هو أمر تلقّاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم متنزّلا من مقامات الوحي الإلهيّ، موضّحاً السِّنْخِيّة والشَّبَه الذاتيّ بين أهل البيت النبويّ وبين محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لأنّ الأبوّة مهبط لوحي العاطفة التي كثيراً ما تتخطّى الحقّ وتنطق عن الهوى ولهذا فمقام أهل البيت لما كان مرتكزاً على الأمر القرآني بوجوب طاعتهم من حيث إنهم أولو الأمر، ترى الشقّ القرآني يمثل اساساً منيعاً لمقام العترة، وحينماترى وصف السُنّة لعترة النبيّ عليه وعليهم الصلاة والسلام بأنهم الهداة الذين لا يضل من تمسّك بهم تعلم طبيعة هذا المقام الصادرة من جانب الوحي الإلهيّ وعندئذ نعلم السنخية بين العترة ومحمّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. وبيان هذا المقام ليس له مسير غير قنوات الوحي الذي ينتظّم كلّ نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكلّ حياته بحركاتها وسكناتها، ولهذا كان الاستحقاق للخلق العظيم الذي يبرّىء النبيَّ عليه وآله الصلاة والسلام من نزعات الأبوة البشريّة في بيان مقام العترة. وعلى هذا الأساس فهو مقام لهم من صميم أنوار النبوّة، بل مقام من مقاماتها، صاغه الوحي في عبارات لا تخفى على من له مُسكة من الإدراك وقدر من ملكة التدبّر.

آية المودة:

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، فالأجر لابدّ أن يكون على قدر نوع العمل، ولذا فمودّة أهل البيت لابدّ أن تساوق من حيث القدر ما جاء به النبيّ الأكرم من نعمة الإسلام والرحمة التي ما أُرسل إلاّ بها. ولو كان هناك أجر يضاهي ذلك غير مودّة أهل البيت يمكن أن يكافأ به النبيّ ﷺ لكان هو الأجر.. وهذا أمر لو تدبّرنا عظيم.

إنَّ هذا الأجر أدناه تسليم زمام الأمر في قيادة المسلمين وإدارة شؤونهم بعد النبيّ الأكرم لأهل بيته الذين ساوت مودّتهم ـ من حيث إنَّها الأجر ـ نعمةَ الدين الإسلاميّ من حيث إنّه مأجور عليه بهذه المودة.

وهذا التساوي يبيِّن السِّنخية والشَّبه القويّ بين النبيّ ﷺ وهذا الدين الذي هو خلق النبيّ المعصوم وطريقة حياته ﷺ من ناحية... والشَّبه القويّ بين العترة الطاهرة والنبيّ ﷺ من ناحية أُخرى.

ووجه الشبه بين العترة والنبيّ الأكرم هو تلك المودّة، من حيث إنَّها واجبة في حقّ العترة، ومن حيث إنَّها الأجر الذي استحقّه النبيّ ﷺ مقابل ما جاء به للناس من هداية ورحمة.. فمودّة العترة كأجر ترضي النبيّ ﷺ بلا ريب، فهي في حقيقة الأمر مودّة للنبيّ نفسه، فتدبّر.

ولكن، هل تصحّ هذه المودّة مع المخالفة للنبيّ في نهجه؟ وهل يمكن تصورّها مع مشاقّة النبيّ ﷺ؟!

أبداً. فلا يستطيع أحد ادّعاء مودّة النبيّ ﷺ وهو مخالف له. فهذه المودّة لا تستقيم إلاّ باتّباع النبيّ ﷺ، ولمّا كانت مودّة النبيّ ﷺ هي في عترته.. فما هو

---

(١) الشورى: ٢٣.

أنسب أُسلوب للمودّة يمكن أن يُحفظ به النبيّ ﷺ في عترته؟! أليس هو الاتّباع للعترة والاقتداء بهم؟

أجل، إنّ مودّة النبي ﷺ في أهل بيته عليهم السلام لا تعني إلاّ اتّباع النبيّ الكريم باتّباع أهل البيت من عترته، لأنَّ هذا هو الذي يرضي النبيّ ﷺ ويُسرّه لا غير.

ولو كان ودّهم يعني المحبّة دون الاتّباع فهذا لا يختصّ بأهل بيت النبيّ وحدهم، وإنَّما هو أمر مطلوب بين عامّة المؤمنين الذين هم في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد..

إذاً، فلا يختصّ أهل البيت بذلك، ولكن إضافة إلى هذا المعنى الشامل لكلّ المؤمنين يتوفّر معنى آخر يتميّز به ودّ النبيّ ﷺ عمّا سواه من ودّ بين المسلمين، وهو الاقتداء والاتّباع بلا ريب، كما كان حبّ الله هو اتّباع النبيّ ﷺ؛ إذ ليس لحبّ الله معنى إذا قُرِن بمخالفة النبيّ ﷺ **﴿قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**[1].. فحبّ الله يستلزم اتّباع النبيّ ﷺ الذي هو سبب حبّ الله للتابعين، وهو رحمته.

إنَّ الهدف الأساسيّ والدائم للقرآن هو تهيئة وسائل وسبل الهداية والنجاة للناس بحكم أنَّه رحمة جاءت للناس عبر النبيّ ﷺ الذي ما أُرسل إلاّ رحمة بهذا القرآن. ولا يمكن أن يحدّد الله الأجر للناس مقابل هذا الدين وتلك الرحمة، ويكون هذا الأجر متضمّناً للشقاء! فهذا الأجر الذي هو مودّة العترة أحد قنوات هذه الرحمة الإلهيّة. كما لا يمكن أن تتحقّق هذه الرحمة مع المخالفة.. إذاً، لكي تنتقل الرحمة أيضاً عبر هذا الأجر - أي مودّة أهل بيت النبيّ ﷺ - لابدَّ أن تعني تلك المودة الاتّباع والاقتداء. وبهذا يتحقّق الهدف الأساسيّ للدين، وهو هداية

---

(١) آل عمران: ٣١.

الناس وإرشادهم لما هو خير لهم وأبقى؛ لأنَّ المخالفة عمداً أو تساهلا تبعد المخالف عن قنوات الرحمة تلك.

ولهذا، لا يستقيم ودّهم وحبّهم مع مخالفتهم في أمر أو نهج؛ لأنَّ في هذا إيذاءهم وإيلامهم بلا شكّ. ولا يلتئم ودادهم وداد من صَدَر منه إيذاؤهم وإيلامهم ووداد من كانت منه شكواهم.

ولهذا كانت مودّة أهل البيت أعظم أجر يتلقّاه النبيّ ﷺ من أُمّته.. لماذا؟

لأنَّ النبيّ الأكرم ـ الذي هو عزيز عليه ما عَنِتَ المؤمنون، حريص عليهم في هدايتهم، رؤوف بالمؤمنين رحيم ـ لا يسرّه شيء مثل أن يرى أُمّته في نجاة وسلامة في أمن من عذاب يوم عظيم. ولذا كان اتّباع الناس لأهل بيته في دينهم أجراً يتحقّق به رضاه وسروره لما سيجده الناس من نجاة وسلامة.

آية الانذار وحديث الدار:

النبيّ ﷺ وأهل بيته الكرام هم حملة هذا الدين، وهم العارفون به، والرافعون عنه ضلالات المضلّين وأخطاء الجاهلين، وأحقاد الحاقدين، ونفاق المنافقين. وليس هذا مختصّاً بزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، وإنّما هذه مهمّة ومسؤوليّة كانت على عاتقهم منذ أن أنزل الله تعالى قوله **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[1] فأراد الله بذلك إعدادهم لتلك المسؤولية التي انحصر القيام بها فيهم؛ استمراراً لمنهاج النبيّ ﷺ.

ثمَّ إنَّ هذه المسؤوليّة نالها أهل البيت في مقابل الالتزام الذي تأسّس يوم عَرَض النبيّ ﷺ هذا الدينَ على عشيرته الأقربين، طالباً منهم العون والمؤازرة

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

في مسؤوليّة القيام بتبليغه، على أن تكون لمن يلتزم المؤازرةَ والمناصرة الخلافةُ والولاية على الناس من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله. فالتزم الإمام عليّ عليه السلام بذلك مؤسّساً بالتزامه هذا مسؤوليّة عترة النبيّ الكريم الذين نشأوا وتربّوا عليها أحسن تربيّة وأفضل تنشئة في كنف النبيّ صلى الله عليه وآله، يَرْفع إليهم كلّ يوم عِلْماً؛ إعداداً لهم واختصاصاً بهذا المقام، باعتباره ثواباً وأجراً لما التزم به عليّ عليه السلام، مؤسّساً بذلك المقامَ والمسؤوليّة الطبيعيّة لذرّيّته من أبناء الرسول صلى الله عليه وآله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن جمع إليه أربعين نفراً من قريش من بني عبدالمطّلب: «.. يا بني عبدالمطلب، إنّي واللهِ ما أعلمُ شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يُؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي؟

فقام عليّ عليه السلام، فقال: «أنا يا نبيّ الله، أكون وزيرك عليه.

فأخذ رسول الله برقَبته؛ وقال: إنَّ هذا أخي ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا..»[1].

إذاً، فهذه الأولويّة في تولّي أمر المسلمين بعد النبيّ الأكرم أمر ثابت للعترة، ولا يجوز لأحد أن ينافسهم فيه وينازعهم. والقبول بهذا الالتزام لنيل هذا المقام هو إشارة واضحة إلى الإيمان والتصديق بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله.. فنالت ذلك العترةُ بالإيمان المبكّر الذي شعَّ في قلب سيِّدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وهكذا ظلَّ الأمر فيهم إيماناً خالصاً لم تخالطه شوائب الشِّرك أو نزعات الشكّ التي أصابت البعض قبل إسلامهم وبعده.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٢١٧، الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٢، السيرة الحلبيّة: ١ / ٣٨١.

آية المباهلة:

ثمَّ إنَّه لما حانت لحظة من لحظات الدفاع عن هذا الدين أمام افتراءات نصارى نجران، لم يستنفر الله تعالى لهذه المهمّة العظيمة غير النبيّ ﷺ وأهل بيته الأكارم.

فهؤلاء نصارى نجران يُحاجُّون النبيّ الكريم من بعدما جاءه من العلم في أمر عيسى عليه السلام، فيأمره الله تعالى بمباهلتهم، ولكن بعد أن يدعو أهل بيته إذ أنَّهم شركاء في الأمر، فقال له تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

إنَّ هذا الأُسلوب في الدفاع عن الدين والذبّ عنه ليس في مقدور أيّ فرد من الناس؛ ذلك لأنَّه ليس فيه سلاح سوى سلاح الإيمان واليقين الصادق بما نزل به الوحي، بل ليس إيماناً مسبوقاً بالشرك أن يمكن أن يخالجه شكّ مِن بعد. وإنَّ الدفاع عن هذا الدين بالسيف هو دفاع لا شكّ فيه، ولكن قد يكون المدافع لا يملك إلاّ سيفه وشجاعته وحميّته، أو قد لا يملك إلاّ الرغبة في الغنائم ومكتسبات الحرب..

أمَّا الوقوف أمام النصارى، ودعوتهم إلى التوجّه إلى الله تعالى بالمباهلة - لتحديد الكاذب من الصادق في أمر الدين - فهو أمر يستوجب يقيناً بهذا الدين وربّه، لا يشوبه شيء. ولمّا كان الله تعالى لا يمكن أن يختار لهذا الأمر شخصاً شابَ إيمانه شكٌّ وريب أو نقص وضعف.. كان إيمان العترة في أوج كماله وتمامه، فانتدبهم الله تعالى للذبّ عن الدين بهذا السلاح الإيمانيّ التصديقيّ.

---

(١) آل عمران: ٦١.

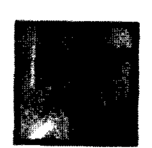


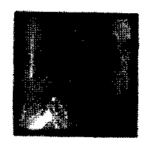
قسم الوثائق

موضوع الغلاف

مسؤول في الجهاد الإسلامي يعلن تشيعه

أن تكون شيعياً في فلسطين



■ يمر العالم العربي هذه الايام بمرحلة مهمة. حيث يتصاعد الكفاح ضد الوجود الاسرائيلي في القدس والاراضي المحتلة وتعنته واصراره على احتلال مقدسات اسلامية. بينما يقف العالم العربي بعيدا عن مساعدة الثوار الفلسطينيين الا من رحم ربك وتوفرت لديه الرغبة الصادقة والايمان بهذه القضية والتجرد من المصالح الشخصية او قصيرة المدى.

وخلال متابعة "المجلة" لما يحدث على الاراضي المحتلة من اعمال بطولية وقفنا امام حادثة غريبة على المجتمع الفلسطيني المعروف بتمسكه بمذهبه السني. اذ اعلن احد قيادي حركة الجهاد الاسلامي عن انتقاله الى المذهب الشيعي الجعفري. هذه الحادثة لم تلفت انتباهنا لأهمية صاحبها فقط بل لأن فيها بعدا آخر يتمثل في ان بعض الفلسطينيين اصبح يائسا الى درجة ان يغير مذهبه لأصابته بالاحباط من عدم نصرة قومه له ورؤيته لما يحدث على الساحة الاخرى القريبة منه في لبنان من انتصارات نتيجة للدعم المقدم من فئات تشارك اصحابها مذهبهم.

هذا الوضع يدق ناقوس يجب ان يسمع صوته الكثير من القيادات الدينية في عالمنا العربي. لكننا لا نقف امام مذهب بعينه ولا نمثل دعوة مذهبية واحدة فهدفنا هو مستحقات الهمم ليس الا.

ناقوسنا هذا يحذر اصحاب الملة الواحدة من ان يعود التاريخ مرة اخرى كما حدث في العراق اذ تشيعت قبائل عربية كثيرة بسبب التسلط التركي عليها. لجأت الى التشيع ...ادا وثورة على تسلط ولاة الترك.

كما يوصل تشيع البعض في الوقت الراهن الى التفكر في ان هناك قصورا في اقتراب المؤسسات السنية من الشارع ونبضه وعيشها في حالة الدعة والاستنامة وبعد بعضها عن قضايا الامة خاصة في ما يتعلق بالصراع مع العدو الصهيوني.

لا نريد في موضوعنا هذا اثارة النعرات بل نرجو من ورائه التفكر في ان هناك مخاطر ليست من التشيع. فهذا امر لا نبحثه هنا. بل اننا نصور للناس واهل الحل والربط في عالمنا العربي كيف وصلت الامور بشباب هذه الامة من احساس بالخذلان والاحباط اصبح الخروج عن المذهب حلا لبعضهم. وهو امر يدعو قادة العالم الاسلامي الى العمل جاهدين للوقوف بجوار ابنائهم المجاهدين في فلسطين وغيرها.

واخيرا. هل بلغنا اللهم فاشهد ■

مجلة المجلة (العدد ١٠٨١)



موضوع الغلاف

المنبر موضوع الغلاف

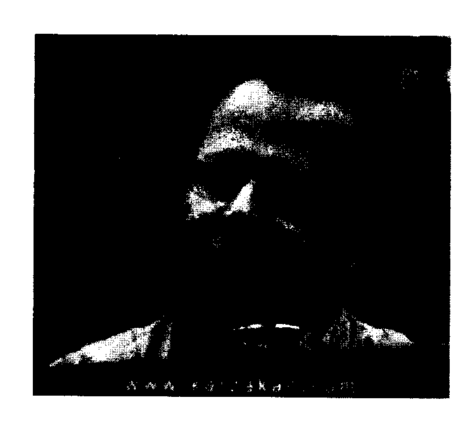
ترجمة لموقف (المنبر) في (استهلال) عددها السابق

أهل البيت عليهم السلام.. فجر جديد يبزغ في فلسطين!

الزعيم الفلسطيني المتشيع محمد شحادة: أدعو

أحرار العالم إلى الاقتداء بإمام الأحرار الحسين عليه الصلاة والسلام

مجلة المنبر (العدد٧)



المهندس الفلسطيني معتصم زكي /ندوة في قرية كرزكان ـ البحرين

www.karzakan.com



ندوة في قرية كرزكان . البحرين، مع مقدم الندوة



جانب من الحضور



من اليمين الممثل السينمائي صلاح الدين بن سعد ،وفي الوسط المؤلف
ومن اليسار الأخ رياض علي ديب ـ اللاذقية ـ الشبطلية.



المؤلف يحاور الممثل السينمائي.



من اليمين الممثل السينمائي مع المؤلف مع الحاج أبو حمدي الأشقر مع الأخ أبو حيدر والأخ رياض علي ديب على بوابة مقام السيدة رقية عليها السلام - دمشق



من اليمين الأخ رياض علي ديب والمؤلف في الوسط ومن اليسار الممثل صلاح الدين بن سعد.



الممثل مع المؤلف في حالة حوار.



في حالة الحوار.

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

حضرة الأخ الكريم المبجل الفخر الرزين حفظه الله تعالى

سلام من الله عليكم ورحمته أما بعد

تناقل بعض الناس مسألة مناظرة بيني وبين عثمان الخميس المعروف
بطعنه بعقائد المسلمين الشيعة ودوماً لتحريف الكتب وحقنا لحكاية
المناظرة والاتفاق على المباهلة الذي قطعه على نفسه ثم أخلفه
فأنا أخي الكريم أكثر الناس بعداً عن الطائفية وحرصاً على جمع المسلمين
لاسيما وأنا ابن عائلة سنية عريقة وأفتخر بانتمائي السني. فالحديث
تصور البعض أنه جيء بي إلى عثمان الخميس ليقنعني بخطأ انتقالي إلى مذهب
الإمامية فوافقت على مناظرته شريطة المباهلة وهي نعمة من الله تعالى
حيث سوف يطلع الناس على الصادق وليتبين الكاذب فرفض ابتداءً
ثم وافق فحضرت بعد اسبوع لمسجد يوم مع الناس بمنطقة مشرف في الكويت
فسألني في البداية كيف أنكر وجود حديث صحيح في الترمذي مفاده وجوب
اتباع القرآن الكريم وآل البيت عليهم السلام وعندما سألته إن كان يعني حديث الترمذي
صدم هو ومن معه من الحضور وعندما قرأته عليه ظهرت عليهم الدهشة
لأنه قبل قليل أنكر وجوده. بعد ذلك بدأ بالطعن في أحد رواة الحديث
واستعد لتهذيب ابن حجر بل وحفاظ علمائهم الأكبر الألباني الذي صحح
الحديث. غريب أمر هذا الرجل الذي ينكر وجود الرواية أولاً ثم يطعن
بأحد رواتها بعد ذلك ثم لم يوافق على وجودها في صحيح الترمذي من البداية
إذن لم يطعن فيه بعد ذلك؟ بعد ساعة أراد إنهاء الجلسة فقلت
له إذن هذا موعد المباهلة كما اتفقنا. فغضب وقال:
باهل نفسك. فمسكت يده وقلت له لقد وعدت وأخلفت فقال:
كان ودي أباهلك لكن أنت جاهل فقلت له: ألم أقل لك بنفسي
الاسبوع الماضي إني لست عالماً بل جاهل ورغم ذلك وافقت فلم تهرب؟

١

صورة عن وثيقة المذيع الكويتي فيصل دويسان على موقع البرهان الشيعي



ترقّبوا وشيكاً

مجموعة من من المفكرين العرب والأساتذة الأجانب الذين تشيّعوا حديثاً





المستبصر الأمريكي البروفسور لكنهاوزن



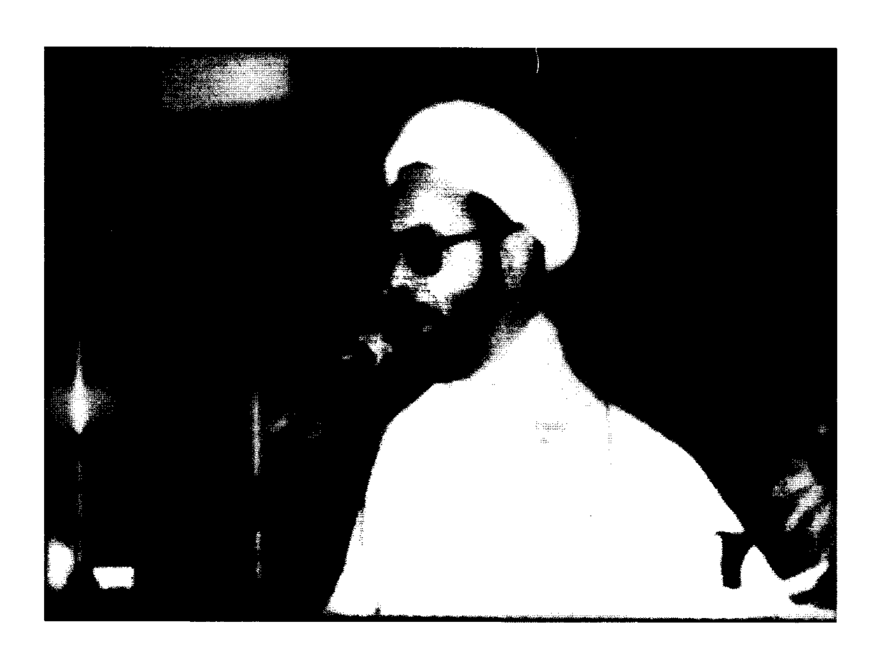
المستبصر الكندي أحمد حنيف



المستبصر الإيطالي المهندس روبرتورايكو



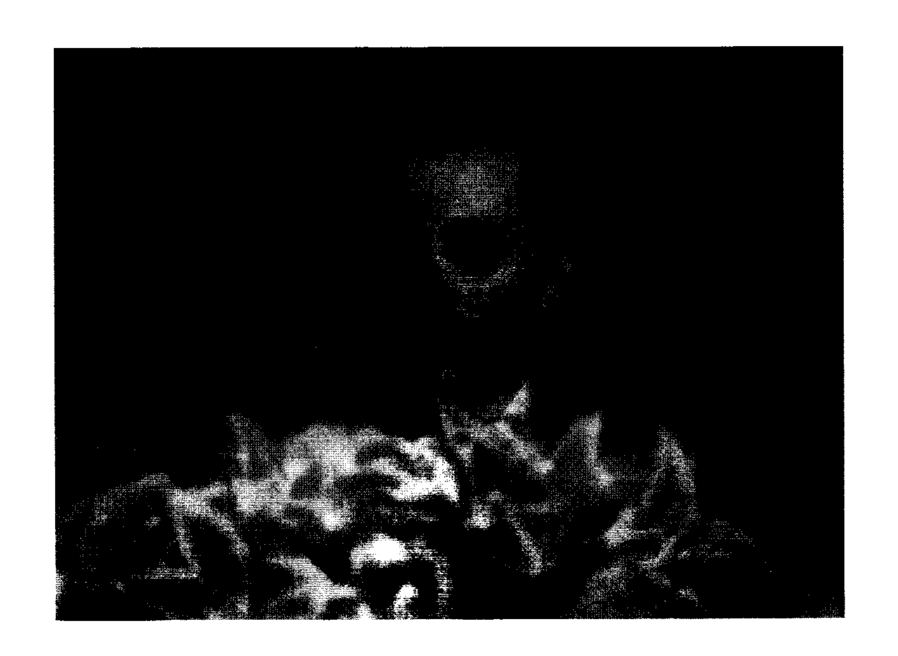
المستبصر الأرجنتيني فيصل مرهل



المستبصر المصري الدكتور أيمن عبد الخالق



المستبصر الأمريكي الدكتور ظهير الحسن



المستبصر الروسي المهندس جرنينكوتاراس



تشيع الشيخ عبد الرحمن العلي من العراق



تشيع المهندس الياباني سومياكي



المهندس كريستل ادوينسون من السويد



تشيع السيدة دوريس كلوزن من ألمانيا



البرفسور استويلي كلود من فرنسا



المهندس روبرتو أركادي من إيطاليا



الأستاذ هريش والدمن من النمسا



الفهرس

الفهرس



ترقبوا وشيكاً

صدور الجزء السابع

من كتاب المتحولون

